

المؤتمر العلمي الرابع

التَّارِخُ وَالْمُورَخُونُ الْحَضْرَامِيُّونَ

(في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي)



جامعة حضرموت
الدراسات العليا والبحوث

المكلا
18 - 19 ديسمبر 2019م

المؤتمر العلمي الرابع
التاريخ والمؤرخون الحضارمة
في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي
حضر موت - المكلا 18 - 19 ديسمبر 2019م

ح) مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

رقم الإيداع بالهيئة العامة للكتاب م/ حضرموت (٣٧٢) ٢٠٢٢م

التاريخ والمؤرخون الحضارمة في القرن الثالث عشر الهجري/
التاسع عشر الميلادي، أوراق المؤتمر الدولي الرابع الذي نظمه
مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر - المكلا
١٨ - ١٩ ديسمبر ٢٠١٩م.

٣٩٠ ص، ٢٤×١٧ سم

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

حقوق الطبع محفوظة



دار الوفاق الحديثة للنشر والتوزيع - مصر

هاتف وواتس آب: 00201008170225

بريد إلكتروني: daralwefaqnet@gmail.com

المؤتمر العلمي الرابع

التاريخ والمؤرخون الحضارمة

(في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي)

حضر موت - المكلا 18 - 19 ديسمبر 2019م





كلمة افتتاح المؤتمر

أ.د. عبدالله سعيد بن جزار الجعدي
رئيس المركز



الحضور الكريم

أسعد الله صباحكم بالخير

نجدد الترحيب بكم جميعاً في مدينة المكلا عاصمة محافظة حضرموت.

وبعد ففي هذا المحفل العلمي السنوي الكبير الذي ينظمه مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، وهو المؤتمر العلمي الرابع بعنوان (التاريخ والمؤرخون الحضارمة في القرن التاسع عشر الميلادي)، نحن أمام قرن استثنائي في تاريخ البشرية، فإذا كان القرن الثامن عشر الميلادي هو عصر الثورة الصناعية في أوروبا وعصر (جيمس واط) الذي اخترع قوة البخار مسجلاً بذلك ميلاد عصر الطاقة الجديدة التي حلت تدريجياً محل قوة الإنسان والحيوان، فإن القرن التاسع عشر تجلت فيه مظاهر الانقلاب الصناعي وتطبيقاته، فعبرت أول سفينة بخارية المحيط الأطلسي عام ١٨١٩م، مدشنةً بذلك عصر السفن البخارية، إنه قرن توماس أديسون والمصباح الكهربائي، والتلغراف، وظهور الأسلحة الجديدة، والمسدسات، والتصوير الثابت والمتحرك، إنه عصر قناة السويس التي تم افتتاحها في نوفمبر ١٨٦٩م، ولهذا كان قرناً اختُصرت فيه المسافات بين أقطار العالم، وتوسعت الإمبراطوريات الاستعمارية وسيطر البريطانيون بشكل مباشر وغير مباشر على ربع سكان الأرض.

وهذه التطورات في أوروبا الجديدة تركت آثارها الاقتصادية والسياسية والفكرية في كل أرجاء العالم، ولأن أوروبا أول من امتلك الفكرة والمعلومة؛ كانت لها اليد الطولى على بقية العالم الذي تأخر عن ركب حركة التطور، ف وقعت الكثير من البلدان فريسةً للاستعمار الأوروبي الذي امتص بلا هوادة خيراتها، وكسر إرادتها، ففي حركة التاريخ لا مكان عزيزاً للضعفاء والمتأخرين مهما ظنوا أنهم في أوطانهم آمنون.

وإذا عرّجنا على منطقة حضرموت بعيداً عن تفاصيل كثيرة فإن حضرموت في القرن التاسع عشر الميلادي لم تكن معزولة عمّا يجري حولها، فقد مستها هذه التحولات بصورة مباشرة وغير مباشرة، لكنها كانت جزءاً من حركة الفعل التابعة في هذا القرن لا الحركة الفاعلة، كما هو حال العرب منذ تلك الحقبة حتى ساعة الناس هذه.

وبالنسبة لحضرموت فقد تغيرت فيها الخريطة السياسية بشروط اللاعبين الدوليين وقتئذ، كما شهدت الهجرة الحضرمية بفعل السفن البخارية حركة متزايدة إلى الشرق الأقصى (جاوا والهند)، ونجح بعضهم في تكوين الثروات الكبيرة، وبسرعة تحولات القرن التاسع عشر وتطوراتها، لا سيما في نصفه الأخير، عاد الطامحون المغامرون إلى حضرموت بمشاريع سياسية، ومن أشهرهم (الأبطال) غالب بن محسن الكثيري، وعبدالله بن علي العولقي، وعوض بن عمر القعيطي، وذلك لتأسيس كيانات سياسية في حضرموت، مستفيدين من غياب المشروع السياسي المحلي فيها، وكان من نتائجه أن اختفت الإمارات البريكية في الشحر والكسادية في المكلا، وكان عنوان الصراع الأساسي هو الوصول إلى السلطة بشعار (الدنيا لمن غلب)، وتداخل البعد السياسي للصراع مع العوامل القبلية والاقتصادية، ولم يسدل القرن التاسع عشر ستاره إلا وحضرموت تحت حكم السلطتين القعيطية الفتية الواقعة تحت الحماية البريطانية، والسلطنة الكثيرية العميقة في التاريخ الحضرمي التي مالت في توجهاتها في تلك المرحلة التاريخية إلى الدولة العثمانية التي عُرِفَت في الأدبيات التاريخية برجل أوروبا المريض، وقد تطرقت أوراق هذا المؤتمر لجوانب من هذه التطورات.

إن القرن التاسع عشر الميلادي هو عصر المؤرخ سالم بن حميد وكتابه العُدَّة المفيدة، وهو أيضًا عصر المؤرخ والأديب عبدالله باحسن وكتابه النفحات المسكية في تاريخ الشحر المحمية الذي خصه المؤرخ عبدالله صالح حداد بقراءة نقدية تاريخية، فنحن بحاجة إلى قراءة موروثنا الثقافي برؤية جديدة تسبر أغواره وتحلل أبعاده، ولأنه - كما يُقال - لا كتابة تاريخية بدون وثائق تاريخية؛ تميزت أوراق هذا المؤتمر بعدد من الأبحاث التي تناولت تاريخ القرن التاسع عشر في حضرموت والقوى المتصارعة فيه، مستندةً إلى وثائق تاريخية تُشر لأول مرة في هذا المؤتمر، ومثل هذه الدراسات تُضفي بُعدًا أصيلًا للدراسات التاريخية، وتكشف عن حقائق جديدة.

وتنوعت أوراق المؤتمر في تناولها للأوضاع الاقتصادية ورصد حركتها وتطوراتها، وألمح بعض منها لمحاولات التأثير المذهبي الشهير بـ (الوهابي) القادم مما عُرف فيما بعد بالمملكة العربية السعودية، وهو غزو لم يحمل مشروعًا سياسيًا واضحًا في حضرموت، وإن كانت حركة المذاهب تسبق أو تندمج مع الحركات السياسية المتطلعة إلى الحكم، وهي ظاهرة لافتة في التاريخ الإسلامي والحديث، كما كان للملاحة البحرية التقليدية نصيبها في أوراق هذا المؤتمر، ففي هذا القرن تجاورت في عرض البحار والمحيطات حركة السفن البخارية والشرعية (العربية)، وهذا يؤكد أن العرب كانوا وما زالوا من حيث الفعل الحضاري والعلمي يتحركون على هامش القرون.

وتنوعت أوراق المؤتمر في تناولها لأحداث ذلك القرن وحضارته، خاصة في منطقة حضرموت، ولا ريب أن هذه الأوراق وهذا المؤتمر لا يدعي الإحاطة بكل تفاصيل القرن التاسع عشر الميلادي، فهذا التاريخ مثل المحيطات الواسعة ما يزال يحمل في أعماقه الكثير من الأسرار والغموض في انتظار الربانة الماهرين الذين إن غاصوا بعلم سيأتون بالجديد الثمين.

إن التاريخ هو تسجيل التجربة البشرية بما لها وما عليها، كما كانت وليس كما نريد، إن التاريخ إذا لم يتحول إلى فكرة للوعي والتبصر والانطلاق فهو قصة مملة



واستدعاء للأحداث غير مفيد، ومركز حضرموت للدراسات التاريخية وضع في ضمن أهدافه الإستراتيجية خدمة تاريخ حضرموت وإحياءه، وتعزيز الوعي التاريخي وإبرازه بمنهجية علمية تحترم العقول ولا تفرط في الأصول، هكذا بدأنا وسنمضي بإذن الله على ذلك.

وغداً إن شاء الله سيدخل المركز عامه الخامس، وربما سيقول قائل إن عُمرَ المركز قصير بعدد السنين، لكننا في فريق المركز ندرك أننا دخلنا في بحر من فوقه موج ومن تحته موج، لكننا متسلحون بإيمان عميق بالله وبما نحمله من نوايا صادقة في خدمة هذه البلاد، وحسبنا أننا غرسنا نبتة علمية طيبة قابلة للنمو بعون الله ثم بمساعدة المحبين لهذه البلاد.

ولا يفوتني في ختام هذه الكلمة الموجزة أن أتقدم بالشكر الجزيل للأخ العزيز الصديق فرج سالمين البحسني محافظ المحافظة؛ لدعمه المادي والمعنوي للمركز، وبشكر خاص لرئيس مجلس إدارة مركز حضرموت للدراسات التاريخية الأستاذ محمد بن سالم بن علي جابر ونائبه الأستاذ عبدالرحمن باسلم، والشكر موصول للشيخ عبدالله بن عمر بن دول المعاري رجل القول والفعل، وللشيخ الفاضل المهندس عبدالله أحمد بقشان لإسهاماته المشهودة في تنمية البلاد، ونحن على هذا من الشاهدين، والشكر لفريق المركز من مديري الإدارات وكل العاملين من الجنود المجهولين، والشكر موصول لربانة المؤتمر الحقيقيين الذي ركبوا بأبحاثهم العلمية بحور القرن التاسع عشر على ما فيها من (أهوال جم ما هي قليلة)، ولهذا استحقوا شرف المحاولة وفضلها وبهجتها، ودهشتها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



أخبار حضرموت في وثائق المراسلات اليافعية في القرن الثالث عشر الهجري (١٧٨٦ - ١٨٨٣ م)

إعداد/ نادر سعد عُبَّادي حَلْبُوب

مقدمة:

شهد القرن الثالث عشر الهجري تدفقاً هائلاً للمهاجرين اليافيين إلى بلاد حضرموت، تدفعهم إلى ذلك دوافع شتى، أبرزها الوجود العسكري اليافي هناك، فضلاً عن الدافع المعيشي في طلب الرزق وتحسين ظروف العيش.

وقد خلّفت تلك الهجرات مراسلات كثيرة كان أولئك المهاجرون يبعثونها من حضرموت إلى أهلهم في يافع، وقد حافظت بعض الأسر اليافعية على مراسلات أقاربهم ممن سافروا إلى حضرموت، وأتاح أحفادهم للباحث وغيره الاطلاع على عدد كبير من تلك الوثائق في أماكن مختلفة من بلاد يافع.

وتحتوي تلك المراسلات مادة ثرية من المعلومات التاريخية في نواح مختلفة؛ لأن المرسل كان يستهل رسالته بأخبار الجهة الحضرمية، ليضع أهله أمام صورة واضحة وموجزة للوضع الذي يعيشه، ولينبه من يرغب في الالتحاق به من أقاربه هناك بطبيعة الحياة، حتى يتخذ قراره بالهجرة على بصيرة.

وسيركّز الباحث على ثلاث مجالات وردت كثيراً في تلك المراسلات، معتمداً على ست وثائق متتقة منها، واضعاً لكل وثيقة رقماً للإشارة إليها في ثنايا البحث، ومستشهداً بنصوص من تلك الوثائق وشرح ما يحتاج إلى شرح منها، وهذه المجالات الثلاثة هي:

١ - الأخبار السياسية، وما تضمنته من أخبار النزاعات والصدامات العسكرية بين الكيانات القائمة آنذاك.

٢ - أخبار تتعلق بالوضع الاقتصادي.

٣ - أخبار تتعلق بأحوال المهاجرين اليافيين.

المطلب الأول: الأخبار السياسية، وما تضمنته من أخبار النزاعات والصدامات العسكرية بين الكيانات القائمة آنذاك:

حرص المهاجرون من أهل يافع في معظم رسائلهم إلى أهاليهم على إخبارهم بما استجد من أخبار حضرموت، وقد تتبع الباحث عشرات الرسائل فوجدها بعد الاستهلال تبدأ مواضيعها بعبارة: «أخبار حضرموت» أو «أخبار الجهة»، ثم يسرد ما شهدته أو بلغه من الأخبار، وقد يستغرق ذلك نصف الرسالة أو أكثر، مجملًا تارة، ومفصّلًا أخرى، حتى يستوفي ما يراه مهمًّا فيبدأ بذكر الأخبار الشخصية وما يوصي به أهله ومن يبعث معه السلام في الرسالة، أو يبلغه إياهم من أهله وقومه.

وتعد الأخبار السياسية والعسكرية هي المادة الأغزر في تلك الرسائل، مما يتعلق بالسلطنات والإمارات والحاميات التي كانت في حضرموت آنذاك، وكثيرًا ما يركز المرسلون على أخبار الفتن والنزاعات، سواء النزاعات التي كانت بين الكيانات الحضرمية، أو بين الكيانات الحضرمية من جهة، واليايفية من جهة أخرى، أو التي بين الكيانات اليايفية ضد بعضها. وتحوي كثير من تلك الوثائق تفاصيل دقيقة لم توردها كتب التاريخ الحضرمي، من تفاصيل معارك، وأسماء أشخاص وأماكن وغيرها. وفيما يلي سرد للأخبار التاريخية الواردة في تلك الوثائق الست المختارة:

فتنة تريم:

ورد في الوثيقة (١) التي هي رسالة أرسلها أحمد حيدر بن عز الدين البكري من سيئون إلى أقاربه في بني بكر في يافع بتاريخ يوم الجمعة ١٥ من ربيع الأول سنة

١٢٠٦ هـ عدة أخبار مهمة يعز وجودها في كتب التاريخ الحضرمي، فقد اشتكى من قلة الشورى بين أهل يافع في حضرموت، وتحدث عن فتنة وقعت بين أهل يافع في تريم في أواخر شهر محرّم (عاشور) من تلك السنة، نشبت بين أهل حارة الخليف وأهل السوق بسبب (قناصة)، ولم يشرح مقصوده من هذه الكلمة، ولعله إطلاق نار بدأه أحد الطرفين باتجاه الآخر، وتطورت المشكلة إلى معركة مسلحة (هدة) أدت إلى مقتل رجلين من أهل الخليف، وسمى القاتل الأول خادم السيد محمد بن عبدالرحمن ثبي، والآخر خادم علي بن همام، وكان عبيد السوق (رباعة) تحت حماية أحد رجال يافع اسمه علي بن عبدالكريم الجهوري، فأخذ ابن همام دية في خادمه، و(تعور) السيد محمد بن عبدالرحمن - أي: طلب رفع العار - واستعان بأهل عبدالباقي من يافع، فثاروا لعبده القاتل بقتل أحد عبيد السوق سمي صاحبه (يماني)، فغضب علي عبدالكريم الجهوري لهذا العبد القاتل لأنه تحت حمايته، وتغير من ذلك، وأمسك بعبدالرحمن ابن السيد محمد بن عبدالرحمن ثبي واحتجزه عنده، فتخلص من الحجز بدفع أربعمئة قرش للجّهوري، لكنّ أباه تعيّر مما فعله الجهوري بابنه عبدالرحمن، فاستدعى جماعة من رجال القبائل عددهم (١٠٥) أشخاص، وذكر منهم: قاسم بن علي جابر وآل كثير والعوامر وآل جابر وآل عبدالقادر البعسي وابن علي العفيف، فابتنوا للسيد محمد بن عبدالرحمن حصناً في قارة العز تحت تريم، وبعد بناء الحصن تجمع هؤلاء القوم مع من التحق بهم ودخلوا تريم ليلاً من جهة النويدرة التي كانت تحت حماية آل عبدالقادر، وكان آل همام أيضاً إلى جانب السيد محمد بن عبدالرحمن ضد علي بن همام المتحالف مع علي بن عبدالكريم الجهوري، فقام آل عبدالقادر ومن معهم من المهاجمين وعددهم (١١٥) مقاتلاً من يافع وآل كثير والعوامر وآل جابر، يتقدمهم المقاتلون الياضيون بنهب مدينة تريم من الرضيمة إلى جوار دار آل مخارش في طرف سوق النحاس إلى ديار آل مسعود البعسي، واستمرت الفتنة يومين وقتل فيها رجلان أحدهما من آل عبدات الجبال، وأصيب ١١ مقاتلاً من

آل كثير والعوامر، وسمى منهم ابن كحبل الكثيري. فأرسل منصب عينات الحبيب سالم ثلاثة رجال من طرفه لإصلاح ذات البين وإطفاء الفتنة هم الشيخ ناصر جابر النقيب، والشيخ يحيى بن مسهر والمساوي، وقد هدأ الوضع عند كتابة الرسالة في منتصف ربيع الأول وعاد آل كثير إلى مواقعهم السابقة.

وقعة الخرابة في شبام:

ثم يحكي كاتب الرسالة (الوثيقة ١) حادثة أخرى حصلت في شبام، وقد أتت عوادي الزمن على الوثيقة فتأكلت وضاع جزء يسير ومهم من النص (ينظر في الملحق)، وحاصل الحادثة أن جماعة من رجال يافع الموسطة ذهبوا إلى الكسر وجمعوا من مقاتلي يافع عددًا مقداره (١١٠) أشخاص، وذكر أسماء بعضهم، وأن (٢٥) شخصًا من بني بكر - وهم من الضبي - شاركوا في حملة الموسطة تلك، وذهبوا إلى شبام يوم الأربعاء ٧ ربيع الأول من ذلك العام (١٢٠٦هـ)، فحفروا في البطحاء، وأشار إلى مشاركة قبيلة آل امشق الناخبية في الحادثة، والمؤسف أن بعض التفاصيل المهمة التي تشير إلى سبب الوقعة ضاعت بسبب تآكل في الوثيقة، وبقية النص يذكر موقعًا اسمه الخرابة، حدثت عنده مقتلة بين هؤلاء القوم من يافع وآل كثير، قُتل فيها رجلان من آل كثير، أحدهما من آل مهري، والآخر من آل باراس، وأصيب منهم عدة رجال، وقُتل من أهل يافع وعبيدهم سبعة رجال، وذكر أسماءهم: قاسم بن جابر بن قاسم الجهوري صاحب كيرعان، وصلاح سعيد بن محمد بن ناصر الرُّشيد، وابن علي أحمد حولل الخلاقي، وحسين مقيدح القعيطي، والعبيد سرور عبد الكدي، وسرور عبد ابن أحمد ناصر، وعبد ابن مقيدح. وذكر مصير أسلاب (أسلحة) قتلى يافع، وأن أكثرها وقعت بأيدي آل كثير، وأن رجال الموسطة بعد هذه الوقعة ذهبوا إلى الكسر مستنجدين بقومهم من يافع على آل كثير، فذهب معهم رجال من جملتهم (٢٥) شخصًا من رجال بني بكر، وفيهم بعض من حضر الوقعة السابقة، وأنهم عند كتابته للرسالة (بعد أسبوع من الوقعة) موجودون في شبام، والفتنة قائمة بين الطرفين، وهم ينتظرون مجيء مناصب عيّنات الذين وصفهم بالمصاييح لإخراج حضر موت من هذه الفتنة.

وضع رتبة سيؤون الياضية:

ثم أشار صاحب هذه الرسالة في عبارة مقتضبة إلى أن رجال يافع في رتبة سيؤون مبعثرون (مُطَيَّرُونَ) في وادي حضرموت في أماكن متناثرة، وذكر أن منهم ٣٠ شخصاً عند الحبيب في عينات، وحوالي ٢٠ شخصاً في شبام، وأبدى امتعاضاً من منصب عينات (الحبيب) لأنه سبب في تشتيت أهل يافع وعدم اجتماعهم، لأنه يحب بعضهم ويكره بعضهم الآخر!

نزاع مسلح بين السلطان جعفر بن علي الكثيري ويافع في سيؤون:

ورد خبر في الوثيقة (٢) التي هي أيضاً رسالة أرسلها الخضر بن محمد عبدالله الحطيمي البكري من سيؤون إلى أقاربه في بني بكر في يافع بتاريخ يوم الثلاثاء فاتحة شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٢٠هـ عن حصول نزاع مسلح بين السلطان جعفر بن علي الكثيري ورتبة سيؤون من يافع في خلاء سيؤون دام أربعة أيام، وأن القوم انقطعوا بعد ذلك عن القتال دون تدخل مصلح (وجه) بينهم، وأنه قُتل أحد عبيد يافع وأصيب شاب من الرتبة، وقُتل رجل من آل كثير، وأصيب منهم رجل اسمه سهل بابكر. وطمأن المرسل إليهم بأن أهل يافع بخير، وأنهم في عز ومنعة في سيؤون وأن الأرض لهم وأنه لا يدخل عليهم فيها داخل إلا برغبتهم، وأنهم نافذون وعقال في تريم، وأن تريم وحرارها هادئة وساكنة.

نزاع في عينات:

والوثيقة (٣) رسالة بعثها كاتبها من سيؤون إلى الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر عز الدين البكري، والفقيه حيدر بن عبدالله أحمد حيدر عز الدين البكري، ولم يرد اسم مرسلها في صورة الوثيقة التي لدى الباحث، ولا تاريخها، ولكنها تقع في نطاق السنوات (١٢١١ - ١٢٤٢هـ) بدليل ورود اسم منصب عينات في هذه المدة الشيخ أحمد بن سالم بن أحمد بن الشيخ أبي بكر.

ويشير مرسل الرسالة إلى حصول نزاع بين الحبيب علوي ابن منصب عينات الشيخ أحمد بن سالم وآل الحامد، أدى إلى إصابة أحد العبيد، وأن شخصاً يسميه

المردامي تدخل بينهم لإطفاء النزاع، وأن الحبيب علوي وصل إلى سيؤون وطلب من حاميتها الياfacية العروة والنصرة والعصبية معه ضد آل الحامد، إلا أن المقاتلين لم يستجيبوا له لأن والده منصب عينات لا يرغب في القتال ولم يرَضْ بإشعال الفتنة، وأن النزاع ما زال قائماً إلى حين كتابة الرسالة.

نزاع بين يافع وآل تميم:

وفي الوثيقة السابقة نفسها أشار كاتبها إلى نشوب فتنة بين يافع وآل تميم سببها نزاع بين الشيخ يحيى علي ابن الشيخ علي هرهرة وآل يمانى^(١) من تميم، أدى إلى مقتل الشيخ يحيى وأحد آل تميم، فاستنجد آل الشيخ علي بيافع، فأغاروا (سرحوا) على أرض آل تميم وأخذوا منهم أرضاً زراعية سماها (الواطط) بالشراء وحرثوها، وسلم الجميع من الاقتتال، وبعدما انسحب المقاتلون الياfacيون تعصب مقاتلو لبعوس من يافع على موضعين سماهما (السواربي) و(المحط) يملكهما أحد السادة وأخذوهما، وفي الوثيقة تآكل ذهب معه جزء من النص، وبعده ذكر أن السيد أنفق (خسر) ألف قرش وخرج من النزاع وانسحب مقاتلو يافع.

إلا أن آل تميم لم يقتنعوا، وجمعوا رجالهم للقتال، وعصبوا معهم رجالاً من المناهيل والمهرة، ودخلوا قرية سماها (الحادي) يملكها السادة آل الحداد، وتحصنوا في ثلاثة من بيوتها، فسارع جميع مقاتلي يافع هناك إلى الحادي ودخلوها، وأخذوا عشرين داراً، فانسحب آل تميم ومن معهم في الليل، وخرج أهل يافع وراءهم وقتلوا من تميم وحلفائهم (١٨) قتيلاً، وأخذوا أسلابهم. وذكر أن المقاتلين الياfacيين عند كتابته للرسالة حاطون تحت بلاد آل تميم محاصرين لهم فلا يدخل أحد إلى بلادهم ولا يخرج منها.

(١) آل يمانى: فخيذة من آل تميم، فيهم المَقْدَمَة على آل تميم، ويسكن مقدمهم في منطقة قسم شمال عينات.

فتنة بين أهل يافع:

وأشار في نهاية الوثيقة إلى أخبار أهل يافع في حضرموت، وأنها متقلبة بين الهدوء والنزاع، وذكر حصول فتنة بين آل المصلي وآل هادي من قبائل الضبي، حيث نشبت بين أولاد عبدالهادي وأولاد عيسى بن صالح.. وقد تأكلت الوثيقة وضاع بقية النص مع الأسف.

خلاف حول حامية عينات:

وفي الوثيقة (٤) التي أرسلها الفقيه عبدالحبيب بن أحمد بن حيدر بن علي بن عز الدين البكري من سيئون إلى الفقيه حيدر بن عبدالله بن أحمد حيدر علي عز الدين البكري وعبد موسى بن عبدالحبيب بن علي سنان البكري، وتاريخها سنة ١٢٣٦هـ^(١)، ذكر فيها خبراً مقتضباً عن وجود حامية عسكرية (رتبة) في عينات، قوامها من يافع الغرباء والتلد، ومن الهنود (البراهم) ومن آل تميم، وأن أمراء البنادر (المكلا والشحر) كاتبوا آل يماني مقادمة آل تميم وطلبوا منهم إرسال بعض مقادمتهم (عقّالهم) إلى الساحل (البنادر)، فاجتمعت كلمة آل يماني وبقية آل تميم أنهم لن يرسلوا أحداً من مقادمتهم إلا بشرط أن يخرج المنصب الحبيب أحمد بن سالم جميع العساكر من عينات، فأرسل أمراء الساحل وساطة إلى الحبيب أحمد يطلبون منه إخراج العساكر، وأن ذلك وما

(١) لم يورد كاتب الرسالة تاريخاً للعام الذي كُتبت فيه، ولكنه أورد في الوثيقة ذكر منصب عينات الشيخ أحمد بن سالم الذي تولى المنصب بين (١٢١١ - ١٢٤٢هـ)، وذكر السلطان عمر بن جعفر بن عيسى بن بدر الكثيري الذي تولى السلطنة بين (١٢٣٠ - ١٢٤٣هـ)، فالقدر المشترك بين الرجلين هو (١٢٣٠ - ١٢٤٢هـ)، ثم ذكر أن مطراً هطل على حضرموت في نجم المية (بالتقويم الياضي) وأنه صادف يوم الأربعاء ٢٩ رجب (باقي يومين من رجب حسب تعبيره)، ومعلوم أن نجم المية يكون من (٢١ أبريل - ١ مايو)، وبمطابقة هذه المعطيات على الفترة من (١٢٣٠ - ١٢٤٢) وجد الباحث أنها تطابق سنة ١٢٣٦هـ التي دخلت بتاريخ ٩ أكتوبر ١٨٢٠م تماماً، وأن التاريخ المذكور يوافق الأربعاء ٢ مايو ١٨٢١م، إلا أن حساب كاتب الرسالة للموسم غير دقيق بنسبة خمسة أيام، ويحدث هذا الخطأ كثيراً من غير المتخصصين في علم الفلك القديم.

يترتب عليه في ضمانهم (وجوههم)، فرفض الحبيب أحمد هذا الطلب، وراسل عقّال يافع في سيؤون وطلب ذهاب ستة من عقّالهم ليلتقي بهم في تريم للمشاورة هم وعقّال لبعوس في تريم (آل غرامة وآل عبدالقادر)، وأن هؤلاء العقّال لم يذهبوا بعد للقاء الحبيب حين كتابة الرسالة، وكل طرف مترقب للآخر.

مناوشات في شبام:

ويذكر كاتب الوثيقة أن أخبار لبعوس في تريم مع آل تميم هادئة (برا)، وأخبار حامية سيؤون مع آل عون الكثيرين غربي سيؤون وبقية آل كثير في سيؤون هناك هادئة (برا)، لكنه يعرّج على خبر حصل في شبام بعد سفر المرسل إليه الرسالة، من استنجد آل علي جابر وآل عبدالعزيز والسلطان عمر بن جعفر بن عيسى بن بدر الكثيري بالحامية، حيث حط آل كثير على شبام في الجانب الشمالي (النجدي) منها، بين القارة وشبام، فجاء السلطان عمر بن جعفر وابن علي جابر وابن عوض بن علي من آل عبدالعزيز إلى الحامية اليافعية (الرتبة) هناك وطلبوا العون والمدد (نكفوا)، فقام أهل يافع بتجهيز حملة عسكرية قوامها حوالي ٢٥ مقاتلاً من يافع الغرباء، وحوالي ٣٠ مقاتلاً من يافع التلد وعبيدهم، و ٣٠ مقاتلاً من عبيد الرتبة، وقلموهم (رتبوا لهم راتباً مالياً). وذكر من أسماء الغرباء: آل الشيخ علي هرهرة، وسالم الحذامي، وأحمد محسن، ومن حامية شبام الشيخ عبدالنبي بن دينيش ومن معه من بني بكر، ودخلت هذه الحملة إلى شبام وأخرجوا آل كثير من السحيل وبزرق وخمور وخشامر وديار آل المهري التي في كور سيان.

فقام آل كثير بقطع طريق البر واستقوا - حسب تعبير الكاتب - على الضعيف والمسكين، وكمنوا لأحد آل رواس وقتلوه في كور سيان، ولم يستطع أحد أن يهجم على الآخر. وذكر أن السلطان عمر بن جعفر بن عيسى بن بدر هو الذي يصرف نفقات العساكر في شبام، حيث إنه يدفع نفقاتهم سرّاً إلى يد عبدالله بن محمد بن مرعي بن طالب، وهو يتولى الإنفاق عليهم، وختم هذا الخبر بالقول إن شبام مليئة بالعساكر، ولكن

آل عبدالعزيز لم يسمحوا لهم أن يتقدموا على الديار التي يسكن فيها آل كثير حذرًا من العسكر.

مناوشات بين رتبة سيؤون وآل كثير:

ويخبر كاتب الرسالة أن آل عون الكثيريين الساكنين غربي سيؤون نزلواهم وجماعة من آل كثير في مكان سماه بير العجوز في ضواحي سيؤون، وبنوا هناك قصرين، فنشبت معركة بينهم وبين حامية سيؤون أدت إلى انكسار آل عون، في اليوم التالي للمعركة خرج عساكر الحامية إلى الجهة القبلية من تريس وتفرقوا كل مجموعة منهم في جانب، فلما رآهم آل بن مهري وآل بن عانوز الكثيريين متفرقين تقدموا عليهم وأطلقوا عليهم النار، فقتل رجل من يافع الضبي اسمه عبادي المصلي، وقطعوا رأسه، وقتل أيضًا أحد عبيد ابن عبدالقادر البعسي صاحب تريم.

فتنة آل الشيخ علي وآل الشريفي:

وفي الوثيقة (٥) التي أرسلها صالح بن سالم هرهرة من سيؤون بتاريخ يوم الخميس ٢ من ذي القعدة سنة ١٢٤٦ هـ إلى محمد بن أحمد علي بيك البكري وحيدر بن علي بن سعيد بن علي حيدر البكري، وذكر فيها جملة من أخبار تلك السنة. وقد استهل أخبار حضرموت بأن حوادثها لم تزل مستمرة، وأخبر عن فتنة نشبت بين آل الشيخ علي هرهرة وأهل الشرف في سيؤون، ولم يحدد إن كانوا أهل الشرف في مكتب الضبي أو أهل الشرف في مكتب الحضارم، وكلاهما قبيلتان كبيرتان من يافع، وأغلب الظن أنهم شرف الضبي لأن لهم وجودًا في سيؤون إلى الآن، وذكر أن الفتنة قائمة بينهم بسبب قتل المرفدي لابن عبدان الشرفي، فاتهم أهل الشرف ابن يحيى بن عمر هرهرة بقتل صاحبهم ابن عبدان، واشتد النزاع، فوصل إلى سيؤون الحبايب سالم بن أحمد وسقاف ابن أبي بكر من عينات، ونادوا (طربوا) بالصلح بين الطرفين، ودخلوا يسعون بينهم بإخماد الفتنة، لكنه حصل غدر من أهل الشرف على أحد عبيد آل الشيخ علي هرهرة وقتلوه، فانتقد الحبايب هذه الفعلة على أهل الشرف واستنكروها.

وفي أواخر شهر رمضان من ذلك العام دخل أحد وجهاء يافع هناك، وسماه ابن الشيخ عمر قاسم عبدالله - ولم يحدد نسبته من قبائل يافع - بالوساطة بين عساكر أهل الشرف ونادى فيهم بقبول وساطته، وظل بينهم يوماً وليلة، لكنهم قابلوه بالعناد (النطف)، والحال عند إرسال الرسالة في بداية ذي القعدة أنه كلما دخلت وساطة بين الطرفين لم يستجب لهم سوى ابن يحيى بن عمر هرهرة، أما أهل الشرف فيقولون إما أن يُقر ابن يحيى عمر بقتل ابن عبدان أو يعطيهم من طرفه عشرة رجال يحلفون أنه لا علاقة له بقتل صاحبهم، وبشعة، وما زالت المشكلة قائمة بينهم حينها.

فتنة بين الإمارات الياضية في تريم:

وأشار كاتب الرسالة إشارة مقتضبة إلى أخبار الشق الحذري من وادي حضرموت، وقصد بذلك تريم، وأخبر عن نزاع بين ابن غرامة البعسي من جهة، وابن عبدالقادر البعسي وابن همام الناجبي من جهة أخرى، وأن الطرفين يتحاربون فيما بينهم، وأن معركة حصلت في شهر رمضان من تلك السنة، أدت إلى مقتل أربعة من العبيد: اثنين من عبيد ابن غرامة وواحد من عبيد ابن همام وواحد من عبيد ابن عبدالقادر؛ مما يشير إلى أن العبيد كانوا عناصر أساسية في الحروب القبلية آنذاك، وأن الفتنة قائمة بينهم إلى وقت كتابته للرسالة.

بداية تحرك السلطان منصور بن عمر الكثيري:

وأشار كاتب الرسالة أنه في تلك السنة (١٢٤٦ هـ) بدأ آل كثير في التعصب والالتفاف حول ابن عيسى بن بدر، ويعني به السلطان منصور بن عمر بن جعفر الكثيري، وأنه لم يظهر منهم إلى حين كتابة الرسالة أي عدوان على يافع.

قتلى من يافع في سيؤون:

وفي الوثيقة (٦) التي هي رسالة أرسلها محمد بن عبد أحمد بن عبد موسى بن غرامة البكري من القطن في حضرموت إلى أقاربه في يافع من آل غرامة البكري، وأرخها في فاتحة شهر رجب دون تحديد السنة، ولم أتمكن من تحديد تاريخها، ولكنها تضم

أسماء أناس عاشوا في القرن الثالث عشر الهجري. وتشير هذه الرسالة إشارة مقتضبة إلى جماعة من يافع خرجوا من سيئون، فهجم عليهم آل كثير وقتلوا منهم خمسة عشر شخصاً، منهم محمد بن غرامة أحد أقارب كاتب الرسالة، وأخبر أن آل كثير أخذوا أسلحة (أسلاب) قتلى يافع وما معهم من أشياء أخرى.

المطلب الثاني: الأخبار المتعلقة بالوضع الاقتصادي في حضرموت

كان الدافع المعيشي سبباً رئيساً للهجرة الياضية إلى حضرموت، وكان توفر فرص العمل وكفاية الدخل للمهاجر ولأهله ورخص الأسعار مما يعين المهاجر الياضي على الاستقرار في المهجر الحضرمي.

وقد عرض الباحث فيما سبق نماذج لعناية المهاجرين الياضيين بإخبار أهلهم وذويهم على ما استجد في الشأن السياسي والعسكري في حضرموت، ولم تخلُ المراسلات الياضية من أخبار أخرى تتعلق بالاقتصاد والمعيشة، سواء ما يتعلق بأسعار السلع أو مقادير ما يتقاضونه من أجور في أعمالهم العسكرية؛ فقد كان بعض المهاجرين يوقف أهله في يافع على جملة من أسعار السوق في حضرموت، وخصوصاً للأطعمة والملابس والمواشي؛ ليكونوا على صورة جليلة بالوضع المالي في أسواق حضرموت، ويعاينوا الفرق في الأسعار بينها وبين أسواق يافع، أو ما يتعلق بالزراعة ومواسمها وثمارها وآفات وأخبار الأمطار والسيول وما تسببه من سقيا أو أضرار بالأراضي الزراعية، وتدلل هذه الوثائق على عناية المهاجر الياضي في حضرموت بالزراعة وشراء الأرض أو مزارعتها من مالكيها، واهتمامهم بحراستها وإصلاح ما تضرر منها.

وقد وردت في الوثائق الست التي انتقاها الباحث من مراسلات الياضيين في القرن الثالث عشر الهجري جملة من تلك الأخبار، سيوردها فيما يلي:

من أسعار السلع في سيئون سنة ١٢٠٦هـ:

فقد تضمنت الوثيقة (١) إشارة إلى بعض الأسعار، وإن كانت بعض كلماتها غير واضحة أو مخرومة بسبب عوادي الزمن، إلا أنها تفيد شحة الأمطار في حضرموت

في تلك السنة، وأن «أسعارها ذرة أربعة مصاري»^(١) بوقية بر، ثلاثة مصاري بوقية تمر، عشرة أرتال بوقية مباعها البر، كل شيء يبيع نفسه العادة الكبير، والبر الصغير العادة ثمانتعشر، وستعشر^(٢)». وذكر أن البُن كاد يشح في سيؤون، فوصلت منه كمية مع آل باعباد الذين قدموا به من يافع، وأن الشيخ عبدالرحمن - من آل باعباد - ترك بنظر أحدهم مقدارًا من البن قدره بالكيله الثلوثية^(٣)، وذهب إلى تريم، فباعه كاتب الرسالة من عشرة أرتال ونصف (ولم يحدد مقدار الثمن)، وأنه ربح من هذا البيع اثنين وخمسين قرشًا. وبقية النص تعرض للتآكل في الوثيقة، لكن وردت فيه إشارة إلى أن ثمن الرطل والربع من البُن الجفَل (غير المُحمَّص) قرش واحد. وهذا يشير إلى أن بعض المهاجرين اليافعيين في حضرموت كانوا يزاولون أعمالًا تجارية في أسواقها إلى جانب عملهم العسكري، وأن بعض البضائع كانت تجلب من يافع إلى حضرموت، ومنها البُن، وسيأتي ذكر سلع أخرى كانت تجلب من يافع في النصوص الآتية.

قائمة أخرى بأسعار السلع في سيؤون سنة ١٢٣٦هـ:

وفي الوثيقة (٤) التي قدّر الباحث سابقًا تاريخها سنة ١٢٣٦هـ وردت عدة أخبار عن الحالة الاقتصادية في حضرموت، منها قائمة بأسعار عدة سلع، مما يشير إلى أنواع البضائع التجارية وأسعارها آنذاك، فقد ذكر أن سعر الأربعة المصاري من الطعام - وهو

(١) المصاري: جمع مصري، وهو مكيال خاص للحبوب في حضرموت يصنع من الخشب وينقسم إلى نصف المصري ويسمى الشطر، وإلى أجزاء أصغر.

(٢) لم يتضح للباحث معنى هذه الجملة والتي قبلها، وهي واردة في أصل الوثيقة (ينظر الملحق).

(٣) الكيلة الثلوثية: مكيال كان شائعًا في يافع بني مالك، منسوب إلى سوق (الثلوث) أي: الثلاثة في الموسطة، ومقداره: أربعة كؤوس ثلوثية، والكأس الواحد مقداره (١٨) كوبًا مذبّأ، وهو كوب من البورسلان كان شائعًا في القرن الماضي، يُشرب به الشاي مع طبق صغير

(سَيَسِر)، واسمه في يافع (أبو شَهْر) لوجود صورة هلال فيه؛ حسب إفادة من الوالد المعمّر عبادي بن أحمد علي الأَشْبَط (١٣٢٢ - ١٤٣٤هـ) عندما التقيته في قرية مَنَقَل بالموسطة

بتاريخ ١٤٢٧/١١/٣هـ.

اسم عرفي لنوع من الحبوب في حضرموت - بقرش، وسعر الثلاثة المصاري والنصف من البُر^(١) بقرش، وسعر الخمسة المصاري من الطعام المجلوب من الساحل بقرش، والثلاثة المصاري من الرز بقرش، والعشرة المصاري من التمر بقرش، والثمانية المصاري من البُن الجَفَل أو السبعة والنصف بقرش.

وأشار بعد ذلك إلى سعر الكميات الكبيرة من السلع، ولم يحدد المعيار الذي تقاس به هذه الكميات، فذكر أن العطر (ويحتمل العُطْب وهو القُطْن) بأربعين قرشاً، والبر المعير بخمسة وعشرين قرشاً، والبر الكبير بخمسة وثلاثين قرشاً، والبر الأبيض باثني عشر قرشاً، والرصاص بأربعة عشر قرشاً، والرصاص الجديد باثني عشر قرشاً، وختم قائمة الأسعار بالسلع التي تباع بالرطل، فذكر أن سعر خمسة عشر رطلاً من السكر بقرش، والسبعة الأبطال من العسل بقرش، والرطلين من السليط (زيت السمسم) بقرش، وبقية المبيعات كل شيء يبيع نفسه حسب تعبير كاتب الوثيقة.

من آفات النزع في حضرموت:

وفي الوثيقة نفسها يخبر كاتبها عن محصول البُر في تلك السنة، وأنه نبت صالحاً، حتى خرج نجم الجبهة^(٢) ونضجت بكور الثمار فانتشرت في الزرع آفة (الحَمَار)^(٣)، فسرح الناس يحصدون (يصربون) المحصول قبل أوان نضج بعضه. وأخبر الكاتب أنه خرج إلى الحوطة (حوطة أحمد زين غربي سيؤون) ومكث فيها شهراً في أرض زراعية له هناك، وحصل محصولاً لا بأس به.

(١) القمح: محصول يزرع في حضرموت منذ القدم، ومنه أصناف منها الهلباء وأسود الغشموور وباقريفة ومصيدقان وغيرها. (إفادة من أ. أحمد صالح الرباكي).

(٢) الجبهة: من نجوم الربيع حسب التقويم الشامي بحضرموت، يدخل في ٢٢ فبراير، وعدد أيامه ١٣ يوماً.

(٣) الحَمَار - بفتح الحاء - وتسمى أيضاً: الحُميراء، آفة تصيب الزرع، وتؤدي إلى فساد الثمار.

أمطار وسيول عارمة في وادي حضرموت:

ويخبر كاتب الوثيقة عن هطول أمطار غزيرة في حضرموت في نجم الصَّرفة^(١) من تلك السنة، - وهو النجم الذي يسميه أهل يافع: (المُنسَرَق)^(٢) - فسالت أودية تريم الثلاثة: ثبي^(٣)، وعيديد^(٤)، ودُمُون^(٥). وفي (علوى) وادي حضرموت، وهو أعلى الوادي في جهاته الغربية يخبر عن نزول السيول في أودية العين وسدبة وحورة.

وأخبر عن هطول أمطار أغزر من سابقتها في آخر نجم العوا^(٦)، - ويوافق اليوم السابع من نجم المية في التقويم اليافعي - بتاريخ الأربعاء ٢٨ رجب من تلك السنة، حيث ثار مطر غزير، وعمّ وادي حضرموت، واستمر إلى مساء اليوم التالي، ونزلت السيول في وادي سر إلى شبام، وكسر سد الموزع، وملاً وادي جعيمة، ووادي الغريب. وأما وادي شحوح بن يمان، ووادي يثمة، فقد نزلت منهما السيول حتى سقت الحمة، ووادي حذع/ حذيح سقى سيله مريمة، ونزلت السيول من شعاب الطاهرة فسُقيت منها حوطة الريدة، وأنه خرج السيل من شُعب أحمد الحبشي المسمى الظاهرة وسقى شَرَج^(٧) عبد سالم معافى، وجُرُوب^(٨) حَثْرَشَة.

(١) آخر نجوم الربيع حسب التقويم الشبامي بحضرموت، يدخل في ٢٠ مارس وعدد أيامه ١٢ يوماً. والمعروف أنه يوافق نجم البحيري في التقويم اليافعي، ولعل اصطلاح تسمية المواسم يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة.

(٢) المُنسَرَق: من نجوم الصيف في التقويم اليافعي ويمتد من ١١ إلى ٢٠ أبريل.

(٣) ثبي: وادٍ كبير ينحدر جنوبي تريم.

(٤) عيديد: وادٍ ينحدر غربي تريم ويوازي وادي ثبي في مجراه.

(٥) دُمُون: وادٍ ينحدر شمالي تريم.

(٦) أول نجوم الصيف حسب التقويم الشبامي بحضرموت، يدخل في ٢ أبريل، وعدد أيامه ١٣ يوماً.

(٧) الشَّرَج: ملتقى الأودية والشعاب، وتكون فيه أراضٍ زراعية في العادة.

(٨) الجُرُوب: جمع جَرَبٍ أو جَرَبَةٍ، وهي أراضٍ زراعية كبيرة تكون على ضفاف الأودية وسفوح الشعاب.

وأخبر أن الأراضي الواقعة بين تاربة ووادي عديم وشروجه لم تسق بالسيول، وأن وادي مدر شربت أرضه، والأرض الزراعية الواقعة في بير ملح مر فيها سيل سابق فتعطل مجرى الماء المؤدي إليها، وأنهم سيذهبون لإصلاحها في الأيام القريبة القادمة، وأخبر عن إصلاح أراضي زراعية وتسوية مجرى الماء إليها بعد أن انكسرت بسبب السيول، وأورد أسماء وأسر يقومون بهذه المهمة، وعن أراضي أخرى سلمت مجاريها من الكسر. وأخبر عن أرض زراعية لهم في منطقة الكسور، وعن وصول بعض الفلاحين والرسائل من جهات غرب حضرموت، وأنهم أخبروا أن وادي عمد نزل فيه سيل كبير وسقى عندل، وأن سيول وادي دوعن سقت بلاد آل عامر، وأن سيول أودية عمد ودوعن سقت أراضي عدان وهينن، وختم الخبر بأن نزول السيول وسقيا الأرض كانت ليلة الجمعة في آخر يوم من رجب، وهو اليوم الثامن من نجم المية في الحساب الياضي، ودعا الله تعالى أن يتم الموسم وأن يدرأ عنها الآفات من الطمام والجراد.

وصول قافلة من البيضاء وانقطاعها في قعوضة:

وأخبر عن قافلة كبيرة تحركت من البيضاء إلى حضرموت عن طريق البر، وفيها مسافرون كثر من يافع وغيرها، وعن وصول هذه القافلة إلى حضرموت في منتصف رجب من تلك السنة، وأن الحمول الذي جاءت به مرصوف في قعوضة عند قوم يسميهم الحكماء، ولم تستطع مواصلة طريقها إلى شبام وسيؤون بسبب هجوم آل كثير على شبام حينذاك وانقطاع الطريق. ويخبر أن قافلة (حمول) لتجار العرقة - من مكتب الناجبي في يافع - سلخوا به وادي العين وخرجوا به إلى وادي العريب.

مزارعة أهل يافع لأراضيهم الزراعية في حضرموت:

وفي الوثيقة نفسها يطلب كاتبها من المرسله إليه (حيدر عبدالله) أنه إذا عزم على السفر من يافع إلى حضرموت في ثاني عيد الفطر من تلك السنة، وتيسرت طريقه، ومّر ببندر المكلا في شهر شوال (وهي إشارة إلى أنهم كانوا يمرون بالمكلا قبل وصولهم إلى الوادي) أن يسأل هناك عن أخبار موسم الزراعة والأمطار في مناطق الكسور، وأن

يرسل ما معه من أمتعة مع أحد المسافرين إلى سيئون، وأن يمر - إن استطاع - في طريق وادي العين إلى الكسور لتفقد أرض زراعية لهم هناك، ومراجعة شركائهم^(١) في الأرض ومحاسبتهم على ما عندهم من ديون وحقوق.

نموذج مما يطلب المهاجرون اليافعيون إرساله إليهم من يافع:

وفي الوثيقة (٥) المؤرخة سنة (١٢٤٦ هـ) أخبر كاتبها أن الورس^(٢) والمسابح التي أرسلت له من يافع مع علي أحمد سواد وصلت واستلمها، ويطلب كاتبها من المرسلة إليه ويؤكد عليه أن يرسل له مع أحد المسافرين إلى حضرموت عدة أشياء، هي: ورس وجفل ولحافان^(٣) وفтил^(٤)؛ لأنهم يحتاجون إلى هذه الأشياء حاجة شديدة.

المطلب الثالث: أخبار تتعلق بأحوال المهاجرين اليافعيين

في حضرموت:

حفلت الرسائل التي كان المهاجرون اليافعيون يرسلونها إلى أهاليهم في يافع بطرف من أخبارهم الخاصة، وأخبار أقرانهم وقومهم من أهل يافع المهاجرين في حضرموت، وكثيراً ما يعتني كاتب الرسالة بالتفاصيل المتعلقة بهذا الشأن، سواء ما يتعلق بأقاربه أو قبيلته أو معارفه من أبناء القبائل الأخرى؛ لتصل أخبارهم إلى أقرانهم، وفي هذه الأخبار تفاصيل عن إصابة بعضهم في المعارك، أو مقتلهم، أو وفاتهم وفاة طبيعية، أو

(١) إشراك الأرض: أن يترك المالك أرضه مع من يحرقها ويزرعها مقابل جزء مما يخرج منها، وتسمى في الفقه الإسلامي: المزارعة. وتنقسم في عرف أهل يافع إلى قسمين: شركة مؤقتة، يسترجع فيها المالك أرضه كاملة عندما يطلبها، وشركة أبدية، يحق فيها للعامل أن يحرقها إلى الأبد، وإذا طلبها منه المالك فإن العامل يملك منها بالاستحقاق ثلث الأرض مقابل تنازله عن الشركة.

(٢) الورس: شجرة يؤخذ من زهرتها صباغ أصفر يميل إلى الحمرة، تستخدمه النساء للزينة، وقد كانت يافع مشهورة بزراعة الورس إلى عهد قريب، ومنها كان يجلب إلى حضرموت.

(٣) اللحاف: رداء ثقيل، يُفرش في النهار بدلاً عن الحصير ويتغطى به في الليل من البرد.

(٤) الفتيل: خيوط يضم بعضها إلى بعض، وتطلى بمادة سريعة الاحتراق، كانت تستخدم لتفجير البارود في البنادق الرومية القديمة (أبو فتيل)، وتسمى أيضاً: البنادق العربية.

تأكيد وصولهم إلى حضرموت، أو سفرهم إلى نواح أخرى كالهند وجاوة، أو زواجهم أو غير ذلك؛ وقد كانت الرسالة الخطية في ذلك العهد أفضل وسائل التواصل، وكانت الرسالة دواء للواعج الشوق والحنين، وإنّا لنقرأ في ثنايا بعض المراسلات قولهم: (الكتاب نصف الملاقة)؛ لنشعر بإحساس المهاجر المنقطع عن أهله ووطنه سنوات في غربة نائية وأرض بعيدة تفصله فيها عن أهله المفازات والقفار والفيافي ومسير أسابيع من المشقة والعناء. وكان وجود رسول يبلغ الرسالة حدثاً يجتمع له رفاق الغربة ويوصلون عبر سطوره زفرات من لواعج نفوسهم الظمأى إلى وصال الأحباب؛ ولذا نلاحظ أن معظم الرسائل كانت تختتم بأسماء المهاجرين الذين يبلغون السلام للمرسل إليهم الرسالة، ثم أسماء الذين يبلغهم المرسل ومن معه السلام من أهله وأقاربه ومعارفه في يافع.

وفيما يلي نماذج مما حوته الوثائق محل البحث من الأخبار المتعلقة بالمهاجرين الياضيين في حضرموت في القرن الثالث عشر الهجري:

رحلة من يافع إلى سيئون:

ففي الوثيقة (٢) المؤرخة سنة ١٢٢٠هـ أشار كاتبها إلى رحلته هو ومن معه من يافع إلى حضرموت، ومروره ببلاد الفضلي والعولقي في الطريق الساحلية إلى بندر المكلا، وأنهم مكثوا في هذه الطريق اثنين وعشرين نهاراً، وتعرضوا لبعض الصعوبات والمعوقات فيها، وأنه عند وصوله إلى المكلا التقى بهم أميرها النقيب عبدالرب بن صلاح الكسادي وأعزهم وأكرمهم وأعطاهم تكلفة السفر التي أنفقوها وزودهم بمئتي قرش وبارود ورصاص وارتحلوا من عنده باتجاه سيئون وأنهم في الطريق حصلت لهم مشاكل مع بعض آل الجابري وغيرهم ممن حاول قطع طريقهم وأنهم كانوا يضربون عليهم الرصاص في الجو من رؤوس الجبال، وأنهم تعهدوا لهم ألا يعبروا بجوار أحد من تلك القبائل التي في الطريق، وأنهم وصلوا إلى سيئون في منتصف شهر جمادى الأولى، وأن صاحب سيئون (ولم يحدده) التقى بهم وأكرمهم وأعزهم.

آلام الغربة ولواعج الحنين:

وفي الوثيقة نفسها طمأن كاتبها أهله في يافع بأن جميع أحواله صالحة وزينة، ولا يعاني إلا من الشوق والحنين، ونقرأ له هذه العبارة التي تفيض بآلام الغربة ولواعج الحنين: «ونحن علينا الليلة مثل سنة، لحيث الشوق إليكم جم جم، لساعة هذا الذي نحن فيه»، يتبعه بالتأكيد على أقاربه ليرعوا أمانته لديهم ممن استودعهم إياهم من عرضه وماله، وعلى رعايتهم وتوفير ما يعوزهم: «ونحن واكين وراكين إلا على الله وعليكم ومستأمنين، لحيث من قد غاب من عياله وماله ذلح العار على غيره. الله الله الله^(١) في عيالنا ومالنا وما يعوز نحن ما عاد نوصيكم بحال». ويوصي بالألا تنقطع من أهله الرسائل مع المسافرين إلى حضرموت ليطمئنوه عن أحوالهم وأخبارهم.

وختم الرسالة - كعادة الرسائل آنذاك - بأسماء من يبعثون السلام في رسالته من أقاربه في حضرموت، ومن يبعث إليهم السلام من أقاربه في يافع.

أخبار وفيات بعض المهاجرين:

وفي الوثائق (٣، ٤، ٥) استهل كاتبوها رسائلهم بالإخبار أنهم هم ومعارفهم في حضرموت بخير. وأخبر كاتب الوثيقة (٤) المؤرخة سنة ١٢٣٦ هـ عن وصول الأخبار بوفاة رجال من أهل يافع والحضارم في جاوة والمخا، وعن وفاة جماعة من أهل يافع في سيئون، وذكر أسماءهم جميعاً، وهذا يعطي معلومات دقيقة عن الوفيات لمن أراد تتبعها.

وصايا مهاجر لأهله:

وأخبر كاتب هذه الرسالة الشخص المرسل إليه أنه استلم رسالته التي بعثها عن طريق البر - وهي إشارة تدل بمفهومها إلى سلوك مسافرين آخرين طريق البحر من ميناء شُقْرة في أبين إلى المكلا كما تدل عليه وثائق أخرى بحوزة الباحث ليست محل هذا البحث -، وذكر أنه وعى ما فيها من أخبار يافع وهدوء الفتن فيها وأخبار الزراعة

(١) الله الله: تكرار لفظ الجلالة يراد به التأكيد في التوصية.

بها. واعتذر له ولجماعة من أقاربه عن تسببه في إتعابهم بحرارة أرضه وتعاهد بممتلكاته في يافع، وعاتب المرسل إليه الفقيه حيدر بن عبدالله على انقطاعه عن المراسلة بعد عودته من حضرموت إلى يافع، وأن كاتب الرسالة كان ينتظر منه رسالة مع القافلة الكبيرة التي سلكت طريق البر من البيضاء إلى حضرموت، وشدد على ضرورة المراسلة، وأوصى بحرارة أرضه وبراعي أغنامه، واستفسر هل اشترى أهله ثورًا قويًا (مليحًا) لحرارة الأرض؟ وهل اعتنوا بأرضه الواقعة في وادي حطيب؟ ويوصي أقاربه باجتنب الفتن مع القبائل المجاورة في الحد؛ لأن الفتن لا تربى مالا ولا عيالًا حسب تعبيره.

ثَبَّتْ بِأَسْمَاءَ عَدَدَ كَبِيرٍ مِنْ جُنُودِ حَامِيَةِ سَيُؤُونِ :

وشرع في ذكر أسماء الأشخاص الذين يبعثون معه السلام إلى أهله في يافع، فعُدَّ أسماء أشخاص كثر، من الحاميات (الرَّتَب) الياضية في سيؤون وشبام، وهذا يعطينا ثَبَّتًا بِأَسْمَاءَ عَدَدَ كَبِيرٍ مِنْ الْعَسَاكِرِ الْيَافِعِيِّينَ فِي حَضْرَمَوْتَ آنَذَاكَ؛ وَمِمَّا يَلَاظُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْوَارِدَةِ أَنَّ الْحَامِيَةَ كَانَتْ تَضُمُّ الْأَبَ مَعَ أَبْنَائِهِ، وَالْأَخَ مَعَ إِخْوَتِهِ، وَالرَّجُلَ مَعَ أَبْنَاءِ عَمُوْمَتِهِ، وَأَنَّ شَخْصِيَّاتِ يَافِعِيَةٍ بَارِزَةٍ هَاجَرَتْ لِلْعَمَلِ الْعَسْكَرِيِّ فِي حَضْرَمَوْتَ؛ مِمَّا يَسْلُطُ ضَوْءًا عَلَى ظَاهِرَةِ الْهَجْرَةِ الْيَافِعِيَةِ فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ عَشَرَ الْهَجْرِيِّ، وَالتَّدْفُقِ الْبَشَرِيِّ الَّذِي صَاحَبَ تِلْكَ الظَّاهِرَةَ الَّتِي بَقِيَتْ آثَارُهَا جَلِيَّةٌ إِلَى الْيَوْمِ.

حَقُوقٌ وَدِيُونٌ :

وفي الوثيقة (٥) المؤرخة سنة ١٢٤٦هـ أخبر كاتبها أنه أرسل إلى يافع ثلاث رسائل ولم يردوا له جوابها، وسأل عن مستحقاته من ثمار أرضه لخمس سنين، مما يشير إلى طول غربته عن بلده، وطالب بسداد دين له عند رجل سماه العبادي مقداره (٤٢) قرشًا، وإرسال هذا المبلغ إليه بعد قبضه. ويختم رسالته بالسلام على الذين أرسل لهم الخطاب، وذكر أسماء عدة أشخاص من المهاجرين بعثوا معه السلام إلى المرسل إليه.

إخبار بموت بعض الأقارب بالقتل والمرض:

وفي الوثيقة (٦) الغير المؤرخة أخبر كاتبها ب وفاة اثنين من أعمامه، أحدهما قتل في سيئون والآخر مرض بالحمى (الورد) ثمانية أيام، وعاف الطعام، وفي اليوم الثامن تقياً دمًا ومات، ويخبر أنه أصيب بجرح في رجله، وأن عمه الثاني قام على تمريضه قبل أن يمرض بالحمى ويموت، وطمأن أهله عن أحواله عند كتابته للرسالة، وأنه بخير وأحواله حسنة، وأنه قد قبض الأجر (القلمة) التي يتقاضاها في عمله العسكري، بعد أن خصم عليه مسؤول الرتبة قرشين لكونه لم يذهب مع من ذهب من المقاتلين إلى سيئون، وأنه قد حوّل لأهله أجرة (قلمة) شهر مع مسافر عبر البندر (المكلا)، وأن له عند شخص اسمه أحمد علي أبو حزام قلمة مقدارها ٧ قروش سيسلمها إليهم في يافع، وأخبر أن قلمة عمه المتوفى هي ١٦ قرشًا، وهذا يلقي ضوءًا على مقدار الأجور المالية التي كان العسكر يتقاضونها في ذلك العهد.

الخاتمة

عرض الباحث في هذه العجالة طرفًا من أخبار طوتها غياهب الزمان، وحفظتها بطون المراسلات الشخصية التي ظلت مجهولة وبعيدة عن الأنظار أجيالًا متطاولة، حتى سهّل الله تعالى العثور على بعضها، وما زال العمل عليها في بدايته، والمرجو أن تخرج هذه الوثائق محققة مشروحة قريبًا إن شاء الله، وأن يقدرّ الذين بأيديهم وثائق مراسلات مشابهة أهمية ما بأيديهم ويعتنوا به ويدفعوه إلى ذوي الاهتمام من الباحثين والمؤسسات البحثية لاستخلاص عصارتها التاريخية وقيمتها العلمية. وفيما يلي أهم النتائج والتوصيات المستخلصة من هذا البحث:

النتائج:

وقد خلص الباحث من هذه الورقة البحثية إلى نتائج، يوجزها فيما يلي:

١. شهد القرن الثالث عشر الهجري تدفقًا هائلًا للمهاجرين اليافعيين إلى بلاد حضر موت، تدفعهم إلى ذلك دوافع شتى، أبرزها الوجود العسكري اليافعي هناك.

٢. خلّفت تلك الهجرات مراسلات كثيرة كان أولئك المهاجرون يعيشونها من حضرموت إلى أهلهم في يافع، وقد حافظت بعض الأسر اليافاعية على مراسلات أقاربهم ممن سافروا إلى حضرموت.
٣. تحوي تلك المراسلات مادة ثرية من المعلومات التاريخية في نواح مختلفة من التاريخ الحضرمي؛ بسبب حرص المهاجرين اليافاعيين في معظم رسائلهم إلى أهاليهم على إخبارهم بما استجد من أخبار حضرموت، وتعد الأخبار السياسية والعسكرية هي المادة الأغزر في تلك الرسائل.
٤. تشهد هذه المراسلات أن القرن الثالث عشر الهجري كان دوامة صراع دائم في حضرموت لم ينقطع طوال القرن؛ لأسباب مختلفة، وأن المهاجرين اليافاعيين هناك كانوا طرفاً رئيساً في كثير من تلك الصراعات.
٥. أخبرت تلك المراسلات عن أحداث سياسية وعسكرية مختلفة في حضرموت، من نشوب حروب وفتن ونزاعات، وعن أوضاع الحاميات العسكرية اليافاعية، وعن تفاصيل دقيقة تخللت تلك الأحداث أو نتجت عنها قلما تذكرها أو تشير إليها كتب التاريخ.
٦. أخبرت تلك المراسلات عن أحوال الاقتصاد والمعيشة في حضرموت، سواء ما يتعلق بأسعار السلع أو مقادير ما يتقاضاه العسكر من أجور في أعمالهم العسكرية، أو جملة من أسعار السلع التجارية في السوق الحضرمي، أو ما يتعلق بالزراعة ومواسمها وثمارها وآفات وأخبار الأمطار والسيول وما تسببه من سقيا أو أضرار بالأراضي الزراعية، وتدلل هذه الوثائق على عناية المهاجر اليافاعي في حضرموت بالزراعة.

التوصيات:

يوصي الباحث بما يلي:

١. دراسة ظاهرة الهجرة والاستيطان اليافاعي في حضرموت دراسة تاريخية معمقة

من جميع النواحي: السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وتأثيراً وتأثيراً بالمجتمع الحضرمي.

٢. الاهتمام بالوثائق التي تخص الوجود اليافعي في حضرموت من مراسلات وغيرها باعتبارها جزءاً مهماً من تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر.

٣. إخراج الدراسات الجاهزة المتعلقة بالمراسلات والوثائق اليافعية الحضرمية، ودعم التي هي في طور التجهيز بالوسائل التي تيسر سرعة إنجازها.

الملاحق

ملحق (١) نصوص الوثائق^(١)

الوثيقة رقم ١^(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد... سادتي الأجلاء الكرام الماجدين... أحمد والصنو السنيدي ابن الوالد أحمد عبدالله... الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر عز الدين بني بكر... صدرت من سيؤون ضحى يوم الجمعة لخمستعشر خلت في شهر ربيع أول سنة ست وميتين وألف... لنا ويافع الجميع بعافية الا من قد مضى. أخبار حضرموت... صالحة أخبار يافع من قل الشور، أخذنا الى آخر عاشور وقع ما بين أهل الخليف بتريم وأهل السوق فتنة على قناصة، ووقعت هذه بينهم وقتلوا اثنين من أهل الخليف واحد... السيد محمد بن عبدالرحمن ثبي واحد خادم علي بن همام وعبيد السوق رباعه معا علي بن عبدالكريم الجهوري، علي بن همام دية في خادمه والسيد محمد اسبر أهل عبدالباقي عوار وقتلوا واحد من عبيد يمانى اهل السوق وتعير علي عبدالكريم وزقر عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن في تريم وتخلص اربع مية قرش واخرجه وتعير السيد محمد بن عبدالرحمن، وصيح

(١) الشكر موصول للأستاذ أحمد صالح الرباكي على تفسيره معاني كثير من الكلمات الحضرمية العامية الواردة في الوثائق المرفقة.

(٢) مصورة من الشيخ ناصر علي محمد الفقيه بن عز الدين البكري، بني بكر - يافع.

في قاسم علي جابر وأهل كثير والعوامر وأهل جابر وعيال بن عبدالقادر وولد علي العفيف من يافع مية زايد خمسة أنفار... عورهم والسيد وبنوا له حصن في قارة العز تحت تريم ومن بعد بناء الحصن ولف القوم ودخلوا تريم بالليل، وبن همام مصادق السيد، وعلي بن همام مصادق علي عبدالكريم وحلف... واشتل بن عبدالقادر ومن معهم من يافع محسوبين مية وخمستعشر دخلوا القوم من النويدرة، ويافع قدامهم ونهبوا من الرضيمة الى عَرْض دار أهل مخاراش طرف سوق النحاس الى ديار أهل مسعود البعسي، أنت عارف يا ولد عبدالحيب، واخذوا يومين في تريم وقتل واحد من أهل عبادات الجبال واحد ثاني واصطاب بن كحبل الكثيري وعشرة آخرين مصاويب من أهل كثير وعوامر والشيخ ناصر جابر النقيب والشيخ يحيى بن مسهر والمساوى يدرعون بين المذكورين بغوا صلاح أرسلهم الحبيب سالم وخطوا الوقعة، وحال الكتاب رجعوا أهل كثير الى أماكنهم والموسطة نفذوا الكسر مصايحة وحصلوا معهم من الكسر من يافع مقدر مية وعشر نفر الولد عبدالله أحمد وياقوت وصلاح ... الله وعوض عبدالحيب ولد مسعود عوض وعمر الحدادي وولده ولد ناصر وعيال احمد جابر ومحسن سنان وأحمد حسين وعبدالحيب بن أحمد علي وجملة من اصحابنا مقدر خمسة وعشرين نفر ولما توصلوا الى شبام ضحى يوم الربوع وسبع في شهر ربيع اول في السنة المذكورة ومع وصولهم حفر يافع في البطحاء وحملوا من البطحاء من لا خير فيه ولا منه جودة جملوا.... عند اهل امشق من يافع ... أهل العيدروس أهل الحزم وشق من يافع... وفي خرابة وسفل... وقتلوا تحت الخرابة اثنين من اهل كثير بن مهري وباراس واثنين من أهل كثير مصاويب على النطف، وجملة مصاويب من اهل كثير، والذي قتلوا من يافع قاسم بن جابر بن قاسم الجمهوري صاحب كيرعان، وصلاح سعيد بن محمد بن ناصر الرشيد، وولد على أحمد حولل الخلاقي، وحسين مقيدح، قعيطي، وثلاثة عبيد سرور عبد الكدي، وسرور عبد ابن أحمد ناصر، وعبد بن مقيدح، من شان الخلاقي قتل قريب من الولد السندي، اخرج سلبه الولد السندي بندقه وعدته وجنيته وهن سلب للرباكي، وهو عند الرباكي عسكري في بيته، وباقي القتلى من يافع

راحوا هم وسلبهم، وحال الكتاب وساروا من الموسطة الى الكسور مصايحة والولد السندي رجع معاهم الى الكسر والولد السندي قد كان في الكسر، ومن أصحابنا بني بكر مع الموسطة خمسة وعشرين نفر... الوقعة السابقة في الصلح الأول وعادهم باقين في شبام الى ما يجون المصايح لخراج حضرموت الفتنة من عينات الى شبام ما يعدي الطير، ويافع مطيرين من رتبت سيؤون عند الحبيب مرتبين ثلاثين نفر ومن شبام مقدر عشرين نفر، وحيينا طير يافع يحب أحدا ويكره أحدا عيال أحمد... غرامة سد وعبدالقادر وسالم بن أحمد أخيه صلاح أكيد بينهم وعسى الله يصلح ويقدر ما فيه الصلاح للحق، وحضرموت شحيحة أسعارها ذرة أربعة مصاري بوقية بر، ثلاثة مصاري بوقية تمر، عشرة أرطال بوقية. مباعها البر كل شي يبيع نفسه العادة الكبير، والبر الصغير العادة ثمانتعشر، وستعشر البن كان يشح وصل مع وصول أهل باعباد من عشرة أرطال ونصف... والله يا ولد عبدالحبيب ان الشيخ عبد الرحمن طرح بنظر... على قاصر واحدة وثمانين كيلة ثلوثي نفذ تريم وحال لنا بعد جلا نطرك وبعناه من عشرة أرطال ونصف وحصلنا لنا اثنين وخمسين قرش ومن شان بئك الحملين الذي عند دحمي ذكرت ان لك... من البجاد الذين كلمنا دحمي بانييعها ومنع تقول أنك قا... أنه يقول لحتى يجيء نايء منك الآن يا ولد الجفل... رطل وربع بقرش ولكن نقول أن الجفل... وسلموا لنا على... والجميع والناس بخير على خير والكتاب... سلمه... الله يبلغه اليكم والسلام.

المملوك أحمد حيدر عز الدين

وثيقة رقم ٢^(١)

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

سادتي الأجلاء الكرام الماجدين الوالد السندي بن الوالد أحمد والصنو أحمد أبو بكر أبناء أحمد الحطبي والوالد بوبكر بن عبدالله الواقعي والصنو أبوبكر بن محمد

(١) مصدرها من أرشيف آل الشيخ محمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله الحطبي العمري البكري، بني بكر - يافع.

الحطبي والولد محمد الخضر بن عبدالله الحطبي^(١) حفظهم الله أبد وخصهم منا ومن أصحابنا ومن يلوذ بنا جزيل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، صدرت العيودية من بلاد سيئون، جهات حضرموت والأعلام^(٢) سارة بالله وسيدنا الشيخ أبي بكر بن سالم وصاحب الوقت الحبيب الشيخ أحمد بن الحبيب الشيخ سالم نفعا الله وإياكم بهما آمين. وأخبار الجهة ساكنة غير ساكنة والأمور قادرة، والأحوال مستمرة. وإن تفضلتم بالسؤال عنا وعن أصحابنا وعمن سار سيرنا فنحن بخير وفي خير، وإلا جرت علينا من الأحوال، ومع نفوذنا من عندكم كان مرادنا طريق بحر، ما قدر الله ورجعت طريقنا ساحل البحر وحصلت علينا تعاويق في الطريق من فضلي ومن عولقي مراده بكلام قبولة وبشرع وافي، وعبرنا وأجزنا إلى المكلا اثنين وعشرين نهار، ولا خرب علينا حال، بل السفر قدكم عالمين به قطعة من النار.

ومع وصولنا إلى البندر التقنا النقيب عبدالرب بن صلاح، وعز نحن وجبر نحن، ومع وصولنا إلى عنده وصل القوم دين وقل أزواد، وأعطى نحن ما خسرناه في الساحل وزود نحن إلى حضرموت بميتين قرش وباروت وورصاص وجميع ما طلبناه ويغذنا من المكلا، وحصلت تعاويق علينا من جابري وغيره في قطع طريق، يضربون من رؤوس الجبال ومن حصونهم ضرباب جو، لحيث قد عليهم كلام...^(٣) على أن القوم ألا نعبر عرض أحد منكم، ووصلنا إلى سيئون ليلة النصف في شهر جماد أول على جناح السلامة والكرامة، ولا خرب علينا حال فله الحمد.

وحال الأرقم التقى نحن صاحب سيئون، وعز نحن جم جم جم، ومع وصولنا إلى المكلا حصل بين جعفر بن علي ورتبة سيئون حرب وحف في خلا سيئون أربعة أيام، وانقطعت القوم من غير وجه، وقُتل من عندنا من يافع عبد، وصوب سهل بابكر

(١) اسمه الكامل: محمد بن الخضر بن محمد عبدالله الحطبي، من أجداد آل الحطبي العمري من بني بكر، ومرسل الرسالة أبوه، وقد ورد اسمه كاملاً في آخر هذه الوثيقة.

(٢) الأعلام: الأخبار.

(٣) كلمة غير واضحة.

في أحد من عيال الرتبة، وقتل كثيري وصوب سهل، والخلق بعد ذلك بخير وفي خير، وإلا بد وشي خطاب بن جعفر بن علي ويافع على ما يعز الجميع، والأرض لهم لا يدخل عليهم داخل إلا قبيلي وإلا مجير في سيئون، هذا كذلك حال... نافذين عقّال إلى تريم، وبغوا شور سيئون وتريم وحوارجها واهدة وساكنة.

وأما أخبارنا نحن وما نحن فيه من أغراض فمن تقصّي ما تفصّي يا والد السندي، وكل حال صالح، وطيب خاطرك تزين الأحوال الجميع، واعط كل وقت حكمه، ولا بعد فتننا ولا غطينا، وأحوالنا زينة وما كبر...^(١) خواطركم منا، ونحن علينا الليلة مثل سنة، لحيث الشوق إليكم جم جم، لساعة هذا الذي نحن فيه ونحن واكنين وراكنين إلا على الله وعليكم ومستأمنين، لحيث من قد غاب من عياله وماله ذلح العار على غيره. الله الله الله^(٢) في عيالنا ومالنا وما يعوز نحن ما عاد نوصيكم بحال، ولا تقطعنا كتابكم لحيث المسافرين كل يوم...^(٣) وسلموا منا ومن الفقيه عبدالحبيب وعبدالله أحمد حيدر وعبدالحبيب بن أحمد وحسين وعوض أحمد وبني بكر الجميع كل باسمه غريب وتليد.

وسلموا لنا على الأصناء والأولاد والوالد أحمد جابر وعبدالله أحمد وعلي أحمد وعبدالحبيب الزمري وبوبكر السندي ومحمد أحمد وعلي أبوبكر وحسين والصنو بوبكر حسين وأصناؤه...^(٤) وعياله وسالم حسين وعلي منصور وعبدالكريم بن محمد عبدالله وكافة أهل بني عمر^(٥) وكافة أهل المحلة^(٦)، يا ولد محمد ادعو عيال سَبْهان، شي^(٧) أطلق عليهم إلى يد عبدالله فاضل؟

(١) عبارة غير واضحة.

(٢) الله الله: تكرار لفظ الجلالة يراد به التأكيد في التوصية.

(٣) عبارة غير واضحة.

(٤) قطع في الوثيقة بمقدار كلمتين.

(٥) بنو عمر: يقصد بهم عصبّة العُمري، إحدى عصابات بني بكر السبع.

(٦) المحلّة: حي من أحياء بلدة بني بكر في يافع، ومعظم سكانه من عصبّة العُمري.

(٧) شي: هل.

ولذلك المملوك: الخضر بن محمد عبدالله الحطبي.

يوم الثلث فاتحة شهر جماد آخرة سنة ١٢٢٠ هـ

الوثيقة رقم ٣^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وبه نستعين على أمور الدنيا والدين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وصحبه أجمعين، نسأل الله الكريم بأن يديم البقاء...^(٢) بأن يحفظ ويلطف لنا بحياة ذات وصفات سادتي الكرام الأخلاق الرضية والشمائل المرضية والهمم العلية من لهم في القلب محل مكين، قرة العين اليمين، من أعز الله ذاته وأبقى لنا حياتهم الماجدين الكرام الوالد الشفيق اللطيف الناصح في الله ورسوله الفقيه عبدالحبيب بن الوالد المرحوم أحمد حيدر عز الدين البكري، وكذلك الأخ الفقيه حيدر بن الوالد المرحوم عبدالله أحمد حيدر عز الدين البكري حفظهم الله تعالى آمين. عليكم منا جزيل السلام ورحمة الله وبركاته، صدرت الأحرف من حضرموت بلد سيؤون والأعلام خير وعافية. أخبار الأرض صالحة وساكنة بالله الكريم وسيدنا المالك الحبيب أحمد بن سالم نفعا الله وإياكم بهم آمين. وإن سألتكم عنا وعن الأهل والمعارف الجميع بعافية، جعلكم الله كذلك في خير وعافية ولطف.

أخبار حضرموت: أخبار سيدنا الشيخ أحمد بن سالم وأهل الحامد ساكنين...^(٣) بين الحبيب علوي وأهل الحامد صوب في عبد، والحق مشرف بينهم، والمردامي في الوسط، والحبيب علوي وصل إلى سيؤون، وطالب عري يعصب، وسيدنا المالك ليس هو راضي بالفتنة، وعسى الله...

أخبار يافع وأهل تميم من بعد قتلة الشيخ يحيى بن علي هو وأهل يماني أهل الخوان، وقتل الشيخ يحيى، وقتل واحد من أهل تميم وعور بن الشيخ علي في ظلم

(١) مصورة من الشيخ ناصر علي محمد الفقيه بن عز الدين البكري.

(٢) كلمة غير واضحة.

(٣) كلمة غير واضحة.

يافع، وسرحنا على أرض التميمي يافع ولبعوس على الواطط وأخذوه بشراء وحرثوه، ويافع سلم الجميع وارتووا الجميع، وبعدما راحوا يافع مدحوراً اعتصبوا لبعوس على السواربي على والصموعة - حق السيد - الصلبة وأخذوه واحد وفيه... بالسبب إلى تريم والمحط... من أهل تميم وخسروا السيد ألف وافتك وافتكت الخلق.

وبعد ذلك عصبوا أهل تميم ناس من المهرة والمنهلي ودخلوا الحادي حق السادة أهل الحداد، وسارعوا يافع الجميع إلى الحادي ودخلوه وخلفوا أهل تميم في ثلاثة ديار وخذوا بينها قدر عشرين، وبعد خرج بليل وخرجت يافع وراءهم وخذوا عليهم زايد أسلاب^(١) الذين قتلوا منهم ثمان عشر قتيل / فتيل^(٢) وريسي الهندي تخلوه إلى حد عندهم مدة أيام، افتك عليهم حال الكتاب وهم حاطين تحت البلاد أهل تميم ولا داخل ولا خارج وعسى الله يصلح الأمور.

أخبار يافع بعضهم البعض ساكنين غير ساكنين.

أخبار أهل المصلي وآل هادي حصلت فتنة بين عيال عبد الهادي وعيال عيسى بن صالح من شان سعيد...^(٣) وقعت فيه أربع يمشي بالسر واحد قدر...^(٤) وكذلك أخبار لعلي بن أحمد علي بن أحمد حال الكتاب وهو بخير يسروهم إصلاح بينهم، ومحسن عبد الحبيب وعندهم ناس من...

وثيقة رقم ٤^(٥)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

(١) أسلاب: جمع سلب، والمقصود به السلاح.

(٢) كلمة تحتل الوجهين، والأرجح (قتيل)، وعلى احتمال (فتيل) فقد يقصد به السلاح الناري أبو فتيلة.

(٣) كلمة غير واضحة.

(٤) عبارة غير واضحة.

(٥) مصورة من الشيخ ناصر علي محمد الفقيه بن عز الدين البكري.

يهدي السلام التام العبد الفقير إلى الله عبدالحبيب بن أحمد بن حيدر بن علي بن عز الدين إلى حضرة العارفين في الله ورسوله الولد الفقيه حيدر بن عبدالله بن أحمد حيدر علي عز الدين وكذلك الولد عبد موسى بن عبدالحبيب بن علي سنان البكري، عافاهم الله، آمين، وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته.

صدرت من حضرموت بلاد سيئون، بالله والحبيب الشيخ أحمد^(١)، حفظه الله، وإن سألتكم عنا وعن الولد عبدالرحمن والولد عبدالحبيب بن صالح والمشايخ آل دينيش والغراب^(٢) الذي في عينات والذي في شبام وعن عيال أنسابنا وعبيدنا وأهل ديارنا، الجميع في أتم الصحة والعافية، نرجو من الله أنكم أنتم وعيالنا وأهل ديارنا وأنسابنا وأصحابنا بني بكر والمعاريف الجميع في أتم الصحة والعافية، آمين، وإن سألتكم عن أسعار الجهة، الطعام أربعة مصاري^(٣)، والبر ثلاثة ونصف، وطعام الساحل خمسة، والرز ثلاثة، والتمر عشرة، والجفل^(٤) ثمانية، وسبعة ونصف قرش عطر (ويحتمل عُطْب)، أربعين بر معير، خمسة وعشرين كبير، خمسة وثلاثين بر أبيض، اثنا عشر رصاص، أربعة عشر جديد، اثنا عشر سكر، خمسة عشر رطل بقرش عسل، سبعة سليل رطلين، باقي المبايع كل شي بيع نفسه.

وإن سألتكم عن أخبار جهة حضرموت ساكن وغير ساكن، عينات فيها رتبة من غريب وتليد، براهم وآل تميم، وأهل البنادر يكاتبون لأهل تميم يطلعون عقّال منهم، وآل يمانى وآل تميم ما نطلع إلا متى الحبيب أحمد مخرّج العسكر من عينات، ورجعت حوايات من أهل البنادر إلى الحبيب أن العسكر يخرجون من عينات في وجيها، ومنع

(١) منصب عينات من ١٢١١ إلى ١٢٤٢هـ.

(٢) الغراب: أي الأغراب (الغبراء)، وهم أهل يافع الذين وفدوا حديثاً في القرن الثالث عشر على حضرموت، لتمييزهم عن أهل يافع القدامى الذين صاروا حينها من أهل حضرموت.

(٣) المصري: مكيال خاص للحبوب في حضرموت يصنع من الخشب وينقسم إلى نصف المصري ويسمى شطرا، وأجزاء أصغر.

(٤) الجفل: البن المحمص.

الحبيب الشيخ أحمد والحبيب ما يكاتب الا سيؤون يصلون ستة عقال إلى تريم، وبايعارضهم وبايشاورهم الحبيب هم وعقال لبعوس، وحال الرقم وعادهم ما بعد^(١) نفذوا وعين ذا في ذا^(٢).

وأخبار لبعوس وآل تميم برّا، وأخبار رتبة سيؤون وآل عون^(٣) وآل كثير برّا، وأخبار آل علي جابر وآل عبدالعزيز^(٤) والسلطان عمر^(٥) في شبام، بعد مسيرك حطوا آل كثير على شبام في الشق النجدي بين القارة وشبام، وبعد وصلوا من قدام السلطان وبن علي جابر وآل عبدالعزيز ولد عوض بن علي، ونكفوا في الرتبة، وقلمنا لهم باقي الغراب من آل الشيخ علي وسالم الحدامي وأحمد محسن مقدّر خمسة وعشرين، ومن التليد عبد وسيد ثلاثين نفر، والذين قدهم في شبام عبد النبي وأصحابنا، ومن عبيد الرتبة ثلاثين نفر، ونفذوا إلى شبام وطهروا السحيل وبزرق وخمور وخشامر وديار آل المهري^(٦) الذي في كور سيان سندوهم ورتبة شبام في دراهم وأدخلوهم عندهم، ومن آل كثير حطوا على البرار وعلى ضعيف ومسكين، وما يعدي المعازاة بينهم، والعسكر قتلوا واحد من آل رواس، كمنوا له في كور سيان ولا أحد قدر يعزم على أحد، والمصاريف قائمة مع عسكر شبام، وآل كثير السلطان عمر بن جعفر بن عيسى بن بدر يصرف عليهم خفا إلى يد عبدالله بن محمد بن مرعي بن طالب، وشبام ملائنة عسكر، ولكن آل عبدالعزيز ما خلوهم يقدمون على الديار الذي فيها آل كثير، فزع من قبل يقع في آل كثير ورفع الوفا به.

(١) ما بعد: أي: ليس بعد، وتنطق بالعامية اليافعية اختصاراً: ما بَعْ.

(٢) أي الجميع مترقبون.

(٣) فخيذة من آل كثير غرب سيؤون

(٤) فخيذة من آل كثير، يسكنون قارة آل عبدالعزيز شمال شبام.

(٥) لعله السلطان عمر بن جعفر بن عيسى بن بدر، وصل من جاوة إلى حضر موت سنة ١٢٣٠هـ،

وأقام في شبام، وتوفي سنة ١٢٤٣هـ. انظر حوادثه في العدة المفيدة ج ١ ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

(٦) أماكن واقعة حول شبام.

وأخبار آل عون يا ولد حيدر بعد مسيرك حطوا في بير العجوز^(١) هم وآل كثير وبنوا قصرين، وحصل حرب بيننا وبينهم، وكسرناهم، واليوم التالي خرجوا العسكر إلى قبلي تريس، وتفرقوا العسكر كلاً في شق^(٢)، وآل كثير بن مهري وبن عانوز^(٣) شافوهم وتقدموهم وعشروا فيهم وقُتل عبادي المصلّي وقطعوا رأسه، وعبد علي بن عبد القادر^(٤).

وقد حققنا لكم جميع الأخبار السابقة في خط بيد آل الشيخ علي هرهرة، وفي يد الولد علي عبد أحمد طاهر، وخط ثاني بيد مجازيب بن علوان^(٥)، من ذي خير، لعل وصولهن الجميع.

ونعلمك من أجل ضرع البر، فهو صلح هذه السنة، ولما قد خرجت الجبهة الباكر ناجح أول صراب قرحت فيه حمار^(٦)، وسرحوا يصربونه، وعادهم حصّلوا نصف الوهمة، ونحن خرجنا الحوطة^(٧)، جلست فيها شهر رجب، حصّلنا قليل كثير، قدها بركة.

(١) من ضواحي سيئون.

(٢) أي: كل منهم في جهة.

(٣) من فحائذ آل كثير الساكنة غربي سيئون.

(٤) من أمراء تريم، من آل عمرو البعسين.

(٥) مجازيب ابن علوان: طائفة من فقراء الصوفية، ينتسبون لطريقة الشيخ أحمد بن علوان صاحب يفرس في تعز، كانوا يجوبون اليمن من تهامة إلى حضرموت وهم يحملون بأيديهم طبلية صغيرة لها ذوائب يقرعونها بها فتحدث أصواتاً، ويقومون باستعراض حركات خادعة للأنظار يزعمون فيها طعن أنفسهم بالخناجر دون أن تؤثر فيهم، وكانوا يخيفون الناس ليجمعوا منهم الصدقات بهذه الوسيلة، وقد أدركتهم في زمن صباي.

(٦) الحمار: بفتح الحاء، ويسمى أيضاً في حضرموت الصدا، وفي يافع: الحُميراء، مرض يصيب محصول البر الذي يقضي عليه في ليلة واحدة، فيتلف المحصول، خصوصاً إذا أصابه المرض في مرحلة ما قبل تكوين البذور أو بدئها.

(٧) حوطة أحمد بن زين: بلدة تقع غربي سيئون.

ونعلمكم من رحمة الله الماء نجم الصرفة - عندكم المنسرق - ثارت شارة^(١) وصابت وادي ثبي^(٢) سيل، وعيديد^(٣) سيل، ودمون^(٤) سيل، وفي علوا^(٥) وادي العين^(٦) جرين نصف المال^(٧)، حيث كسروا وادي سدبة وادي حورة^(٨)، وبعد فصلة الشارة والماء آخر نجم العوا^(٩) - عندكم المائة - ثارت الشارة يوم الربوع وسبعة أيام في نجم المائة، وجدنا إلى اليوم الثاني الخميس وثمان في المائة وباقي يومين في رجب، وصب الله الأمطار في جهة حضرموت، وسالت الوديان سر^(١٠) إلى شبام، وكسر الموزع^(١١)، وجعيمة^(١٢) ختم^(١٣)، والغريب ختم، وشحوح بن يمان^(١٤) ويشمة^(١٥) أسقين الحمة، وحذع/ حذيع أسقى مريمة^(١٦)، وخرج الطاهرة شعاب حوطة الريدة أسقة الحوطة، وخرج الظاهرة شعب أحمد الحبشي ختم شرح^(١٧) عبد سالم معافي، جروب حترشه

(١) أي مطر.

(٢) واد كبير يقع جنوبي مدينة تريم.

(٣) واد يقع إلى الغرب من تريم، ويوازي وادي ثبي في مجراه.

(٤) واد يقع شمالي تريم.

(٥) علوا عكس حدرا، أي أعلى وادي حضرموت، ويقصد به مناطق غرب حضرموت.

(٦) من أكبر أودية غرب حضرموت.

(٧) المال في حضرموت يراد به الأرض الزراعية.

(٨) سدبة وحورة: من أودية غرب حضرموت.

(٩) أول نجوم الصيف حسب التقويم الشبامي بحضرموت، يدخل في ٢ أبريل، وعدد أيامه ١٣.

(١٠) من الأودية الكبيرة في حضرموت، ويقال في المثل: السيل من جعيمة والجمالة لسر.

(١١) سد يقع بالقرب من شبام.

(١٢) من الأودية الكبيرة في حضرموت.

(١٣) لعله بمعنى ملا.

(١٤) واد يقع غربي سيئون.

(١٥) واد بسيئون.

(١٦) مدينة شرق سيئون.

(١٧) وجمعه شروج، وهو مسيل الأودية من الجبال.

شرب، هنا الحمد لله، ومن تاربة^(١) إلى عدم^(٢) وشروجه ما لهن شي، ومن وادي مدر^(٣) ختم شرب الجميع، ومن بير ملح عبّر سيل قبله ما بعد صلح معبرها، قلنا عسى يهدي الزبدة نثور في صلاحها هذه الأيام إن شاء الله، ومن شان أنخار الطاهرة أصلحوهن الولد عبدالرحمن شق وآل بازقامة شق وبين سليم شق، ونحن وآل صلاح في طاهرة الحبيب عبدالله بن علوي قد أصلحنا مقطب اثنا عشر هج، وباقي المقاطب سرحنا لهن نحن ثلثين وآل صلاح ثلث والنجار الذي أصلح عبدالرحمن وبازقامة سلمين من الكسر، وجروب حترشة سلمين من الكسر، وحال الرقم سرحوا وذروا الجميع، ونحن على فيحنا ذرينا بعض في الطاهرة، وذرينا في بير ضباعي.

هذا ومن أخبار الكسور وصلوا محارثة^(٤) وخطوط وذكروا أن وادي عمد^(٥) افتك وسقى عندل ختم، ووادي دوعن أسقى أرض آل عامر، وزايد ماء عمد ودوعن أسقى عدان^(٦)...^(٧) عقيل وأرض هينن الجميع ودرج بالقايمة، والسيول ليلة الجمعة آخر يوم في شهر رجب الأصب وثمان نجم المائة، والفصل الخميس دخلت المائة الخميس وثنين وعشرين في شهر رجب، والشرب وقع ليلة الجمعة...^(٨) في شهر رجب، فهذا، وعسى الله يتم المواسم حيث موسم الصيف تفرع عليه من طمام وجراد وعند الله الرحمة...^(٩)

-
- (١) وادٍ وبلدة تقع بين تريم وسيئون.
 - (٢) من الأودية الكبيرة في حضرموت.
 - (٣) من أودية حضرموت.
 - (٤) أي: فلاحون يعملون في حراثة الأرض.
 - (٥) من أودية غربي حضرموت.
 - (٦) من بلدان غربي حضرموت.
 - (٧) كلمة غير واضحة.
 - (٨) كلمة غير واضحة.
 - (٩) سطر غير واضح.

توصلت خطوط من جاوة، وذكروا الحبيب الحسن بن طاهر بن حسن الحبشي توفي، وعبدالله محمد بن حميد وولده وصنوه توفوا، وجملة سادة وعرب من سيؤون وغيرها، وكذلك الصنو حسين عبدالحبيب أبو طلعة توفي إلى رحمة الله في بندر المخا، والذي توفوا في بلد سيؤون محمد بن عمر بن زيد وعبدالله سالم محروس وروح بنت أحمد بلغهم وحسين دوني بلعفيف، وجملة خلق ما على الله حساب.

هذا، وأنت يا ولد عبد موسى عبدالحبيب خطك الذي من طريق البر وصل بعد مسير الولد حيدر عبدالله، وتحققنا جميع ما ذكرت من أخبار جبل يافع وسكونهم من الفتن، ومن أخبار الثمر وما حصل معانا وما اقتضيت منه وما بقا عوبلي طارف، وما هو في المدفن، وفي مسراح القياض، فجزاك الله خير الدنيا ونعيم الآخرة، وقد أتعبتك أنت والولد عبدالعزيز والولد عبدالله، ولكن ما مع المحب إلا حبيبه، وأخوالي آل الحُقبِي قد كانوا يتعبون مثلك إذا سافرنا حضرموت، الله يجزيهم ويجزيك خير، ونحن قد جاوبنا على خطك، خط مع المجاذيب، وخط من آل الشيخ علي ومع الولد علي عبد أحمد طاهر، لعل أن قد وصلين إليكم إن شاء الله.

وأنت يا ولد حيدر عبدالله يسّر الله لك الطريق وقل التعويق ومن بعد وصولك جبل يافع إلى حال التاريخ ما بعد وصل إلينا خط منك أعلام في وصولك إلى جبل يافع، سهناً خطوط في قافلة البر من طريق البيضاء منكم، ولم شيء وصل، وعجبنا من ذلك، حيث الكتاب نصف الملاقة، والقافلة كبيرة فيها مسافرين من القبله والبيضاء، وفيها عبدالله عمر دحمي، توصلت لنصف رجب ورصفوها في قعوضة عند الحكمان يوم آل كثير حاطين على شبام، وحال الرقم وعادها مرصوفة، وحمول تجار العرقة عبّروه وادي العين وخرجوا به على وادي العريب، والقصد عليه الله الله الله ألا يقطعنا خطوطكم، وأنت يا ولد حيدر عبدالله إذا أراد الله خروجه ثاني عيد الفطر، وحصل التيسير من الله وتوصلت بنذر المكلا في شهر شوال، قد باتواخذ أخبار مواسم الكسور، إذا عرّف الله وعرفت وباترسل ما هو معك طريق سيؤون مع أحدنا منه، على ما عونك،

وأنت تعبر طريق وادي العين إلى الكسور فنحن نباك ميد شركائنا أهل أموالنا قدك
خابر لهم، ويفزعون منك، وتحاسبهم على الذي عندهم دين وأوصال، وقدك باتلحقنا
قدامك أنا والولد عبدالرحمن والولد عبد سالم إن شاء الله، وإن عرفت أنك ما عاد
باتقدر تعبر الكسور فنحن قد نحن في كفايتك إن شاء الله.

وتكتب إلينا خط من المكلا أعلام في وصولك إلى الكسر وخط إلى سيؤون إلينا
أعلام في وصولك البندر ميد ما احتجت له يوخذه للشهابي إذا نحن في الكسر، وعسى
الله يوديك بالعافية حيث المسير إن شاء الله، والأقدام عليها الأحكام والأكد، راجين
من الله أن ما يتغير حال لا علينا ولا عليكم ولا للمسلمين أجمعين.

هذا وأنتم الله الله فيما هو لكم وعليكم، وفي بتلة البلد شي خرف وشي ردود
وشي معلة، وكذلك الغنم حققوا لنا كم هي؟، وحققوا الولد علي الراعي عساه فيها
والأبتال، الله الله في الولد شيخ عبدالحبيب، وحققوا لنا عسى أنكم خذتوا ثور مليح،
وكذلك حققوا لنا في حطيب وعمرته حيث ذكرت يا ولد عبد موسى أن فيه نصف
حمل، وحققوا لنا نصف جميع الأخبار...^(١) والله الله في حد باعمر، ألا تعرجون في
الفتن حيث الفتن لا تربى لا مال ولا رجال.

هذا، وشريف السلام من الولد عبدالحبيب بن صالح محمد وعياله صالح وعبدالله
وعلي، وعبدالله محمد وأصنائه، وهادي عمر وعياله، والمشايخ عبدالحبيب بن طاهر
وآل يحيى والنقيب عبدالله سالم وعلي أحمد وحسين محمد أبو طلعة وعبدالله ناصر
وسالم حسين وصالح أحمد العفيف وعبدالحافظ عامر وعياله، والصنو عبدالله
عامر حصم وعياله والمرافدة وصالح عبدالله المصلي...^(٢) وعلي أحمد بن سواد،
وعبدالحبيب بن سالم، ويحيى داعر وأحمد صالح وكافة الرتبة، ومن الولد
عبدالحبيب بن علي الشعموطي وعياله، وحسين سالم. ويسلمون عليكم الولد الفقيه

(١) كلمة غير واضحة.

(٢) كلمة غير واضحة.

عبدالرحمن بن علي والولد عبد سالم معافي، والنقيب عوض سالم، وعوض بن أحمد والولد صلاح مسعود والرصاص وعوض صلاح ومحسن عبدالحبيب وعيالهم، والولد محسن أحمد جابر وعبدالله وعمر وعيالهم وكافة العسكر، ومن أصحابنا الذي في شبام الشيخ عبد النبي ومحمد العولقي وسالم الحذامي وأصحابهم جميع.

ومن أصحابنا الذي في عَيْنَات الشيخ عبدالله عوض دينيش وعلي عبدالله وناصر عبدالله وعبدالله جابر وأحمد صالح الحرمي وسالم دينيش وأصحابهم وكافة المعاريف علي الشهابي والمشايخ للريدة وعبيدنا وأخدامنا وأهل بيوتنا يخصوصونكم بالسلام.

وسلموا لنا على المشايخ أحمد دينيش وعبد أحمد دينيش وعلي محمد ودينيش علي وكافة آل دينيش، وعلى الأصناء علي صالح وصالح عبد الحبيب وأحمد عبدالحبيب وبوبك علي وعبدالكريم وعبدالعزیز وبوبك أحمد وأصنائهم الجميع، ومحمد حسين وسلموا لنا على الصنو عبدالله محسن بيبك وعلي محمد أحمد وعبدالصفي ومحسن وسالم وجابر بنو عبد أحمد، وعلي محسن ومحمد جابر ومحسن علي وعبدالله محسن الشرفي ومحسن سالم وعيالهم وأحمد...^(١) وصالح...^(٢) وأحمد الحاشدي وعلي شيخ وسالم وأحمد عبادي وأحمد حكمي / قاسمي وسالم شعيفان وحسين وعبدالله الدعوة وشيخ...^(٣) وعبد موسى أحمد وصالح علي عبدالواحد وسالم علي سودة وأحمد سالم وحسين أحمد وعوض عبدالله وعبدالحبيب بن عوض وعلي معافي وأحمد...^(٤) وصالح عمر الحرمي وعبدالله أحمد المركز ومحمد صالح وبلعيد وعبدالحبيب الهادي وسبهان وعبدالله...^(٥) أحمد وبوبك الدماي ومحمد أحمد حسين وعياله وبن حريز وآل جبر وعيال الداعي وعوض صلاح وشيخ...^(٦)

(١) كلمة غير واضحة.

(٢) كلمة غير واضحة.

(٣) كلمة غير واضحة.

(٤) كلمة غير واضحة.

(٥) كلمة غير واضحة.

(٦) كلمة غير واضحة.

ومحمد أحمد وأحمد صالح وكافة بني بكر، ومن نسيتهم يرى عليّ سلموا عليه وادعوا لنا والمشايخ وعند أهل المدارس إن شاء الله، وعسى الله نعود...^(١) وسلموا لنا على العبد توفيق سرور.

حرر يوم الثلث و...^(٢) وثمانية أيام في نجم السماك وعندكم نجم السعد...^(٣)
وفي حاشية الصفحة الأولى من الرسالة:

...^(٤) سعيد والولد وسلموا لنا على الأبناء محمد السندي وعلي بوبك وأحمد السندي وحسين بن...^(٥) بوبك علي وأبنائه وعبدالله أحمد ومحسن محمد وعسى الله يعافيههم ونعود الوطن...^(٦) الحطبيبي وعبدالحبيب بن عبدالله الزمري وبوبك حسين...^(٧).

وثيقة رقم ٥^(٨)

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم - حفظ الله حال سيدي وسندي ومعتمدي وقرة عيني الأخلاق الرضية والشمائل المرضية من عز الله ذاته وأبقى لنا حياته الأجل الأكرم الصنو محمد بن أحمد علي بيبك والصنو حيدر بن الوالد علي بن سعيد بن علي حيدر البكري سلمه الله وطال بقاه بحق القرآن ومن تلاه آمين. وخصهم جزيل السلام عليكم ورحمة الله.

(١) كلمة غير واضحة.

(٢) كلمة غير واضحة.

(٣) كلمة مبتورة.

(٤) بداية السطر مقطوعة.

(٥) كلمة غير واضحة.

(٦) كلمة مبتورة.

(٧) كلمة مبتورة.

(٨) مصورة من الأستاذ علي محمد صالح البيكي البكري، بني بكر - يافع.

بعد السلام صدرت الأحرف من بلد سيؤون، والأعلام سارة، وأخبار الجهة مستمرة، وإن سألتهم عنا وعن أصحابنا وكافة المعارف بأتم الصحة والعافية، جعلكم الله كذلك، بل أزيد من ذلك في خير وعافية.

وأخبار حضرموت الحوادث لم تزال، وأخبار الشيخ علي^(١) والشرف^(٢): الفتنة قائمة بينهم على سبب بن عبدان، قتله المرفدي، قالوا الشرف ما قتله إلا بن يحيى بن عمر، ووصل الحبايب سالم بن أحمد وسقاف بن الحبيب بوبكر، وطربوا بعرضه، ودخلوا يسعوا وحصل غدور من الشرف على عبد الشيخ علي وقتلوه، ونقدوا الحبايب.

ولما سلخ رمضان دخل ولد الشيخ عمر قاسم عبدالله بين مراتب أهل الشرف وطرب، وظل يوم والليل نطف، وحال صدرت كلما دخلت واسطة ما جاءوا سوى بن يحيى بن عمر بقول الحق، والشرف يقولون إما يقر وإلا يعطي نحن عشرة حلافة وبشعة، وحال صدرت والهدّة بينهم.

وأخبار الشق الحدري: لبعوس بن غرامة^(٣) شق وبن عبد القادر^(٤) وبن همام^(٥) شق يحتربون، وحصلت هدّة في رمضان، وقتلوا عبيدين على غرامة^(٦)، وعبد علي بن همام وعبد علي بن عبد القادر، وحال صدرت وهم يحتربون، كذلك آل كثير يتعصبون لابن عيسى بن بدر ولا بعد شي ظهر منهم.

وكتابتك يا صنو محمد وصل، والمرسال^(٧) الذي بيد الهدار وصلت، والورس^(٨) والمسابع الذي بيد علي أحمد سواد وصلت، وقد صدرنا لكم ثلاثة خطوط ولم

(١) أي: عيال الشيخ علي.

(٢) أي: وأهل الشرف.

(٣) بن غرامة: يقصد إمارة آل غرامة في تريم.

(٤) بن عبد القادر: يقصد إمارة آل عبد القادر في تريم.

(٥) بن همام: يقصد إمارة آل بن همام في تريم.

(٦) أي: على ابن غرامة.

(٧) المرسال: الشيء المرسل إلى جانب الخطاب، من مأكول أو ملبوس أو غيره.

(٨) الورس: شجرة، يؤخذ من زهرتها صباغ وردي اللون، تستخدمه النساء للزينة، وقد كانت يافع مشهورة بزراعة الورس إلى عهد قريب.

يرجع جواب، فحسبنا منكم من كل الكتب قدكم تحققون لنا ما هو لنا؛ حيث عندكم لنا ثمر خمس سنين، الله الله في التحقيق. ومن شان الوالد عبدالحبيب ذكر...^(١) عنده لنا اثنين وأربعين قرش فإن شي يخلص^(٢)...^(٣) من أربعين قرش والقرشين...^(٤) تسليم في قبض الأربعين، وترسلونه إلى عندنا مع...^(٥) والله الله في المرسال ورس وجفل^(٦) ولحافين^(٧) وفتيل^(٨)؛ لحيث نحن معتازين^(٩) الله الله...^(١٠)، ومن شان المرسال فهو بايصلكم مع الصنو عبدالله أحمد جابر الذي بغيتوه، والكتب غير منقطعة. والسلام من راقم الأحرف صالح بن سالم هرهرة، وسلموا لنا على الفقيه عبدالحبيب أحمد حيدر وعلي حيدر وعبدالحبيب حيدر وولده وعبدالحبيب بن عبدالله وأولاده، وسلموا لنا على محسن بن أحمد وسالم وعبدالصفي وجابر وأحمد وصالح وعلى الوالد عبد موسى وبوبكر علي وكافة بنيك^(١١)، ويسلمون عليكم الأصناء حيدر عبدالله وعبدالله أحمد جابر وصالح وعبدأحمد أحمد صالح ومن الشيخ عبدالحبيب بن طاهر والسلطان...^(١٢) وكافة المشايخ، وسلموا لنا على الصنو ناصر سعيد ويسلمون عليه أحمد وسعيد أبناء علي سعيد.

-
- (١) نقص في الوثيقة.
 (٢) يُخْلَص: يسدّد الدين.
 (٣) نقص في الوثيقة.
 (٤) نقص في الوثيقة.
 (٥) كلمة غير واضحة.
 (٦) جَفَلَ: هو اسم للين قبل تحميمه، وينطقه الحضارمة: (يَفَلَ) وإذا حُمِّصَ سَمِيَ بُن.
 (٧) اللحاف: رداء ثقيل، يُفَرَش في النهار بدلاً عن الحصر ويتغطى به في الليل من البرد.
 (٨) الفتيل: خيوط يضم بعضها إلى بعض، وتطلى بمادة سريعة الاحتراق، كانت تستخدم لتفجير البارود في البنادق الرومية القديمة (أبو فتيل)، وتسمى أيضاً: البنادق العربية.
 (٩) معتازين: محتاجين، من العَوَز وهو النقص والحاجة.
 (١٠) كلمتان غير واضحتين.
 (١١) بَنِيكَ: بني بكر، تحذف الراء تخفيفاً من كلمة (بكر) في لهجة كثير من مناطق يافع، فيقال: بوبك = أبو بكر، بيبك = أبي بكر.
 (١٢) كلمة غير واضحة.

يا صنو محمد: الحذر الحذر تقبض من العبادي إلا اثنين وأربعين قرش برؤوسها، وعندما تقبض الاثنين والأربعين القرش أطلق على الوالد عبدالحبيب بن أحمد حيدر أربعين قرش واقبض منه تسليم بقبض الأربعين القرش يوم الفلاني في عدة شهر الفلاني؛ حيث الصنو حيدر أطلق علينا أربعين قرش يثقل في كل شهر لحتى يقبض والده الدراهم، خفف الثقل من على ظهورنا، الله الله في... بقبض الدراهم ليد^(١) الوالد عبدالحبيب بن أحمد حيدر.

هذا والسلام منا ومن الصنو حيدر عبدالله وولده علي حيدر، وصدر...^(٢) الوالد من حيدر عبدالله ما ذكرها صدر في خطوط والده...^(٣)

تاريخ يوم الخميس ٢ القعدة سنة ١٢٤٦

الوثيقة رقم ٦^(٤)

الحمد لله كافي المهمات، وقاضي الحاجات، وجامع الشمل بعد الشتات، وصلى الله على سيدنا محمد خير البريات. حفظ الله لنا بحياة ذات وصفات من لهما في القلب محل مكين، قرة العين اليمين، الوالد الجد عبيد محمد غرامة، وكذلك الصنو علوي بوبك، وكذلك الصنو صالح عبداحمد بن عبداحمد عبد موسى غرامة، والصنو عبيد عبداحمد، والصنو محمد عبداحمد سلمهم الله آمين، وكذلك الصنو أحمد محمد بن محمد عبد موسى، سلمهم الله آمين. شريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، صدرت الأحرف من جهة حضرموت بلد القطن، والأعلام خير وعافية. أخبار الأرض بالسنن الواصلين إليكم كفاية في جمع الأخبار، وبعد نعلمك بوفاة من قدس الله أرواحهم إلى الجنة الوالد عبد أحمد والوالد عبد موسى.

(١) ليد: إلى يد.

(٢) كلمتان غير واضحتين.

(٣) كلمة غير واضحة.

(٤) مصورة من الأستاذ محمد عبدالله صالح بن غرامة الإبراهيمي البكري، بني بكر - يافع.

ومن شان الوالد محمد قُتل مع اللي خرجوا من سيؤون، قتلوا مقدر خمس عشر نفر، وشلوا القوم أهل كثير أسلابهم وما معهم، وعاد الوالد عبد أحمد بخير، وهو جالس عندي، وقع بي جرح في ساقي وبقي يصالينا^(١)، وبعد ما تحقق على عمي أنه فات^(٢)... أنا وقعت بخير^(٣)، وهو تحمى بورد^(٤) وأخذ ثمان أيام ولا يأخذ شي^(٥) مارود ونهار الثامنة قذف^(٦) دم وراح^(٧).

ومن شان يا أصناء وانتي يا والدة... الوالد خلانا عند ناس كماكم في وأحسن سوا، وأنا عندكم وما معي محفوظ،... ولا بنا إلا الشوق لكم وإلا ماشي قاصر علينا... هذا ما نحقق لك.

ومن شان أنا بخير بعد التعب والحمد لله على ما حكمه الله.

ومن شان قُلمتنا^(٨) فهي معنا وخذ علينا لابو قرشين من قلمتنا، قال إنه خذ على بني بكر من قرش اللي ما بطنوا^(٩) معه حدرى^(١٠) إلى سيؤون، وقُلمة شهر حوالة إلى البندر فقَدها باتودى^(١١) إليكم إلى الجبل، وسبعة قروش لنا بيد أحمد علي أبو حزام من جيز قلمة محمد بن نسر وعبد علي وحسين علوي وأحمد صالح بن عبد أحمد، فهز بايطلقها^(١٢) على الجماعة فوق قلمتهم، وهي طرحوها الجماعة أمانه عنده، ومن حضر

(١) يصالينا: يدواي ويعتني به.

(٢) أي: مات.

(٣) وقعت بخير: تعافيت من الجرح.

(٤) الورد: الحمى الشديدة المصحوبة بالبرد.

(٥) أي: لا يأكل شيئاً.

(٦) قذف: تقيأ.

(٧) راح: مات.

(٨) القلمة: الراتب أو الأجرة الشهرية مقابل العمل في الجندية.

(٩) بطنوا: هبطوا إلى باطن الوادي.

(١٠) حدرى: أسفل، من الانحدار.

(١١) تودى: توصل.

(١٢) إطلاق القلمة: صرف الراتب على مستحقه.

منهم كفى، وإن قد جاءكم تحفظوها، لا تفوتون شيء فيها، إلا كان أنتم محتاجين يا
صنو صالح خذوا منها قرشين وبركالة^(١)... وقلمة عمي محمد ستعشر قرش، وعلي
محمد العولقي طرحها أمانة بالبندر، وحاضر عليها علي الدريبي...
مستمد الدعاء محمد عبداحمد بن عبداحمد عبد موسى غرامة.
تاريخ فاتحة شهر رجب.

(١) البركالة: نوع من الأقمشة.

ملحق (٢) صور الوثائق



وثيقة رقم ١ - أ



وثيقة رقم ١ - ب



وثيقة رقم ٢



وثيقة رقم ٣



وثيقة رقم ٤ - أ



وثيقة رقم ٤ - ب

00201008170225 أو كلم WWW.DARALWEFAQ.NET للنسخة الورقية زر

النسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

7. |



وثيقة رقم ٦ - أ



التدخلات العثمانية في الشأن السياسي الحضرمي

د. خالد حسن الجوهي

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد

كلية التربية - المهرة - جامعة حضرموت

الملخص

تتداخل المصالح السياسية بين القوى المتصارعة في الجزيرة العربية، فنجد أن بعض الكيانات السياسية والوجاهات الاجتماعية في حضرموت تستغل علاقاتها مع القوى الحاكمة في بلاد الحجاز؛ لتحقيق منافع سياسية على حساب بعضها الآخر في حضرموت في ظل الصراع القائم آنذاك، لتشتبك هذه العلاقات بالدولة العثمانية وبالمصالح التي تربط بين الطرفين، ولهذا نلاحظ الترابط بين موقف ولاية الحجاز وأشرافها تجاه حضرموت، فقد سعى الاثنان معًا لبناء علاقات سياسية مع حضرموت، وكان يقف في المنتصف السادة العلويون الحضارم في حضرموت والحجاز؛ نظرًا لارتباطهم بعلاقات جيدة مع السلاطين العثمانيين من جهة، والأشراف من جهة أخرى، ليستغلوا تلك العلاقات ويسخروها للتدخل في الشأن الداخلي الحضرمي.

إن العلاقة السياسية بين حضرموت والدولة العثمانية تقوم على أساس فرض التبعية والولاء، وجعل حضرموت خاضعةً للنفوذ العثماني، ولهذا سعوا إلى تسيير الحملات العسكرية لدعم طرف ضد طرف آخر، خاصةً إذا كان أحد الأطراف يدين بالتبعية لمنافستهم في المنطقة وهي بريطانيا، فلقد كان الصراع بين الدولتين آنذاك قد انتقل إلى حضرموت، ولهذا جاء انقسام مواقف الحضارم في أثناء الحرب العالمية الأولى تجاه العثمانيين من جهة والبريطانيين من جهة أخرى.

المقدمة

لم تعرف حضرموت في تاريخها الطويل حكومة ذات شوكة قوية خضعت لها كل أنحائها، بل قامت فيها إمارات متعددة أشبه ما تكون بدويلات المدن، إلا أن الحكم الفعلي خارج أسوار تلك المدن كان في يد رؤساء العشائر الحضرمية، تُدار وفق تقاليدهم وأعرافهم^(١).

إن أول اتصال سياسي بين حضرموت والدولة العثمانية في التاريخ الحديث كان عام ٩٤٤هـ/ ١٥٣٨م، حين رست سفينة عثمانية في ميناء الشحر تحمل ثلاثين عثمانياً في إطار المواجهة العثمانية البرتغالية في السواحل العربية والإسلامية، وقد وافق السلطان الكثيري آنذاك بدر بن عبدالله الكثيري (أبو طويرق)^(٢) على الولاء والطاعة للدولة العثمانية والدعاء للسلطان العثماني في المساجد^(٣)، فمنحته الدولة العثمانية فرماناً بتوليته حاكماً على حضرموت، وكان هذا الإجراء أول خطوة في توطيد العلاقات بين الجانبين^(٤).

وفي أواخر القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) انتهت الدولة الكثيرية الأولى في حضرموت، وقام على أنقاضها ما يُسمى في التاريخ الحضرمي بحكم الطوائف اليافعية^(٥) في مدن وقرى معينة في ساحل ووادي حضرموت، ومن أبرز

(١) محمد عبدالقادر بامطرف، في سبيل الحكم، دار حضرموت للدراسات والنشر، حضرموت، ط ١، ٢٠٠٨م، ص ١١.

(٢) من أبرز شخصيات آل كثير، وهو ينحدر من سلالة السلطان الكثيري الأول علي بن عمر بن جعفر مؤسس الدولة الكثيرية في أوائل القرن التاسع الهجري، وأطلق عليه لقب (أبو طويرق)؛ لأنه طرق أرض حضرموت من ذمار إلى ظفار. سعيد عوض باوزير، صفحات من التاريخ الحضرمي، المطبعة السلفية، القاهرة، ط ١، ١٣٧٨هـ، ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٣) باوزير، صفحات من التاريخ الحضرمي، ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٤) محمد عبدالكريم عكاشة، قيام السلطنة القيعية والتغلغل الاستعماري في حضرموت ١٨٣٩ - ١٩١٨م، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ١٩٨٥م، ص ٣٣.

(٥) يعود الوجود الأول للقبائل اليافعية القادمة من جبل يافع جنوب اليمن في حضرموت إلى عهد الملك الحميري سيف بن ذي يزن، وكان بداية استقرارهم في منطقة القطن بوادي حضرموت،

تلك الطوائف اليافاعية الإمارة الكسادية في مدينة المكلا (١١١٥هـ/ ١٧٠٣م)، وإمارة آل بن بريك في الشحر (١١٦٥هـ/ ١٧٥١م)^(١).

لقد حاول القعيطيون - وهم بطن من قبائل يافع نزحوا إلى حضرموت حديثاً في عهد الدولة الكثيرة التي استقدمها السلطان بدر بن محمد المردوف الكثيري عام ١١١٧هـ/ ١٧٠٥م - إقامة دولة يافعية لهم في حضرموت، مستعينين بالدعم المقدم لهم من زعيم هذه الأسرة في الهند، وهو الأمير عمر بن عوض القعيطي^(٢)، الذي استطاع جمع ثروة طائلة قام بتوظيفها لإقامة الدولة القعيطية، وفي الوقت نفسه كان هناك آل كثير يحاولون إحياء دولتهم المندثرة، والتي تجاذبتها القوى اليافاعية، محاولين القضاء على السلطة اليافاعية في مدن وادي حضرموت^(٣).

وقد توافرت للقوة الكثيرة الظروف نفسها التي توافرت للقوى اليافاعية، وهي امتلاك أحد أبنائها في المهجر (الهند) - وهو السلطان غالب بن محسن الكثيري^(٤) -

ومن هذه القبائل نشأت عدة من الإمارات في حضرموت، أشهرها إمارة آل بن بريك والإمارة الكسادية. محمد عبد القادر بامطرف، الشهداء السبعة، دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن، ط ٢، ١٩٨٣م، ص ٢٦.

(١) لمعرفة التفاصيل راجع: خالد حسن الجوهي، إمارة آل بن بريك في الشحر ١١٦٥ - ١٢٨٣هـ/ ١٧٥١ - ١٨٦٦م. دار الوفاق، ط ١، ٢٠٠٩م.

(٢) ولد عمر بن عوض القعيطي بقرية لحروم بوادي عمد بحضرموت من أسرة فقيرة، وبعد وفاة والده انتقلت به أمه إلى مدينة شبام بحضرموت عند أخواله آل القعيطي، هاجر إلى الهند عام ١٢٠٧هـ - ١٧٩٢م حيث كسب شهرة واسعة في جيش ولاية (برودة)، ثم في جيش نظام حيدر آباد الدكن، وأصبح رئيس الجالية اليافاعية في حيدر آباد، وقائداً للفرقة الحضرمية، وكانت رتبته العسكرية (جمعدار)، أي قائد لألفي مقاتل، وقد تمكن من تأسيس الدولة القعيطية في حضرموت، توفي بحيدر آباد عام ١٢٨٢هـ - ١٨٦٥م. محمد عبد القادر بامطرف، الجامع، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ١٩٩٨م، ص ٤٠٩.

(٣) بامطرف، في سبيل الحكم، ص ١٥.

(٤) يعود نسبه إلى السلطان عبدالله بن عمر بن بدر، ولذلك سميت الدولة الكثيرة الثانية بدولة آل عبدالله، تلقى علومه الأولية على يد علماء عصره من السادة العلويين، ثم انخرط في سلك الجندية في شبام، وكانت نشأته دينية عسكرية، سافر إلى الهند سنة ١٢٤٦هـ - ١٨٣٠م، وهناك

لثروة طائلة جعلته يفكر في بعث الدولة الكثيرة من جديد، فضلاً عن العون المادي والأدبي الذي قدّمه العلويون^(١).

التدخلات العثمانية في حضرموت في القرن التاسع عشر الميلادي

سعى العلويون بما أوتوا من نفوذ وعلاقات حسنة مع سلاطين آل عثمان وأشرف الحجاز أن يدعموا جهود السلطان غالب المذكور ضد القوى المنافسة له، فأثمرت تلك الجهود إرسال حملة عسكرية من أجل السيطرة على الثغرين الرئيسيين في حضرموت الشحر والمكلا.

وفي أثناء الصراع العسكري بين القوتين المتنافستين على السلطة في حضرموت (آل كثير ويافع) في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي؛ رأى العلويون أن سلطتهم الدينية والروحية وامتيازاتهم الاجتماعية غدت مهددة، ولذلك بذلوا محاولات لفرض نفوذهم على القوى المتصارعة وإقامة دولة باسمهم، فتطلعت أنظارهم إلى الوالي العثماني في مصر (محمد علي باشا)^(٢) في أثناء وجوده في الحجاز

التحق بالجيش النظامي بحيدر آباد، واستطاع جمع ثروة طائلة مكّنته من إحياء الدولة الكثيرة من جديد.

(١) يتنسب العلويون الحضارمة إلى علوي بن عبيد الله بن أحمد المهاجر بن عيسى، ويُعدّون أكبر القبائل الحضرمية عدداً وأوسعها هجرة إلى آسيا وإفريقيا، وجدّ جميع البيوت العلوية بحضرموت والمهجر هو الشيخ الإمام محمد صاحب مرباط بن علي خالع قسم بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد المهاجر المرفوع نسبه إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب، ومنذ القرن التاسع الهجري بدأ العلويون هجرتهم إلى الربع الآسيوية والإفريقية، حيث أسهموا مع غيرهم من الحضارمة في نشر الدعوة الإسلامية في شرق إفريقيا وجزر المحيط الهادي والهند وأرخبيل الملايو واندونيسيا والفلبين. محمد عبد القادر بامطرف، الجامع، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ١٩٩٨م، ص ٣٨٣.

(٢) هو محمد علي باشا بن إبراهيم آغا، ألباني الأصل، قدم مصر لرد الغزاة الفرنسيين، فشهد حرب أبي قير سنة ١٢١٤هـ - ١٧٩٩م وأصبح والياً لمصر منذ سنة ١٢٢٠هـ - ١٨٠٥م، وفي سنة ١٢٦٤هـ - ١٨٤٧م تنازل عن العرش لابنه إبراهيم باشا. خير الدين الزركلي، الأعلام، ط ٥، ١٩٨٠م، بيروت، دار العلم للملايين، ج ٦، ص ٢٩٩.

واليمن، ورفعوا إليه عريضةً يطلبون فيها وضع حضرموت تحت سلطته، ويطلبون إمدادهم بقوة عسكرية، وتعيين والٍ عليهم من قبله، وكان على رأس الموقعين على هذه العريضة السيد علي بن عمر السقاف، وسالم بن حماد باعبيد، ومحسن بن علوي^(١)، ولكن محمد علي اكتفى بإصدار فرمان للمقدم علي بن عمر بن قرموص التيمي ليكون والياً مؤقتاً على حضرموت، فخابت آمال العلويين في محمد علي باشا، وفي من عينه عليهم^(٢).

بعد فشل هذه المحاولة قاموا بتأييد السلطان غالب محسن الكثيري الذي خاض صراعاً مبرراً مع منافسيه من قبائل يافع، وساندوه ضد مناوئيه، وحثوه على إحياء دولة أجداده من آل كثير، وأشاروا عليه بأن يطلب الدعم من أشرف الحجاز الذين كانت لهم علاقة متينة معهم بحكم الروابط الاجتماعية وصلات النسب والمصاهرة، والذين بإمكانهم أن يفعلوا الكثير في سبيل دعمه ضد منافسيه من خلال التوسط لدى الدولة العثمانية للتدخل العسكري المباشر.

ومنذ تلك اللحظة في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي بدأت الدعاية العلوية تقوم بنشاط واسع ونشط لمؤازرة آل كثير، مستغلين نفوذهم لدى السلطنة العثمانية وأشرف الحجاز، وكان من بين هؤلاء العلويين الذين كان لهم دور في هذه الحملة الدعائية ضد قبائل يافع: السيد علي بن عمر بن محضار العيدروس، والسيد إسحاق بن عقيل العلوي نقيب السادة العلويين في الحجاز، والسيد فضل بن علوي مولى الدويلة، والسيد عبدالرحمن بن حسين بن سهل العلوي.

الحملة العسكرية العثمانية على حضرموت 1266هـ/ 1850م

سبقت الحملة دعاية نشطة؛ لتهيئة الظروف لإنجاحها، وذلك من خلال عدد من الرسائل التي قدمها بعض وجهاء السادة العلويين في الحجاز وحضرموت إلى السلطان

(١) وثائق عابدين، محافظ الحجاز، ١٢٥٥هـ - محفوظة رقم ٢٦٧، وثيقة رقم ٩٤ حمراء، مترجمة عن التركية، سر عسكر اليمن.

(٢) عكاشة، قيام السلطنة القيعطية، ص ٤١.

العثماني وأمراء مكة المكرمة، يحثونهم فيها على ضرورة ضم حضرموت إلى نفوذ الدولة العثمانية، ففي خطاب وجهه السيد فضل بن علوي إلى السلطان عبدالمجيد ذكر فيه أحوال بلاده حضرموت، وما يسودها من صراعات وتناحر، وقدم السيد فضل في رسالته عدة من المطالب والاقتراحات التي من شأنها أن تنهي الحالة المزرية التي تعيشها بلاده، وذلك من خلال دعم السلطان الكثيري غالب بن محسن ضد خصومه، ومن ثم وضع حضرموت تحت السيادة العثمانية^(١).

كما قام السيد عبدالله بن عمر بن يحيى العلوي بجمع عدة من توقيعات رؤساء ووجهاء حضرموت، مرفوعة إلى والي الحجاز العثماني آنذاك حسيب باشا والشريف محمد بن عون^(٢) شريف مكة المكرمة، وبتنسيق من السيد إسحاق بن عقيل العلوي، داعين السلطنة العثمانية للوقوف إلى جانبهم ومساعدتهم في حربهم ضد القوى اليافعية^(٣)، وقد استطاع العلويون إقناع العثمانيين بإرسال حملة عسكرية إلى حضرموت.

وفي شهر رجب سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م وصل مركب شراعي إلى ميناء المكلا قادمًا من بندر الحديدة، وعلى متنه الشيخ محسن باحارث آغا أحد حضارم الشام، ورجل آخر اسمه الحاج أحمد وهو من الأتراك، وبصحبتهم رسائل من شريف مكة محمد بن عون والسيد إسحاق بن عقيل العلوي مرسله للسادة العلويين ولحكام

(١) الإرشيف العثماني، تصنيف ١٦٢٤/ ٣٩ IMMS.

(٢) هو الشريف محمد بن عبدالمعين بن عون بن محسن من أمراء مكة، وُلِدَ ونشأ بها، ثم سكن مصر مدة، فسعى له واليها محمد علي باشا لدى الحكومة العثمانية، فُعِينَ أميرًا لمكة المكرمة سنة ١٢٤٣هـ - ١٨٢٧م، ثم عُزِلَ، ثم عاد إليها واستمر بها حتى سنة ١٢٦٧هـ - ١٨٥١م، ثم عُزِلَ، فتوجه إلى الأستانة وأقام بها حتى سنة ١٢٧٢هـ - ١٨٥٦م، ثم صدر مرسوم بإعادته إلى إمارة مكة، ووافته المنية سنة ١٢٧٤هـ - ١٨٥٨م. الزركلي، الأعلام، ج٦، ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٣) سالم بن محمد بن حميد، تاريخ حضرموت، المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ٢٠٠٣م، ج٢، ص ١٩٣ - ١٩٤.

المكلا والشحر، مضمونها طلب السمع والطاعة للسلطان العثماني، فاستقبلهما النقيب محمد بن عبد الحبيب الكسادي حاكم المكلا، وأكرمهما أياماً ثم توجهها إلى الشحر، وكان في استقبالهما حاكم الشحر الأمير علي بن ناجي بن بريك، وقد أبلغ المندوبون حكام المكلا والشحر بضرورة الرد على خطاب شريف مكة المكرمة والسيد إسحاق بن عقيل نقيب السادة العلويين في الحجاز، بعدها توجه محسن باحارث وأحمد التركي إلى وادي حضرموت، وكان في استقبالهما نائب السلطان الكثيري عبدالله بن محسن؛ لغياب السلطان غالب الذي كان بالهند، وتم تسليم الخطاب الموجه إليه من الشريف ونقيب السادة، ثم عادا إلى المكلا، ومنها إلى اليمن^(١). ويبدو أن إرسال هذين المبعوثين مرتبط بالحملة المزمع إرسالها إلى حضرموت.

وعند خروج الشريف محمد بن عون إلى الحديدة باليمن سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م كان بصحبته السيد إسحاق بن عقيل، وبعد أن رتب الشريف الأوضاع في الحديدة؛ عاد إلى مكة المكرمة، في حين ظل السيد إسحاق في الحديدة منتظراً وصول القوة العسكرية التي تم الاتفاق بشأنها، وأصبح على تواصل دائم مع أعيان حضرموت وساداتها، وعندما رأى أن تجهيز الحملة قد تأخر؛ خاف أن يؤدي ذلك إلى فشل الحملة، فأرسل من قبله مندوباً إلى شريف مكة محمد بن عون ووالي الحجاز حسيب باشا، يحثهما على سرعة التجهيز، إلا أن الحملة لم تأت، فعاد إلى الحجاز؛ لياشر بنفسه الترتيبات العسكرية للحملة^(٢).

لقد تم تشكيل الحملة وخرجت من مكة المكرمة بقيادة السيد إسحاق بن عقيل نفسه، فوصلت إلى ميناء الحديدة، ثم تابعت سيرها حتى وصلت ميناء بروم^(٣) بحضرموت في العام ١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م، وبدأت بالسيطرة على ميناء بروم وثبتت أقدامها فيه، وتحالفت مع القبائل المحيطة بالبلدة، واستطاعت تجنيد عدد منهم، في

(١) بن حميد، العدة المفيدة، ج ٢، ص ٢٠١ - ٢٠٣.

(٢) المرجع نفسه، ج ٢، ص ٢٠٤.

(٣) بروم قرية ساحلية على بحر العرب، تقع إلى الغرب من مدينة المكلا، وتبعد عنها بنحو ٢٨ كم.

حين كانت سفنهم تشن غارات على السفن التجارية القادمة أو المغادرة لميناء المكلا مع قصف الاستحكامات العسكرية للمدينة، وكانت تلك مناورات لصرف الأنظار عن الحملة الكثيرة القادمة براً من وادي حضرموت لاحتلال الشحر حسب الاتفاق المسبق بينهم^(١).

وجّه السيد إسحاق رسولاً إلى العلويين وآل كثير في وادي حضرموت، يخبرهم بوصول الحملة إلى بروم، ويطلب منهم موافاته، فعقد العلويون اجتماعاً لوضع الخطة اللازمة لمساندة الحملة.

«وقد شعر الكسادي حاكم المكلا وبروم بالأخطار المحيطة به وعدم مقدرته على مواجهتها دون مساعدة إخوانه من يافع، فاستنجد بآل بن بريك حكام الشحر، حيث وحّد الطرفان جهودهما، وشكّلا جبهة يافعية للوقوف في وجه الحملة، حيث قامت القوات اليافعية بمهاجمة القوات المتمركزة في بروم، وتمكنت من استعادة المدينة، حيث لعبت الظروف المناخية السيئة دوراً في تشتيت القوات البحرية القريبة من ساحل بروم، وذلك بسبب هبوب الرياح القوية وارتفاع الموج، فاضطر السيد إسحاق للتوجه بقواته شرقاً إلى مدينة الشحر، ولكنه لم ينجح؛ بسبب اضطراب البحر أيضاً، فاضطروا للذهاب إلى شرمه^(٢)، وقد كان آل بن بريك قد سبقوهم إليها، فاشتبك الطرفان، ونتج عنه انهزام قوات السيد إسحاق، فانسحبوا إلى منطقة قصيعر^(٣)، وفي أثناء وجودهم بها استطاع إسحاق بن عقيل وعبود بن سالم الكثيري التحالف مع قبائل الحموم التي تسكن المنطقة، ووافقوا على المشاركة معهم في مهاجمة الشحر، أما القوات الكثيرة فقد تحركت من داخل حضرموت بكامل عدتها للانضمام إليهم»^(٤).

(١) بامطرف، في سبيل الحكم، ص ٢٦.

(٢) ثغر قديم وميناء شهير يقع إلى الشرق من مدينة الشحر.

(٣) قصيعر مدينة ساحلية شرقي الشحر على مسافة ٤٥ ميلاً تقريباً.

(٤) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت ١٨٤٥ - ١٩١٩م، دار الثقافة العربية، الشارقة، دار جامعة عدن، ط ١ ٢٠٠٢م، ص ١٥٢.

وتواصل حاكم الشحر علي بن ناجي مع أخيه حاكم المكلا الكسادي؛ من أجل توحيد جهودهما لمواجهة الحملة الموجهة ضدهما، فتحركت القوات الكسادية من المكلا متجهة إلى الشحر، فاصطدمت مع القوات الكثيرة المرابطة في مرير^(١) ودقيقة، وتعاركت أولاً مع القوات الموجودة في مرير وهزمتها، فانسحبت القوات الكثيرة إلى وادي حضرموت، وقد شجّع هذا الانتصار قوات آل بن بريك للخروج من تحصيناتهم في مدينة الشحر ومهاجمة بقية القوات الكثيرة المتمركزة في دقيقة، وإلحاق الهزيمة بها. وهكذا فشلت هذه الحملة العسكرية في مهمتها، كما قام التحالف الكسادي - البريكي بتطهير الشواطئ الحضرمية من الوجود الكثيري، مما اضطر قوات إسحاق بن عقيل إلى رفع الحصار المضروب على مدينة الشحر، وعادت القوات الكثيرة إلى وادي حضرموت، وعادت السفن العثمانية القادمة من الحجاز بجنودها من حيث أتوا.

وكان لفشل هذه الحملة أسباب نجمها في الآتي:

أولاً: التفكك الذي أصاب التحالف القبلي الذي كان يدعم آل كثير في حربهم، وانسحاب بعض القبائل من المعارك الدائرة مثل قبائل سبيان الذين تركوا مواقعهم في مرير، وذهبوا إلى دقيقة، وإشاعة الأخبار عن وصول الإمدادات الكسادية لآل بن بريك، مما أضعف المعنويات القتالية لدى هذه القبائل، وأدى إلى انسحابها من ساحة المعارك.

ثانياً: أغلب القوات العثمانية القادمة من الحجاز التي جاءت لمساندة آل كثير لا علم لهم بالمنطقة، ولا طاقة لهم بويلات الحرب، وقد أخذوا مقابل هذه الحرب أموالاً، ولكنهم لم يقاتلوا باستبسال؛ كون القضية لا تهمهم بقدر ما يهمهم الحصول على الأموال.

ثالثاً: سوء التوقيت والتنسيق بين الحملتين العثمانية والكثيرية، مما أدى إلى إحداث خلخلة في صفوف المقاتلين.

(١) تقع إلى الغرب من مدينة الشحر.

رابعًا: كان للظروف الطبيعية أثرها في هذه الهزائم؛ كون المهاجمين لم يختاروا التوقيت المناسب لحملتهم، فقد كانت الحملة في فصل الخريف، وهو وقت هيجان البحار، ولا تستطيع السفن فيه البقاء على سطح البحر لممارسة دورها الحربي.

خامسًا: التماسك الذي أبدته يافع في مواجهة الخطر الذي يهددها، فضلًا عن وصول إمدادات من أطراف أخرى غير يافعية مثل آل تميم.

تجدد الحملات العسكرية العثمانية على حضرموت

في عام ١٢٨٤هـ/ ١٨٧٦م، وبعد فتح قناة السويس بقليل تقدّم مائة وخمسون من أعيان حضرموت غالبيتهم من العلويين بالتماس إلى شريف مكة آنذاك عبدالله بن مح مد بن عبدالمعين بن عون^(١)، وإلى والي الحجاز العثماني معمر باشا؛ من أجل التوسط لوضع حد للصراع والحرب بين القوتين (القيطية - والكثيرية)، وقد استجابت لهم السلطات في الحجاز، فقامت بإرسال إحدى سفنها الحربية إلى مينائي الشحر والمكلا، وقاموا بإبلاغ أطراف النزاع بأن حضرموت تشكل جزءًا من السيادة العثمانية، وأنّ عليهم مقاومة التدخلات الخارجية في أراضي المسلمين، كما طلبت القوات العثمانية من حاكم الشحر تسليم المدينة لهم كجزء من هدنة عامة^(٢)، وظلت الاتصالات متواصلة بين أشرف مكة المكرمة وولاية الحجاز العثمانيين وبين سلاطين وحكام حضرموت ووجهائها من السادة العلويين، وهي في مضمونها إعلان الطاعة للسلطان العثماني، ففي خطاب وجّهه السيد عبدالرحمن بن حسين بن سهل عام ١٢٩٨هـ - ١٨٨١م إلى السلطان العثماني عبدالحميد الثاني (١٢٩٣ - ١٣٢٧هـ/ ١٨٧٦ - ١٩٠٩م)

(١) عين الشريف عبدالله أميرًا على مكة المكرمة سنة ١٢٧٤/ ١٨٥٨م، وبقي في الإمارة أكثر من ١٩ سنة، وكان الشريف عبدالله رجلاً عالمًا ولوعًا بالمناظرات العلمية، وكان ذا اطلاع واسع في التفسير والحديث والفقه والأدب، وهو أول شريف يحصل على درجة وزير. إسماعيل حقي جارشلي، أشرف مكة المكرمة وأمرؤها في العهد العثماني، ترجمة: خليل علي مراد، الدار العربية للموسوعات، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ٢٢٤.

(٢) ر. جافن، عدن تحت الحكم البريطاني ١٨٣٩ - ١٩٦٧م، ترجمة: محمد محسن العمري، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠١٣م، ص ١٩٨.

شارحاً فيه أحوال بلده حضرموت وظفار ومبيناً فيه أنه منذ خمسة عشر عاماً وهو في تواصل مع الباب العالي منذ أيام السلطان عبدالعزيز (١٢٧٧ - ١٢٩٣هـ / ١٨٦١ - ١٨٧٦م)، وأنه قام بالكتابة إلى الشريف عبدالمطلب في مدة لاحقة، وإلى والي مصر إسماعيل باشا شاكياً فيه حالة بلاده، وأن القوى السياسية المتصارعة في حضرموت قد ألحقت الظلم والأذى بحضرموت وأهلها، واقترح أن تكون حضرموت بكاملها من عين بامعبد غرباً حتى ظفار شرقاً تابعة لنفوذ الدولة العثمانية^(١).

موقف حضرموت في الحرب العالمية الأولى

تدهورت علاقة الشريف حسين بن علي^(٢) مع الاتحاديين^(٣) بعد حرب البلقان عام ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م؛ بسبب المكانة التي اكتسبها الشريف حسين وتأيد الناس له، فضلاً عن طموحاته، ولذلك اتجهت رغبة الاتحاديين إلى إلغاء نظام الشرافة^(٤)

(١) الإرشيف العثماني، تصنيف ٦/٤ . Y . PRk . TKM

(٢) من أشرف ذوي عون العبادلة، وهو حفيد الشريف محمد بن عون، وابن الشريف علي باشا المتوفى سنة ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م، وعندما كان الشريف حسين عضواً في مجلس شورى الدولة بدرجة (وزير) تم تعيينه أميراً لمكة المكرمة وهو في سن السادسة والخمسين، وذهب إلى مكة بعد وفاة الشريف عبدالإله المفاجئة عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م. جارشلي، أشرف مكة المكرمة وأمرؤها، ص ٢٢٨.

(٣) حزب الاتحاد والترقي أو الاتحاديون، نسبة إلى الجمعية السرية التي أسسها هؤلاء الرجال من أجل القضاء على حكم السلطان عبدالحميد الثاني، وقد استلم الاتحاديون السلطة في الدولة العثمانية بعد انقلابهم عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م، وطالبوا السلطان عبدالحميد بإعادة العمل بالدستور. وقد نجح الاتحاديون في إعلان الدستور وعزل السلطان عبدالحميد وتكوين مجالس في هذا الشأن. جورج أنطونيس، يقظة العرب، ترجمة علي الركابي، مطبعة الترقى، دمشق ١٩٤٦م، ص ١٠٧ - ١١٠. انظر أيضاً: عماد عبدالعزيز يوسف، الحجاز في العهد العثماني ١٨٧٦/ ١٩١٨، شركة الوراق للنشر، ط ١، ٢٠١١م، ص ١٤٧.

(٤) هو منصب يتولاه أشرف مكة المكرمة بالورثة، تمتع الحجاز في ظلّه بالاستقلال الذاتي، وخاصة خلال العصر العثماني الأول ١٥١٧/ ٩٢٣م - ١٢١٧هـ / ١٨٠٣م، إذ تولى نظام الشرافة منذ تأسيسه سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٩م أربع أسر من الأشراف، وهم:

في الحجاز؛ للتخلص من هذه القوة العربية التي أصبحت ذات نفوذ كبير^(١)، ووقع اختيارهم عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م على وهيب باشا ليكون والياً على الحجاز، وقائداً عامّاً للقوات المرابطة فيه، وطلبوا منه أن يشرف على الشؤون الإدارية والعسكرية والمالية كافة في جميع أرجاء الحجاز، وأن يترك للشريف حسين السلطة الدينية في الحرمين الشريفين^(٢)، وأثارت هذه الإجراءات معارضة من قبل الشريف حسين، وأصبحت العلاقات بين الطرفين أكثر سوءاً مما سبق، وبعد قيام الحرب العالمية الأولى ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م ثار الشريف حسين سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م ضد العثمانيين، وأعلن نفسه ملكاً للعرب، وأصبح يحكم الحجاز بعيداً عن نفوذ الدولة العثمانية.

وقد اختلفت مواقف الحضارة تجاه المتحاربين، فالدولة القعيطية التي كانت قد سيطرت على ساحل حضرموت وأجزاء من داخلها اتخذت موقفاً مؤيداً لبريطانيا بحكم ارتباطها معها بمعاهدات الصداقة والحماية ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م وسنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٨م، ويعني ذلك أنهم كانوا إلى جانب الشريف حسين بن علي المساند لبريطانيا في الحرب، أما الدولة الكثيرية في وادي حضرموت فقد تعلقت آمالها بالدولة العثمانية التي تربطها بها علاقات تاريخية قديمة، واعتقاداً منهم أن هذا الموقف سيجعلهم يحصلون على الدعم العسكري العثماني لمحاربة عدوهم القعيطي والقضاء عليه^(٣).

١ - الموسويون أو بنو موسى ٢ - السليمانيون ٣ - الهواشم ٤ - آل قتادة (نبيل عبد الحي رضوان)، الدولة العثمانية وغرب الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس ١٢٨٦ - ١٣٢٦هـ/ ١٨٦٩ - ١٩٠٨م، ط١، تهامة للنشر، جدة، ١٩٨٣م، ص ٢٥، أيضاً إبراهيم رأفت باشا، مرآة الحرمين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م ج١، ص ٣٤٥.

(١) عماد عبدالعزيز يوسف، الحجاز في العهد العثماني ١٨٧٦/ ١٩١٨، شركة الوراق للنشر، ط١، ٢٠١١م، ص ١٦٠ - ١٦١.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٦١.

(٣) اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية، ص ٢٣٣.

تلقى السيد عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف رسالةً من القائد العثماني بلحج علي سعيد باشا عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م يطلب منه انتزاع اعتراف من سلاطين آل كثير بأنهم تابعون للدولة العثمانية، فاستطاع السيد عبدالرحمن السقاف إقناع السلطان الكثيري منصور بن عبدالله وولي عهده والقبائل والسادة العلويين بالاعتراف بأنهم تابعون للدولة العثمانية، وأنهم من رعاياها، ومذعنون لأحكامها، وأنهم يوالون من والاه، ويعادون من عاداه، ويتبرؤون من الحماية البريطانية وعدم التعويل عليها^(١).

ولعلّ الشريف حسيناً قد علم بهذا الاعتراف المقدم من أعيان ووجهاء وسادة حضرموت للدولة العثمانية، وأن للسادة العلويين أثراً في إقناع بقية القبائل الأخرى، فأرسل الشريف حسين شيخ السادة العلويين في مكة السيد محمد بن علوي بن أحمد السقاف في بداية عام ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م مندوباً عنه إلى اليمن، وطلب منه القيام بالدعاية ضد العثمانيين للوقوف إلى جانبه، مستخدماً نفوذه الروحي؛ كونه حامي الحرم المكي مهبط الوحي، فقام السيد المذكور بإرسال خطاب إلى السلطان منصور بن عبدالله الكثيري يدعوه فيها إلى القيام بما هو واجب عليهم من النصرة للشريف حسين بن علي، وعدم الانجرار للأراجيف التي ييثرها الاتحاديون ضده^(٢).

مما سبق يتضح لنا أنّ العلاقة السياسية بين حضرموت والدولة العثمانية تقوم على أساس فرض التبعية والولاء وجعل حضرموت خاضعة للنفوذ العثماني، ولهذا سعوا إلى تسيير الحملات العسكرية لدعم طرف ضد طرف آخر، خاصة إذا كان أحد الأطراف يدين بالتبعية لمنافستها في المنطقة، وهي بريطانيا، فلقد كان الصراع بين الدولتين آنذاك قد انتقل إلى حضرموت، ولهذا جاء انقسام المواقف في أثناء الحرب العالمية الأولى تجاه العثمانيين من جهة والبريطانيين من جهة أخرى.

(١) وثيقة رقم ٤٩ لعام ١٣٣٤هـ - ١٩١٥م، المركز الوطني للوثائق، حضرموت.

(٢) وثيقة رقم ٥٩ لعام ١٣٣٥هـ - ١٩١٦م، المركز الوطني للوثائق، حضرموت.

الخاتمة

لقد خرج البحث بعدد من النتائج، أهمها:

- ♦ كان لبلاد الحجاز دور جوهري في الصراع الدائر في حضرموت، من خلال كونها حلقة وصل بين الحضارم المتنازعين على السلطة وبين العثمانيين.
- ♦ كان العلويون الحضارم هم الوقود والوسيط لتشكيل هذه القوات العثمانية والمجيء بهم إلى حضرموت؛ لما تربطهم بأشراف مكة المكرمة والسلاطين العثمانيين وأمرائهم في بلاد الحجاز من وشائج اجتماعية.
- ♦ فشل هذه الحملات العثمانية العسكرية على حضرموت كان نتيجة التلاحم والالتفاف الذي أبداه الطرف الياضي ضد القوى الأخرى المنافسة له.
- ♦ تبين مدى ترابط المصالح السياسية بين العثمانيين من جهة وأمراء الحجاز وبعض القوى السياسية الحضرمية.
- ♦ كان للصراع الدولي بين القوى المتصارعة في الحرب العالمية الأولى انعكاساته على المشهد السياسي الحضرمي.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق:

- ١ - وثائق عابدين، محافظ الحجاز، ١٢٥٥ هـ - محفظة رقم ٢٦٧، وثيقة رقم ٩٤ حمراء، مترجمة عن التركية، سر عسكر اليمن.
- ٢ - من وثائق الإرشيف العثماني، تصنيف ٣٩ / ١٦٢٤ IMMS
- ٣ - من وثائق الإرشيف العثماني، تصنيف ٦ / ٤ . PRK . TKM . Y
- ٤ - وثيقة رقم ٤٩ لعام ١٣٣٤ هـ - ١٩١٥ م، المركز الوطني للوثائق، حضرموت.
- ٥ - وثيقة رقم ٥٩ لعام ١٣٣٥ هـ - ١٩١٦ م، المركز الوطني للوثائق، حضرموت.

ثانياً: المصادر المطبوعة:

- ١ - رفعت، إبراهيم: مرآة الحرمين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦ م.
- ٢ - الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥، ١٩٨٠ م.
- ٣ - أنطونيوس، جورج: يقظة العرب، ترجمة: علي الركابي، مطبعة الترقى، دمشق، ١٩٦٤ م.
- ٤ - بامطرف، محمد عبد القادر:
- ♦ الشهداء السبعة، دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن، ط ٢، ١٩٨٣ م.
- ♦ في سبيل الحكم، دار حضرموت للدراسات والنشر، حضرموت، ط ١، ٢٠٠٨ م.
- ♦ الجامع، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ١٩٩٨ م.
- ٥ - باوزير، سعيد عوض، صفحات من التاريخ الحضرمي، المطبعة السلفية، القاهرة، ط ١، ١٣٧ هـ.
- ٦ - جارشلي، إسماعيل حقي: أشرف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني، ترجمة: خليل علي مراد، الدار العربية للموسوعات، ط ١، ٢٠٠٣ م.
- ٧ - جافن ر.ج، عدن تحت الحكم البريطاني ١٨٣٩ - ١٩٦٧ م، ترجمة: محمد محسن العمري، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠١٣ م.
- ٨ - عكاشة، محمد عبد الكريم: قيام السلطنة القيعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت ١٨٣٩ - ١٩١٨ م، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ١٩٨٥ م.



- ٩ - اليزيدي، ثابت صالح: الدولة الكثيرة الثانية في حضرموت ١٨٤٥ - ١٩١٩ م، دار الثقافة العربية بالشارقة ودار جامعة عدن، ط١، ٢٠٠٢ م.
- ١٠ - ابن حميد، سالم بن محمد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ٢٠٠٣ م.
- ١١ - رضوان، نبيل عبد الحي: الدولة العثمانية وغرب الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس ١٢٨٦ - ١٣٢٦ هـ / ١٨٦٩ - ١٩٠٨ م، دار تهامة للنشر، جدة، ط١، ١٩٨٣ م.
- ١٢ - عماد عبدالعزيز يوسف، الحجاز في العهد العثماني ١٨٧٦ / ١٩١٨، شركة الوراق للنشر، ط١، ٢٠١١ م.



الصراع على الحكم والتسلط وأثره في الحياة العامة بحضرموت في القرن الثالث عشر الهجري

صالح مبارك عصبان

مقدمة:

تعد المادة التاريخية للقرن الثالث عشر الهجري من أغزر وأوفر المراجع والمصادر مقارنةً بغيره من الحقب التاريخية، ويعود ذلك لما شهدته حضرموت من أحداث في الشأن السياسي وتأثيره في الحياة، وقد سجّل كثير من شهود تلك المرحلة مدوناتهم وحولياتهم التاريخية، ولن يجد الباحث مشقة في الحصول على معلومات جمة عن موضوع بحثه؛ إذ يستطيع جمع أطرافه والغوص في مظانّه ومقارنة مصادره، للخروج بنتائج تساعد على فهم مجريات تلك الأحداث التي استمرت عقوداً من الزمن أفضت إلى تغييرات جذرية في الساحة الحضرمية، وأعادت الحياة الطبيعية إلى شرايين البلاد بعد أن عصفت بها رياح الحروب والفتن.

وبالنظر إلى تلك المدّة يرى المرء غلبة قضية الصراع على الحكم والتسلط، على القضايا الأخرى، بل كان الصراع علامة بارزة في بحر تلك الأمواج المتلاطمة، وكان محركها الأساسي، فبمده وجزره تغيرت الأحوال، وتبدلت المواقف، وأزهقت الأرواح، وأتلفت الأموال، وتعطلت المصالح، وعبر هذا المخاض العسير وقسوته لاحت في الأفق إشارات مهدت لمرحلة جديدة تنفس فيها السكان الصعداء، وتفاءلوا بيوم جديد.

وفي هذه الورقة نحاول معرفة دوافع هذا الصراع، نتأمل ونربط بين الأسباب، لا نحاكم شخوصه، ولا نشر على أجنته، ولسنا في مقام التصويب أو التخطئة، بل

في مقام عرض تاريخ أصبح رموزه في ذمة الله، ويهمنا فيه تصرفات النفس البشرية التي تجنح بها الطموحات، وتتقاذفها الأهواء، وتقوى وتضعف، ونُخضع كل ذلك للنقاش الموضوعي الذي يؤدي إلى أخذ العبرة ومعرفة سنن الله في الكون بتعاقب الدول وتغير الأحوال، وكل ذلك يحتاج إلى قراءة ودراسة لما كُتِب، تنفض عنه غبار الإهمال، وتخرجه من زوايا النسيان.

وتتنظم الورقة في تمهيد ومبحثين، يتحدث الأول عن طبيعة الصراع، وعوامل تفاعلاته، ومواقف القوى المختلفة منه. ويستعرض المبحث الثاني الآثار المختلفة في الحياة العامة بحضرموت، وخاصة القضايا الاجتماعية والاقتصادية، وما أفرزه الصراع من معطيات وتغيّر في موازين القوى. وتنتهي الورقة بخاتمة.

تمهيد:

إن عدنا قليلاً إلى الوراء فسنجد أنَّ السمة التي ميزت القرن العاشر من الناحية السياسية في حضرموت هي سطوع نجم السلطان بدر بو طويرق (ت ٩٧٧هـ)، الذي دانت له أغلب المناطق، وفي عصره أدخل الأتراك آلة حرية كان لها دوي عظيم، وضربت باسمه النقود، وكثر تردد الطامعين من الداخل والخارج الذين نازعوه الحكم، فغزا البرتغاليون الشحر، وبوفاته تناوشت السلطنة الخطوب والأزمات السياسية، وصراع الإخوة، ويتدخل أئمة صنعاء في القرن الحادي عشر، ويدخل السلاطين في عهد ولاء لهم، وفي نهاية هذه الحلقة ينقسم بيت الحكم على قسمين، يحالف الأول الأئمة، ويتحرك الثاني في مسار الاستنجد بعنصر ثالث، إذ قدمت جنود يافع ليرجحوا كفة أحد الطرفين، وتضطرب الأمور، وتبرز تحالفات جديدة، ويأفل نجم الدولة الكثيرية في عهد السلطان جعفر بن عمر بن جعفر الكثيري، «ويتوسط القرن الثاني عشر وقد فرغ الناس من دفن الدولة الكثيرية الأولى، وأخذوا ينظرون إلى ما قد سد الأفق من غيوم الفوضى والاستبداد والظلم والجور واندفاع القوى المسيطرة وراء أغراضها اندفاعاً لا يردعه رادع ولا يزعزعه وازع»^(١).

(١) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، ص ١٤١.

وورث الطوائف اليافعية وبعض القبائل الحضرمية تلك التركة المقطّعة الأوصال، فتاهت في المجهول بلا هدف ولا نظام، تقودها شهوة التسلط والتسابق على إشباع رغباتها في التحكم في الرعية، والحصول على الأموال ووسائل المعيشة، مع تساهلها في أية التزامات تحفظ أرواح الناس وأموالهم، وتكونت كيانات هشة في مدن وقرى حضرموت، ودور سياسي واجتماعي (للحوط)، مما دعا المؤرخ محمد بن هاشم إلى وصف تلك المرحلة بمرحلة (سلطات الطوائف)، فهي في نظره لا تحتاج إلى وصفها بـ (دولة)، وتخضبت أعوام القرن الثالث عشر بالدماء؛ نتيجة للصراع المحتدم بين تلك الطوائف، وحلت الفوضى السياسية والتلاعب بأرواح المواطنين، ويمتد هذا الدور الذي يصفه البعض بـ (الدور القبلي) إلى نهاية القرن الثالث عشر، إذ استرسلت القبائل المسلحة في الحروب والفوضى، وحُشدت العشائر والقبائل لأقطاب أساسية تتركز في ثلاث شخصيات هي: عمر بن عوض القعيطي، وغالب بن محسن الكثيري، وعبدالله بن علي العولقي، وتحولت الصراعات من صراع لأجل الثأر والغارات إلى صراع هدفه السلطة والملك^(١)، وتبرز شخصيات أخرى لا تقل أهمية عن تلك الرموز، وهي شخصيات الكسادي وآل بريك والعمودي وغيرهم، وتؤدي مكونات قبلية أخرى أدوارًا مساعدة - إن صحَّ التعبير - في أتون المعارك والفتن، مع الحصول على مكاسب وخسائر متعددة.

ومن جانب آخر مرت الأوضاع السياسية في بداية القرن الثالث عشر الهجري بمرحلة اضطراب وعدم استقرار، وتمزقت أسر الحكم في ساحل ووادي حضرموت، وقسمت المدن بينها، وتلونت خارطة النفوذ تبعًا للقوة بعد ضعف القوة الكثيرة وانفراط عقدها، وسرى التمزق إلى الحلقات الأدنى (القبيلة، الفخيدة)، ولم يعد يجمعها جامع في ظل البحث عن حليف يساعد على صد هجمات الغزاة والمُغيرين،

(١) انظر ابن هاشم، المصدر السابق ١٤١، بامطرف، في سبيل الحكم، ١٣، محمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، ٢/ ٣٣٧، ٤٠٣.

وعدم الشوكة المركزية، وتقلص التعايش السلمي وسلطة الأب الأكبر الذي يعود إليه الأمر، ويكون لحكمه نفوذ ولكلمته صدًى، لهذا «تجد كل قبيلة منقسمة على نفسها إلى فخائد وأسر متطاحنة، وتتصارع داخل مئاويها ومبانيها، وتظلم العزل من المواطنين - الذين يقيمون بينهم ويسمونهم (الرعايا) - ظلماً، يبلغ بالبعض منهم إلى درجة ترويع النساء والأطفال وبيع الأحرار واختطافهم ونهب الأموال وقطع الطرق وإتلاف النخيل وقتل الأبرياء»^(١). ولا شك أن كثيراً من تلك الممارسات اضطرت الناس إليها اضطراراً بعد غياب حاكم يحمي أعراض الناس، وسرعان ما انتشرت ظواهر القتل بين المتحاربين، وعمليات النهب، وساعدت تجار الحروب على إذكاء تلك الفتنة، ورفعت طموحات الساسة من منسوبها، وهي مرحلة لا تختلف كثيراً عن بعض العهود التي سفكت فيها الدماء، «وإنه لمن المثير للاهتمام أن يشهد الإقليم الحضرمي - على ما فيه من جفاف وفقر وقلة سكان - ذلك الاختصاص الذي تميز بالحروب الطاحنة التي دارت في كافة أدوار التاريخ»، ويتساءل المؤرخ بامطرف قائلاً: «هل يُقتل البشر على وجه البسيطة لمجرد نزوة الاقتتال؟ وهل الاستيلاء على السلطة مجرد السلطة الغير مفضية إلى الحصول على طائل من ثروة أو رفعة من جاه، يدفع إلى المغامرات الدموية؟»^(٢).

وعلى أي حال فقد آلت الأمور إلى ظهور بؤر الصراع التي تركزت في المدن وهي التي شهدت المعارك وعمليات الكر والفر وبيعها وشراءها، وتعرض سكانها لأنواع من البؤس والحصار بل إلى التهجير، وعانت المناطق المحيطة بها من ويلات الحروب، ولم تسلم هي الأخرى من بناء التحصينات ووضع نقاط الحراسة، وشهدت مزارعها عمليات نهب وإتلاف.

(١) أبحاث لعدد من المستشرقين والأكاديميين، الشتات الحضرمي، ص ٦٣، وانظر الشاطري، الأدوار، مصدر سابق ٣٣٩/٢.

(٢) بامطرف، في سبيل الحكم، مصدر سابق ص ١٥.

ونتيجة لهذه الصورة التي رسمناها للحالة السائدة؛ تأثرت الحياة العامة بحضرموت بدءاً من غياب الدولة والحاكم الذي يقيم العدل وينظم الحياة، وموراً بالوضع الاقتصادي الذي عانى الكساد والجمود، وخاصة ركنه الأساسي (الزراعة)، التي يتم تعطيل وسائل إنتاجها أو تخريب أدواتها، ويتعرض النخيل والزرع للقطع، أمّا التجارة فتسوء حالتها أحياناً لعدم الطرق الآمنة، وفي الجانب الاجتماعي تشتت الكيانات السكنية بفعل الهجرة والتهجير، فضلاً عما يُصيب الناس من هلع وخوف، وفرضت الضرائب والأتاوات من قبل صاحب السلطة هنا وهناك، وأفترزت الحرب هيمنة القوة التي علا صوتها، ولم يُسمع لصوت العقل ونصح الناصحين إلا فيما ندر، ومع هذا لم يغب دور الناصحين ومساعي أهل الخير ممن أرادوا أن يعم السلام ويعيش الناس في أمان.

المبحث الأول: الصراع على الحكم - طبيعة القوى المتصارعة وعوامل التأثير

أولاً: خارطة الصراع ومراكز القوة:

لما لبعض المدن الحضرمية من إرث تاريخي وموقع مهم؛ اتخذها الحكام على مر الأزمان مراكز لتحركاتهم، وشيدوا فيها مباني الحكم وحصون وقلاع الدفاع، وبنيت فيها دور العلم، ولهذا كانت مناطق يتسابق عليها طلاب الحكم والسيطرة، ولا بأس أن نورد هنا مثلاً يشهد على تمدد حركة الصراعات على طول حضرموت وعرضها في أزمنة مختلفة، ففي ولاية عبدالله بن راشد (ت ٦١٦هـ) الذي حاول أن يضرب على أيدي العابثين بالأمن، فاحتل شبام، وقصد ساحل حضرموت سنة ٥٥٩هـ، وحاصر الشحر، «وانتفضت نهد وبنو حارثة وحضرموت وتجب، وحصلت حوادث قتل وتخريب في سيئون وجفل وشبام وغيرها من مدن الوادي وقراه، وحوصرت تريم، وشق راشد بن أحمد وفهر بن عبدالله عصا الطاعة، وعاثا فساداً في أراضي صوح

بالقرب من تريم»^(١). وكأن التاريخ يعيد نفسه في القرن الثالث عشر الهجري! إذ أصبحت مدن حضرموت وقرائها مسرحاً لعمليات من امتلك السلاح.

وكانت الشحر والمكلا من أهم المدن الساحلية في عملية الصراع، وتليهما غيل باوزير، ثم بروم وقرى وبلدات أخرى، أما في الوادي فإن الخارطة تتسع لتشمل بالإضافة إلى المدن الرئيسة (شباب وتريم وسيئون ودوعن) مناطق وقرى كان لها دور كبير في خطي الهجوم والدفاع وبناء التحصينات (من الأكوات والقلاع والحصون)، كما كانت القبائل المحيطة بها مصدرًا بشريًا للحرب.

ولعل أهم الأسباب التي هيأت تلك المدن لهذا الدور وجود القرى الرئيسة ممن جمعتهم العصبية لبناء كيانات تمارس الأمر والنهي وتتحكم في شئون مناطق نفوذها، مع عدم تجاهل المفتاح الرئيس لهذا كله، ألا وهو الصراع الكثيري اليافعي الذي يلخص عشرات الأعوام من التناحر، ولم يحسم إلا بعامل خارجي تم الارتقاء في حضنه، «وبما أن الفريقين درجوا تحت سماء حضرموت، وتنفسوا هواءها، وأصابوا من خيراتها ما أصابوا، وتحملوا من مشاقها ما تحملوا؛ فإن السنين القليلة أو الكثيرة التي باعدت بين القدوم الشنفرى والقدوم اليافعي إلى حضرموت ليست ممّا يرجح كفة التاريخ لصالح تلك الفئة أو تلك»^(٢).

والمتتبع لثوران (الفتن) يرى انتقالها من مكان لآخر، فتتوسع في منطقة، ثم تنحسر، لتشتعل في أخرى فينجذب لها المتحالفون، وبقدومهم تجري الاستعدادات ومتطلبات الالتحام وعناصر وأدوات الصد، ويتهيا المجتمع لضبط حياته وفقاً ومستجدات الأحداث.

وهكذا نرى أن الطوائف اليافعية توزعت في المدن، فانفردوا بالأمر في تريم وسيئون وشباب وملحقاتها، وفي الشحر والمكلا، وتقاسمت المدينة الواحدة بينها، ففي تريم

(١) سعيد باوزير، صفحات من التاريخ الحضرمي، ص ٧٨.

(٢) بامطرف، مصدر سابق ص ١٨.

مثلاً ثلاث سلطات (آل غرامة، وآل عبدالقادر، وآل همام)، وفي سيئون آل الضبي، وفي تريس بنو النقيب، وبنو بكر بمريمة، وفي شبام الموسطة، وآل بريك في الشحر، وآل كساد في المكلا، واستقلت بعض القبائل الحضرمية بمناطق متعددة، مثل ابن يمانى التميمي في منطقة قَسَم، وقبائل أخرى من تميم في قرى مختلفة، وفي دوعن العمودي، وغير ذلك من النفوذ القبلي.

وقد حاول جعفر بن علي الكثيري إحياء الدولة الكثيرية سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، فاستولى على شبام، ولم يفلح في الاستيلاء على سيئون أو تريم، وبوفاته (سنة ١٣٢٣هـ) تعثرت المحاولة، ثم قام حكم أسرة عيسى بن بدر الكثيري سنة ١٢٣٩هـ، ودخلت الأحلام الكثيرية مرحلة عصيبة.

وظهرت التحالفات كضرورة اقتضاها تفاوت القوة، وتضارب المصالح، واللهث وراء المغانم، ومحاولة إصلاح الأوضاع، كما هو في حلف عمر بن جعفر الكثيري وآل علي جابر اليافيين وآل عبدالعزيز الذين استطاعوا إلى حد ما إعادة الطمأنينة للناس^(١). وحين ننظر إلى ملف التحالفات طيلة تلك المرحلة نراها تخضع لتبدل المواقف، وتتم أحياناً بين قبائل خارج إطار القطبين الرئيسيين، وتكون شاملة في ظروف أخرى، لتكون جبهة عريضة لتحقيق هدف كبير، كما حصل في هجوم آل كثير وقبائل العوامر وآل باجري وآل جابر والحموم سنة ١٢٦٤هـ على سيئون، وتحالف القعيطي والكسادي لاستعادة الشحر سنة ١٢٨٣هـ، وهناك تحالفات وقتية ذات أهداف قصيرة المدى، منها تحالف السلطان الكثيري منصور بن عمر بن جعفر الكثيري مع الجمعدار عوض بن عمر القعيطي سنة ١٢٧٣هـ، وتحالف يافع مع آل تميم والمناهيل للاستيلاء على أجزاء من تريم ١٢٧٥هـ، وغيرها^(٢).

(١) انظر صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي ص ١١٦، ابن هاشم، مصدر سابق، ص ١٤١، ١٥٣، ١٥٤، بامطرف، مصدر سابق، ص ١٤.

(٢) باوزير، مصدر سابق ص ١٨٤، بامطرف، مصدر سابق ١٦، ٤٢، ابن هاشم، مصدر سابق ٢١٣.

ويتم التصالح وكتابة العهود والمواثيق وإقامة هدنة بين الأطراف إما لمساعٍ يقوم بها العلماء والوجهاء، وإما لالتقاط الأنفاس، والتخفيف من مشقة الحرب، ومن ذلك: الصلح بين الدولة الكثيرية وقبائلها في ربيع الأول سنة ١٢٨٧هـ، وبين آل تميم والعوامر سنة ١٢٧٤هـ، ومكاتبات المقدّم ابن يمانى لآل بريك والكسادي وأهل القطن بالصلح الذي حصل بينه وبين السلطان غالب بن محسن الكثيري في ربيع الآخر سنة ١٢٧٤هـ، ليدخلوا في (صلح المسندة) الشهير في جمادى الأولى ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م، وبين القعيطي وحلفائه وآل تميم والمناهيل من جهة، وآل كثير ومن في صفهم من جهة أخرى، الذي أنهى سبع سنين من الحرب في مدينة تريم^(١).

وبهدف إيجاد مراكز انطلاق وتوسع؛ عمدوا إلى شراء المدن والقرى تارةً، إما بالترغيب بالأموال، وإما تحت الضغوط والقوة، وتارةً يعمدون إلى اقتسام المدينة مناصفة، وهذا كله يدل على الوضع الذي وصلت إليه الجغرافيا الحضرمية من تقطيع لأوصالها أدّى إلى تأخرها ومحاصرتها وسوء أحوال سكانها، ولعلّ أشهر الأمثلة على ذلك شراء السلطان غالب بن محسن الكثيري لمنطقة الغُرف سنة ١٢٦١هـ من القرامصة التميميين، وقيامه ببناء دور بها؛ تمهيداً للمناوشة يافع، وبوصول عبود بن سالم من الهند اشترى حصن بن مطهر، وفي سنة ١٢٦٢هـ اشترى آل كثير نصف بلدة تريم من عبدالقوي غرامة، وكانت فاتحة زواله من تريم، ومن ذلك أيضاً شراء نصف منطقة الخليف بتريم لآل عبدالله من آل همام سنة ١٢٦١هـ، وشراء منطقة الحزم بغيل باوزير من قبل الأمير عبدالله بن علي العولقي سنة ١٢٦١هـ؛ ردّاً على شراء الغُرف من قبل آل كثير، وفي عام ١٢٧٢هـ باع آل عمر بن جعفر من عائلة آل عيسى بن بدر الكثيري بلدة حورة وحصونها ومراكزها للقعيطي، في حمى التنافس مع الكثيري على شراء المناطق، كما تم الاتفاق بين منصور بن عمر الكثيري والقعيطي على صلح تقسيم شبام

(١) سالم الكندي (ابن حميد)، تاريخ حضرموت، ص ١٦٣/ ٢، ٣٠٥، بامطرف، مصدر سابق ص ١٠٠.

بينهما نصفين، وذلك سنة ١٢٧٥هـ، وفي عام ١٢٩٤هـ تنازل النقيب صلاح بن أحمد الكسادي عن نصف المكلا وجميع بروم والحرشيات للقعيطي مقابل مال^(١).

وعموماً فقد اشترى ممثلون لآل عبدالله الكثيري والقعيطي بضعة قرى محيطة بشبام وتريم وسيئون، «وحاولت كلتا الأسرتين السيطرة على المواقع الإستراتيجية والاقتصادية الهامة في المنطقة، وقد نشأ صراع طويل ومريع من أجل السلطة تم في غرضونه تقسيم البلاد برمتها بين تلك الأسرتين»^(٢).

وتنشأ الحروب بين القبيلة الواحدة أو فرع منها مع قبيلة أخرى، إذ (تثور الفتنة) - كما يُعبّر عنها - لأتفه الأسباب، وحروب أخرى أكثر حجماً، ومنها حروب غرامة وآل كثير ١٢٦٣هـ، وحرب النخيل بين فخاخذ من آل كثير ويافع سنة ١٢٦٩هـ، ووقعة المجف بين آل غرامة والدولة (آل كثير) ١٢٦٣هـ، وحرب المسندة بين آل تميم وآل كثير سنة ١٢٧٢هـ، وحرب بين العمودي والكسادي سنة ١٢٨٦هـ بعد خلاف بين العموديين أنفسهم، ومعركة البقرين بين آل كثير والكسادي ١٢٨٣هـ، ومعركة المشراف في ساحل حضرموت سنة ١٢٩٣هـ بين الحلف الثلاثي (الكسادي والكثيري والعولقي) من جهة، والقعيطي ومعه آل بريك من جهة أخرى^(٣).

ويحدث في نهاية هذه المواجهات تغيير في خارطة مناطق السباق، ففي رمضان ١٢٥٥هـ أجلى منصور بن عمر الكثيري قبائل الموسطة اليافعية من شبام، وفي شرق الوادي بدأ السلطان غالب بن محسن يتوسع، وبالمقابل أجلى عمر بن عوض القعيطي آل كثير من قري بالقرب من القطن، وخطط آل كثير لاحقاً لغزو ساحل حضرموت، وفي عام ١٢٧٢هـ استطاع مهاجمو يافع تهديد شبام^(٤)، وهكذا عبّر المؤرخ ابن حميد

(١) ابن حميد، المصدر السابق، ١/ ٣٣٣٤، ٣٤٠، ٣٤٣، البكري، مصدر سابق ١/ ١٢٣، بامطرف، مصدر سابق ص ١٤.

(٢) الشتات الحضرمي، مصدر سابق ص ٦٢، ٦٣.

(٣) باوزير، مصدر سابق ص ١٥، ١٨٤، ٢٠٨، ١٦٦، وانظر عبد الرحمن السقاف (ابن عبيد الله)، إدام القوت ص ٥٤٥.

(٤) باوزير، مصدر سابق، ٢٠٥، ٢٠٧.

الكندي عن هذه الدوامة قائلاً: «والحاصل أن حضرموت لا تزال مربوثة أعلاها وأسفلها، كلما خمدت فتنة من جانب ووهدت ثارت في الجانب الآخر»^(١)، وكما في أي حرب فإن المساوى والتصرفات الهمجية تفرض نفسها مع ازدياد الخصومات وكثرة الدماء والانتقامات والثأر، فيتم التنكيل بالمهزوم، وقطع الرؤوس، والرمي العشوائي على البيوت، مما يسبب ضحايا ممن لا ناقة لهم ولا جمل في تلك الحروب، ويحدث أن يلجأ الجند إلى بيوت الأهالي يتخذونها متاريس، فيعود الضرب عليهم، وتهدم تلك البيوت^(٢).

ومن القضايا التي انتشرت في أثناء الحروب نظام (الرهائن)، إذ يضع الفريقان رجالاً، أو التعديل بالأبناء ووضعهم في السجن؛ لضمان تنفيذ العهد والاتفاق^(٣). أما النهايات التي أفضت إليها الصراعات فكانت بزوال دويلات وطوائف، وضعف قبائل أخرى، وإزهاق الأرواح، وإنفاق الأموال، وتعطل المصالح العامة، وهي أحداث تدعو للاعتبار من نزوات التسلط والاحتكام للسلاح والقوة لإشباع رغبات وتحقيق آمنيات كان يمكن أن تحقق بوسائل أخرى.

ثانياً: عوامل التأثير:

دارت رحى الحرب على التراب الحضرمي، واكتوى بنيرانها الجميع، وانخرط حملة السلاح يساندون هذا ويخذلون ذاك، وكان لبعض العوامل دور في بدء الحرب واستمراريتها، نعرضها كما يأتي:

١ - المال والتمويل:

(١) ابن حميد، مصدر سابق ٢/ ٣٠٠.

(٢) ابن حميد، مصدر سابق ٢/ ٤١، ٤٢، ١٤٠.

(٣) ابن حميد، المصدر السابق ٢/ ٣١٤، ٣٣٩، ٣٦٨.

وهو المحرك الأساسي للحرب، ووجد زعماء الحروب ضالّتهم في الهند حيث أموالهم التي كَوَّنوها، «والعنصر المثير للاهتمام في هذا الصراع كان اعتماد كافة الأطراف على التحويلات والسلاح والعتاد والمرتقة والغذاء إلى حضرموت؛ بسبب شحة المصادر في البلاد نفسها، فقد ساهم في ذلك المهاجرون في سنغافورا وجاوا وحيدر أباد وشرق إفريقيا والحجاز»^(١)، وجزء من الأموال التي تدفقت حاولوا بها إحلال الأمن والسلام وإقامة دولة بحضرموت مقرونة بطموحات سياسية للقضاء على الكيانات الهزيلة، وفي ساحل حضرموت كانت الموانئ مصدرًا من مصادر التمويل، ومن المصادر الداخلية فرض الضرائب والاستيلاء على أموال الوقف، وقد استخدمت تلك الأموال بصورة رئيسة في تموين المعارك، ودفع أجور الجنود، وجلب المحاربين من خارج حضرموت، وبناء الحصون والدفاعات، والنفقة على السلاطين والأمراء والحاشية وشراء العبيد.

٢ - العنصر الخارجي:

ونعني بهم القادمين من خارج حضرموت، وهما قسمان: القسم الأول ويعملون غالبًا خبراء في إصلاح الأسلحة، ويجلبون من الهند وتركيا والحديدة وغيرها، أما القسم الثاني فيُستأجرون ليُحاربوا نظير مبلغ من المال، وتصل أعدادهم إلى المئات، وتتركز مناطق استقدامهم في ما يُطلق عليه ابنُ حميد (قبائل القبلة) ولا سيما ذو حسين ودهم والعوالق، بالإضافة لمناطق يافع^(٢)، والعجيب أنّهم يتحولون من جهة إلى أخرى حسب ما يُعطى لهم من الدراهم والغذاء، ولم تسلم المزارع والنخيل من غاراتهم وهجماتهم حينما ينفد ما لديهم من زاد.

٣ - تجارة الرقيق:

(١) الشتات الحضرمي، ص ٦٧.

(٢) ابن حميد، مصدر سابق ٢/٦، ٤١، ٣٥، ٥٣، ٥٨.

أوجدت تجارة الرقيق وقودًا رخيصًا للحروب، ونشطت عمليات الشراء في الحجاز وتركيا وإفريقيا، و«وفرت علاقات تجارة الرقيق مع شرق إفريقيا للحضارم إحدى وسائل تجارة البحر الأحمر في عشرينيات القرن التاسع عشر، فأبحرت السفن من المكلا وموانئ حضرية أخرى إلى زنجبار لغرض جلب شحنات العبيد يَبِعُ بعضهم في حضرموت ... وفي الفترة ما بين (١٨٥٠ - ١٨٨٠م) عمل ميناء المكلا والشحر كمحطات توزيع - احتلت قدرًا من الأهمية - للعبيد لمختلف الموانئ العربية، وكذلك عساكر عبيد للحروب المستمرة بين القعيطي والكثيري»^(١)، وتُطلق عليهم تسميات حسب مصدر قدومهم فيقال: (عبيد سواحلية)، (عبيد نوبة)، (عبيد ممالك)، ومع طول سنوات الحرب أصبح للقبائل والأفراد عبيد يتم توزيعهم على جبهات القتال، وكان لبعض الأفراد دور في العمل وسطاء للشراء أو السفر بهم. يقول المؤرخ ابن حميد في تاريخه: «والسلطان غالب ذكر لأخيه عبدالله أنه قد صدر مع السيد علي بن عمر محضار العيدروس دراهم لأخذ عبيد من جهة اليمن والشام». وفي موضع آخر يقول: «وذكر أيضًا أنه با يصدر دراهم إلى بندر الحديدية لأجل أخذ عبيد نوبة مع أناس من أصحابه على نظر السيد سعيد بن سلطان صاحب مسكت»^(٢). ويتكرر اسم علي بن عمر محضار العيدروس، وابن جراب، وصاحب مسقط، عدة مرات في عمليات شراء العبيد، يقول ابن حميد: «وبلغنا أن السيد علي بن عمر بن محضار العيدروس وعبدالرحيم بن جراب نفذا إلى أرض السواحل من بندر منبي؛ لأخذ عبيد للسلطان غالب»^(٣). وحتى في رحلة العودة من الحج يصطحب البعض معه عبيدًا، ويتم الإهداء للوجهاء والزعامات القبلية، وما أسهل ما يُقتل العبيد وتؤخذ أسلحتهم! وأصبح امتلاك العبيد لازمة من لوازم التسلط والظهور، «ففي شهر ذي الحجة ١٢٦٩ هـ نفذ السلطان علي بن أحمد من بلد سيئون مراده الهند وحيدر آباد، ويقول إن

(١) الشتات الحضرمي، ص ٣٤٧، ٣٤٨.

(٢) ابن حميد، ١٨/٢، ٦٢.

(٣) انظر المصدر السابق، ٢/ ٧٤، ٨٦، ١١٣، ١٢١.

نَيْتَه الفتح على السلطان المعان غالب بن محسن بثلاث خصال؛ أحدها تحريضه على أخذ الأرقاء دائماً لحتى يكونوا عدداً كثيراً^(١).

وسيكون لهذا العدد الوافر آثاره في السنوات التالية، إذ أصبح رافداً قوياً للقوة العسكرية للسلطتين الناشئتين (الكثيرة والقعيطية)، وتحوّل العبيد إلى مخدمين لبعض الأسر والعوائل، وتدخل الاستعمار البريطاني وعوامل أخرى منع الاتجار بالرق.

ثالثاً: مواقف تجاه الأحداث:

حيرت الأحداث الناس، ولم تمنع الضبابية والغموض وشدة الصراع من تحديد المواقف، والاصطفاف مع أو ضد أحد الفريقين تبعاً للمصلحة العامة، أو البحث عن سبل لإنهاء الصراعات وإقامة الشرع والعدل، أو لتحقيق مصالح خاصة، ويمكن رصد ثلاثة مواقف فرضت نفسها.

١ - المناصب والحوط:

للمناصب والحوط حضور في جزء من تاريخ حضرموت، وكانت عبارة عن سلطات الأمر الواقع في ظروف معينة، والحوطة: «هو الموضع الذي يختطه المنصب أو أحد المعتقدين ويحوطه، ويعلن بأنه أصبح حرماً آمناً على الدوام، لا يمكن فيه قتل ولا قتال، ولا نهب ولا ظلم بين القبائل ولا السلاطين، فيستجيبون ويتعهدون بذلك، ومن دخله صار آمناً؛ لأنه في حمى مؤسسه مختطه». أما المناصب ف«جمع منصّب، وهو المرجع في الأمور العامة والمشاكل الاجتماعية»^(٢)، وتنتقل (المنصبية) بالوراثة، وتُعطى للحوط صفات القدسيّة لأداء دورها الديني والاجتماعي باعتبارها مقرأ لرفات الولي، وتزداد قيمتها كلما كانت كرامات الولي وخوارقه ذائعة ومنتشرة بين عامة الناس، وللمناصب سطوة وضبط للأمور واستضافة للضيوف والتدخل لوقف

(١) المصدر السابق، ١١٦/٢.

(٢) الشاطري، مصدر سابق ٢/٢٩١، ٢٨٧.

الفتن القبليّة^(١)، وهي أحد مظاهر الجاه والظهور، فقد كان لبعضهم مراسم تبرز كيانه وتعلي من شأنهم، فتضرب لهم (الطيات) تحت ظلال الأعلام والبيارق في الأعياد والمناسبات، مصحوبة بالألعاب الشعبية (كالرزيح والخابة ونعيش البقارة) من قبل رعاياهم، ويحق لهم فرض العقوبات على من خالف أوامرهم، سواء بالنفي خارج الحوطة أم منعه من العمل مدة محددة، أم الضرب، ويبرر الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري نشأة ووجود هذه المسميات، فيقول: «وطبيعة حضرموت وظروفها من شأنها أن توجد فيها هذه المؤسسات العظيمة النفع، ولهذا توجد روابط وثيقة بين هؤلاء المناصب الذين يتمتعون بالوجاهة وحسن العقيدة فيهم، - وهو ما يسميه البعض بالنفوذ القبلي الروحي - والقبائل المتسلحة، ولهم نفوذ عليهم في حدود معينة، كما أن لبعض المناصب نفوذاً وسلطة على مواطنيهم، فترى النفوذ القبلي والنفوذ الديني أو الروحي - كما يسميه البعض - يمشيان جنباً إلى جنب في تلك الأزمان»^(٢)، وأنه لا ينجو من جرائم القتل والنهب إلا من اعتصم بإحدى الحوط، وهذه هي بعينها أدوات الحكم، حيث الجمع بين الغطاء الروحي (الفكر) والقوة.

وترتبط الحوط بأسر معينة يأتي في مقدمتها العلويون، وتلحق بهم أسر أخرى، أمّا باقي أفراد المجتمع فلا حوط لهم؛ لعدم امتلاكهم الشوكة والعلم والجاه، وقد أدت الحوط دوراً في الصراع كوسيط، وكانت ملاذاً آمناً للنازحين، وكهفاً للاجئين، كما تصورها منظومة الهيمنة الفكرية. والمناصب هم أيضاً - حسب رأي المؤرخ محمد بن هاشم - إحدى ركائز الإصلاح بين المتحاربين وكبح جماح أهوائهم، ويتم استرضائهم والذهاب إلى أماكنهم، ويتوجهون وقت الأزمات وحصول الضرر على القرى إلى حملة السلاح فيما يسمى (النكف)، يطالبونهم بدعم (الدولة) ضد

(١) انظر (المقصد في زيارة المشهد)، عبد العزيز جعفر بن عقيل، مجلة (آفاق)، ص ٢٨، ٢٩، ٣٥

مارس ١٩٨٧م، اتحاد الأدباء، المكلا.

(٢) الشاطري، مصدر سابق، ٢٢٩٠.

خصومها، ففي شوال ١٢٦٨ هـ وصل مناصب ثبي وتاربة وبور إلى سيئون (للكف) على آل كثير الشنافر بتركهم معاونة الدولة^(١).

وتؤدي المنصب والحوطة دور (الحاكم) في وسط محدود، خصوماته بسيطة، وبين أسرهِ روابط عائلية، وأفراد يمكن السيطرة عليهم، و«مفهوم ابن خلدون عن العصبية يمكن أن يكون ذا فائدة عند محاولة إيجاد فهم أفضل لدور الحوطة في القيام بدور الوساطة إذا ما نشبت صراعات بين القبائل المختلفة، وكذلك الحفاظ على السلام، إن فاعلية الحوطة نشأ جزئياً عن نسب السادة الذين يسرون أمور الحوطة»^(٢)، وتحظى قدسيته فيما يعده ابن حميد (منقبة) لتخفيف الشدائد، فيقول وهو يصف حالة بيت انهدم على أناس مات نصفهم ولم يمت النصف الآخر: «لأنها حوطة محل سلف»^(٣)، حسب تعبيره.

ونشط العلويون عبر هذين المسميين (المناصب والحوط)، ولكي نفهم أحد الأسباب الرئيسة لمواقف العلويين باعتبارهم أصحاب النفوذ الروحي، حسب وصف المؤرخ الشاطري كما تقدم، ونثبت هنا كلاماً للمؤرخ محمد بن هاشم يبين جزءاً من حقيقة مواقفهم، إذ يقول: «وإنما أخرج السادة العلويين من عزلتهم إلى المعترك السياسي، وحملهم على نبذ تقاليدهم القائلة بوجوب ابتعادهم عن التدخل في شئون السلطات وتنازعها، هو ضجيج الوطن وعجيجه من عظيم ما يقاسي من الاضطرابات والفتن، وما يكابده قاطنوه من الضيم والقهر، ومن انعدام القوة الحاكمة التي تخضع لها البلاد سواء اتصفت بالعدل أو الجور»^(٤). وهي مبادرة ترجمت عبر سعيهم في الإصلاح، سواء بين القبائل المسلحة أم بين سلاطين الدولتين، والمناداة بإقامة الشرع وأحكامه، كما حصل من الفقيه الحسن بن صالح البحر، من وضع مشروع لهذا الأمر،

(١) ابن هاشم، مصدر سابق، ١٤٢، ابن حميد، مصدر سابق ٣٩/٢، ٩٦.

(٢) الشتات الحضرمي، ص ٤٧.

(٣) ابن حميد، مصدر سابق، ٨٤/٢.

(٤) ابن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرة، مصدر سابق ص ١٤٣.

وعدد من المبادرات الأخرى التي غرضها حقن الدماء، وحفظ الأعراض، والرفاة بالرقية، ورد المظالم، وتأمين طرق الحجاج، ومعاينة الظلمة وأهل الجور^(١).

وكانوا مستشاري الأمراء والسلاطين الذين كانوا غالباً لا يصدرن أمراً أو يوردونه إلا بالرجوع إليهم، «ففي جمادى الآخرة ١٢٧٠ هـ وصل كتاب من السلطان غالب بن محسن الكثيري لبعض وجهاء العلويين في سيئون، يستشيرهم في أن يبقى في الهند أو يسافر إلى الشام (الحجاز)، أو الذهاب إلى العثمانيين، أو الخروج إلى حضرموت، فأشاروا عليه بالخروج إلى حضرموت»، وكان هذا السلطان يعتقد فيهم، ويتعلق بهم أيما تعلق، حتى قال في معرض التأكيد على كلامه: «إني أيقنت بالهلاك، ولكن إذا داهمني أمر حملت معي خطوط الحبايب العلويين الذي تأتيني منهم من الجهة الحضرمية، وهي ما تزيد على مائة وعشرين خطاً، وأقول في نفسي: حاشا لله أن تلتطخ كتب الحبايب بالدماء، فصرت أنى توجهت إلى أمر وهي معي قضي بإذن الله تعالى وبركة أهل البيت النبوي»^(٢)، بل يدعونهم إلى اللجوء إليهم، ففي كتاب من الفقيه البحر أيضاً، قال فيه بعد مناصحة وبيان وتخويفه بالله على ما تركت تحت نظره من مظالم: «وقد جعل الله معكم وعندكم مَنْ حاز الكرامتين، شرف النسب وشرف العلم، فعظموهم وأجلوهم، وأما النسب فقد قال الله تعالى لرسوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾، وقال ﷺ: (إني تارك فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا، أحدهما أعظم من الآخر، وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما) أخرجه الترمذي»^(٣).

ولهم اتصالات خارجية بمحمد علي باشا في مصر وإمام اليمن، وأهم اتصال كان استعانتهم بالدولة التركية في سنة ١٢٦٦ هـ؛ لتجهيز حملة للاستيلاء على الشحر، لتأمين إمداد آل كثير من الساحل، والتي تُعرف بحملة إسحاق بن يحيى العلوي،

(١) انظر ابن حميد، مصدر سابق، ٩٦/٢، ١٥٨، ١٦٠، ١٨٨، ٣٧٢.

(٢) ابن حميد، ١٣٦/٢، ١٥٤.

(٣) المصدر السابق، ١٢٧/٢.

وشكّل العلويون لجنةً منهم لمقابلته حين وصوله، ومن مواقفهم الهجرة من المدن التي أنهكتها المعارك والضرائب إلى قرى وحوط، معلّنين احتجاجهم^(١).

ولا يمكن التسليم بما أورده بعضهم من أن العلويين لم يكن في نيتهم إقامة دولة علوية، أو أن تحركاتهم بعيدة عن الأغراض السياسية، مع الأخذ بعين الاعتبار أنها ترمي في ضمن أمور أخرى إلى الإصلاح الاجتماعي، إذ «بدأت حركة السادة المرموقين من مدن سيئون وتريم وشبام إلى القرى المجاورة، أتت هذه الحركة احتجاجاً على الظروف الاجتماعية السياسية في تلك المدن، كما أنّها وجدت دافعاً من التهديدات الموجهة ضد سلامة السادة من قبل الحكام المحليين، أخيراً بلغت هجرة السادة ذروتها بقيام عدة انتفاضات غير ناضجة ضد الأسر اليافعية الحاكمة بدعم من قيادات قبلية قوية»^(٢). وهو يؤكد اتصال أصحاب الطموح السياسي منهم بالقوى القبلية والقوى الأجنبية، مع وجود الآمال بتجديد الحكم الكثيري وتطبيق القانون «بعد إعطاء الصفة الشرعية لحكم آل عبدالله الكثيري على المنطقة برمتها، وذلك عن طريق جمع التقاليد التاريخية والدينية والأنساب في بوتقة واحدة»^(٣). وهكذا قدّم زعيم آل عبدالله، غالب بن محسن الكثيري، في شكل مثالي، واحتفل به كمنقذ سحري، وما محاولات محمد بن عقيل بن يحيى سنة ١٢١٧هـ، وطاهر بن الحسين سنة ١٢٢٠هـ، وترشيح أحمد بن علي الجنيد ١٢٥٣هـ، إلا تنصب في هذا السياق^(٤).

وقد يحصل الخلاف بينهم وبين السلاطين، بل يصل إلى حد الصدام، كالحرب التي وقعت بين السلطان جعفر بن علي الكثيري ومنصب عينات أحمد بن سالم ابن الشيخ أبي بكر^(٥).

(١) انظر باوزير، مصدر سابق، ١٧٧، ابن هاشم، مصدر سابق، ١٨١، ابن حميد، ٢٠٨/٢.

(٢) ابن هاشم، مصدر سابق، ص ١٨١، الشتات الحضرمي ص ٥٩، ٦١.

(٣) الشتات الحضرمي، ص ٦٢، ٦٩.

(٤) بامؤمن، الفكر والمجتمع ص ٢٠٠.

(٥) ابن هاشم، مصدر سابق، ص ١١٥.

٢ - العلماء:

قام بعض علماء ذلك العصر بما يملي عليهم مقامهم بتوضيح مواقفهم مما يدور، فبدأوا ببيان وجوب نصب إمام يسوس الناس ويقيم الشرع، قال ابن حميد في تاريخه: «وكان جل دعوة سيدنا الإمام الحبيب الحبر القمقام أحمد بن عمر بن سميط علوي ببلد شبام في شأن إقامة الوالي في الجهة الحضرمية، خصوصاً لما يشاهده فيها من المنكرات والجور والظلم، من غير نكير، ولا وازع شرعي ولا طبعي». وكان يقول (أي ابن سميط): «فبعدم وجود السلطان في هذه الأوطان وأخريات الزمان تهدمت للدين أركان، وخربت ربوعه الحسان، وظهرت شوكة أهل البغي والعدوان»^(١). أمّا الفقيه علوي بن سقاف الجفري ففي درس في شهر ربيع الأول ١٢٦٦ هـ طالب الناس بالتوبة إلى الله، وطالب العلماء بأن يقتربوا من السلطان، وأن يجعلوا منهم وزيراً، وكاتباً وحاسباً ومحتسباً تحت نظرهم؛ لتستقيم أمور الدنيا والدين، مع تعليمه ما يجب عليه بصفته والياً لإقامة الشريعة وظهور العدل، وأن هذا أفضل لهم من نوافل العبادات. وفي موضع آخر أمر أن يُنادى في الأسواق بأن من له مظلمة عند السلطان نفسه فليتوجه إليه، وإن منع من ذلك فهي الطامة، وقال: «فلا يستقيم الظل والعود أعوج، وصلاح الرعية بصلاح الراعي»^(٢).

ولهم في باب النصح سهم، فالفقيه علوي المشهور له قدم راسخة في الصدع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتب الحسن بن صالح البحر كتاباً للدولة حين رآهم أعرضوا عن إقامة الشريعة، ومما جاء فيه: «ونرجو من الله أن تستجيبوا الداعي، وتمثلوا أمره، وتخافوا بطشه وقهره، وتحفظوا أنفسكم من وقوع سخطه وزجره، وتحكموا على أنفسكم ما شرعه في دينه من أمره ونهيه»^(٣).

المبحث الثاني: أثر الصراع في الحياة العامة

(١) ابن حميد، مصدر سابق، ٢/ ٦٦، ٦٧.

(٢) المصدر السابق، ٦٥، ٦٩.

(٣) المصدر السابق، ٢/ ١٢٧.

حشد المتصارعون كل ما يستطيعون لتحقيق أهدافهم، وبرروا لكل وسيلة للوصول إلى غاياتهم، وظهرت آثار حروبهم في الحياة العامة بحضرموت، وأصاب المجتمع بانتكاسة هزت كيانه، وتأخر في سيره نحو البناء، وتراجع في ملفات اجتماعية واقتصادية، وتفكك في نسيجه عانى منه زمناً طويلاً، وترسخت مفاهيم باعدت بينه وبين مفهوم (الدولة) التي يحتكم الناس فيها إلى عقيدة ربهم أولاً، ثم النظم والقوانين.

أولاً: الآثار الاجتماعية

ساعد التقسيم الطبقي في حضرموت على تفاوت الآثار التي أحدثتها الحرب، لكنه لم يمنع من شمولية أثره في المجتمع بأسره، سواء كان بشكل مباشر في الوسط الذي لا يمتلك السلاح و(العصبية)، أو التميز بالنسب، أو بشكل غير مباشر في الأسر والأفراد من مختلف الفئات، وأدى عدم جيشٍ نظاميٍّ تديره منظومة تسلسلية إلى تجاوزات كبيرة في أثناء التحام الفريقين أو بعد انتهاء المعارك وعمليات الاستيلاء على أراضي المهزوم وأمواله، كما حصلت من القوات التي استقدمت من دهم وغيرها من المناطق (مناطق القبلة) ممارساتٌ وتعدياتٌ على الممتلكات والسكان.

وتعد عمليات النهب حالة من أشد الحالات التي تضرر منها السكان من قِبَل جميع القوى المتصارعة، «وكانوا جميعاً يتغيرون فيما بينهم على رعاياهم تغاير التيوس في زرايها، ويحاول كل منهم أن يظهر لدى فتيان البلاد وفتياتها بمظهر القوة والصلوة، فكان لذلك أسوأ تأثير في سير الحياة الاقتصادية والاجتماعية بهذه الأطراف، حتى إذا نجم العداء بين المسيطرين صوّبوا سهام انتقامهم إلى الرعايا المساكين»^(١)، ويحدث أن يقوموا بتخريب البيوت وأخذ ما فيها من أخشاب وأبواب كما حصل في نويدة تريم ١٢٩٠ هـ، وهتك حرمت البيوت وترويع النساء والأطفال، ويصل النهب إلى المؤمن من طعام وتمر (وهو غالب قوت أهل البلد)، وتُمارس عمليات اختطاف العزل من السلاح لأخذهم رهائنَ حينما يختصمون مع الطرف الآخر ويطالبون الدولة بحقوق،

(١) ابن هاشم، مصدر سابق، ص ١٤٥.

وتنهب الأمانات والمواشي من البيوت والمزارع، وحصلت حالات قتل للرعاة^(١)، وتتعرض المزارع (خاصة النخيل) لأخذ ثمارها عنوة أو إتلافها قبل نضجها، «بل أهلكوا الخلا (الريف) والبلاد وأذوا العباد»، وبلغت اللصوصية مبلغاً عجبياً، ففي قصة يوردها ابن حميد عن امرأة امتهنت اللصوصية، تصور حالة الانفلات الأمني، إذ تأتي مع زوجها إلى تريم، وتدخل بيوت الأهالي، وتسرق ما فيها، ووقعت أخيراً في كمين، وقُطعت يدها، وربما حصلت حالات قتل لأفراد لا علاقة لهم بما يدور من صراع، كما حصل في بلدة تريس من قتل رجل وأولاده ظلماً وعدواناً، «وفعلوا فيه طعنًا ما فعل بها في كافر أو خصم»، وقتل رجل سبعيني في بيته بمنتهى الوحشية، ويلجأون أحياناً إلى التنكيل والتمثيل بهم، ففي شوال ١٢٩٧ هـ تم التعدي في الغيل على بعض المزارعين بقطع آذانهم^(٢)، ويجر القتل إلى القتل، وتبلغ الحماية مبلغاً للانتقام الفوري، ففي واقعة في شهر ربيع الآخر ١٢٨٥ هـ قتل مسلحون رجلين، فما كان من الطرف الآخر إلا أن حصد رأس مزارع ردًا على هذا الفعل، قال ابن حميد: «فكل من المذكورين (القتلة) ارتكب من كبائر الذنوب العظام، فإننا لله وإنا إليه راجعون، ومعاصي ما بعدها، فلا حول ولا قوة إلا بالله»^(٣)، ويُستأجر من يسمونهم (المساكين) للقيام ببناء الأكوات والحصون، وجر المدافع، إما سُخرة أو لقاء أجر زهيد، ويتم قتل بعضهم في أثناء عملهم حين اشتداد المعارك، وهم جزء من الضحايا الذين التهمتهم الحرب.

وكلما ارتفعت أصوات الداعين لوقف الفتن وعقد اتفاقيات الصلح وإقامة هدنة؛ ضاعت تلك الأصوات بسبب تلكؤ الأطراف أو انغماسها في مستنقع الفوضى،

(١) ابن حميد، تاريخ حضرموت، مصدر سابق، ٤٢/٢، ٥٠، ٧٣، ١٢٧، ١٤٨، ٢٩٨، ٣٦٥، ٣٦٦.

(٢) المصدر السابق، ٢٩/٢، ٤٦، ٥٠، ١٣٧، ١٧٦، ١٧٩، ٢٩٨، ٢٩٣، ٣٤٣، ٣٧٨.

(٣) المصدر السابق، ٢/٢٩٣.

وسكوت بعضهم عن بعض على ما يحصل من عسف واضطهاد، وقد تنجح تلك المساعي فيسود الهدوء والأمن، وتسبب تحالفات كل من القعيطي والكثيري مع القبائل المسلحة واعتمادهم عليهم في أن تلك الجرائم مرت دون عقاب^(١)، ولا شك أن كثيراً من تلك الأعمال تصرفات فردية لا يمكن تعميمها، لكنها أصبحت مع مرور الزمن وسوء الأحوال أمراً عادياً.

ومن الآثار الاجتماعية (الهجرة)، ونقصد بها هجرة السكان من بيوتهم طلباً للأمان، وفسرت الهجرة بأنها احتجاج على الأوضاع السياسية والأمنية، وتطورت إلى انتفاضات ضد الأسر الحاكمة، أما غير الميسورين فلم يغادر منهم إلا أعداد قليلة، يقول المؤرخ محمد بن أحمد الشاطري: «ونشطت الهجرة من حضرموت إلى مهاجرها بصورة واسعة، ومن بقي فإنه يضطر إلى مفارقة القرى التي تتعرض للهجمات والإرهاب إلى المدن التي هي أقرب إلى السلامة»^(٢)، ومن الآثار أيضاً التهجير والإجلاء عنوةً، وأخذ بيوت المهجرين وأموالهم وعقارهم، وفرض ضرائب وضمانات شخصية على من يريد الهجرة من دياره.

وعمقت الحروب من ازدياد التصدعات في المجتمع، وظهور أو ترسيخ تقاليد تزيد من الظلم واستضعاف المهزوم والتعامل معه من منطق القوة والسطوة، وإظهار الشماتة به من خلال ضرب المدافع وإشعال النيران والدخول برجز وزوامل، وإهانة الرجال بأخذ أسلحتهم وغير ذلك، قال ابن حميد يصور حالة رجال مهزومين قرّر المنتصر إذلالهم: «ردهم في زي الضعف»^(٣)، إيغالاً في إهانتهم.

وتكشف وثائق الصلح بين القوى المتحاربة عن إلحاق غيرهم - ممن اكتووا وتضرروا من صراعاتهم - بنصوص تظهر التقليل منهم، ويُعبّر عنهم بـ (الرعايا)،

(١) الشتات الحضرمي، مصدر سابق ص ٦٩.

(٢) الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، مصدر سابق ٣٩٣/٢.

(٣) ابن حميد، مصدر سابق، ٢/ ٦٤، ٣٦٨.

أو يُقال «وأمان ضعيف ومسكين» و«دم وفرث»، أو «والمساكين في وجوههم». يقول المؤرخ الشاطري عن (الدم والفرث): «وهي دماء وحقوق أفراد القطاعات الشعبية العزل... فهي ليست لبنًا خالصًا ولا دمًا غاليًا»، ثم قال: «وبلغ بهم أن جعلوا لحيوانات القوى المتنفة والقوية إرثًا، بينما عامة الناس دمهم فرث»^(١)، وتهملهم أحيانًا المصالحات في النص على العودة إلى ديارهم.

وطغت على الوضع الاجتماعي أعراف الحرب ومصطلحاتها وتفاعلاتها والتزاماتها، ومنها: الزانة والزاد، والعبيد، والعربون، والوثور، والمثاوي، والعدالة، والكسر، والخفارة، والسيارة، والشائم، والشراحة، والنكف، والتعوير، والضمان، والحجر، والقيود، واللوم والشوم، و(في الوجه)، و(شل)، و(بدا)، والدم الهدور، و(الرتب)، والتعشير، والبشعة. وهي أعراف تناسب المرحلة وتداعياتها للتصالح والنجدة والجوار وتنظيم الحياة، وغابت مفاهيم التنمية والبناء والعدل.

وبطبيعة الحال فالشرذم - الذي كان سيد الموقف - أوجد تلك التفاهات؛ للحفاظ على الكيانات الهزيلة التي لا يتعدى ملك بعضها عشرات الكيلومترات، وظهر نظام (الافتداءات) الذي أقامه بعض أثرياء العلويين (بكتابة) مع حملة السلاح الذين يسترقون العامل أو غيره من العزل أو يختطفونه لبيعه، بعد أن يدفعوا له الثمن، وتكتب الوثيقة، ومن هنا ينتسب المفتدي وأحفاده إلى خدمة المفتدي وأحفاده؛ شعورًا منهم بفضل الافتداء المجاني والخلاص على يده من العبودية^(٢).

(١) الشاطري، مصدر سابق، ٢/ ٣٤٠.

(٢) الشاطري، مصدر سابق، ٢/ ٣٣٩.

ويعلق الأستاذ كرامة بامؤ من على هذه العبارة بقوله: «إن المختطفين المستضعفين قد تحولوا من ربة العبودية إلى ربة المخدومية الدائمة المتوارثة جيلاً بعد جيل»^(١)، ويتبع الخدمة الولاء وما يلحق من تراتب اجتماعي يحافظ على الهرم الذي تجذّر.

ثانياً: الآثار الاقتصادية:

كان اقتصاد المجتمع حينها يعتمد أساساً على الزراعة، وحركة تجارية محدودة تعتمد على بضائع قليلة يتم تبادلها، أو أخرى تستورد من ميناء الشحر، ولا توجد فروقات كبيرة في دخل السكان عدا التدفقات المالية من الخارج لأسر الأثرياء، ودخل ملاك النخيل الذي كان هو الثروة المسيطرة.

وتعد الضرائب - التي كان يفرضها الحكام المحليون - من أكثر الأضرار الاقتصادية، وقد عانى منها الجميع، حتى الأوقاف، وتسببت الحرب في الإفقار وخلق مآسٍ كثيرة، وتستخدم تلك الضرائب لتمويل نفقات الحرب وأجور الجنود والمرتزقة، ومعيشة الحكام وحاشيتهم، ويضطر الأهالي إلى بيع أقواتهم لتسديد الضرائب التي تؤخذ عنوة بوساطة جنود الدولة، ويتم معاقبة من يتخلف عن الدفع، ومن ذلك معاقبة أحمد بن علي الجنيد بوضعه تحت الإقامة الجبرية حينما انتقد ازدياد الضرائب على الرعية، كما وقف (عبيد الدولة) موقفاً رافضاً محتجين على فرض ضرائب على المواطنين بالرغم من عدم الداعي لذلك حينها، وفرضت ضرائب على أصحاب المهن من البنائين، والصاغة، والذين يحرثون الأرض بأبقارهم (البقارة)، والتجار، وتم إحصاء وحصر أعداد النخيل والعقار وأموال أوقاف المساجد و(القراءات) والسقايا، وفرضت عليها الضريبة. ومن الطرائف أن المؤرخ ابن حميد اضطر إلى بيع كتبه، يقول: «وأما الدولة فلم تزل منهم المطالبة للرعية إلى غاية الجأوني مع قلة ما بيدي - مع علمهم - فعلوا (فرضوا) عليّ دفعة قرش ونصف، الجأني إلى بيع كتاب (عمدة السالك) محشاةً مُقابلةً، فقد قرأتها على سيدنا وشيخنا

(١) انظر بامؤ من، مصدر سابق. ص ٥٢.

الحبيب العلامة علوي بن سقاف الجفري، ومضاف إليها كتاب (الحصن الحصين في حديث سيد المرسلين ﷺ)، وأنا ضنين بذلك الكتاب، فرددت الأمر إلى الله ﷻ، كل ذلك لمطالبة الجنود لهم مع قلة الترتيب والمبالاة بعباد الله^(١). ومما فشا بسبب هذه التكاليف انتشار بعض المعاملات المحرمة كالربا، وطالب العلماء الحكام بالتخفيف عن رعاياهم.

أما الزراعة فكان الضرر عليها من عدة نواح، أولها ما يصيب وسائل الري من آبار وسدود من تخريب، كما حصل بقطع (ماء الغيل) الذي يسقي المزارع، وكسر سد موزع بشبام عام ١٢٦٦هـ، مما أدى إلى اتلاف النخيل وجرف الأراضي، وثانياً عدم خروج المزارعين لمزارعهم من شدة الحصار (حتى لم تسنِ بئر)، أي توقف إخراج الماء من الآبار بالسناوة، ومنها حصاد المحصول قبل أوانه، وتعرضه للنهب من الجنود، أما الثالث فمطالبة الدولة للملاك والمزارعين بـ (العشور) ومضاعفته، لكنها تخففه حينما يصلها الإمداد من خارج حضرموت، كما تأثرت زراعة النخيل^(٢).

وفي الجانب التجاري تزداد الأسعار ارتفاعاً كلما ارتفعت وتيرة الصراع، ويتبعها كساد البضائع وأثمان النخيل والعقار، «والناس في غاية من الفتن والإحن مع شح في الأسعار، التمر البهار بستة قروش... والحاصل أن المساكين تلف ما معهم»^(٣). ويتأثر الانخفاض والارتفاع بعوامل أخرى، منها: تعرض الطرق للقطع، والقرصنة البحرية للسفن، وإذا ما انتظمت الطرق حصل تحسن ملحوظ، ففي محرم ١٢٩٤هـ عُقد صلح بين حاكم عدن وحكام المكلا والشحر من أجل انتظام الطرق البرية والبحرية، وانخفضت أجرة نقل البضائع، وانخفضت تبعاً لها أسعار السمن والملح والبن

(١) للاطلاع على مزيد من صور الضرائب وطرقها ينظر ابن حميد، تاريخ حضرموت، مصدر سابق ٣٧٤، ٣٧١، ٣٦٩، ٩٩، ٩٧/٢.

(٢) ابن حميد، مصدر سابق، ٣٣، ٢٩/٢، ٩٧، ٣٦٦.

(٣) ابن حميد، مصدر سابق، ٣٦٦/٢.

والعسل^(١)، وتحتاج قوافل نقل البضائع إلى حراسة (خفارة) لحفظها، ومع هذا لم تسلم من التقطعات والنهب، بل وقتل من يرافقها من الحرس أو التجار، وتحايل عمال السلاطين والحكام على أوامر رؤسائهم بالشفقة أحياناً، ويتجاهلون تلك الأوامر، وها هو ابن حميد يصف ما آلت إليه الأمور بعد أن استولى السلطان غالب على الشحر، وترك مساعديه في الوادي: «والحاصل أن السلطان تعب وحنب، وأخدامه ما هم حق سياسة ولا رئاسة، وجل أمرهم إلا إلى المسكين، ولا لهم تدبير، فمن جملة ذلك أن السلطان غالب سامح الحرثة في غرس الشتاء والبر في الجهة، فلما سافر نكثوا أعوانه وأخذوا غرس البر»^(٢). وعموماً فقد شكلت تلك الحركات الاستبدادية تهديداً مستمراً للتجارة والزراعة^(٣).

الخاتمة

تدور عجلة التاريخ وتسود أنظمة وحكومات ثم تختفي، ويتبادل بنو آدم الأدوار، بين منتصر ومهزوم، وتظل العقود والمئات من السنين في حياة الشعوب والأمم تتحدث عمن ساد ومن باد، وترصد التغييرات، وتوثق الملاحظات.

وقد غصنا في السطور السابقة في حقبة من حقبة التاريخ الحضرمي، طغت عليها لغة القوة، وخضبتها الدماء، وسوّدت بعض صفحاتها الصراعات، ودفع ثمنها الحضارمة جميعاً، بين مكثّر ومقل، وخسرت بلادهم وشعبهم بشرياً ومادياً ومالياً، كل ذلك بسبب تصورات وطموحات لتحقيق أهداف، قد يكون لها حظ من الوجهة وقسط من القبول، لكن الصراع من أجل السلطة والاستئثار بها لا يبرر التجاوزات التي لا تبقي ولا تذر، ولقد تداخلت كثير من العوامل في طبيعة القوى المتصارعة واتجاهاتها، وامتزجت أهواء الحالمين بالحكم بتجار الحروب والمتفعين داخلياً

(١) المصدر السابق، ٢/ ٩٥، ٤٧، ٩٥، ١٣٧، ٢٤٣، ٣٦٩.

(٢) المصدر السابق، ٢/ ٢٥٣.

(٣) الشتات الحضرمي، ص ٦٤.

وخارجياً، وساعد الجهل على الانجراف وراء أعمال متهورة، خسر فيها المنغمسون في متوالية الكر والفر الكثير من جهدهم، وظلوا يلهثون وراء إمدادات من هنا وهناك، وتعطلت مصالح الناس وسيطرت ثنائيات (القوي/ الضعيف، العدو/ الصديق، الشجاع/ الجبان)، في واقع أفرزته ثقافة الحرب والثأر والتسلط.

إن التاريخ يعلمنا أن غياب الحاكم الذي يتم اللجوء إليه للفصل بين المتنازعين وتحكيم الشرع وردع الظالم ونصرة المظلوم - هو السبب الرئيس في لجوء الانسان إلى دوائر ضيقة لانتزاع حقه أو ما يراه حقه، وفي ظل هذا الغياب تنشط العصبيات بمختلف مسمياتها، وتضطرب بوصلة الأهداف السامية، وتتقرم معاني الوطن والشعب والأمة، وتضيع الحقوق، ويتأثر المجتمع في كيانه ومعاشه، وتبرز موجات الهجرة والتمرد.

إن ما شهدته حضرموت في القرن الثالث عشر الهجري لم يكن كله مظلماً، ففي الصورة مشاهد من المواقف التي تمثلت في النصح والمناصحة، والنقد والاحتجاج، من العلماء والمصلحين والوجهاء، فدعوا إلى وقف نزيف الدم، وحفظ وصيانة الأعراض، والرفق بالرعية، والتخويف بالله، وعاقبة الظلم والاستبداد.

وقد خرجت حضرموت من تلك السنوات بعبرٍ ودروس، بعد تقطُّع أوصالها، وتخلف حياة شعبها، وأطماع المتربصين بها، فظهرت تيارات لتأسيس مرحلة جديدة تُضمِّد فيها الجراح، وإنهاء صراع الحكم، والتوجه إلى بث الوعي بأهمية مفاهيم الدولة والنظام والقانون، وفتح مجال للتحديث، وتطور التعليم، وانتعاش الوضع الاقتصادي، والتحرر تدريجياً من بعض الأعراف والعادات التي لا صلة لها بشرع أو ضمير إنساني.

ولا شك أن التدخلات الاستعمارية التي كانت تراقب الوضع عن كثب قد أسست لارتهاق البلد لمعاهدات واتفاقيات الوصاية والحماية والاستشارة.

المصادر والمراجع:

١. سالم بن حميد الكندي، تاريخ حضرموت، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
٢. سعيد عوض باوزير، صفحات من التاريخ الحضرمي، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٣م.
٣. صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، ج ١، مكتبة الصنعاني.
٤. عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف، معجم بلدان حضرموت المسمى (إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت)، تحقيق: إبراهيم بن أحمد المقحفي وعبد الرحمن بن حسن السقاف، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
٥. كرامة مبارك سليمان بامؤمن، الفكر والمجتمع في حضرموت، بدون دار طباعة ولا سنة نشر.
٦. محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، دار المهاجر، تريم، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
٧. محمد عبد القادر بامطرف، في سبيل الحكم، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٤م.
٨. محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرة،
٩. مجموعة مستشرقين وأكاديميين، الشتات الحضرمي، تحرير: الريكي فراتياك ووليم كلارينس سميث، ترجمة: د. عبدالله عبدالرحمن الكاف، تريم للدراسات والنشر.
١٠. مجلة (آفاق)، العدد (١٠)، مارس ١٩٨٧م، اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، المكلا.



محاولة لقراءة نقدية لكتاب النفحات المسكية

عبد الله صالح حداد

الشحر ١ / نوفمبر ٢٠١٩م

رحم الله أستاذاً الشيخ سالم خميس حبليل المتوفى بالأردن في يوم ١٤ أغسطس ١٩٩٦م، وكان خطيباً لجامع الشحر، وأستاذاً بالمدرسة المتوسطة، وكان معلماً للمواد الإسلامية، هذا الرجل أطلعني على مصورة مخطوطة (النفحات المسكية من أخبار الشحر المحمية) لمؤلفه عبد الله محمد باحسن، وكان الغرض من ذلك هو إقناعي بأن مسجد المحضار الذي يقع بحي عقل باعوين - وكان معلماً فيه - لأحد أبناء الشيخ أبي بكر بن سالم، ولكنني رفضت ذلك بحجة أن المسجد كان قائماً وتام العمارة أيام الحملة البرتغالية التأديبية على الشحر عام ٩٢٩هـ (١٥٢٣م)، والشيخ أبو بكر والد عمر المحضار الثاني من مواليد ٩١٩هـ.

والمهم من أثر هذه المقدمة هو أنني استعرت الكتاب ونقلت بقلمي أغلبه، ومن تلك المدة عدتُ الكتاب غير متناسب مع عنوانه، فقد جاء بعنوان: (النفحات المسكية من أخبار الشحر المحمية)، يعني خص النفحات المسكية فقط، وترك هنا النفحات غير المسكية، وسألت نفسي عن مراده بـ (المسكية) و(غير المسكية)، وأعتقد أن هذا في نفس باحسن فقط، لأنه كان يجب أن يسمي كتابه (تاريخ العلويين بالشحر) أو (النفحات المسكية في تاريخ العلوية بالشحر)، وليصبر عليّ من يسمعي الآن.

فإذا اعتمدنا المحقق من الكتاب الذي حققه الدكتور محمد عبد النور التريمي نجد أن الكتاب يحتوي على ٥٠٠ صفحة، استغرق الباب الأول منه في ذكر الأولياء الكبار (٤١٨) صفحة، واستغرق الباب الثاني ١٣ صفحة، وجاء الباب الثالث في ٤٨ صفحة،

وبقي من كل الكتاب ٢٢ صفحة جعلها المؤلف في ما سماه (خاتمة الكتاب)، وهي على حد قوله: «ما ظفر به من التواريخ التي قيدها بعض الثقات»، وكان الباب الأول (في ذكر أوليائها الكبار) وهم:

- ١ - شيخ بن إبراهيم السقف.
- ٢ - أحمد بن أبي بكر بن سالم.
- ٣ - عبد الله بن شيخ العيدروس.
- ٤ - سالم بن عمر العطاس.
- ٥ - علي بن أحمد عديد.
- ٦ - شيخ بن عبد الله بافقيه.
- ٧ - أبو بكر بن شيخ بن إسماعيل.
- ٨ - عبد الله محمد باهارون.

وقد استغرقت هذه التراجم ٣٤٥ من صفحات الكتاب، وقد لاحظت أن الأولياء حسب وجهة نظره هم من فئة العلويين، وربما قصد بـ (الكبار) في العنوان أن هناك أولياء صغاراً، لكنني لم أستطع من كل أوراق الكتاب أن أعرف مقياس ومعياري ومميزات الكبار من الصغار.

وكنت من شبابي متعلقاً بهذا الشاعر المؤرخ، ولكن لم يكن لذلك علاقة بتاريخه، إذ لم أكن قد اطلعت عليه، ولكن كان إعجابي به بسبب الأغاني التي كان ينظم أبياتها ويلحنها، ولهذا يمكنني أن أقول إن لي قصة مع هذا الرائد عبد الله محمد باحسن، الذي وُلِدَ بالشحر عام ١٢٨٧هـ (١٨٦١م)، وكانت وفاته بها في ١٧ ربيع الآخر ١٣٤٧هـ الموافق ١ أكتوبر ١٩٢٨م، ومن ترجمة حياته نعرف أنه درس على شيوخ الشحر وعلمائها، ثم درس بسيئون على الشيخ علي محمد الحبشي صاحب رباط سيئون الذي أنشأه في عام ١٢٩٥هـ (١٨٧٨م)، ثم درس على يد كل من وصل إلى

مدينته من العلماء الأجلاء، ثم إنه كان يقرأ كل ما وقع تحت يده من المخطوطات والمطبوعات في مختلف العلوم، وقد عُيِّنَ قاضياً في مدينته في ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م)، ونائباً لعقود الأنكحة.

ورغم هذا لم تهتم به الدولة القعيطية، ولم تمكنه من الوصول إلى ما طمحت إليه آماله، وذلك لغلط وقع فيه، فقد غشَّته أخبار الشارع، فكتب قصيدة يهنئ فيها الأمير حسين بن عبد الله بعد أوبته من عدن في جلسة مع عمه السلطان عمر بن عوض القعيطي، وذكر فيها أنَّ الإنجليز أنصفوا حسيناً من عمِّه الذي كان مكفولاً برعايتهم، فهو عليه دور يؤديه في حضرموت مثلما كان يؤديه هناك في الهند، فكانت تجربة باحسن فاشلة، والحكومات لا تنسى من يقف ضدها، ولا تستطيع أن تسامحه، فقد كتب عدة من القصائد وجَّهها مباشرة للسلطان ووزيره حسين بن حامد، ولكنه كان كالمؤذن في مالطة، ولهذا مرت حياة باحسن في فقر مدقع جعله يسأل بشعره كل ذوي الجاه والتجار والعائدين من المهاجر.

وتبدأ القصة باختياري مع الإخوة الأساتذة علي أبو بكر الصبان والأستاذ محمد سقاف الهدار لوضع كتيب عن هذا الشاعر، وكان باكورة عملنا الذي صدر عام ١٩٧٧ م بألة النسخ، وبه كثير من الأخطاء، وكان على أي حال قد صدر اعتماداً على الرواة، ولكن المهم إحياء ذكرى الشاعر الخمسينية التي شارك فيها المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف، والأستاذ الباحث عبد الرحمن الملاحي، والشعراء المحضار والمعلم وعبدن وأبو سراجين وغيرهم.

ثم أُعيدت الكرّة في ذكره الخامسة والخمسين عام ١٩٨٣ م، ونُشر ما جاء في تلك الأمسية ومنه ما كتبه الأستاذ بامطرف، وقد سجلت معه أكثر الجلسة في الحديث عن شخصية باحسن وكتبه، ولا يخفى على الذين يتابعون الأستاذ بامطرف وكتاباته خاصة كلمتيه في المناسبتين، وقد قدمت مطبوعة في الكتيب المعروف بعنوان (باحسن الرائد الفنان) الذي صدر في ما بعد عن دار الهمداني بعدن عام ١٩٨٥ م.

وقد لاحظ الأستاذ بامطرف اهتمامي بشخصية باحسن، فأكرمني بالاطلاع على ثلاث كراسات بقلمه، وكان القسم الأول والثاني منها بعنوان (مختارات من أشعار عبد الله محمد باحسن)، وكان الثالث منها بعنوان (دفتر ميدان رقم ١١)، ومن هذه الكراسات عرفت أن المؤرخ الأستاذ محمداً قد عزم في وقت مضى من حياته على أن يكتب مؤلفاً عن شخصية باحسن، ثم عدل عنه، ولما كتبت له عن نيتي ورغبتني في الكتابة عن الرجل نبّهني في جواب كتبه لي، ومنه قوله: «إنَّ ما يعجبني في باحسن هو شجاعته ووقوفه ضد المرجفين من أبناء مجتمعه الذين استهجنوا أمر الغناء والموسيقى...».

وكان قد جاء في كلمته في الذكرى الخمسين قوله: «والواقع أنَّ كثيراً من صفات فنّاننا باحسن جديرة بالإكبار، ولكننا على الخصوص نُكبِّرُ فيه خصلتين: أولاهما تمرده على العقلليات المتحجرة في مجتمعنا، وثانيهما نضاله في سبيل أن يعلو شأن الفن في بلده». نعم إنه هو من خرج بالفن والطرب من الغُرف المغلقة إلى الشارع والساحات العامة بالشحر.

أقول إنني ربما تأثرت برأي الأستاذ بامطرف، وربما كان ذلك هو السبب في عدم كتابتي عن سيرة الرجل ونشاطه الشعري والفكري، واكتفائي بكتابة شيء عن الأغنية عنده، فجاء ما كتبت في بحثين:

١ - الأغنية في عصر باحسن.

٢ - بلبل الشحر الصداح. الذي نشر ملحقاً بصحيفة شبام المكلالوية عدد (٢٣) أكتوبر ٢٠٠٥ م.

ولعلي تأثرت بقوله: «لقد جارى باحسن أهله وفئته في المدائح والابتهالات والأنساب والتعصب لها، وجاراهم في مدائح بعضهم والأمراء والسلاطين والمشايخ والتجار وكبار رجال الدولة، وربما كان السبب قلة ما في اليد وظروفه المالية القاسية». ولهذا اتجهت إلى كتابة ما قدّمه من أغنيات، وأخيراً كان لديّ كتاب ربما يأتي تحت

عنوان: (أغنيات الشاعر عبد الله باحسن)، اعتمدت في تحقيق نصوصه على نسخة الديوان الوحيدة، وكراسات الراوي سالم هلال الحبشي، وكان من جماعة باحسن، وكان دوره إعلامياً، والنسخة الثالثة هي كراسات المؤرخ بامطرف، ولكن الظروف حالت دون إنجازها إلى اليوم.

ولنأت إلى كتابه الذي أسماه (النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية)، ولا أدري من سيقف معي ومن سيقف ضدي هنا، من أن العنوان غير مناسب ولا يتوافق مع القول: (والكتاب يقرأ من عنوانه)، ومن أن هذه النفحات مسكية، وهناك نفحات غير مسكية لم يلتفت إليها باحسن، ثم جاء في العنوان (المحمية)، فالشحر محمية في وجهة نظره دون أن يُفصح عَمَّن قام بهذه الحماية، ونحن لا نعلم ذلك؛ لأن المدينة تعرضت لهجمات متعددة، فكلُّ من أنس في نفسه قوَّةً فكَرَّ في غزو هذه المدينة طمعاً في خيراتها وكسبها، فَمَنْ كان يحميها غير أهلها؟ إن الحقبة التي كتب فيها باحسن تاريخه كانت حقبة اكتمل فيها دور الصوفية، وأحكمت حلقاتها، وأصبح جميع الناس يصدقون كل ما يُقال لهم، فينشر بين الناس ألقاباً لهؤلاء الأولياء وأنصاف الأولياء أي الكبار والصغار، ومن مثل ذلك: مول المدفع، وحامي البلد، ومول الطار، ومول غربان، وقاضي الحاجات، وغير ذلك من الألقاب التي لا تليق بأمور الحياة، خذ مثلاً من شعر الأديب عبد الرحمن أحمد باكثر المتوفى في ١١٤٥ هـ (١٧٣٢م) قوله في شيخ بن إسماعيل:

سأل الطبيب بأن ينام ليرتقي منه الرعاف فقال: دع ما تسأل
لا ينبغي لموكل بسفينة وبكل من فيها ينام ويغفل

وفي زمننا هبَّ جماعة من الشباب لتكسير القبة التي تعلو ضريحه، فلم يوقفهم أحد عن فعل ذلك، وهو لم يحمي نفسه ولا ضريحه، ومثل ذلك ضارب الطار، وهو الدُّفُّ عند أهل الطرق الصوفية الذي فرت سفن البرتغاليين من ضربه، وكذلك مول غربان وهي السفن (الشواني) الحربية التي هاجم بها البرتغاليون الشحر، فأين هذا من قوله

تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ الآية ٦٠ من سور الأنفال.

إن عبارة المؤرخ باحسن في بابه الأول (في ذكر أوليائها الكبار) تدل على أن هناك أولياء صغاراً، وقد ذكر نماذج من الكبار، وبذلك عرفنا أن الذين لم يذكرهم كانوا صغاراً، وعلينا أن نختار نماذج من هؤلاء الصغار، وسنكتفي بذكر اثنين منهم فقط:

الشيخ فضل بافضل الذي ترجمه أحمد الشرجي في كتابه (طبقات الخواص)، وأضاف باحسن في ترجمته أنه قرأ صحيح البخاري مائة مرة، وكان يقول: «حمدت الله على قلبي أن يجعلني سحوحة لآل البيت». والسحوحة هي: مجمع قاذورات الإنسان وما يماثلها. فهل يعقل أن يقول هذا الرجل الذي قرأ البخاري مائة مرة؟! ثم يكني نفسه بأبي العباس أي عبد الله بن عباس ابن عم الرسول ﷺ الذي عُرف بحبر الأمة، فهل نستطيع أن نتقبل منه هذا القول؟! فأين هذا من قول الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي عَادَماً﴾؟! إني أستطيع أن أقول: إنه إنما أراد تصغير الشخصية ليس إلا.

وشخصية أخرى هو المعروف بالشيخ أحمد غبطة، وقد أضاعوا اسمه الحقيقي، واكتفوا بنعته بـ (قاضي الحاجات)، ويذكره المؤرخ باحسن في كتابه النفحات قائلاً: «لم أر أحداً حَقَّقَ نسبه وشرح حاله غير الأديب العلامة عبد الرحمن باكثير الذي قال في قصيدته التوسلية:

وبغبطة المغبوط بالدين الذي	قد حطه والظهر منه مثقل
فبقبره وبفضله في عصره	كل إلى حاجاته يتوسل
من حط حرف الواو تبعاً فوقه	نال الذي يرجوه وهو معجل».

ويشرح المسألة المؤرخ باحسن قائلاً: «من خطَّ حرف الواو إلى ما وقع عليه النص من قديم الزمان أن من كتب سبع (واوات) من غير تداخل وتكون رؤوس الواوات مفتوحة على هذه الصورة ()، ونوى حال الكتابة أي حاجة قضيت له بإذن الله

تعالى»، ثم يواصل حديثه قائلاً: «ورأيت كثيراً من فضلاء الأعيان تفعل ذلك». ولم يقل إني فعلت ذلك، والله تعالى يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

إن المؤرخ باحسن يكد لا هثاً وراء الكرامات التي لا نستطيع أن نقرها تاريخاً، وكان في استطاعته أن يجعل لها كتاباً مستقلاً، أو أن يغير عنوان كتابه إلى: (أخبار كرامات الشجر المحمية)، وإذا كان ما ضربناه نماذج للكرامات التي اهتم بها المؤرخ باحسن في كتابه فإن هناك نماذج كثيرة، ومنها قول باكثير في قصيدته التوسلية في صاحب المسجد حسين باهراوة:

أبي هراوة الشهير حسين من شاعت مناقبه التي لا تجهل
أدى الشهادة في قضية مدع من قبره إذ هو لها متحمل

نعم شهد الشيخ بمسألة الوديعة، ولكنه مات، وطلبها صاحبها فأنكر المستودع، وقال المدعي إن شاهدي هو الشيخ باهراوة، فتقابلا عند قبره، فأجابه من قبره بصوت عالٍ: نعم أشهد بذلك وأنها معه. فاعترف الرجل وتاب واستغفر الله.

وفي صفحة ٢٦٨ قصة البس، فعندما مات الشيخ عمر بن حسين بن عوض البيض عام ١٢٠٠ هـ وكان عنده بسٌّ، فخرج البس خلف الجنازة يرمي رأسه على الجدران، وصاحت الجن، وسمعهم جميع من حضر من الرجال والنساء.

وقال: أتيت مرة إلى عدن لزيارة سيدي أبي بكر العدني، فحين جلست عند ضريحه أخذتني سنة من نوم، فإذا به قد انفتح من ضريحه كالساقية العظيمة، وفيها خلائق لا يحصون يمشون وهم أنواع كثيرة على صور شتى، قال فجاء في خاطري كيف بعث لسيدي العدني بهذه الأجناس؟ ما مراده بذلك؟ ص ١٤٩. وقال في أخرى وصلت إلى مسجد علوي بن عبيد الله في بلدة بور أنا وسيدي، وخرج سيدي إلى حمامه السفلي (بيت الصلاة)، وبعد ساعة خرجت خلفه إلى الحمام المذكور، فوجدت سيدي في حالة عظيمة رأيت كل أصبع من أصابع سيدي صار شمعة تضيء فامتليت رعباً.

وكرامة أخرى ساقها عند ترجمة الشيخ أحمد عبد الله شيخ بافقيه الذي كان جالساً مع جماعة من أصحابه في بندر جدة، فقال لهم: قوموا إلى هذا الجدار وأسندوا ظهوركم به كأنكم تسحبون شيئاً. ثم قال: بس. فسألوه عن ذلك الفعل، وما المراد منه؟ فقال: مركب فلان صاحبنا وقف في خور بنقالة حال خروجه، وإنه كان يغرق في ذلك المكان، فأخرجناه. فأرخوا ذلك اليوم.

وفي صفحة (٣٥٠) قال إن لصاحب الترجمة كرامات كثيرة ومناقب شهيرة، ومنها أنه توافقه الأساطين والجدران في السماع، فكان إذا تطأطأ تطأطأت، وإذا ارتفع ارتفعت، وصاح في بعض الليالي وهو في السماع: دوروا فقد دارت السموات والأرض...

وكرامة أخرى وردت في صفحة (٩٤) عن أبي بكر العطاس قال: إني أتجزأ إلى عشر مائة صورة. فكأنني استبعدت ذلك فقلت: كيف يكون ذلك؟! قال: قم أنت وعلي بن حسين البيض فكل واحد منكم يدخل أي بيت من بيوت أهل الشحر الذي يعرفه. قال: فخرجت إلى حافة العيدروس ونواحيها ودخلت بيت آل باشراحيل فوجدته فيه، ودخلت بيت آل بن عثمان فوجدته فيه، ودخلت بيوتاً كثيرة فوجدته فيها، أما سيدي علي بن حسين فإنه خرج إلى الحوطة ودخل نحو عشرين بيتاً فوجد الحبيب فيها. وهذه كرامة كررها علوي عبد الله العيدروس حديثاً في كلمته في إندونيسيا، فما الفائدة من مسألة الاستنساخ هنا؟!

ونحن لا نستطيع الجري خلف كل الكرامات التي ساقها لنا، ولكل عند قراءة كتابه النفحات المسكية تذكرنا ما حدث لكتاب (المشرع الروي) وهو من وضع الشيخ محمد أبو بكر الشلي المتوفى سنة ١٠٩٣ هـ (١٦٨٢ م)، وهو مملوء بالكرامات العجيبة، ولكن هناك من قاموا بإعادة طباعته حديثاً، وقد نسب للشيخ أحمد محمد الشاطري صاحب كتاب (أدوار التاريخ الحضرمي) أنه قام بحذف كل الكرامات من متن الكتاب، لكنه تعرض للنقد، إذ إن ذلك الحذف ليس من الأمانة العلمية، ولكن عليك أن تكتب مؤلفاً آخر، وتستطيع أن تسميه ملخصاً أو مختصراً، لأن تلك الروايات

لتلك الكرامات تفيد على الأقل في دراسة أفكار المجتمع وأفكار مؤلفيها وأهدافهم من ذكر تلك الكرامات وتلك الآراء، وأنها كانت إلى الأكاذيب والخزعات أقرب، فهل مثل تلك الكتب تستحق النشر والتحقيق دون تعليق عند تحقيقها ونشرها؟!

إن تلك الكتب وهي كثيرة وهي التي حبرت في تلك القرون ومنها مناقب الأشخاص وأحوال الأولياء وزياراتهم السنوية والتي انتشرت بين أناس سيطرت على نفوسهم غواية تجهيل الناس، ومحاولات لإبعادهم عن حب الإسلام، وخرجت بنا إلى ما لا فائدة تُرجى منه. صحيح أنها لا تخلو من فوائد تاريخية، وهي على الأقل تسجيل للنشاط الفكري لدى الكتاب ومن يكتب لهم، ودليل على سذاجة الجميع. وقد كتب الشيخ سعيد عوض باوزير رحمه الله كتاب (الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي)، وكتب الشيخ كرامة سليمان بامؤمن أطال الله عمره (الفكر والمجتمع في حضرموت)، وفيهما من الجرأة نسبة كبيرة للبحث الجاد لتصحيح أفكار المجتمع الحضرمي وتنقيته من الشوائب التي أراد بعضهم للمجتمع أن يمشي أعمى خلفها، والتي أدت إلى تأخره، وحالت دون المضي قدماً في التثقيف الصحيح والتحضر، والله الموفق لما فيه الخير مما قصدناه.



فضل (باشا) بن علوي مولى الدولة حياته وإسهاماته وموقفه من الاستعمار الأوروبي (١٢٤٠ - ١٣١٨ هـ / ١٨٢٤ - ١٩٠٠ م)

عبدالكريم محروس سعيد ميزان



ملخص البحث

ما زال حقل التاريخ الحضرمي خصباً غنياً بتراته وتراث أبنائه وإسهاماتهم المتعددة، في موطنهم ومهجرهم، والنماذج كثيرةٌ شاهدة على ذلك، وقد ظهرت في مُدَدِ التاريخ المتعاقبة، ومنها القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، وهي في مجملها لا تخلو من فجواتٍ وأغوارٍ تحتاج إلى بحثٍ ودراسةٍ لسبرها وكشف غموضها، وإزالة ما لحق بها من تشويهٍ وتقبيحٍ على أيدي المغرضين.

ترمي هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على جهود ومواقف الشريف فضل بن علوي مولى الدولة (ت ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م) الملياري المولد، الحضرمي الأصل، الذي هاجر والده من حضرموت إلى ساحل مليبار في الهند سنة ١١٨٣ هـ / ١٧٧٠ م.

تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يتناول جزئيةً مهمةً من تاريخ حضرموت في العصر الحديث، وعلى الرغم من خروج بعض أحداثها عن النطاق الجغرافي لهذه البلاد؛ لم تكن بمعزل عن الأوضاع القائمة فيها آنذاك، بل ارتبطت بها ارتباطاً مباشراً

وغير مباشر، وكان لذلك تأثير واضح في أكثر من صعيد، سياسي وعلمي وغير ذلك، ولهذا نأمل أن يكون البحث إضافة علمية مهمة لتاريخ هذه البلاد وتاريخ أعلامها.

اعتمدت هذه الورقة البحثية على المنهج التاريخي، وهي تسعى إلى دراسة سيرة هذا الشريف الحضرمي، حياته، وجهوده، وإسهاماته المتعددة، وكذا موقفه من الاستعمار الأوروبي وخاصة البريطاني، وليبيان ذلك قُسمت على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تناول اسمه، ونسبه، وجهاده في الهند، وكذا جهاد والده علوي بن محمد؛ إذ كان مساعداً لأبيه في جهاده وجهوده، وتأثر به كثيراً، فهو مُعلِّمه الأوّل. كما تناول هذا المبحث السنوات الأخيرة للشريف فضل بن علوي في الهند، ثم نفيه إلى حضرموت، وانتقاله إلى الحجاز واستقراره هناك.

المبحث الثاني: تناول قيام فضل بن علوي بتأسيس إمارة له في ظفار الواقعة على ساحل بحر العرب، بعد اتصال بعض أعيانها به، ومبايعتهم له على السمع والطاعة، كما تناول الموقف العُماني والموقف البريطاني من هذه الإمارة.

المبحث الثالث: فيه بيان جهود وإسهامات أخرى للشريف فضل بن علوي، سياسية وغير سياسية، داخل حضرموت وخارجها، مما يؤكد ديمومة علاقته واتصاله بموطنه الأصلي حضرموت، واختتم هذا المبحث بوفاة هذا الشريف، ثم استخلاص النتائج.

المقدمة

عَرَفَ الحضارمة منذ القدم الهجرة والترحال لأسباب موضوعية وذاتية، وقد حمل الإنسان الحضرمي معه ثقافته وقيمه وهمومه وقضايا أمته حيثما حلّ وارتحل، وصاغها أفعالاً في مهجره، كشف بها عن شخصيته وهويته، وعبر من خلالها عن موقفه ورأيه تُجاء تلك القضايا التي عاصرها، ومنها قضية الاستعمار الأوروبي.

كانت الهند دار هجرة لكثير من الحضارمة، فهاجروا إليها وتديروها زرافاتٍ ووحداناً، وبأخلاقهم وقيمتهم أوجدوا لأنفسهم مكانة مرموقة بين سكان تلك

البلاد، وفي وقتٍ لاحقٍ اصطدموا بالغزاة المستعمرين الأوروبيين الذين سعوا إلى فرض سلطانهم على سكان تلك البلاد واستغلال خيراتها، وكان لكثير من الحضارمة موقفٌ معارضٌ لأطماع المستعمرين تلك، ولعلَّ أبرزَ مَنْ تبنَّى ذلك الموقف السيد فضل بن علوي بن محمد مولى الدولة، وسبقه في ذلك السيد مولى الدولة الأب، علوي بن محمد؛ إذ كان القدوة التي اقتدى بها الابن، فهذا البحث يعرج على دور الأب، ويُفصِّل كثيرًا في دور الابن داخل الهند وخارجها.

المبحث الأول: الشريف فضل بن علوي - من المولد والجهاد في الهند إلى النفي في مكة

كانت الهند وجنوب شرق آسيا جهاتٍ مفضَّلةً للمهاجرين الحضارمة، وكان للكثير منهم إسهامات علمية ودينية وسياسية فيها، ويعد العلويُّون من أكثر الحضارمة هجرةً إلى تلك البقاع، ومن هؤلاء السيد علوي بن محمد مولى الدولة، الذي استقر في الهند وتديَّرها وتزوَّج فيها، وكان له عقب بها أبرزهم ابنه فضل.

اسمه ونسبه

هو الشريف العلويُّ النَّسب، الحضرميُّ الأصل، المليباريُّ المولد، الإسطنبوليُّ وفاةً ومدفنًا، فضل باشا بن علوي بن محمد بن سهل بن محمد بن أحمد مولى الدولة، يرتفع نسبه إلى السيد أحمد بن عيسى المهاجر الجد الأكبر للأشراف الحضارمة، ثم إلى الحسين بن علي عليه السلام، وُلِدَ في مدينة كاليكوت بالهند سنة ١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م، وتلمذ على يد أبيه، وأخذ عنه طريق التصوف، وكانت له مناقب وكرامات^(١)، وعندما أصبح يافعًا أرسله والده إلى حضرموت، وهي عادةٌ حرص عليها الكثير من حضارمة المهجر، فأخذ عن علماء هذه البلاد، ولازم بعضهم مثل الشريف

(١) العطاس، علي بن حسين: تاج الأعراس على مناقب الحبيب القطب صالح بن عبدالله العطاس، مطابع منارة قدس، ط الأولى، (د.ت)، إندونيسيا، ج ٢ ص ٤٤٠.

عبدالله بن حسين بن طاهر العلوي، ثم عاد إلى مليبار^(١)، وفيها كان أكثر قرباً من أبيه، وغدا ساعده الأيمن^(٢)، فَمَنْ والدُه؟ ومتى هاجر إلى الهند؟ وما إسهاماته هناك؟

هجرة والده علوي بن محمد إلى الهند وإسهاماته فيها

وُلِدَ السيّد علوي بن محمد في مدينة تريم ببلاد حضرموت في شهر ذي الحجة سنة ١١٦٦هـ/ ١٧٥٣م، أمُّه الشريفة فاطمة بنت علوي الجفري، تُوفِّي أبواه وهو صغير، فنشأ في حضانة خالته، وفي تريم أخذ العلم عن جملة من المشايخ والفقهاء، ووُصِفَ بأنَّه كان تقيّاً عابداً مجذوباً ذا جاهٍ واسعٍ، مشهوراً بالكرامات، وفي مناقبه وكراماته صُنِّفَت المصنِّفات^(٣).

عندما بلغ سبعة عشر ربيعاً، وتحديدًا في ١٩ رمضان سنة ١١٨٣هـ/ يناير ١٧٧٠م ارتحل السيد علوي إلى مليبار الواقعة على الساحل الجنوبي الغربي للهند، واستقرَّ أوَّلًا في مدينة كاليكوت عند أخواله آل الجفري، وهم من السادة الأشراف الحضارمة، هاجروا إلى الهند منذ سنة ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م، ثم انتقل إلى بلدة (منفرَم) ونُسب إليها، فأصبح يُعرف بـ (علوي المنفرمي)، وأضحت هذه المدينة مركزاً لدعوته، ومسرِّحاً لنشاطه الديني والسياسي^(٤)، وتزوج فاطمة بنت خاله السيّد حسن الجفري،

(١) الحداد، عبدالله بن طاهر (ت ١٣٦٧هـ/ ١٩٨٤م): قرة الناظر بمناقب الحبيب القطب محمد بن طاهر بن عمر الحداد، دار التراث، ط الأولى، ٢٠٠٩، تريم، ج ١ ص ٦٦٥؛ باذيب، محمد أبوبكر: إسهامات علماء حضرموت في نشر الإسلام وعلومه في الهند، دار الفتح، ط الأولى، ٢٠١٣م، عمّان، ص ٢٠٠.

(٢) القعيطي، السلطان غالب بن عوض: تأملات عن تاريخ حضرموت قبل الإسلام وفي فجره، مكتبة كنوز المعرفة، ١٤١٧هـ، جدة، ص ٩٠.

(٣) مجيب ي.ك: مقاومة كتاب كيرالا باللغة العربية ضد الاستعمار الغربي، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) جامعة ملية الإسلامية، نيودلهي، ص ١٥٩؛ باذيب: إسهامات، ص ٢٠٠، ٢٣٨.

(٤) هذه المدينة تعرف باسم (تيرورنقادي)، وسماها الحضارمة (ترنقالي)، وتسمى أيضًا (مبَرَم).

القعيطي: تأملات، ص ٨٩؛ باذيب: إسهامات، ص ٢٠٠. راجع الملاحق، ملحق رقم (١)، مقام علوي المنفرمي مولى الدولة، مدينة منفرم.

وبعد وفاتها تزوج فاطمة بنت أبي بكر المدني، وأنجب منها ابنه السيد فضلاً، المعروف بفضل باشا^(١).

كان السيد علوي سنياً شافعيّاً، سلك طريق التصوف كغيره من أشرف حضرموت، وأخذ العلم عن مشايخ في مسقط رأسه تريم، وعن علماء الهند وخاصةً أخواله آل الجفري، وقد أصبح من كبار المتصدرين للعلم في الهند، وإليه أُسندت الطريقة العلوية في التصوف، وبرز دوره في بناء الكثير من المساجد والمعاهد الدينية، وخاصةً في مناطق مليبار^(٢).

لعلّ أبرز ما يُميّز دوره في هذه البلاد هو جهوده في محاربة الاستعمار البريطاني؛ إذ دعا إلى نبذ ظاهرة التمييز القائم على اللون والدين والمال، وهي من الظواهر التي شجّع عليها الاستعمار^(٣)، كما شارك في عددٍ من معارك النضال ضد الاستعمار، مثل ثورة (جيروور)، وثورة (موتيرجيرا)^(٤)، وثورات (المابلّا)، و(المابلّا) هم طائفة من الهنود، أسلم الكثير منهم على يدي السيد علوي بن محمد، وقد استمرت ثوراتهم في ١٢١٦ - ١٢٣٢ هـ / ١٨٠١ - ١٨١٧ م^(٥)، ويقال إنّ أصولهم عربية، وهم شافعية

(١) المشهور، عبدالرحمن بن محمد (ت ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢ م): شمس الظهيرة في نسب أهل البيت فروع فاطمة الزهراء وأمير المؤمنين علي (عليه السلام)، تحقيق محمد ضياء شهاب، دار المعرفة، ط الأولى، ١٩٨٤ م، ج ١، ٣٠٨؛ مجيب: مقاومة كتاب كيرالا، ص ١٦٠؛ باذيب: إسهامات، ص ١٩٩؛ الأزهري، علي أصغر: مريداً في حضرة قطب الزمان أبي الفضل علوي بن محمد المنفري، بحث منشور على شبكة المعلومات الإلكترونية، ٢ يوليو ٢٠١٨ م.

<https://alhindonline.net/?p=3780>

(٢) الأزهري: مريداً في حضرة قطب الزمان.

(٣) أسلم، محمد: دور جمعية العلماء في النهضة الإسلامية بولاية كيرالا، مجلة دراسة عربية، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، العدد (الأول)، ٢٠١٤ م، نيودلهي، ص ٥٢.

(٤) من مناطق مليبار في الهند.

(٥) باذيب: إسهامات، ص ٢٣٧؛ أسلم: دور جمعية العلماء، ص ٥٢.

أشاعرة متحمسون كثيرًا لدينهم^(١).

وبسبب نشاطه المناهض للاستعمار البريطاني، ودوره القيادي في تلك الثورات لا سيما ثورات المابلاً؛ قرّرت السلطات الاستعمارية البريطانية نفيه من الهند، لكنها عدلت عن قرارها؛ خشية ردود أفعال عنيفة من السُّكَّان المسلمين؛ لما يتمتع به هذا العلويُّ الحضرميُّ من مكانةٍ ونفوذٍ بين الهنود المسلمين^(٢).

تشير تقارير المستعمرين ومصادرهم إلى أنَّ سلطاتهم الاستعمارية تعرّضت لعنفٍ شديدٍ في ثورات طائفة المابلاً، وأن النشاط المسلح لهذه الطائفة كان بإيعاز من رجال الدين المسلمين الذين استقروا في هذه البلاد، وهؤلاء يُطلق عليهم في اللهجة المحليّة (تنقل)، وهو لقب خاص بالأشراف من أهل البيت النبوي، وكان أكثر هؤلاء الأشراف من الحضارمة آل باعلوي، وقد كانت لهم مكانةٌ بين سكان تلك البلاد، وحظوةٌ عند حُكَّامها^(٣).

لم يكن الشريف علوي المنفرمي مولى الدولة الوحيد الذي خاض غمار المقاومة والجهاد ضد المستعمر الإنجليزي في الهند؛ بل كان إلى جانبه بعضُ تلامذته، منهم ابنه الشريف فضل بن علوي المنفرمي؛ إذ كان كالساعد الأيمن لأبيه، تميّز بالجرأة والبسالة في تنفيذ كل ما يؤمّن به^(٤)، ومنهم العلامة القاضي عمر البلكوتي (ت ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م)، الذي ابتلي في مقاومة الإنجليز، ومكث في السجن بضع سنين، وكان حبسه على يد حاكم مدينة (كيرلا) المعين من سلطات الاستعمار^(٥).

(١) القعيطي: تأملات، ص ٩٠؛ آل عمر، سعيد بن عمر: إمارة السيد فضل بن علوي مولى الدولة في ظفار بين الدعم العثماني والرفض العُماني البريطاني، مجلة التاريخ العربي، العدد (١٨)، تصدر عن جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، ٢٠٠١م، ص ٣؛ باذيب: إسهامات، ص ٢٣٧.

(٢) القعيطي: تأملات، ص ٩٠؛ باذيب: إسهامات، ص ٢٣٨.

(٣) القعيطي: تأملات، ص ٨٩.

(٤) نفسه، ص ٩٠.

(٥) باذيب: إسهامات، ص ٢٣٩.

وفي المحرم سنة ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م، وقيل سنة ١٢٦٣هـ / ١٨٤٧م توفي الشريف الحضرمي علوي مولى الدولة في مدينة منفرم بالهند، ودُفن بها، بعد أن قضى معظم حياته في الدعوة والجهاد ونشر الإسلام والدفاع عنه^(١).

دور فضل بن علوي في الهند

على خطأ والده سار فضل بن علوي في جهاد ومقاومة المستعمر البريطاني، وكشف مخططاته وأهدافه، وقد عدّه الإنجليز من أهم المحرضين على الاضطرابات في الهند سنة ١٢٦٨هـ / ١٨٥٢م، وتعتقد سلطاتهم أيضاً أنه وراء مقتل المحقق البريطاني المكلف بالتحقيق في تلك الاضطرابات^(٢). لقد كانت حياة هذا الشريف الحضرمي مملوءة بالتحديات والإنجازات العظيمة الرامية إلى خدمة الإسلام والمسلمين في أي مكان^(٣).

لم يقتصر دور فضل بن علوي على الجانب السياسي، بل كان له نشاط فكري ضد الاستعمار البريطاني في الهند؛ إذ تزامنت أحداث الثورة الهندية مع قيامه بتأليف كتابين هما: (السيف البتار في الحث على قتال الكفار)، و(عُدّة الأمراء والحكام لإهانة الكفرة وعبداء الأصنام)، والأخير طُبِعَ في مكة سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م في أثناء إقامته فيها بعد نفيه من الهند^(٤).

ولا تُمدُّنا المصادر التي بين أيدينا بتفاصيل أوفى عن نشاط فضل بن علوي ضد المستعمرين في الهند، لكن من الواضح أنه كان أكثر خطراً عليهم من والده علوي بن محمد، ممّا دفعهم إلى إخراجه حيلة من الهند سنة ١٢٦٨هـ / ١٨٥٢م، ثم

(١) نفسه، ص ٢٣٨.

(٢) كيلي، جون. ب: بريطانيا والخليج العربي (١٧٩٥ - ١٨٧٠م)، ترجمة محمد أمين، وزارة التراث القومي والثقافة، (د. ط)، مسقط، ج ٢ ص ٦٧٢؛ ج. ج، لوريمر: دليل الخليج العربي، القسم التاريخي، ترجمة وطباعة مكتب أمير قطر، ١٩٧٥م، ج ٢ ص ٩٠٠؛ آل عمر: إمارة فضل، ص ٦.

(٣) القعيطي: تأملات، ص ٩٠.

(٤) باذيب: إسهامات، ص ٢٤٠، ٢٤١.

حظروا عليه العودة إليها، وتوعدوه بالاعتقال، فانتقل إلى حضرموت أولاً، ثم رحل إلى مكة المكرمة^(١).

وفي مكة استطاع فضل بن علوي أن يبني لنفسه مكانة لدى العامة والخاصة، وأصبح أكثر قرباً من السلطة العلية في الأستانة، وكان معظماً مهاباً عند الولاة الأتراك وأشرف الحرمين^(٢)، منهم الشريف عبدالله بن عون أمير مكة، والعلامة الشيخ أحمد زيني دحلان مفتي الديار المقدسة، وعاش متنقلاً في أراضي الدولة العثمانية، وفيها اكتسب شهرةً لتقواه وصلاحه، كما قام بزيارة الأستانة في أيام السلطان العثماني عبدالعزيز (١٢٧٧ - ١٢٩٣ هـ / ١٨٦٠ - ١٨٧٦ م)، كما تيسر له الاتصال بالعلماء وطلبة العلم^(٣)، فقصده الكثير منهم، وفي مجلسه أناخوا ركبهم وثنوا ركبهم، وأخذوا عنه.

ويبدو أن هاجس الخوف من هذا الثائر المسلم ظلَّ يُؤرق السلطات الاستعمارية البريطانية، فسלטوا عليه عيونهم، وظلوا يراقبونه حتى في منفاه، ونظروا إليه بعين الريبة والخوف، وخاصةً بعد إصدار كتابه (عُدَّة الأمراء)، فطلب الإنجليز من العثمانيين منع الشريف فضل بن علوي من مغادرة أراضي الدولة العثمانية، وتحت ضغطٍ منهم أصدر العثمانيون سنة ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م أمراً بمنعه من مغادرة أراضيهم^(٤).

المبحث الثاني: إمارة فضل بن علوي في ظفار والموقف البريطاني منها (1288 - 1296 هـ / 1872 - 1879 م)

يقع إقليم ظفار على ساحل بحر العرب بين اليمن غرباً وعمان شرقاً، ويُشرف على البحر العربي من جهة الجنوب، وفي الشمال تأتي صحراء الربع الخالي، وظفار المدينة

(١) لوريمر: دليل الخليج، ج ٢ ص ٩٠٠؛ المشهور، أبوبكر العدني: لوامع النور نخبة من أعلام حضرموت، دار المهاجر، (د.ط)، ص ٢٨٢؛ باذيب: إسهامات، ص ٢٣٩، ٢٤١.

(٢) القعيطي: تأملات، ص ٩٠؛ باذيب: إسهامات، ص ٢٠١.

(٣) لوريمر: دليل الخليج، ج ٢ ص ٩٠٠؛ الزركلي، خير الدين بن محمود: الأعلام، دار العلم للملايين، ط الخامسة عشرة، ٢٠٠٢ م، بيروت، ج ٥ ص ١٥٠؛ آل عمر: ص ٧.

(٤) لوريمر: دليل الخليج، ص ٩٠٠.

هي التي بناها الحضارة الحبوشيون على ساحل هذا الإقليم في مطلع القرن السابع الهجري، وأطلقوا عليها اسم الأحمدية، نسبةً إلى بانيها أحمد بن محمد الحبوشي^(١)، واليوم يُعدُّ هذا الإقليم من ممتلكات سلطنة عمان الشقيقة.

قبل تأسيس الإمارة، خلفية تاريخية سياسية

قديمًا كان هذا الإقليم أكثر ارتباطًا وتعلقًا بحضرموت واليمن؛ فقد خضع لمملكة حضرموت القديمة (١٠٢٠ ق.م - ٦٥ م)، وفيه شُيّدت مدينة سمهرم (خور روري) بأمر الملك الحضرمي (العزيط)^(٢)، كما كان للعثمانيين سيطرة عليه، خاصةً في القرون الأولى من الهجرة، وفيه أقام المنجويون دولتهم في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وقيل إنَّ المنجويين أصولهم حضرمية من قبيلة كِنْدَة^(٣)، وبعدهم جاء الحبوشيون، ثم خضعت ظفار للرسولين حُكَّام اليمن بدءًا من سنة ٦٧٨ هـ/ ١٢٧٩ م، وبعد أحداث متفرقة سيطر عليها آل كثير سنة ٨١٦ هـ/ ١٤١٣ م، وكان نفوذهم متفاوتًا، ولم يحظَ بالاستمرارية والقوَّة، وفي القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي تمكن إمام اليمن إسماعيل بن القاسم من مد نفوذه إلى ظفار، وعيَّن آل كثير نوابًا له^(٤).

كان للعلويين الحضارة حضور في هذا الإقليم تعود بدايته إلى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، عندما هاجر الشريف محمد بن علي العلوي، المعروف بصاحب مرباط، ومات هناك سنة ٥٥١ هـ/ ١١٥٦ م، وقبره معروف إلى اليوم، وفي سنة ١٢١٩ هـ/ ١٨٠٤ م تمكن الشريف محمد بن عقيل السقاف من إقامة

(١) ابن الأثير، علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م): الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، ط الأولى ١٩٩٧ م، بيروت، ج ١٠ ص ٢٠٣.

(٢) الجرو، أسمهان: دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، دار الكتاب الحديث، (د.ط)، ٢٠٠٣ م، القاهرة، ص ٧٤.

(٣) باحنان، محمد بن علي (ت ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م): جواهر تاريخ الأحقاف، دار المنهاج، ط الأولى ٢٠٠٨ م، جدة، ص ٤٠١، ٤٠٤.

(٤) باعمر، حسين بن علي: تاريخ ظفار التجاري، مطابع ظفار الوطنية، (د.ط)، ص ١١.

سلطة خاصة به في هذه المنطقة استمرت إلى سنة ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م^(١)، وعلى مدى قرون متعاقبة نزحت كثير من القبائل والأسر من حضرموت واليمن إلى هذا الإقليم، وما زال بعضها محتفظاً بروابطه مع موطنه الأول، ومنهم العلويون، أضف إلى ذلك أن أغلب سكان هذا الإقليم سُنَّة شافعيون، قرييون في مذهبهم وعاداتهم من الحضارمة.

يصف لوريمر ظفار بأنها إقليمٌ مستقلٌّ بذاته منغلَقٌ على نفسه، وتاريخه غير متماسك؛ فبعد مقتل الشريف محمد بن عقيل سنة ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٩م أرسل سلطان عُمان سعيد بن سلطان (١٢٠٤ - ١٢٧٣هـ/ ١٧٩١ - ١٨٥٦م) قوَّةً للاستيلاء على ظفار باسمه، ثم عرض السلطان سعيد على الشريف عبدالرحمن بن عقيل السقاف أخِي محمد بن عقيل ولاية ظفار، لكنَّهُ رفض؛ لاشتغاله بتجارته في الهند، ثم سحب السلطان سعيد قواته من ظفار؛ لحاجته إليها في قمع اضطرابات داخل عُمان، وفي ممتلكاته في شرق أفريقيا^(٢). وبسبب هذا الفراغ السياسي ساءت أحوال ظفار وزادت الاضطرابات فيها، وجرت محاولات من بعض أعيانها لحمل سلاطين عُمان على ضم هذا الإقليم لحكم مسقط، لكن محاولاتهم قُوبلت بالرفض والنفور^(٣). ويبدو أن سلاطين عُمان كانوا زاهدين في حكم هذا الإقليم الذي تعصف به الصراعات القبلية.

وفي شهر شعبان سنة ١٢٦٥هـ/ يونيو ١٨٤٩م وصلت رسالة من حاكم عُمان سعيد بن سلطان إلى السلطان عبدالله بن محسن الكثيري سلطان حضرموت حينها^(٤)، يخبره فيها بطلبٍ وصله من القعيطي اليافعي، يُعبر فيه عن رغبته في شراء ظفار بمبلغ

(١) لوريمر: دليل الخليج، ج ٢ ص ٨٩٧

(٢) نفسه، ج ٢ ص ٨٩٧، ٨٩٨.

(٣) نفسه، ج ٢ ص ٨٩٩؛ باعمر: تاريخ ظفار، ص ١٣.

(٤) هو أخو السلطان غالب بن محسن مؤسس دولة آل عبدالله الكثيريين، كان مقره في تريم. الكندي، سالم بن حميد (ت ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م): تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، تحقيق: عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد، ط الأولى، ٢٠٠٣م، صنعاء، مج ١ ص ٤٢٠، ٤٣٢.

مائة ألف ريال ماريا تيريزا^(١)، ثم بين سلطان عُمان في رسالته أنه يُفَضَّل تسليم ظفار للسلطان الكثيري، وأنه مساعدٌ له على مَنْ يتعرض له بسوء؛ لأنه نَمَى إلى علمه بغِي قبائل يافع في حضرموت، وكان الوساطة في التواصل بين السلطانين - سعيد بن سلطان وعبدالله بن محسن - أحد أشرف حضرموت يُدعى محمد البيض^(٢).

مِمَّا سبق يتبين أن قبول الشريف فضل مولى الدولة بحكم ظفار وتأسيس إمارة له فيها استند إلى خلفية تاريخية سياسية، وصِلاتٍ قديمةٍ للحضارة هناك، دعمتها رغبةٌ من بعض قبائل تلك الجهة لملء الفراغ السياسي، بل كان السيد فضل يُعَدُّ ظفار آخر حدود حضرموت، وهي مع الشحر والمكلا تمثل البنادر الرئيسة الثلاثة في هذه البلاد^(٣)، ونظرًا لما تمتع به هذا الشريف من تقوى وحكمة ومكانة وعلو همة؛ التقى

(١) نفسه، ج ٢ ص ٧؛ القعيطي: تأملات، ص ٩١. يبدو أن تلك الرسالة أرسلها القعيطي إلى سلطان عمان قبل تأسيس الإمارة القعيطية؛ إذ كانت المكلا والشحر حينها تحت حكم آل بريك وآل كساد اليافعيين، ولم يظهر الدور القعيطي في حضرموت إلا بعد حادثة دار ابن معمر الخلاقي في القطن التي فجرها السلطان منصور بن عمر الكثيري في حدود سنة ١٢٦١ هـ تقريبًا، وقتل فيها من يافع رجالًا ونساءً منهن عقيلتان من حرم الجمعدار عمر بن عوض القعيطي قيل إنهما عمّتا، فغضب لذلك وعزم على الانتقام، فاشترى من السادة آل العيدروس حوطتهم في القطن المسماه (الريضة)؛ لتكون له قاعدة حربية، ومن حينها أصبحت مركزًا للدولة القعيطية، وأخذ ابنه محمد يجيِّش الجيوش منذ سنة ١٢٦٤ هـ/ ١٨٤٨ م، وفي سنة ١٢٨٣ هـ/ ١٨٦٧ م وصل الجمعدار عمر بن عوض القعيطي من الهند إلى المكلا لنصرة أميرها النقيب صلاح الكسادي على آل كثير، ثم ازدادت دولة القعيطيين توسعًا في حضرموت. للاستزادة راجع: ابن هاشم، محمد بن طاهر: تاريخ الدولة الكثيرية، طبعة سلطانية خاصة، ١٩٤٨ م، ج ١ ص ١٩٠؛ ٥٢٣؛ باوزير، سعيد عوض: صفحات من التاريخ الحضرمي، دار الهمداني، ط الثانية، ١٩٨٣ م، عدن، ص ٢٠٥؛ بامطرف، محمد عبدالقادر: في سبيل الحكم، دار حضرموت، ط الأولى، ٢٠٠٨، المكلا، ص ٤٤ وما بعدها.

(٢) الكندي: العدة المفيدة، مج ٢ ص ٧.

(٣) سيد مصطفى، سالم: وثيقة عربية من حضرموت إلى الصدر الأعظم باستانبول، بحث منشور في كتاب الندوة الدولية حول اليمن في العهد العثماني، صنعاء، ١٦ - ١٧ ديسمبر ٢٠٠٩ م، مركز الأبحاث للتاريخ والثقافة الإسلامية، استانبول، ٢٠١١ م، ص ١٥٠.

به عدد من أهل ظفار وأعيانها وفي مقدمتهم آل كثير، وجرى ذلك في مكة المكرمة في موسم الحج سنة ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م، وعرضوا عليه حكم ظفار في محاولة منهم لإنهاء الاضطرابات والمشاكل الاجتماعية والتخلف الذي تعاني منه هذه البلاد^(١).

فضل بن علوي أميراً على ظفار

في مكة المكرمة جرى التفاوض بين أعيان ظفار والشریف فضل، وتم الاتفاق وعقد البيعة على السمع والطاعة والحماية في ١٦ من ذي الحجة ١٢٨٨هـ / ١٩ من فبراير ١٨٧٢م^(٢)، وفي شهر شعبان سنة ١٢٩٢هـ / سبتمبر ١٨٧٥م وصل الشریف فضل إلى ظفار^(٣)، وقيل إنه غادر مكة متوجهاً إلى ظفار في رمضان ١٢٩١هـ / أكتوبر ١٨٧٤م^(٤). والملاحظ طول المدة بين المبايعة والخروج إلى ظفار، ويبدو أن السيد فضلاً طلب أولاً من المبايعين له القيام بتهيئة الأوضاع في ظفار، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تشير بعض المصادر إلى أنه أجرى اتصالاً وتنسيقاً مع أحمد مختار باشا الوالي العثماني في صنعاء؛ إذ في شهر ربيع الآخر سنة ١٢٩٠هـ / يونيو ١٨٧٣م سافر السيد فضل إلى صنعاء، والتقى بالوالي، وحصل منه على الدعم اللازم^(٥). وليس صحيحاً أن حركته كانت مقيّدة، وظل طويلاً منتظراً الإذن من العثمانيين، كما يذكر الدكتور آل عمر^(٦).

(١) لوريمر: دليل الخليج، ج ٢ ص ٩٠٢.

(٢) انظر الملاحق، عقد البيعة، ملحق رقم (٢)، ومن المبايعين الشيخ عوض بن عبدالله الشنفرى، الملقب بعوض الموت، ومحاد بن سعيد السعدوني عكعك، ويبدو أن السيد فضلاً بايعه جمع من وجهاء ظفار؛ فهناك أكثر من وثيقة تحمل نص البيعة نفسه مع اختلاف أسماء المبايعين. للاستزادة راجع: آل عمر: إمارة فضل، ص ١١؛ باعمر: تاريخ ظفار، ص ١٣، ١٠٢.

(٣) الكندي: العدة المفيدة، مج ٢ ص ٣٣١، ٣٥٤؛ المشهور: شمس الظهيرة، ج ١ ص ٣٠٨؛ الحداد: قرة الناظر، ج ١ ص ٦٦٧.

(٤) آل عمر: إمارة فضل، ص ٨. وهذا التاريخ غير مقبول بناءً على المراسلات والأحداث التي يرويها الكندي في العدة، وهو شاهد على تلك الحقبة.

(٥) الكندي: العدة المفيدة، مج ٢ ص ٣٣٢؛ الحداد: قرة الناظر، ج ١ ص ٦٦٧.

(٦) إمارة فضل، ص ٨.

ويظهر كذلك أن هناك اتصالاً وتنسيقاً جرى أولاً بين الشريف فضل وأنصاره في حضرموت وظفار من العلويين وآل كثير، من خلاله ضمنَ وقوف هؤلاء إلى جانبه؛ إذ في شهر ذي القعدة سنة ١٢٨٩هـ/ يناير ١٨٧٣م وصلت رسالة من الحجاز إلى حضرموت حيث الشريف عقيل بن عبدالله بن عمر بن يحيى العلوي، تفيد أن الدولة العليّة وافقت على وضع ظفار تحت يد الشريف فضل، وأن التجهيزات قادمة إلى البنادر - أي المدن الساحلية ظفار والمكلا والشحر - والسيد فضل مسافر إلى ظفار بعد عيد الحج من السنة المذكورة، وعلى أشرف حضرموت استقباله في البنادر^(١).

ويضيف الكندي أن السيد فضلاً لن يكون والياً عثمانياً على ظفار فحسب؛ بل على حضرموت كلها ببندرها، وهذا ما أكدّه أحمد مختار باشا الوالي العثماني في اليمن لأحد رؤساء آل كثير يُدعى عبود بن سالم، وأن قوّة قوامها ٢٤٠٠ جندي يجري تجهيزها لتحقيق هذا الغرض^(٢). نستشف من ذلك أن خروج السيد فضل إلى ظفار جرى بتنسيق مع العثمانيين، ومع بعض الحضارمة خاصة الأشراف وآل كثير.

سياسته في إدارة ظفار

وصل الشريف فضل إلى ظفار، وعمل على ترتيب أمورها، وخلق علاقات مع قبائلها، واتخذ من مدينة صلالة مقراً لحُكمه، وعيّن ابنه قاضياً يفصل بين القبائل^(٣)، وفي صلالة اشترى بيت السيد محمد بن عقيل السقاف المعروف ببيت السور؛ ليكون محل إقامة له ولأسرته^(٤)، وجعل لمقره بُرجين للحراسة، ومرافق عامة للعسكر والضيوف، وحظيرة للخيول، ونُزلاً للسجناء، ويقال إنه سعى في هذه المرحلة إلى الحصول على دعم واعتراف الدولة العثمانية، لكنه لم يجد ذلك^(٥)، كما اتخذ لدولته

(١) الكندي: العدة المفيدة، مج ٢ ص ٣٣٠.

(٢) نفسه، مج ٢ ص ٣٣٠، ٣٣١.

(٣) لوريمر: دليل الخليج، ج ٢ ص ٩٠٠؛ آل عمر: إمارة فضل، ص ٨.

(٤) باعمر: تاريخ ظفار، ص ١٤٩. انظر الملاحق، ملحق رقم (٤) بيت السور.

(٥) لوريمر: دليل الخليج، ج ٢ ص ٩٠٠.

شعارًا وعَلَمًا؛ فأما الشعار فهي نجمة خماسية، وأما العَلَم فيغلب عليه اللون الأخضر تتوسطه نجمة خماسية^(١).

هذا الوضع الجديد في ظفار لم يكن محل قبول عند سلطان مسقط تركي بن سعيد (١٢٨٨ - ١٣٠٥ هـ / ١٨٧١ - ١٨٨٨ م) الذي زهد أسلافه في هذا الإقليم ولم يعد لهم قوة ونفوذ فيه، وقد غاظته كثيرًا تلك الرسالة التي بعثها فضل بن علوي إليه، وفيها وصف نفسه بأنه «حاكم ظفار باسم الباب العالي»^(٢)، والرسالة في حد ذاتها محاولة من الشريف فضل خلق علاقة حسن جوار مع سلطان عُمان، وإعلامه أنه قدّم إلى ظفار لإخماد الفتن بعد طلب من أهلها، وتفويض من الدولة العلية، إلا أن السلطان تركي رأى في ذلك خطرًا على دولته^(٣)، فبادر بإبلاغ حكومة الهند البريطانية بالتطورات الجديدة في ظفار، ولخطورة الأمر قامت حكومة الهند بإبلاغ الحكومة الملكية البريطانية في لندن، وفي سنة ١٢٩٤ هـ / ١٨٧٦ م قدّم (إليوت) السفير البريطاني في القسطنطينية احتجاجًا لدى الحكومة التركية على أعمال فضل بن علوي، وطالب بشجب تصرفاته، لكنه لم يتلقَ ردًا من الأتراك؛ فأعاد الكرة مرةً أخرى في العام اللاحق^(٤).

مستفيدًا من فكره الإصلاحية، وخبراته الواسعة، وتنقلاته في أرجاء الدولة العثمانية؛ عمل مولى الدولة على تعزيز نفوذه في ظفار وكسب أهلها، واتخذ من مسجدها الجامع منبرًا لتوضيح سياسته ومنهجه، وهو الخطيب المُنْفَوْه، العالم بأمور الشرع وأصول الدين، وحاول معالجة بعض الظواهر المتفشية في المجتمع الظفاري مثل التعامل بالسحر؛ فقد سجن ثمانين رجلًا ممن يمارسون هذا العمل المخالف للشرع^(٥)، وطبّق

(١) نفسه، ج ٢ ص ٩١٥. انظر الملاحق، ملحق رقم (٢) شعار إمارة فضل بن علوي.

(٢) كيلي: بريطانيا والخليج، ج ٢ ص ٦٧١؛ لوريمر: دليل الخليج، ج ٢ ص ٩٠١.

(٣) باعمر: تاريخ ظفار، ص ٢٥؛ انظر الملاحق، ملحق رقم (٥) رسالة الشريف فضل بن علوي إلى السلطان تركي بن سعيد سلطان مسقط.

(٤) كيلي: بريطانيا والخليج، ج ٢ ص ٦٧٣؛ لوريمر: دليل الخليج، ج ٢ ص ٩٠١.

(٥) فيليبس، وندل: عمان تاريخ له جذور، الدار العربية للموسوعات، ط الأولى، ٢٠١٢ م، بيروت، ص ١٢٨.

حدود الشرع، ومنع تبرج النساء، وفرض الزكاة الشرعية^(١).

وعسكرياً اعتمد في أول الأمر على قوة من الجنود الأتراك بلغ عددها خمسمائة جندي، قدموا إلى ظفار على ظهر سفيتين عثمانيتين^(٢)، ثم عاد أولئك الجنود بعد استقرار الأمور وتشكيل قوة محلية^(٣)؛ إذ أسس لنفسه جيشاً من أهل المنطقة خاصة قبائل آل كثير وقبائل القرا، بلغ تعدادهم ٥٥٠٠ مقاتل، وعيّن مستشارين له من آل كثير ومن أشرف ظفار^(٤).

وفي الجانب الاقتصادي والإداري فرض السيد فضل على رعايا إمارته الناشئة ضريبة مقدارها خمسة في المائة على جميع الصادرات والواردات، وبلغ عدد رجال إدارته ستون رجلاً، وقد سعى إلى زيادة إنتاج ظفار من اللبان، وفي سبيل ذلك أرسل إلى الهند مبعوثاً لاستقدام خبراء في إنتاج اللبان، كما اتصل بشركة الملاحة الهندية البريطانية سنة ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م، مقترحاً عليها أن ترسل شهرياً إحدى السفن إلى ظفار، ضامناً لها شحن مائتي طنٍّ من صادرات بلاده، لكن الإنجليز تجنبوا التعامل معه؛ حتى لا يكون ذلك اعترافاً منهم بسلطته على ظفار. لقد سعى السيد فضل بسياسته تلك إلى بناء دولة من الطراز الحديث^(٥).

كانت بريطانيا تراقب التطورات الحاصلة على ساحل البحر العربي، وساءها قيام إمارة موالية للعثمانيين في هذه المنطقة، تلك الإمارة أخذت تتوسع غرباً لتصل إلى أجزاء من بلاد المهرة، ويبدأ زعيمها السيد فضل في مد خطوط الاتصال مع الإنجليز أنفسهم، وكذلك مع الزعماء المحليين في حضرموت؛ إذ حاول في سنة ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م الدخول في مفاوضات مع المندوب السامي

(١) آل عمر: إمارة فضل، ص ١٠.

(٢) كيلبي: بريطانيا والخليج، ج ٢ ص ٦٧٢.

(٣) الحداد: قرة الناظر، ج ٢ ص ٦٦٧.

(٤) آل عمر: إمارة فضل، ص ١١.

(٥) فيلبس: عمان، ص ١٢٧، ١٢٨.

البريطاني في عدن، لكنه لم يحظَ باهتمامهم؛ نظرًا لتاريخه المعادي لهم منذ كان في الهند^(١).

لقد نظر الإنجليز إلى الشريف فضل نظرة عدو لا صديق، ووصفوه بالخطر الحاقد عليهم، وأنَّ دعوته تحمل كثيرًا من التطرف^(٢)؛ لذا تحاملوا كثيرًا عليه، ووقفوا في وجه طموحاته وتطلعاته، وكان لذلك آثار سلبية في إمارته، من ذلك كساد التجارة، وتدمير السكان تدميرًا وصل إلى حد الثورة^(٣)، وهذا أدى في النهاية إلى انهيار هذه الإمارة وسقوطها.

إن الأمر الذي أزعج الإنجليز كثيرًا هو محاولات الشريف فضل التمدد والسيطرة على حضرموت كلها، وإخضاع سلاطينها ولا سيما اليافعيون - الكسادي والقعطي -، أما الكثيري فكان على وئام معه نكايًا باليافعيين، وقد اغتازت السلطات البريطانية في عدن بعد وصول رسالة إلى وزارة خارجيتهم من وزارة الخارجية التركية مفادها السماح للسيد فضل بن علوي بالذهاب إلى المكلا بصفته واليًا عليها، وأن حاكم المكلا النقيب عمر بن صلاح الكسادي هو من رعايا الدولة العثمانية، وقد طلب حمايتها، وإمارته سوف تنضم إلى إقليم ظفار الذي يحكمه السيد فضل باسم الباب العالي^(٤).

وعلى الرغم من تبرؤ النقيب الكسادي من تلك الرسالة، ووصفها بأنها فريّة اختلقها خصومه للقضاء على إمارته؛ إلا أن ذلك لم يشفع له، فأخذ الإنجليز موقفًا سلبيًا منه، وناله تدمير وعداء واضح منهم، ومالوا كثيرًا إلى خصمه القعطي حاكم الشحر حينها^(٥)، ونجد عند لوريمر تفاصيل مختلفة لهذه القضية، مفادها أن سلطان عُمان كان متعاطفًا مع الكسادي حاكم المكلا، وترجمةً لذلك أرسل مندوبًا له مقيمًا في

(١) نفسه، ص ١٢٧، ١٢٩؛ لوريمر: ج ٢ ص ٩٠١؛ آل عمر: إمارة فضل، ص ١٢.

(٢) كيلي: بريطانيا والخليج، ج ٢ ص ٦٧٢؛ فيلبس: عمان، ص ١٢٧، ١٢٨.

(٣) باعمر: تاريخ ظفار، ص ٢٤.

(٤) فيلبس: عمان، ص ٢٩؛ باعمر: في سبيل الحكم، ص ١٩٦.

(٥) نفسه، ص ١٩٨.

المكلا، وفي المقابل كان حاكم المكلا يطالب بأن تكون ظفار تابعة لسلطان عُمان، هذه العلاقة بين مسقط والمكلا أثارت غضب القعيطي حاكم الشحر، وأعلن صراحةً عزمه على التدخل في شؤون ظفار، لكنه عدّل عن ذلك بعد أن وجّه له الإنجليز إنذاراً^(١). لقد كان لسيطرة السيد فضل على ظفار باسم الدولة العثمانية تأثيرات سياسية قوية داخل حضرموت.

اصطدمت نشاطات السيد فضل ومساعيه لتدعيم أركان دولته بتقاليد موروثية وعادات سائدة في المنطقة، ونفر منه الناس عندما طلب منهم دفع زكاة أموالهم، وتعرّضوا لعمال الجبائية وقتلوا أحدهم^(٢)، كما تزامن عهده مع قحط شديد شهدته البلاد في صيف عام ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م؛ فنزحت بعض القبائل إلى مسقط، ونفقت كثير من قطعان الماشية، وعلت الأسعار، وقد أرسل الشريف فضل في طلب المساعدة من اليمن والحجاز؛ إلا أن ذلك لم يكن كافياً لحل المشاكل التي أخذت تعم البلاد وخاصة تمردات القبائل في جبال ظفار^(٣).

وبسبب هذه الظروف لاحت في الأفق بوادر عصيان وتمرد على حكم هذا الشريف حتى من الذين بايعوه وناصروه عند قدومه إلى ظفار، منهم الشيخ عوض بن عبدالله الشنفرى، المعروف بـ (عوض الموت)؛ فبعد مدة من قدومه إلى ظفار عمّت الاضطرابات والنزاعات في إمارته الناشئة، ونفرت عنه أكثر القبائل حتى أرغم على الخروج، وكان السبب المباشر في ذلك حادثة قتل حصلت لأحد أبناء قبيلة آل كثير، وقد عرف آل كثير قبيلة القاتل لكنهم لم يعرفوا عين القاتل، فطالبوا بالتأثر من قبيلة القاتل، فعارضهم السيد فضل وبيّن لهم أن القصاص يكون من القاتل فقط، فثاروا عليه وحاصروه في بيته نحو ثلاثة أشهر، وضربوا عليه بالبنادق حتى خرج مقهوراً في

(١) دليل الخليج، ج ٢ ص ٩٠١، ٩٠٢.

(٢) آل عمر: إمارة فضل، ص ٦.

(٣) فيليس: عمان، ص ١٢٨؛ لوريمر: دليل الخليج، ج ٢ ص ٩٠١.

بداية سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٩م، وغادر ظفار متجهًا إلى المكلا التي وصلها في شهر صفر سنة ١٢٩٦هـ/ فبراير ١٨٧٩م، ومنها انتقل إلى مدينة جدّة في الحجاز^(١).

بعد خروج السيد فضل من ظفار سافر الشيخ عوض الشنفرى إلى مسقط، وطلب من السلطان تركي بن سعيد ضم ظفار إلى سلطته مرةً أخرى، لكن أهل ظفار لم يجمعوا على هذا الرأي، بل انقسموا على ثلاث فرق: الأولى ترغب في الانضواء تحت سلطة حاكم مسقط، ويتزعمها الشيخ عوض الشنفرى، والثانية ترغب في عودة الشريف فضل، ويتزعمها الشيخ عوض بن عزان^(٢)، والثالثة ترغب في استقلال ظفار، والأخيرة هي الأكثرية^(٣).

وجاء الحسم من السلطان تركي عندما أرسل حملة إلى ظفار تحت قيادة خادمه سليمان بن سويلم سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٩م، ومن حينها خضعت ظفار لحُكَّام عُمان^(٤)، وتعمقت روابطها بهم أكثر بعد اتخاذ حكومة الهند البريطانية قرارًا في نهاية سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٩م يقضي بنقل مسؤولية الإشراف على هذا الإقليم من الوكالة السياسية البريطانية في عدن إلى الوكالة السياسية البريطانية في مسقط حاضرة سلاطين عُمان^(٥).

(١) الكندي: العدة المفيدة، مج ٢ ص ٣٧٥، ٣٧٦؛ كيلي: بريطانيا والخليج، ج ٢ ص ٦٧٤؛ لوريمر: دليل الخليج، ج ٢ ص ٩٠١؛ آل عمر: إمارة فضل، ص ١٢.

(٢) ورد عند لوريمر: «عودة بن عزان». ويبدو أنه تصحيف من المترجم، والصحيح: «عوض بن عزان بن مرعي الشنفرى»، وهو تاجر من ظفار، عاش في القرن التاسع عشر الميلادي، وكان من المؤيدين للسيد فضل. وقد حصل التصحيف أيضًا في اسم عوض بن عبد الله الشنفرى، المعروف بـ (عوض الموت)، ففي الطبعة المترجمة من كتاب لوريمر ذكر: (عواد)، وصححه الدكتور عمر آل عمر، والتصحيح أعلاه بين قوسين من عند الباحث.

(٣) لوريمر: دليل الخليج، ج ٢ ص ٩٠٢.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

يبدو أن بريطانيا أرادت بذلك قطع أي أمل ينشده الشريف فضل بن علوي بالعودة إلى حكم ظفار، ومن ثمَّ إبعاد أي نفوذ للعثمانيين في سواحل البحر العربي، سواء عبر الشريف فضل أو غيره من حكام الإمارات الحضرية، خاصة بعد أن نَمى إلى علم الإنجليز محاولات النقيب الكسادي حاكم الشحر وضع إمارته تحت حكم العثمانيين كما ذكرنا سابقاً، وبالمقابل كان سلطان عمان محل ثقة البريطانيين، وأظهر كثيراً من التعاون معهم.

أسباب سقوط إمارة فضل بن علوي

- (١) الظروف الطبيعية والقحط الذي عم البلاد في مدَّة حكمه القصيرة.
- (٢) تشدده في الأحكام الدينية في مجتمع يغلب عليه الجهل والبداوة.
- (٣) اصطدامه بالصراعات القبلية وعجزه عن حلها.
- (٤) جنوح تلك القبائل المستمر نحو التمرد وعدم الانضباط تحت سلطة حاكمه.
- (٥) نفور تلك القبائل وعدم التزامها بدفع زكاة أموالها.
- (٦) عودة الجنود الأتراك واعتماده على قوة من القبائل المحلية لم تلبث أن تمرد بعضها عليه.

- (٧) العداء الذي أظهره البريطانيون ومعهم سلطان عُمان، وسعيهم لتقويض إمارته.
- (٨) الموقف المتقلب لبعض أنصاره خاصة عوض بن عبدالله الشنفرى الذي كان من المبايعين للسيد فضل، ثم قاد التمرد عليه ومال إلى سلطان عُمان، أملاً منه الحصول على ولاية ظفار، لكن السلطان نصَّب مملوكه الحبشي سليمان بن سويلم، وهذا أثار حقد الشنفرى فيما بعد، ودفعه إلى الثورة ضد هذا الوالي.

ما بعد الخروج من ظفار

وصل الشريف فضل إلى مكة، ومنها انتقل إلى الأستانة، وسبقته إلى هناك نصيحة أرسلها شريف مكة تدعو الباب العالي إلى دعم السيد فضل ومساندته للعودة إلى حكم ظفار؛ لأن ذلك سوف يؤثر سلباً في الإنجليز، وفي الأستانة التقى بالسلطان عبدالحميد

الثاني (١٢٩٣ - ١٣٢٧هـ/ ١٨٧٦ - ١٩٠٩م) الذي بدوره قرر دعمه محاولاً من خلاله ضمان ولاء الزعامات المحلية في أطراف الجزيرة، كما أنعم عليه بلقب (باشا)، ومن حينها عُرِفَ بفضل باشا^(١).

سعى مولى الدولة جاهداً لاستعادة حكمه في ظفار، يدعمه شريف مكة ومن ورائهم الدولة العثمانية، والأخيرة كان دعمها محدوداً، لكن بريطانيا حالت دون ذلك؛ إذ نجدها تلقي بكل ثقلها لدعم سلطان عُمان، من ذلك عندما حاول الشريف فضل في شهر ربيع الآخر سنة ١٣٠٤هـ/ يناير ١٨٨٦م إرسال قوة إلى ظفار تحت قيادة ابنه محمد بن فضل، ومعه ستة عشر رجلاً من أنصاره، وإلى جانبهم مائة جندي عربي من جنود شريف مكة، وكمية كبيرة من الأسلحة، أرسلت تلك القوة من الحجاز على ظهر سفينة من سفن الحجاج تحمل العلم البريطاني تسمى (ميتايديا)، وعندما وصلت السفينة إلى عدن قام الإنجليز بمصادرة تلك الأسلحة، وأنزلت محمد بن فضل في عدن، وبرغم احتجاج السيد فضل على ما حصل؛ إلا أن السلطات البريطانية لم تعطه أي اهتمام^(٢).

ترد إشارات إلى مساعٍ أخرى للسيد فضل وأنصاره في ظفار لإعادة إحياء الإمارة هناك، مدعومين ببعض التبرعات من عشيرته وأعوانه في الهند، لكن تلك المساعي تُصد، وتحركات الأنصار تُقمع على يد سلطان عُمان ومن ورائه بريطانيا، وتشير كتابات المستشرقين إلى محاولة فضل التقرب من الإنجليز، لإعادته إلى ظفار مقابل التزامه بحرية التجارة بين ظفار وبقية مستعمرات بريطانيا، والمساهمة في القضاء على تجارة الرقيق، لكن مقترحاته لم تكن محل اهتمام أحد^(٣).

شهدت ظفار بعد خروج السيد فضل أكثر من تمرد ضد حكم سلطان عُمان، كان أخطرها سنة ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م، واستمر قرابة سنتين، قُتل فيه نائب الوالي العُماني

(١) نفسه، ج ٢ ص ٩٠٦، ٩٠٧.

(٢) نفسه، ج ٢ ص ٩٠٧، ٩٠٨.

(٣) نفسه، ج ٢ ص ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١.

وابنه، ورُفِعَ فيه العلم التركي على أرض ظفار، وهذا الأمر أغاظ كثيراً الإنجليز على الرغم من أن الدلائل لا تشير إلى وقوف السيد فضل وراء هذا التمرد ودعمه^(١)، لكنه يشير من ناحية أخرى إلى رفض سكان هذا الإقليم للحكم العُماني، أو على الأقل رفض أكثر السكان، لأن التمرد توسع وأصبح ثورة عارمة كادت تُنهي الحكم العُماني لظفار لولا تدخل السلطات الاستعمارية البريطانية التي أرسلت سفنها إلى هناك ودعت الثوار للاستسلام وإلا تعرضوا لضربات المدافع البريطانية^(٢)، كما تشير هذه الثورة إلى تفضيل بعض الظفاريين للحكم العثماني.

إن محاولات السيد فضل للعودة لحكم ظفار، وميله الواضح نحو العثمانيين، وعداءه لبريطانيا، دفع الأخيرة إلى التثبيت بهذا الإقليم ودعم حلفائها العُمانيين، واجتهدت كثيراً في نسف طموحات السيد فضل، ووصل الأمر إلى أن أبلغت الحكومة العثمانية أنها لن تتحمل أي نفوذ أجنبي - حسب زعمها - في تلك المنطقة، ولذا فهناك من يرى أن السيد فضلاً قد أسهم بشكل غير مباشر في تمكين العُمانيين من بسط نفوذهم على ظفار بدعم من بريطانيا، وأصبح هذا الإقليم جزءاً من عُمان، وعمَّ الاستقرار فيه والرخاء بعد مدّة من الاضطراب^(٣).

المبحث الثالث: جهود أخرى للشريف فضل بن علوي

سبقت الإشارة إلى نباهة هذا العلوي الحضرمي ونبوغه، وتمرسه في الحياة، وعلو كعبه في علوم شتى؛ إذ تنوعت إسهاماته في فنون مختلفة، من سياسةٍ وقيادةٍ وجهادٍ وتعليمٍ وكتابةٍ وخطابةٍ وغيرها، ولعل السياسة أخذت جانباً كبيراً من حياته، وهو الذي عاش في عصر كانت بلاد الإسلام تموج بالصراعات الداخلية والتدخلات والأطماع

(١) فيليبس: عمان، ص ١٣٢؛ آل عمر: إمارة فضل، ص ١٢.

(٢) لوريمر: دليل الخليج، ج ٢ ص ٩١١.

(٣) الجوير، عبدالله بن عبدالعزيز: التاريخ السياسي لمسقط وعمان في الفترة ١٣٠٨ - ١٣٣٩ هـ/

١٨٩١ - ١٩٢٠ م، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة أم القرى، كلية الشريعة، ١٤١٢ هـ،

ص ٧٤.

الأجنبية، وكان شاهداً على أحداث تلك الحقبة، بل عركته تلك الأحداث التي شملت بلاداً شتى، ومنها موطنه الأصلي حضرموت.

جهوده في حضرموت

إذا كانت حضرموت في تلك المدة ساحةً من ساحات التنافس والصراع بين العثمانيين والأوروبيين وخاصةً الإنجليز منهم؛ فهي أيضاً ساحة للتنافس والصراع بين القوى المحلية خاصةً الياfeيين والكثيريين، وبين هذين الحزبين وقف الأشراف الحضارمة مصلحين ناصحين، أو مؤيدين مناصرين لهذا الحزب أو ذاك، وكُتِبَ التاريخ الحضرمي فيها من التفصيل لتلك الأحداث والمواقف ما لا يسع ذكره هنا، والشريف فضل بن علوي لم تمنعه إقامته البعيدة من ساحة تلك الأحداث من التفاعل معها والمشاركة فيها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

كان السيد فضل يميل كثيراً نحو آل كثير، وقد يكون سبب ذلك يعود للعلاقة الحسنة التي ربطت أكثر السلاطين الكثيريين مع الأشراف في حضرموت، كما أن المناطق الشرقية من حضرموت تعد معاقل رئيسة لآل كثير، وهي أيضاً مواطن لأكثر الأشراف العلويين، ومراكز لطريقتهم الصوفية خاصةً تريم التي منها هاجر الشريف علوي مولى الدولة أبو السيد فضل، وفيها عشيرته وشيوخه، وهي معقل مهم لدولة آل عبدالله الكثيريين، تلك الدولة التي عاصرها السيد فضل.

ويظهر ميل السيد فضل إلى جانب آل كثير في أكثر من موقف، من ذلك حمله عند عودته من حضرموت إلى الهند كتاباً إلى ناصر الدولة في حيدر أباد^(١)، كتبه العلويون الحضارمة في ذي الحجة سنة ١٢٦٤هـ/ أكتوبر ١٨٤٨م وضمّنوه شكوى

(١) ناصر الدولة آصف خان الرابع، هو مير فارقندا علي خان (١٢٤٤ - ١٢٧٣هـ/ ١٨٢٩ - ١٨٥٧م)، السلطان السابع في أسرة نظام الملك قمر الدين التي حكمت حيدر أباد في وسط الهند، وهي دولة هندية مغولية إسلامية سنية، استمرت حتى سنة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م عندما ضُمت حيدر أباد إلى الهند بالقوة.

ضد اليافعيين^(١)، كما سعى السيد فضل لدى الدولة العلية لزيادة الاهتمام بحضرموت، وحل مشاكلها، والنظر إلى شكاوى أهلها وخاصة السادة العلويين الذين أصابهم كثير من الضرر على أيدي القبائل اليافعية^(٢).

واستجابة لمساعيه وعد الأتراك بإرسال جنود من عسير ونواب لهم إلى حضرموت نصرَةً لدولة آل عبدالله الكثيرين، لكن هذه النصرَة تأخرت بسبب وشاية شريف مكة عند العثمانيين على السيد فضل^(٣)، كما يشير بامطرف إلى أن السيد فضلاً كانت له مساعٍ لدى الباب العالي أسفرت عن تقديم معونات عسكرية تركية للسلطان الكثيري غالب بن محسن (ت ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م)^(٤).

تخوفه من التدخلات الأجنبية في جزيرة العرب

لم تكن حضرموت بمشاكلها الداخلية وأطماع الأوروبيين فيها محل اهتمام السيد فضل؛ بل كانت كثير من قضايا الأمة حاضرة لديه، خاصة أطماع الأوروبيين في ممتلكات الدولة العثمانية، لا سيما السواحل الجنوبية للجزيرة العربية بشكل عام؛ لذا أرسل رسالة من ثلاث أوراق إلى الصدر الأعظم، مؤرخة في شهر رجب ١٢٩٦هـ / ١٨٧٩م، أي بعد نحو خمسة أشهر من مغادرته ظفار مطروداً على إثر تمرد قبائلها عليه، وربما تكون تلك الرسالة (الوثيقة) محاولة أخرى من السيد فضل للعودة إلى حكم ظفار، من خلال تنبيه الدولة العلية إلى ما يحصل في تلك الجهة، ومن ثم توجيهها لفرض سلطتها هناك^(٥).

تحدث السيد فضل في رسالته تلك عن نقاط من القانون الدولي وعلم السياسة، وقسمها على عشرة بنود، يتساءل فيها عن تدخل الدول الأجنبية في شؤون مشايخ

(١) الكندي: العدة المفيدة، مج ١ ص ٤٠٤، ٤٠٩.

(٢) نفسه، مج ٢ ص ٢٧٣، ٢٨٨.

(٣) نفسه، مج ٢ ص ٢٨٧، ٣١٦، ٣١٥، ٣٢٠.

(٤) في سبيل الحكم، ص ١٧٠. انظر أيضاً: الكندي: العدة المفيدة، مج ٢ ص ٢٨٧، ٢٨٨.

(٥) سيد مصطفى: وثيقة من حضرموت، ص ١٤٣. راجع الملاحق، ملحق رقم (٦).

العربان؛ هل ذلك بموافقة الدولة العلية؟ وحذر السلطان الأعظم من تجاهل تحركات الدول الأجنبية في السواحل الجنوبية للجزيرة العربية، وعقدها اتفاقيات مع أولئك المشايخ، لأن ذلك سوف يؤدي إلى وضع أيدي الأجانب على تلك السواحل، وهذا يشكل خطراً كبيراً على مقدسات المسلمين في الحجاز^(١).

وفي البند التاسع خص بالذكر قضية قيام فرنسا بشراء قطعة أرض من أحد المشايخ بالقرب من باب المندب، وهذه المسألة عرفت بقضية الشيخ سعيد^(٢)، وفي البند العاشر تطرق إلى أحوال البندرين الشحر والمكلا، إذ أشار إلى قيام السلطان غالب بن محسن الكثيري بالسيطرة على الشحر^(٣)، وطرد آل بريك اليافيين منها في الخامس من جمادى الآخرة سنة ١٢٨٣ هـ/ ١٨٦٦ م، ومساعدة الدولة العلية له، لكنه لم يستطع السيطرة على المكلا؛ نظراً لاستعانة شيخها الكسادي اليافي برجل من قبيلته يُسمى القعيطي^(٤)، وقد طرد الكثيري من الشحر فيما بعد، وتفرّد بها القعيطي^(٥)، كما أشار السيد فضل إلى تشكي السادة العلويين من شيخي البندرين، القعيطي شيخ الشحر، والكسادي شيخ المكلا^(٦)، وكلاهما من يافع.

كل ما سبق يؤكد اهتمام السيد فضل بقضايا المنطقة، وحرصه على إسداء النصيحة والتوجيه للدولة العثمانية باعتبارها دولة المسلمين العظمى وحامية حِمى الإسلام، من وجهة نظره على الأقل، وهذا نلمسه أكثر في الورقة الثانية من رسالته تلك، وقد بدأها بقول: «تنبيه مهم»، وفيها يبدي تخوفه وانزعاجه من إحدى الدول الأجنبية التي تتدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية، وتتصل بمشايخ العربان وتغريهم بالمال

(١) نفسه، ص ١٤٤، ١٤٥.

(٢) نفسه، ص ١٤٥.

(٣) نفسه، ص ١٤٦.

(٤) نفسه. للإفادة أكثر عن هذه الأحداث راجع: بامطرف: في سبيل الحكم، ص ٢٨.

(٥) بامطرف: في سبيل الحكم، ص ٣٠ وما بعدها.

(٦) سيد مصطفى: وثيقة من حضر موت، ص ١٤٦.

أو النفوذ والحماية، حتى تفرض عليهم سيطرتها، وفصلهم عن جسد الدولة العلية، وهو يقصد بذلك بريطانيا وإن لم يصرح باسمها؛ كي لا يُخرج العثمانيين أمام مَنْ يدَّعون أنهم حلفاؤهم^(١)، ومعروف أن بريطانيا قد استولت على عدن، ولم تكتفِ بها، بل أخذت تتوسع شرقاً.

كما نبّه العثمانيين إلى أطماع بريطانيا في جزيرة سقطرى التي كانت حينها تحت سلطة بن عفرار شيخ المهرة، وقد سعت بريطانيا للسيطرة على هذه الجزيرة؛ لإحكام سيطرتها على الملاحة في المحيط الهندي بعد السيطرة على عدن، كما تنبّه السيد فضل إلى طموحات بريطانيا في السيطرة على شرق الجزيرة حيث ساحل الخليج العربي خدمةً لمصالحها التجارية، بل وصلت بأطماعها إلى عمق الخليج العربي حيث جزيرة البحرين التي أشاع الإنجليز أنهم اشتروها مثلما اشتروا جزيرة سقطرى وسط بحر العرب^(٢).

كما دعا السيد فضل العثمانيين إلى التثبت من تبعية مشايخ العربان في تلك الجهات، وقد قسّمهم من حيث الولاء والتبعية على ثلاثة أقسام: قسم يتبع الدولة العلية، وقسم يدّعي أنه حرٌّ مستقلٌّ، وثالث يدّعي أنه تحت حماية الأجانب، وفي جانب آخر أرشد العثمانيين إلى خزائن الوثائق المتعلقة بتلك الجهات بما فيها مسقط حاضرة سلاطين عمان، وحدّد مكان أكثر تلك الوثائق في مصر ومكة المكرمة^(٣).

لقد عبّرت تلك الرسالة (الوثيقة) بورقتها الأولى والثانية تعبيراً واضحاً صادقاً عن رغبة هذا الشريف الحضرمي في الحفاظ على الدولة وبقائها في أوضاع متكاملة الممتلكات، كما أفصححت عن حُبّه وإخلاصه للدولة العثمانية باعتبارها الغطاء الشامل الذي يلتحف به العرب ضد الهجمة الاستعمارية حينذاك^(٤).

(١) نفسه، ص ١٤٨.

(٢) نفسه، ص ١٤٩.

(٣) نفسه، ص ١٥٠.

(٤) نفسه، ص ١٤٨، ١٥١.

لم يكن السيد فضل خبيراً بشؤون السياسة وفنونها فحسب؛ بل كان ذا دراية بقضايا الاقتصاد والخدمات التي تعزز قوة الدولة، وفرض سلطانها على ممتلكاتها، فقد لاحظ في الهند استخدام بريطانيا لشبكة السكك الحديدية لممارسة سيطرتها والمراقبة على مصالحها، إضافة إلى الكثير من الفوائد الاقتصادية والتجارية للمواطنين؛ لذا اقترح على السلطان العثماني عبدالحميد الثاني (١٢٩٣ - ١٣٢٧ هـ/ ١٨٧٦ - ١٩٠٩ م) بناء سكة حديدية من الشام إلى الحجاز ثم إلى اليمن، وهذا المشروع يترتب عليه فوائد اقتصادية وإستراتيجية، إضافة إلى خدمة الحُجَّاج، كما أنه يربط عاصمة الدولة بهذه الأجزاء المهمة، وقد نُفِّذَت فعلاً المرحلة الأولى إلى الحجاز، وتعثرت المرحلة الثانية إلى اليمن^(١).

إسهامه العلمي

سبقت الإشارة إلى نماذج من الإسهام العلمي للشريف فضل المتمثل في مجالس العلم، وتصنيف الكتب، وخاصة ما يتعلق بمقارعة المستعمرين، وكشف مخططاتهم، كما كانت له إسهامات في طباعة ونشر كتب أخرى، وقد زادت مؤلفاته على خمسة عشر مؤلفاً في فنون شتى، منها المطبوع ومنها المفقود، ومن أهمها:

١. أساس الإسلام لبيان الأحكام.
٢. إيضاح الأسرار العلوية ومنهاج السادات العلوية.
٣. بوارق الفطانة لتقوية البطانة.
٤. حاشية الطريقة الحنفية السمعاء.
٥. رسالة في نبذة من التصوف.
٦. السيف البتَّار في الحث على قتال الكفار.
٧. شرح ورْدِ الحداد.
٨. عقد الفرائد من نصوص العلماء الأماجد أهل المذاهب الأربعة^(٢).

(١) القعيطي: تأملات، ص ٩١.

(٢) باذيب: إسهامات، ص ٢٠٢.

كما تتلمذ على يديه مجموعة من طلبه العلم منهم: صالح بن محمد الحبشي (ت ١٣٠٣هـ / ١٨٨٦م)، وأبوبكر بن عمر بن يحيى العلوي (ت ١٣٣١هـ / ١٩١٣م)، وعلي بن محمد الحبشي (ت ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م)، وأبوبكر بن عبدالرحمن بن شهاب الدين (ت ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م)، وعلوي بن طاهر الحداد (ت ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م)^(١).

وفاته

بعد خروجه من ظفار سنة ١٢٩٦هـ / ١٨٧٩م عاش السيد فضل أكثر أيامه بين مكة والأستانة، وكان مقرَّباً من السلطان عبدالحميد الثاني، والتقى به في قصر (يلدز)، وخلع عليه لقب (باشا) في رمضان ١٢٩٧هـ / أغسطس ١٨٨٠م، كما حصل ولداه سهل وحسان على اللقب نفسه، أمّا محمد وأحمد فقد حصلا على لقب (بك)، وجميعهم كانوا يشغلون وظائف مهمّة في الحكومة التركية^(٢).

"كانت سيرة هذا الشريف الحضرمي تمثل المثل الأسمى لحياة الوجيه الحضرمي المغامر في سبيل الله على أعلى المستويات". هكذا وصف السلطان غالب بن عوض القعيطي هذا الشريف الحضرمي^(٣). ولكن بعض الأوروبيين سعوا إلى تشويه سيرة هذا البطل المسلم، ونعتّه بصفاتٍ بشعةٍ للتنقيص من شأنه^(٤)؛ لأنه وقف في وجه أطماع دولهم ومخططاتها في بلاد الإسلام، من الهند إلى جزيرة العرب، ومن المؤرخين العرب من تحامل عليه، وحرف في اسمه، وأظهر الريب في نسبه العلوي^(٥).

(١) الحداد: قرة الناظر، ج ١ ص ٥٥٢، ص ٧٠٩، ج ٢ ص ٥٣٧، ج ٣ ص ٣١٢؛ باذيب: إسهامات، ص ٢٠١.

(٢) كيلي: بريطانيا والخليج، ج ٢ ص ٦٧٦؛ لوريمر: دليل الخليج، ج ٢ ص ٩٠٧، ٩١٠.

(٣) تأملات، ص ٩٠.

(٤) راجع ما كتبه المستشرقون كيلي، ولوريمر، وفليس.

(٥) انظر ما كتبه صلاح البكري، ورياض الريس وغيرهم. للإفادة أكثر راجع: البكري، صلاح

اليافعي: تاريخ حضرموت السياسي، المطبعة السلفية، ط الأولى، ١٣٥٤هـ، القاهرة، ج ٢

ص ٢٠٧؛ الريس، رياض نجيب: ظفار والصراع السياسي العسكري في الخليج العربي ١٩٧٠ -

١٩٧٦م، رياض الريس للكتب والنشر، ط الثالثة، ٢٠٠٢م، بيروت، ص ٨٤.

بعد حياة حافلة بالعباء العلمي والسياسي توفي السيد فضل باشا بن علوي المنفري بن محمد مولى الدويلة، وكانت وفاته e في مدينة إسطنبول التركية، يوم الجمعة الثاني من شهر رجب ١٣١٨هـ/ أكتوبر ١٩٠٠م، ودُفِنَ في موضع يُسمى (أشميدل)^(١). وقبره معلوم هناك^(٢)، وعقبه إلى اليوم في الشام وتركيا.

الخاتمة والنتائج

ب وفاة السيد فضل باشا مولى الدويلة المليباري الحضرمي تقف قافلة البحث هنا، بعد أن جمعت بضاعة مزجاة لعل من يأتي بعدنا يُوفي كيلها، ويعطي لهذه الشخصية الحضرمية حقها من البحث والدراسة، ويُزيل عن تاريخها ما سعى المغرضون - وخاصة المستشرقين - إلى إلصاقه بها من تشويه وتبشيع، والحقيقة أن تاريخ الحضارة في موطنهم ومهجرهم ما زال بحاجة إلى كثير من البحث والدراسة، وما تقدّم ليس إلا محاولة لإظهار نموذج للإنسان الحضرمي، إسهامه وموقفه من القضايا التي عاصرها، وخاصة قضية الاستعمار الأوروبي، وفي ختام هذا البحث نخلص إلى عدد من النتائج هي كما يأتي:

١. إن كثيراً من الحضارة صنعوا لأنفسهم مكانة مرموقة في المجتمعات التي هاجروا إليها، وتقلدوا مناصب قيادية في الدفاع عن تلك المجتمعات من خطر المستعمرين ومخططاتهم.
٢. إن الإنسان الحضرمي ظل مرتبطاً بوطنه الأصلي حضرموت، متفاعلاً مع قضايا وأحداثه، ومؤثراً فيها بصورة مباشرة أو غير مباشرة.
٣. إن لحضارة المهجر إسهاماً في الدفاع عن الإسلام والوقوف ضد الاستعمار ومخططاته، في مهجرهم ووطنهم الأصلي.

(١) الحداد: قرة الناظر، ج ١ ص ٦٦٩؛ باذيب: إسهامات، ص ٢٠١.

(٢) راجع الملاحق، ملحق رقم (٧) قبر السيد فضل باشا.

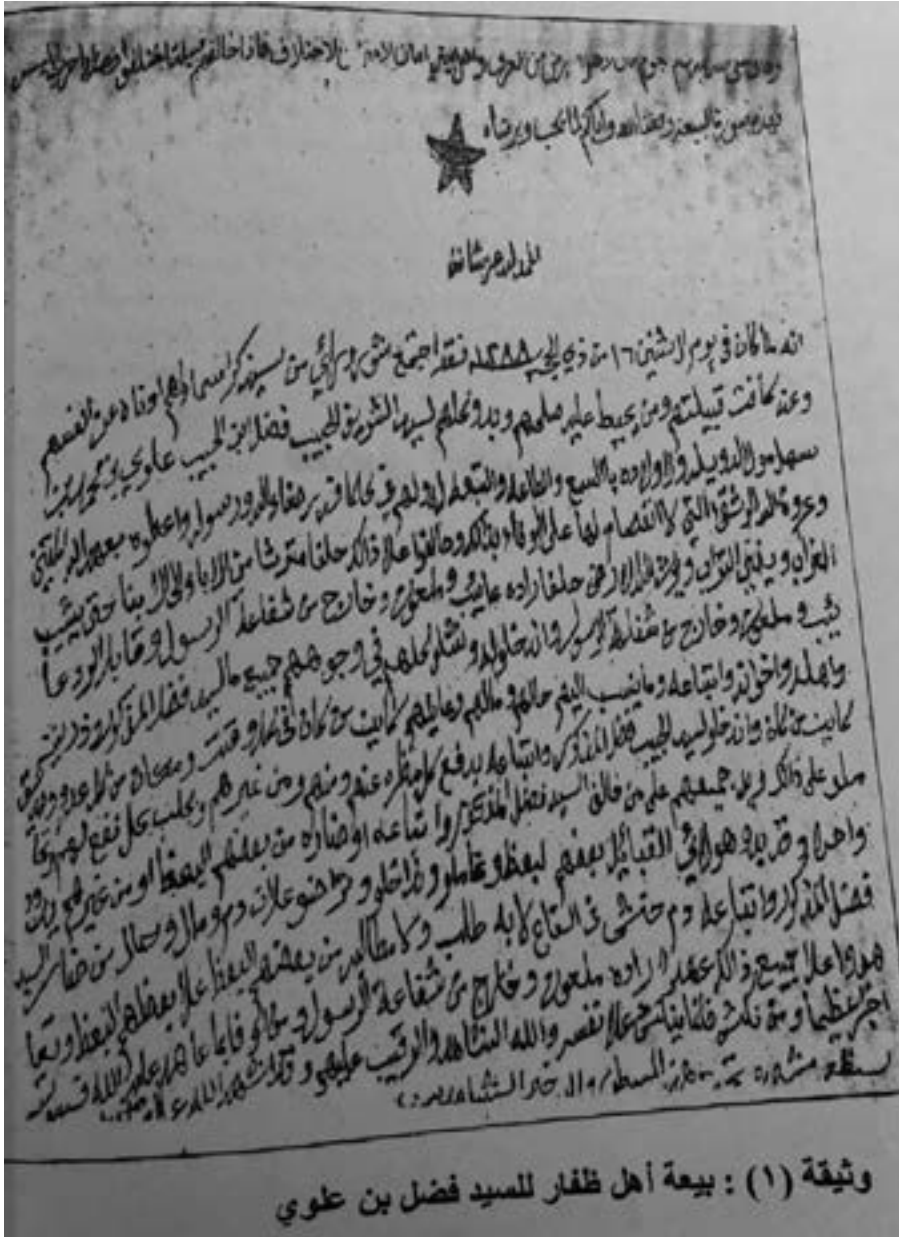
٤. المواجهة مع الاستعمار شملت القيام بأعمال عسكرية، وكذا تقديم النصح للسلطات العثمانية لإحكام سيطرتها على ممتلكاتها وإبعاد خطر المستعمرين، بريطانيين وغير بريطانيين.
٥. من خلال هذا البحث ظهر ولاء بعض حضارمة المهجر وطاعتهم للدولة العثمانية باعتبارها دولة الإسلام الأولى وحامية حماه.
٦. إن ولاء الشريف فضل للدولة العثمانية قد دفع بريطانيا للوقوف في وجه طموحاته، والحيلولة دون تمكنه من إقامة إمارة له في ظفار، بل ساعدت خصمه سلطان عُمان في السيطرة على هذا الإقليم وتثبيت وجوده فيه.
٧. إن بعض الحُكَّام العرب أظهروا ولاءهم وتبعيتهم للمستعمرين الأوروبيين، ووقعوا معهم المعاهدات خوفاً على مصالحهم وطمعاً في الحماية.
٨. إن هجرة الحضارمة لم تكن محصورة في جمع المال والثروة، والهرب من ضنك العيش في وطنهم؛ بل أسهموا إسهاماً فعالاً في التعاطي مع قضايا الأمة، والتصدي للمخاطر التي أحذت بها، وأبلوا في ذلك بلاءً حسناً.

الملاحق

ملحق رقم (١): مقام السيد علوي المنزري مولى الدويلة، مدينة منفرم.



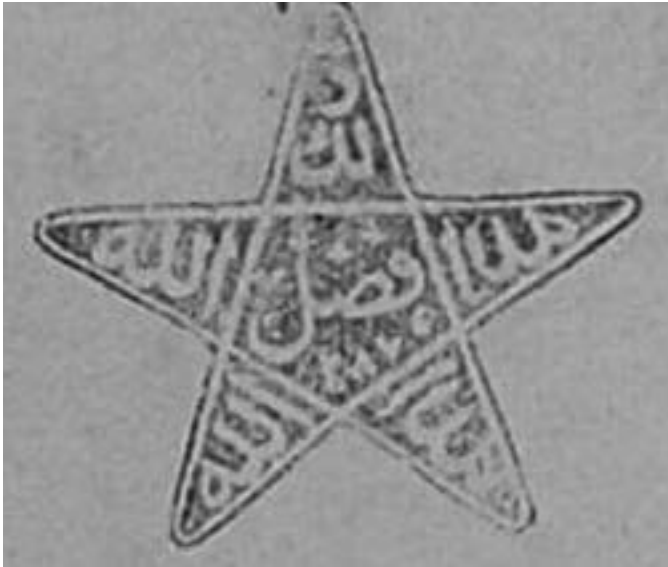
ملحق رقم (٢): عقد البيعة للسيد فضل باشا من أهل ظفار.



للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

(*) باعمر: تاريخ ظفار، ص ١٣٤.

ملحق رقم (٣): صورة فضل باشا، وختم إمارته التي أقامها في ظفار



(*) باعمر: تاريخ ظفار، ص ١٣٤، ١٦٨.

ملحق رقم (٤): الصورة الأولى سكن فضل بن علوي في ظفار،
الصورة الثانية مقر إمارته المعروف ببيت السور

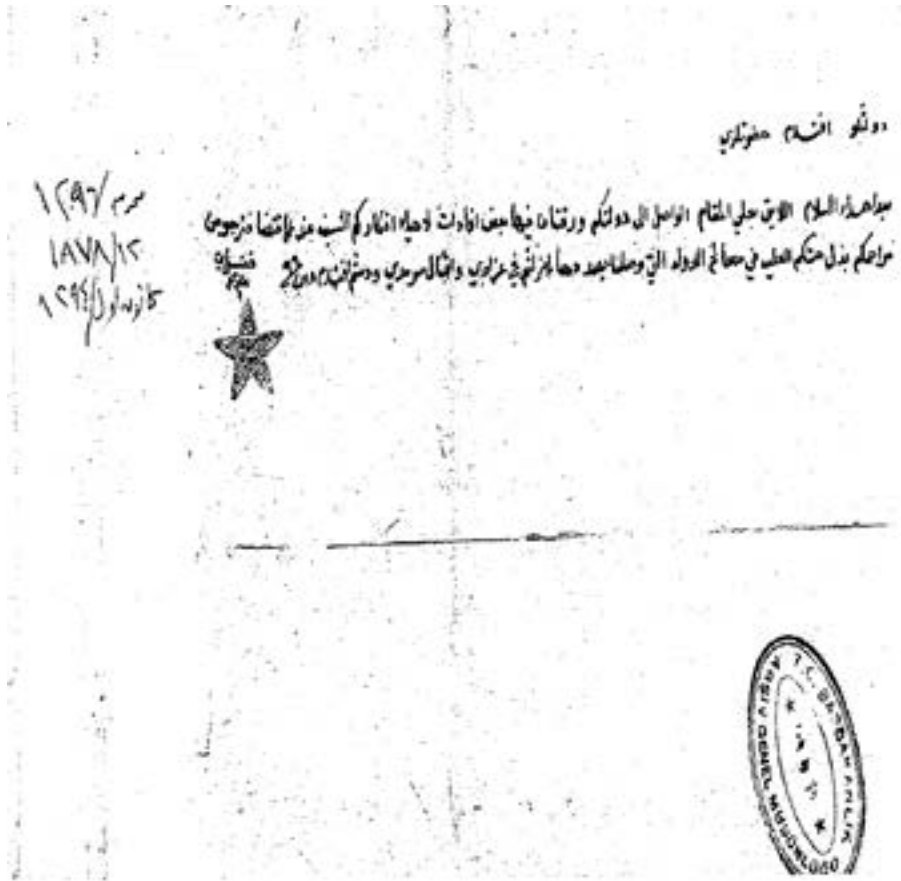


ملحق رقم (٥): رسالة السيد فضل إلى السلطان تركي بن سعيد.



(*) باعمر: تاريخ ظفار، ص ١٣٥.

ملحق رقم (٧): رسالة السيد فضل إلى الصدر الأعظم.



بيان من مالي القاري المصطفى

البند الأول

إن الأصول الثمانية بين الملوك إذا استولى ملك على مكرمته تكون جميع الملكات التابعة لملكه تتركز تبعاً للأخذ

البند الثاني

إن من مكرمته جزيرتي العرب منعه وبغداد والشام ومصر وغيرها وكذلك سائر الدول العلية على جميع مراكبها مراكبه تعلقها

البند الثالث

إن من أخذ المراكب عتلت الدولة العلية مشايخ العربان بروريات لمسيرتهم إليها

البند الرابع

إذا برزت دولة من الدول تروء دولة أجنبية إلى مشايخ العربان المنسوبة إن تستعج من كهيئة التنازل لجبره معلوماً لها

البند الخامس

إذا علم من التنازل مجرد التثبيت فيعطى فيه لعدم التنازل المنص بالملك بمقتضى الأصول

البند السادس

إن من كل دولة حدود مراكبها وتسمى عند عربها من الدول يكونوا على علم

البند السابع

إذا على ملك أرمها ملك فلا بد أن يكون معلومة الحدود له دفع التثنيات المؤدية للشجاره

البند الثامن

إذا صرفت الدولة العلية نظرياً في هذا الوقت عن جنكيات التثبيت من الجانب في مراكبها تغالب سواحل جزيرة العرب فغير

تحت بدلاً جانباً وبأنه من ذلك ضرر جميع مشايخ جزيرة العرب ولا تغفل الشقاق منكم والمدينة الحديثة لا يفتأ في جوارها

البند التاسع في شواهد ذلك

وهو أن الفرسان حين أخذ من بعض مشايخ العرب قطعاً من الأرض بجانب مراكب المذهب وبذل له مقداراً من الدراهم وبنا فيها فعد ذلك

أدعت الدولة العلية أن يبع مشايخ العربان لها لكيلا لا يتعد وليس للدول الأجنبية الشرائعهم بالأصول فارتفع الغضب منها في الحال

والأجبية باقية بها إلى الآن وأيضاً فإن الدولة العلية لما أدت لوالي مصر بأخذاً فريقياً أفتتبعه لها توجه إليها وحبط أسكنها الناس

حافوت مع قوة تثنيات لمجاوبتها بأحقاً ما حيلت لبعض مشايخها فعد ذلك فلم يلتفت للتثنيات الخلفه للأصول الثمانية بين

البند العاشر في خصوص المشايخ والمكرمات من سائر الأقطار

عند تشكيك السادة العلوية من شيوخهم حمز حبيب باشا والي الجزائر والشيخ محمد بن عون في زمن المرحوم سلطان عبد الحفيظ خان البشير

معلمه وكان الشيخ عند قيام البحر حجاباً فمروا في البحر بأبوابه المشقة ونزل بعض الحساكر في بندر الجزائر سار بينهم شأوشه ولم يكلمهم

القوم في أسكنه فرجعوا وأرسل بعد ذلك حبيب باشا برورياتي وشيخاً لا من حضرة من مشايخهم المرحوم السلطان عبد العزيز

نزل أمير حضرة من المدعي له البرورياتي والتشيان وأخذ القوم الشقي المصارف الدولة العلية بالحاربه وايضاً وأرادوا أن يسلطوا على بندر

المكرمات فاستعان صاحب المكرمات برجل من قبيلته يسمى القبطي فها وحضر القوم من جهة البحر واستزعمه من أمير حضرة من لا من أمير حضرة

ليؤمل تحت وصار الزمان والى العلية القبطي المذكور تشكل السادة العلوية ناياً إلى والي الجزائر وأميركم الشريفة بمقدار باشا فأرسلوا

مأمورين إلى ذلك البندريين في ألبان البربري وقدرها إذ ذلك أحد به ورجعوا به ثمرة فعند ذلك أرسلوا من حضرة من

اتخاض من خصوصهم إلى الباب العالي في زمن المرحوم السلطان عبد العزيز فزجت المراكبه بأخذ البندريين وعينها بمرور من حضرة من

ذلك ففعل في أثناء ذلك حركات العسيري على القعد به فأمرت الدولة العلية بأخذ البندريين فخصها بالمركب من حضرة من حضرة من

تدبركم في حفظا جزيرة العرب من تثنيات لمجاوبتها تولد لها تنكح وحفظها بيومكم بعد

[illegible]

ملحق رقم (٨): قبر السيد فضل بن علوي



قائمة المصادر والمراجع

المصادر

١. ابن الأثير، علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، ط الأولى، ١٩٩٧م، بيروت.
٢. ج. ج. لوريمر: دليل الخليج العربي، القسم التاريخي، ترجمة وطباعة مكتب أمير قطر، ج ٢ ص ٩٠٠، قطر، ١٩٧٥م.
٣. باحنان، محمد بن علي (ت ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م): جواهر تاريخ الأحقاف، دار المنهاج، ط الأولى، ٢٠٠٨م، جدة.
٤. الزركلي، خير الدين بن محمود (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م): الأعلام، دار العلم للملايين، ط الخامسة عشر، ٢٠٠٢م، بيروت.
٥. فيليس، وندل: عمان تاريخ له جذور، الدار العربية للموسوعات، ط الأولى، ٢٠١٢م، بيروت.
٦. الكندي، سالم بن حميد (١٣١٠هـ / ١٨٩٢م): تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، تحقيق: عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد، ط الأولى، ٢٠٠٣م، صنعاء.
٧. كيلي، جون. ب: بريطانيا والخليج العربي (١٧٩٥ - ١٨٧٠م)، ترجمة: محمد أمين، وزارة التراث القومي والثقافة، (د. ط)، مسقط.
٨. المشهور، عبدالرحمن بن محمد (١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م): شمس الظهيرة في نسب أهل البيت فروع فاطمة الزهراء وأمير المؤمنين علي عليه السلام، تحقيق: محمد ضياء شهاب، دار المعرفة، ط الأولى، جدة، ١٩٨٤م.
٩. ابن هاشم، محمد بن طاهر (١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م): تاريخ الدولة الكثيرة، طبعة سلطانية خاصة، ١٩٤٨م.
١٠. باوزير، سعيد عوض (١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م): صفحات من التاريخ الحضرمي، دار الهمداني، ط الثانية، ١٩٨٣م، عدن.

المراجع

١. البكري، صلاح الياضي: تاريخ حضرموت السياسي، المطبعة السلفية، ط الأولى، ١٣٥٤هـ، القاهرة.

٢. الجرو، أسمهان: دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، دار الكتاب الحديث، (د.ط)، ٢٠٠٣م، القاهرة.
٣. الحداد، عبدالله بن طاهر: قرة الناظر بمناقب الحبيب القطب محمد بن طاهر بن عمر الحداد، دار التراث، ط الأولى، ٢٠٠٩، تريم.
٤. باذيب، محمد أبوبكر: إسهامات علماء حضرموت في نشر الإسلام وعلومه في الهند، دار الفتح، ط الأولى، ٢٠١٣م، عمان.
٥. الريس، رياض نجيب: ظفار والصراع السياسي العسكري في الخليج العربي ١٩٧٠ - ١٩٧٦م، رياض الريس للكتب والنشر، ط الثالثة، ٢٠٠٢م، بيروت.
٦. العطاس، علي بن حسين: تاج الأعراس على مناقب الحبيب القطب صالح بن عبدالله العطاس، مطابع منارة قدس، ط الأولى، (د.ت)، إندونيسيا.
٧. باعمر، حسين بن علي: تاريخ ظفار التجاري، مطابع ظفار الوطنية، (د.ط)، ظفار.
٨. القعيطي، السلطان غالب بن عوض: تأملات عن تاريخ حضرموت قبل الإسلام وفي فجره، مكتبة كنوز المعرفة، جدة، ١٤١٧هـ.
٩. بامطرف، محمد عبدالقادر: في سبيل الحكم، دار حضرموت، ط الأولى، ٢٠٠٨، المكلا.

أبحاث ودراسات

١. أسلم، محمد: دور جمعية العلماء في النهضة الإسلامية بولاية كيرلا، مجلة دراسة عربية، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، العدد (الأول)، ٢٠١٤م، نيودلهي.
٢. الجوير، عبدالله بن عبدالعزيز: التاريخ السياسي لمسقط وعمان في الفترة ١٣٠٨ - ١٣٣٩هـ/ ١٨٩١ - ١٩٢٠م، رسالة دكتوراة (غير منشورة)، جامعة أم القرى، كلية الشريعة، ١٤١٢هـ.
٣. سيد مصطفى، سالم: وثيقة عربية من حضرموت إلى الصدر الأعظم باستانبول، بحث منشور في كتاب الندوة الدولية حول اليمن في العهد العثماني، صنعاء، ١٦ - ١٧ ديسمبر ٢٠٠٩م، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول، ٢٠١١م.
٤. آل عمر، سعيد بن عمر: إمارة السيد فضل بن علوي مولى الدويلة في ظفار بين الدعم العثماني والرفض العماني البريطاني، مجلة التاريخ العربي، العدد (١٨)، تصدر عن جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، ٢٠٠١م.

٥. مجيب ي.ك: مقاومة كتّاب كيرالا باللغة العربية ضد الاستعمار الغربي، أطروحة دكتوراة (غير منشورة) جامعة ملية الإسلامية، نيودلهي.
٦. الأزهرى، علي أصغر: مريدًا في حضرة قطب الزمان أبي الفضل علوي بن محمد المنفرمي، بحث منشور على شبكة المعلومات الإلكترونية، ٢ يوليو ٢٠١٨م.

<https://alhindonline.net/?p=3780>



الاسم / عبدالكريم محروس سعيد ميزان

حضر موت - شبام - الحزم

Fwadabed33@gmail.com

جوال / 777056989

هاتف ثابت / 05424145

- مواليد ١٩٧٩ م.
- موظف في مكتب التربية شبام، مدرس مادة التاريخ.
- ١٩٩٨ م بكالوريوس تربية وآداب تخصص تاريخ - جامعة عدن ١٩٩٨ م.
- ماجستير تاريخ إسلامي - جامعة حضر موت ٢٠١٤ م.
- طالب دكتوراة في جامعة عدن - تاريخ وسيط (إسلامي) ٢٠١٩ م.
- له أبحاث تاريخية منشورة في مجلة حضر موت الثقافية.
- له أبحاث تاريخية منشورة في مجلة نزوى العمانية.
- مؤلف كتاب الإمام الحضرمي أبو إسحاق الهمداني. دار حضر موت ٢٠١٧ م.
- مؤلف كتاب إباضية حضر موت وعلاقتهم بعمان. دار حضر موت ٢٠١٩ م.



فن الرسائل في حضرموت في القرن الثالث عشر الهجري مكاتبات الحبيب حسن بن صالح البحر أنموذجاً

أ.د. مسعود عمشوش

مقدمة

من النصوص الثرية التي لم تلقَ حتى اليوم اهتماماً مناسباً في بلادنا: الرسائل أو المكاتبات، وذلك على الرغم من احتواء مكاتباتنا على عدد كبير منها؛ مطبوعاً أو مخطوطاً. وبعد أن قمت خلال السنتين الماضيتين بتسليط شيءٍ من الضوء على نصوص السيرة الذاتية والرحلات في بلادنا؛ رأيت أن أتوقف في هذه الدراسة أمام بعض نصوص الرسائل التي حررها بعض الكتاب الحضارم في القرن الثالث عشر الهجري، مع التركيز على (مكاتبات الحبيب حسن بن صالح البحر)، وذلك لما تحتويه من أبعاد فنية مهمة معبرة عن معظم ما كتبه الحضارم من مراسلات في ذلك القرن، وأبعادٍ موضوعية ذات أهمية تاريخية كبيرة، إذ إن كاتبها - الذي كان منخرطاً بشكل كبير في الحياة الاجتماعية والسياسية - وثّق فيها عدداً من الأحداث المهمة التي شهدتها مدن وادي حضرموت في منتصف القرن الثالث عشر الهجري.

في الجزء الأول من الدراسة قدّمنا لمحة عن اهتمام الحضارم بكتابة الرسائل في القرن الثالث عشر، وقمنا بحصر أبرز كتب المراسلات التي استطعنا الاطلاع عليها، مبينين سبب حرص كل منهم على توثيق رسائله، وربما نشرها في أثناء حياته، مثلما فعل الحبيب حسن بن صالح البحر.

وكرسنا الجزء الثاني من البحث لدراسة الأبعاد الموضوعية في رسائل الحبيب حسن بن صالح البحر، مع التركيز على تلك الرسائل التي بعثها إلى القادة ورجال

الدولة، والتي تعكس اهتمامه بالشأن العام ومشاركته في صناعة تاريخ القرن الثالث عشر الهجري وتوثيقه.

أما في الجزء الثالث فقد استعرضنا أهم الملامح الفنية لتلك المراسلات من خلال تحليل (مكاتبات الحبيب حسن بن صالح البحر)، وموازنتها مع مراسلات بعض من معاصريه، وركزنا بشكل خاص على استخدامهم لأسلوب السجع والمحسنات البديعية، ومزجهم بين اللغة الفصحى والعامية.

الجزء الأول - الحضارم وكتابة الرسائل:

من المعلوم أن العرب قد عرفوا فن الرسائل منذ القدم، وهناك من يرى أن أصوله ترجع إلى العصر الجاهلي، وقد تمّ توثيق عددٍ لا بأس به من الرسائل التي بعثها النبي محمد ﷺ إلى ملوك الدول ليدعوهم إلى دخول الإسلام، كما فعل مع كسرى الفرس وقيصر الروم، أو إلى زعماء المناطق ورؤساء القبائل لبيّن لهم أحكام الإسلام. وقد تميّزت جميع رسائله ﷺ بالإيجاز والبلاغة، نلمس ذلك مثلاً في الرسالة التي بعثها إلى وائل بن حجر الحضرمي، والتي قال فيها: "من محمد بن عبد الله إلى الأقيال العباهلة من أهل حضرموت، بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، في التبعة شاة، والتيمة لصاحبها، وفي السيوب الخمس، ولا وراط، ولا شناق ولا شغار، فمن أجبى فقد أربى، وكل مسكر حرام". ويذكر الدكتور شوقي ضيف أن الخلفاء الراشدين قد اهتموا بهدي النبي ﷺ في مكاتباتهم إلى ولايتهم وقادتهم، فتجنبوا التصنع والتنميق اللذين أصبحا سمة ملازمة للرسائل العربية منذ العصر الأموي. ومن المعلوم أن كتابة الرسائل قد شهدت تطوراً كبيراً منذ مطلع القرن الهجري الثاني، أولاً في عهد هشام بن عبد الملك عندما تولى مولاه سالم رئاسة ديوان الرسائل في عهده، ثم في عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، الذي تولى أمر ديوانه عبد الحميد الكاتب. واهتم الخلفاء العباسيون أكثر من سابقهم بكتابة الرسائل ودواوينها، واشتروا في وزرائهم إتقانها.

وقد قام معظم الدارسين بتقسيم الرسائل في التراث العربي القديم على أربعة أنواع هي: ١ - الرسائل الديوانية: وهي الرسائل ذات الطابع الرسمي والسياسي التي يصدرها الخلفاء والسلاطين ورجال السياسة بشكل عام. ٢ - الرسائل الإخوانية ومختلف الرسائل الاجتماعية ذات الطابع الشخصي أو الخاص، والتي تتطرق في بعض الأحيان للشأن العام. ٣ - الرسائل الدينية ومنها الوعظية والتربوية. ٤ - الرسائل الأدبية الإنشائية.

ومن المعلوم أن عددًا كبيرًا من الحضارم، ومنهم الأدباء والقادة السياسيون ورجال الدين، لا سيما المتصوفون، قد مارسوا كتابة الرسائل بمختلف أنواعها. ونذكر هنا بأن النقاد أطلقوا تسميات أخرى على الرسائل في التراث العربي؛ مثل التوقيعات والترسل، أو المكاتبات التي استخدمها كثير من النقاد القدامى عند دراستهم للرسائل وتصنيفها. والحضارم فضّلوا في الغالب استخدام (مكاتبة ومكاتبات)، واستخدم بعضهم كذلك تسمية (الرسالة)، لكنهم في معظم الأحيان استخدموا هذه التسمية للتعبير عن النوع الأدبي أو العلمي من الرسائل الذي يدخل في باب التأليف وليس في باب المراسلات، مثل (الرسالة القشيرية) في التصوف، و(رسالة الغفران) لأبي العلاء المعري، وكثير من رسائل الجاحظ. وهناك حضارم ألفوا كتبًا أدبية أو علمية أطلقوا عليها (رسالة في...). ومن أشهر تلك الرسائل الأدبية العلمية: (رسالة في الأنساب) لأحمد بن محمد باجمّال، و(رسالة في الربع المجيب) لمحمد بن أحمد بافضل (ت ٩٠٣هـ)، و(رسالة المريد) لعبدالله بن علوي الحداد (ت ١٣٢هـ). وفي القرن الثالث عشر الهجري ألف عبد الله بن أحمد بن محمد باشميل (ت ١٣٠١هـ) (رسالة في الحراثة).

ولا شك أن اهتمام الحضارم بكتابة الرسائل يرتبط بحاجتهم للتواصل في شؤون حياتهم مع أقربائهم وأصدقائهم ومحبيهم وقادتهم، لا سيما في الماضي حينما كانت وسائل النقل والاتصال الأخرى في غاية الصعوبة أو معدومة. ومن المؤكد أن ظاهرة هجرة الحضارم قد زادت من اهتمامهم بكتابة الرسائل. والسؤال الأهم بالنسبة لنا،

ليس لماذا دأب الحضارم على كتابة الرسائل؟ بل لماذا بادر عدد كبير من الأدباء ورجال الدين الحضارم إلى نشر رسائلهم الخاصة والسياسية والدينية في مجلدات وهم لا يزالون على قيد الحياة؟

من جهة؛ يبدو لنا أن تأثر عدد من الأدباء وعلماء الدين الحضارم بالأدباء ورجال الدين العرب الذين نشروا رسائلهم في العصر العباسي قد دفعهم إلى نشر رسائلهم الأدبية والوعظية. ومن جهة أخرى؛ رأى بعض الحضارم أنهم قد بلغوا درجة معينة من العلم والشهرة تمكنهم من نشر ما كتبوه إلى أقربائهم وتلاميذهم ومحبيهم لينتفع به غيرهم، وهذا السبب جعلهم يحرصون عند كتابة رسائلهم على إعطائها صبغة أدبية.

ومن المعلوم أن الحضارم بمختلف مستوياتهم قد اعتادوا قبل وصول المطبعة إلى حضرموت على تحرير رسائلهم بأنفسهم أو بمساعدة كاتب (راقم)، وعلى الأقل في نسختين يحتفظ المرسل دائماً بنسخة منهما لديه، وعادة ما يحتفظ المستلم بالرسالة التي استلمها، والتي يعدّها في بعض الأحيان بمنزلة وثيقة شبه رسمية، وذلك حينما تحتوي على التعبير عن تنازل أو تملك أو وصية أو طلاق. وكثير من العائلات الحضرمية لديها صندوق خاص بـ (الخطوط)، والخطوط تشمل الوثائق والرسائل المرسلة والمستلمة. وقد سهلت هذه العادة جمع رسائل الحضارم ونشرها مستقلة أو ضمن مجموع.

كما اعتاد كثير من الأدباء ورجال الدين أن يملوا رسائلهم الوعظية أو المتضمنة إجازات ووصايا في حضور بعض تلاميذهم ومحبيهم، ويسمحون لهم بتدوينها.

ويرى الباحث عبدالله محمد الحبشي في كتابه (أوليات يمانية) أن هذه العادة أصبحت سمة مميزة لسكان الجزيرة العربية، ويقول: "عثرنا في تراث الحضارمة على مجاميع كثيرة من الرسائل الشخصية تصدى لجمعها جماعة من المحبين والمعجبين بأصحاب تلك الرسائل، وهذا نادراً ما يتفق في تراث آخر غير تراث أهل الجزيرة العربية وعلى الخصوص أهل حضرموت، إذ غالباً ما أهملت هذه الرسائل وتُرِكَت

نهباً للضياع، وربما كانت في أحسن الأحوال بطائن للكتب العلمية بعد أن يرص بعضها بعضاً وتُغمر بالصمغ لتصبح ورقة واحدة غليظة، وكان ذلك في وقت قلة الورق". (أوليات يمانية) ص ١٦٩.

وعلى الرغم من تسليمنا بأن معظم مكاتبات أو مراسلات الحضارم لا تزال اليوم محفوظة في صناديق الأحفاد والأقرباء والأصدقاء والتلاميذ؛ نلاحظ أن عددًا من الأدباء ورجال الدين الحضارم بادروا إلى جمع رسائلهم بأنفسهم في مجاميع بهدف توصيلها إلى أكبر عدد ممكن من القراء، من هؤلاء الحبيب عبد الله بن علوي الحداد، الذي برّر جمعه لرسائله قائلاً: "إني قصدت أن أجمع في هذه الأوراق أطرافاً مما فتح الله عليّ، وأنطقني من الكلام الموافق لكلام الله ورسوله وهدى السلف الصالح ﷺ، حملني على ذلك الخوف من الاندراست الذي يستولي غالباً على ما لم يكن مدوناً ومجموعاً كما وقع لكثير من كلامنا ... واقتصرت في هذه المدونة من جملة ما فتح الله به على المكاتبات التي كتبناها إلى الإخوان، والوصايا التي أوصينا بها بعضهم، والكلمات المنشورة والقصائد المنظومة، فهي أربعة أقسام، ونلحق إلى كل قسم ما يتجدد من نوعه إن شاء الله، وسميتها (جامع المكاتبات والوصايا والكلمات والقصائد المشتملة على الحكم والفوائد والمنافع والمرشد)". ص ٥.

وفي القرن الثالث عشر الهجري انتشرت كثير من رسائل حسن بن صالح البحر وعلي بن محمد الحبشي في أثناء حياتهم بشكل مستقل وفي مجاميع، وانتشر كذلك عدد كبير من المكاتبات مخطوطة في شكل مجاميع، قام بجمعها التلاميذ والمحبون والأبناء والأحفاد أو التلاميذ. وهناك نسخ من بعض المجاميع تم إيداعها في المكتبات الخاصة والعامة. وقامت دار تريم للدراسات والنشر بنشر صور لبعض تلك المخطوطات، مثل (مكاتبات السيد العارف أحمد بن محمد العطاس)، و(مكاتبات الحبيب طاهر بن حسين بن طاهر والحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر)، و(مكاتبات العلامة الفقيه الحبيب الإمام عبدالله بن الحسين بن عبدالله بلفقيه العلوي). كما

نشرت دار تريم صورة لمخطوطة (مكاتبات الحبيب حسن بن صالح البحر)، وذلك بعد أن قامت دار التراث بترميم حضرموت بنشرها مطبوعةً في ضمن (مجموع مناقب ومواعظ ووصايا الإمام الحسن بن صالح البحر الجفري ١١٩٣ - ١٢٧٣هـ، ومعه مكاتباته وقصائده) سنة ٢٠١٣.

ومن أهم رسائل الحضارم الأخرى التي تمّ نشرها مطبوعةً: (مكاتبات الحبيب علي بن محمد الحبشي)، و (مكاتبات (الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس). وقام الباحث الدكتور محمد أبوبكر باذيب بنشر جزء من مكاتبات علوي بن محمد بن طاهر الحداد في ضمن مجموع (بهجة الخاطر وسرور الفؤاد في مجموع مآثر الحبيب علوي بن محمد بن طاهر الحداد، سيرة حياته، ومجموع كلامه، وديوانه، ومجموع مكاتباته، وغير ذلك (في ٣ مجلدات، (دار التراث، تريم، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م).

وهناك عدد كبير من مجاميع المكاتبات الحضرمية التي تم جمعها لكنها لم تجد بعد طريقها إلى النشر - حسب علمنا -، مثل (رسائل عمر بن سقاف، ت ١٢١٦) المودعة في مكتبة الحبشي بالغرفة. ولا تزال مخطوطة كذلك (مكاتبات عبد الله بن عمر بن سميط ت ١٣١٣)، وهناك نسخة منها في شبام. ويحتفظ أحفاد عبد القادر بن محمد بن حسين بن زين الحبشي ت ١٢٥٠ بمخطوطة مكاتبات جدهم. ومن أهم المكاتبات الحضرمية في القرن الثالث عشر التي جُمعت ولم تُنشر بعد: مكاتبات السيد عبيدالله بن محسن السقاف، التي وظفها ابنه المؤرخ عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف في كتابه التاريخي (إدام القوت) وأصله (بضائع التابوت). وقد تصدى لجمعها سالم بن حفيظ تحت عنوان (رسائل ووصايا ومكاتبات علمية للسيد عبيدالله بن محسن السقاف) سنة ١٣٧٩. ويبدو لنا أن الأسباب التي مَنعت أو أخرت نشر (بضائع التابوت) هي التي أخرت نشر مكاتبات ابن عبيدالله.

كما تحتفظ بعض المراكز البحثية والمكتبات العامة والخاصة في حضرموت بنسخ من مكاتبات السلاطين ورجال السياسة التي لم تدرس حتى اليوم. فحسب علمنا لم

تحظ مكاتبات الحضارم إلا بتقديم موجز بعنوان (رسائل شخصية من القرن الثالث عشر) ضمنه الباحث عبد الله بن محمد الحبشي في كتابه (أوليات يمانية ص ١٦٨ - ١٧٤)، وكرسه لمكاتبات الحبيب طاهر بن الحسين بن طاهر، والدراسة التي قام بها الأستاذ الدكتور عبدالله الجعدي لبعض الأبعاد التاريخية في مكاتبات الحبيب عبدالله بن علوي الحداد.

الجزء الثاني - الأبعاد الموضوعية في رسائل الحضارم في القرن الثالث عشر الهجري:

قسم المستعرب البريطاني أدريان غللي الرسائل في المجتمعات الإسلامية قبل العصر الحديث على نوعين فقط: الرسائل الرسمية، والرسائل غير الرسمية أو الإخوانية. وأكد في كتابه (ثقافة أدب الرسائل في المجتمع الإسلامي قبل العصر الحديث. ترجمة وليد شحاتة، العبيكان، الرياض، ٢٠١١، ص ١٧)، أن الرسائل الإخوانية ترصد التفاعل الشخصي والاجتماعي بين الأفراد، بينما تتضمن الرسائل الرسمية معلومات عامة ذات قيمة تاريخية كبيرة.

ومع أن معظم رسائل الحضارم التي تم نشرها، مخطوطة أو مطبوعة، تخص في الغالب رجال دين فهي ليست كلها إخوانية، إذ إن جزءاً منها موجهٌ للسلطين والحكام والقادة. وإذا كانت الأبعاد الشخصية أو الخاصة تبرز بشكل لا بأس به في مكاتبات آل بن طاهر فهي تقلص كثيراً في رسائل حسن البحر، التي تتضمن أبعاداً تاريخية وعامة دقيقة وفي غاية الأهمية.

(١) الأبعاد الشخصية في رسائل الحضارم:

من خلال قراءتنا لمكاتبات الأخوين طاهر وعبدالله ابني حسين بن طاهر؛ لاحظنا أنها تحتوي على أبعاد شخصية واسعة؛ فطاهر يحدث أخاه في بعض الرسائل عن كل ما يتعلق بمزرعتهم ونخيلهم وتمرهم، ويحدثه عن صحة والدتهما، وما يتعلق بالحياة اليومية في المنزل وخارجه، مثلاً في الرسالة التي بعثها طاهر بن حسين بتاريخ ١٢ من

شوال ١٢٣٥هـ، إلى أخيه عبد الله، يكتب: "صدرت والدعاء مبذول ومستول، ونحن ومن لدينا من الخاصة والعامة كما تحبون، نرجو أنكم بآتم حال وأنعم بال. وأخبار الجهة كما عهدتم؛ التشويش والكثافة إلى غاية، والمراتب باقية، والحفظ والسلامة موجودة، والطمأنينة حاصلة. في هذه الأيام يظهر أن حال الأعداء يبتعد، وأن شملهم يابتعد، فالله يحقق الرجاء والحقايق. وهذا الخط معبر إلى الأخ عبدالله جنيد، وأحوالنا حسبما عرفناكم في عدة خطوط، ما هناك مشوش إلا حوادث الزمان. والوالدة بآتم حال، والشريفة فاطمة كذلك، زالت الآثار كلها. والولد عبد الرحمن زالت عنه حمى الثلث، وبقي الدم الذي في لحيه الأيمن، يخرج مخرج سهل من غير مشقة، وإن شاء الله يضمحل. وكتبكم كلها وصلت من اليمن، ورجال الرقم منتظرون كتبكم من مكة وجدة مع أهل التدبيرة، حيث الخبر وصل أن أهل التدبيرة وصلوا إلى البنادر، والخطوط مبعاد وصلت، نرجو أن تظهر خطوطكم، وكذلك خطوط المحبين والسيد علي، لعل المحب سالم عوض خرج ووقعت بيده، متعطشون لأخباركم، وكيفية رحلتكم، فالله ييسر لكم الأمور، والزيارة إن شاء تكون بعد رمضان مع الأصناء، وموافقة الوقت، مع أنا نرجو خروجكم بعد الحج. والوالدة لم تزل تكرر علينا: عرفوا عبدالله يبادر بالخروج، حيث التدبيرة بعيدة جم جم، والحاضر يرى ما لا يرى الغائب، ومثلكم لا يُعرف. والخريف هذه السنة قليل، إنما هو في غاية الاحتكام، رطب من العجايب، حال التاريخ نجم البلدة والشارة على الرأس، غيث خفيف، فعسى الله يسلم الخريف من الغبار، ويغيث المسلمين بغيث نافع. والأسعار شاحية قليل، والزرايع موافقة، وكل شي موجود، والدعاء الدعاء في كل حين، كما هو مبذول. والخال محمد تزوج آخر شهر رمضان على بنت يحيى بن محسن مطهر مخلقة محمد بن حسين، هذا والخط بغاية العجل، ولا زلتم في حفظ الله وجميل رعايته". ص ١٦٧ - ١٦٩.

وبالمقابل نلمس أن الأبعاد الشخصية تتقلص كثيرًا في مكاتبات الحبيب حسن بن صالح البحر، فهو لا يتحدث فيها أبدًا عن شؤون عائلته. وتعد الرسالة

الأولى بعد المائة (بدون تاريخ)، الموجهة إلى السيد أبي بكر المشهور، من الرسائل النادرة التي يتطرق فيها حسن البحر لجانب من حياته الخاصة، وهو صحته، فهو يذكر فيها ما يعانيه من ضعف في السمع والنظر، فكتب: "ونحن هذه الأيام معنا تكثيف من أثر العيون ومع الصمم، حتى إنا اعتذرنا لذلك عن كثرة اختلاف الناس، وقد أرسل لنا العام الأول فرج يسر كحال أبيض، ووافق معنا غاية، لكنه تمّ سريعاً، وعرفناه من طرفنا، وأرسل كحال، لكنه ليس كالأول، ولم تحصل منه جدوى، وأصل الأثر يقل في الدف، وحصل فيهن الغث خصوصاً مع برود الوقت، والنزلة فيهن تخرج من الرأس، والصمم كذلك، فإن قدر الله شيء من الأدوية حسب التيسير اعتنوا بذلك، حماكم الله. والسلام". ص ٧١٦ (اعتمدنا النص المطبوع من مكاتبات البحر لجميع الاقتباسات باستثناء ما يتعلق بالرسالة التي بعثها حسن البحر إلى علي ناجي بن بريك).

ونلاحظ أن معظم رسائل الحبيب حسن البحر الإخوانية، التي يتضمنها مجموع مكاتباته، المخطوط أو المطبوع، عبارة عن ردود للمرسل إليه، ويتنوع محتواها بين التعزية والعظة والدعاء والتوصية والإرشاد، فمثلاً في الرسالة الثالثة من المخطوطة، التي وجهها البحر إلى الشيخ سعيد بن عامر بن عبد العزيز الكثيري، يبلغه باستلام رسالته، ويوصيه بالالتزام بالفرائض الصلاة والزكاة، ويطمئنه بالدعاء له، كتب فيها: "من حسن بن صالح البحر الجفري إلى المحب المبارك المسعود إن شاء الله سعيد بن عامر بن عبد العزيز بن محمد بن عمر الكثيري، سلّمه الله وكان له عوناً في دنياه وآخره، وحفظه مما يحذره ويخشاه، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. صدر هذا الكتاب وقد وصل كتابكم، فأوصيكم - كان الله في عونكم وزادكم من كل خير - بطاعة الله وتقواه، فإنهما موجبان السيادة والسعادة في الدنيا والآخرة، فمن ظفر بهما فاز بكل خير، وسلم من كل بؤس وضير، ومن حُرّمهما حُرّم من كل خير، وهمة المؤمن قالب التوفيق، ومن الإنسان الهمة والعزم، ومن المولى الإسعاد والتوفيق. ونوصيكم بالمحافظة على الصلاة، فإنها عماد الدين... ثم الزكاة فإنها ركن من أركان الإسلام...

هذا وحفظكم الله، ومن اصطنع المعروف، وأجراه الله على يديه، فليشر بالخير وحسن العاقبة، والدعاء مبذول لكم. والسلام عليكم". ص ٥١١ - ٥١٢.

ويعكس هذا النوع من الرسائل توجه الناس للحبيب حسن بن صالح البحر بغرض طلب الدعاء والعلاج أو تجاوز بعض الصعاب، ففي الرسالة الحادية والعشرين يرد البحر على طلب محبه الشيخ عوض بن أحمد طيب، قائلاً: "صدر هذا الكتاب بعد وصول كتابكم، وما ذكرتم صار لدينا معلوم، ونحن إن شاء الله متوجهين إلى المولى في تيسير ما تطلبون، ودفع ما تكرهون، وهو مليء بكل خير، وإن شاء الله ينفرج كربكم، وقد أوصينا الولد عبدالله بن زين بوصية، وذكرنا فيها أذكاء تطلبونها، وزيدوا واستعملوا هذا الدعاء: اللهم كما لطفت بلطفك في عظمتك دون اللطفاء، وعلوت بعظمتك على العظماء، وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك، وكانت وساوس الصدور كالعلانية في عندك، وعلانية القول كالسر في علمك، وذلل كل شيء بعظمتك، وخضع كل ذي سلطان لعظمتك، وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك، اجعل لي من كل هم أمسية أو أصبحت فيه فرجاً ومخرجاً، وارزقني من حيث لا أحاسب. هذا الدعاء لكم مبذول، ومنكم مسئول". ص ٥٥٣.

وفي الرسالة الثالثة بعد المائة يكتب الحبيب حسن البحر إلى عبدالله وعبدالرحمن ابني أبي بكر المشهور يشرح لهم فيها كيفية العلاج باستخدام الماء المقروء عليه القرآن، وذلك على النحو الآتي: "صدر هذا الكتاب بعد وصول مشرفكم، وأشجانا ما ذكرتم من تأثر الأهل، وليس عندنا خبرة ولا دراية بهذا الشأن، لكن كتبنا لهم في إناء شيئاً من القرآن الذي أنزله شفاءً ونوراً لأهل الإيمان، وصدر على حسن النية والرابطة، والله المستعان على نوائب الزمان، وطوارق الحداث. هذا وحماكم الله. والسلام على من شئتم، منا والأولاد والمحبة عمر شماخ. وإذا محيتم الماء ابقوا القليل وادهنوا به الرأس والبدن". ص ٧٢٠.

ويتضمن مجموع مكاتبات البحر كثيرًا من رسائل التعزية، منها الرسالة الرابعة التي بعثها المؤلف إلى محبه عثمان بامجبور، والرسالة الخامسة التي أرسلها إلى حسن بن حسين وحسن بن عبدالله الحداد، وكتب فيها: "من العبد الفقير حسن بن صالح البحر إلى حضرة سادتي الأجلاء الكرام، سلالة الأئمة بدور الدين والنفع العام، إن شاء الله لسائر المسلمين، حسن بن حسين وحسن بن عبدالله أبناء الحبيب الإمام أحمد بن الحبيب الشيخ حسن بن الإمام قطب الإرشاد عبدالله الحداد، حماهم الله، وهدى بهم إلى سبيل طاعته وتقواه. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. صدر هذا الكتاب وقد وصل كتابكم المنبئ بخبر وفاة الحبيب الفاضل حسن بن سيدنا الشيخ عمر، أحسن الله عزاكم، وقد أحزننا ذلك الخبر، لكن ذلك سنة الله في خلقه، وقضاؤه في عبادته، ومرجع الكل إليه، وهذه الدار دار التشيت والافتراق، والاجتماع إن شاء الله في دار الخلود بلا ضغن ولا ارتحال، ولا موت ولا زوال، في جوار الكبير المتعال". ص ٥١٦.

وإذا كان الحبيب حسن بن صالح البحر يتجنب الحديث عن الشؤون العائلية فهو لا يرى بأسًا في تضمين بعض رسائله الإخوانية بعض أخباره ذات الطابع الديني، فهو يذكر مثلاً أن سبب كتابته للرسالة الثانية الموجهة للسيد حسن بن علوي بو فطيم إبلاغه بعزمه على التوجه إلى الحرمين الشريفين، كتب فيها: "موجب الكتاب، بعد مسنون الدعاء والتحية، السؤال عن أحوالكم السنيّة، وشم أنفاسكم الزكيّة، وتجديد العهد، وتأکید الوداد المعهود، إعلامكم بوجهة الفقير إلى الحرمين الشريفين، عن فرض حسين بن سيدنا الشيخ عمر بن سقاف، ادعوا لنا فإنكم منا في سويدا البال، وذكركم في الحل والترحال". ص ٥٠٩.

وفي الرسالة الثامنة والخمسين يبعث حسن البحر رسالةً إلى محبه علي بن محمد شماخ يبلغه فيها باستلام رز للوليمة التي أقيمت يوم (المدرس)، ويشكره قائلاً: "وقد وصل الرز من المحب الشيخ حفظه الله، وحصل به المنفعة والبركة يوم المدرس

المبارك، شكر الله سعيه وعامله بكل خير في عاجل دنياه وآجل أخراه، والمدرس إلى زيادة، ومع الناس انتعاش الروح بذلك ومظاهر نور وحضور". ص ٦٢٤. وكان الحبيب البحر في الرسالة السابقة، الموجهة إلى الشيخ علي بن عبود باسندوة قد كتب: "صدر هذا الكتاب بعد وصول ما أهديتموه، وكان الله في عونكم، وزادكم من فعل الخيرات ومتجر الباقيات الصالحات". ص ٦٢١.

وفي الرسالة الرابعة والسبعين ينصح الحبيب حسن البحر الحبيب أحمد بن محمد المحضار ألا يقدم على عمارة أحد المساجد إلا عند تيسر الأموال اللازمة لذلك، فكتب له: "وما ذكرتم من خبر المسجد وعمارته، إذا تيسرت من غير تكلف ولا تقشف، فذلك المقصود، وإن لم يتيسر فلا تجعلوا علقَتكم بغير ربكم، ولا تذلو أنفسكم لمن دونه؛ لأن الذل لغير الله والطمع في غير الله خسران وندامة، وغبن وملامة". ص ٦٥٩.

وإذا كان الحبيب حسن بن صالح البحر لا يميل كثيرًا إلى الحديث عن حياته الشخصية في رسائله الإخوانية، فهو يتجنب كذلك الخوض في الشؤون الخاصة بالآخرين، ومع ذلك يحتوي مجموع مكاتباته على قليل من الرسائل التي تتعلق بالحياة الخاصة لبعض محبيه ومراسليه، وفي الغالب تم حذف أسماء هؤلاء الأشخاص في النسخ المخطوط والمطبوع من الرسائل، أو استعيض بكلمة (فلان)، أو يترك فراغ في مكان الاسم، مثلما نجد ذلك في رسالة العتاب (الرابعة والعشرين)، التي بعثها حسن البحر لأحد محبيه بعد أن طلب منه أخوه التدخل لإنهاء خصام حدث بين الأخ وأهله، وقال فيها: "صدر هذا الكتاب بيد أخيك، الموجب لذلك أن أهلك حصلت معهم بعض وحشة من قلة المواصله، وجفوتهم وعدم الإرسال إليهم، وأنتم أهل مروءة وديانة، والمصافاة والأخذ بالخواطر أليق بكم، وكل من له حق ما يطرد منه، و[عليكم] صيانة العرض والمروءة من نصيب أهل الزمان، والحاسدين المدخلين الإحن والفتن بين الأصحاب والقربات؛ لأن أخلاقهم قد صارت أخلاق الشياطين... ونرجو أن لا يسمع بينكم بغض ولا حاسد، والتطاول على الجميل الذي بذره يحصل السيادة

والسعادة في الدنيا والآخرة، فتصافوا بطيب قلوب، وتسابقوا إلى فعل الحسنات وفعل الجميل، بارك الله فيكم، وكان الله في عونكم، واحذروا من المخاصمة والمشاحنة، الله يؤلف بين قلوبكم، ويوفقكم لما يحبه ويرضاه، والسلام". ص ٥٥٧.

ومع ذلك يبرز اسم المرسل إليه في الرسالة الحادية والثمانين من المجموع. وفيها يتوسط الحبيب حسن البحر لدى المغترب الشيخ عوض عمر عبدالكبير باحميد، ويطلب منه زيارة أهله أو مساعدتهم، مبرراً ذلك بالظروف الصعبة التي تشهدها حضرموت حينذاك، كتب فيها: من حسن بن صالح البحر، إلى الشيخ عوض بن عمر بن عبدالكبير باحميد، سلك الله به المسلك الحميد، وحلى ظواهره وسرائره بما يرضى به الرب المجيد. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وصل كتاب الشيخ سالم وأرانا إياه، وفقكم الله لما فيه رضاه، وسلك بكم مسالك أحبابه وأولياه، وكونوا حسب الظن في صلة أخيكم سالم ووالدتك، وتفريج كربتهم وإدخال السرور على قلوبهم بمخرجكم، وإذا لم يكن ذلك فبالصلوات الجميلة، وقد بلغكم ما حلّ بحضرموت، وما وقع فيها من الأزمنة الشديدة، والمتاعب في معاشهم، وهم أحق بصلتكم، وصلتهم متعينة عليكم، ولازمة في معسوركم فضلاً عن ميسوركم. هذا والدعاء لكم مبذول. ص ٦٧٣.

(ب) الأبعاد التاريخية والعامة في رسائل الحضارم:

ذكرنا أن رسائل البحر تتوزع بين الرسائل الإخوانية ذات الموضوعات الشخصية والاجتماعية والدينية (أو غير الرسمية وفق تصنيف أدريان غللي)، وبين الرسائل السياسية (أو الرسمية)، التي تتضمن أبعاداً عامة وتاريخية واسعة. وفي الحقيقة لم يكن الحبيب صالح بن حسن البحر رجل دين فقط، بل كان كذلك رجل سياسة؛ فهو لم يتردد في اتخاذ عدة من المواقف السياسية تجاه كثير من الأحداث المهمة التي شهدتها حضرموت في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي). ونعثر في بعض رسائله على تفاصيل دقيقة لا نجدتها في التاريخ، أو أن مؤرخي القرن الثالث عشر قد

عادوا إليها عند تناولهم لحوادث ذلك القرن، كما فعل معاصره سالم بن حميد في كتابه (العدة المفيدة في تواريخ قديمة وحديثة). ويؤكد ذلك أحمد عبد الله السقاف الذي كتب في موسوعته (تاريخ الأدباء الحضارم): "مع ما هو فيه من روح دينية، ومشغل علمية وتعبدية، وتلاوات قرآنية، وأذكار مستديمة، فلم يكن متوارياً عن المجتمع العام، وكما له رئاسته الاجتماعية والدينية والصوفية، فإن له زعامته السياسية الروحية على طوائف من العشائر السلاحيّة، كمعتقدٍ لهم، ذي إشراف على حالاتهم الاجتماعية والسياسية. وقد تندّش حين تعلم أنه من أركان الثورة الوطنية عام ١٢٦٥هـ على الفئة اليافعية المتغلبة على سياسة تريم وسيؤون وتريس ولواحقها، من جراء استفحال مظالمهم، حتى لم يبق في قوس التصبر منزع، فكان في مقدمة الصفوف الثائرة، إلى أن كانت النتيجة: جلاء أولئك اليافعيين عن تلك البقاع، وزوال كابوسهم الجاثم على أنفاسها وسيادتها. كما نشاهد في (تاريخ ابن حميد) مناظر من تدبيراته ومجهوداته ومساعداته المادية والمعنوية، واستعمال نفوذه". المجلد الثالث، ص ١٢٢ - ١٢٣.

ولأهمية الرسائل ذات الطابع العام والسياسي اضطر جامع مكاتبات البحر، الذي لم يحاول ترتيب الرسائل وفق تاريخ كتابتها، إلى فرز تلك الرسائل وتكريس الجزء الثالث من المجموع لها تحت مسمى: (ما كتبه لولاة الأمور وأرباب الدولة وغيرهم). ومن الواضح أن معظم (وليس جميع) تلك الرسائل يتركز في التعبير عن مناصرة الأطراف العلوية ومن تسانده ضد عدد من القادة والحكام اليافعيين في وادي حضرموت في القرن الثالث عشر.

ففي الرسالة السادسة بعد المائة، المؤرخة في ٦ من رجب سنة ١٢٥٣هـ يؤكد الحبيب حسن البحر لصديقه عمر بن زين الحبشي مساندته لانقلاب العلويين ضد الحاكم اليافعي في تريم عبد الله غرامة، بقيادة أحمد بن علي الجنيد في تلك الحقبة. وقد تناول الموضوع على النحو الآتي: "وقد وصل إلينا كتاب وللحبيب محمد من الأخ أحمد بن علي الجنيد، أن الرجل الباغي وقعت فيه هسفة، كما علمتم، وذلك إن شاء

الله طالع أول السعد والانتصار، من الجبار القهار، وقد ودنا من أهل البيت خصوصاً، وسائر المؤمنين، أن يشنوا غارة على دين الله، ونصر شريعة رسول الله، وإقامة ما وضعت من حدود الله، والحبائب آل جنيد قد أدخلهم الله في هذا الأمر، وفيهم أهلية من جهة الدين ومعرفة الشريعة المحمدية، وقد اجتمع الجند عندهم، وبذلوا لهم، وإن كانوا مكتفين، شر هذا الباغي وغيره. فيحق للجميع، من أهل البيت وغيرهم، أن يعقدوا البيعة للأخ أحمد بن علي؛ لأنه أعرف بدين الله وأحكامه، والسلطان المبارك يكون أعلى نوابه، والجند من وفقه الله وهداه، ومن بغا أن يكون من حزب الله يساعد على ذلك، ويرى ما يسره من كل خير ونصر وعاقبة حسنة". ص ٧٢٩.

وفي الرسالة السابعة والخمسين بعد المائة لا يتردد حسن بن صالح البحر في تهديد حاكم تريم اليافعي عبدالله بن عوض غرامة الذي قام بقمع تحركات علي بن أحمد الجنيد وحبسه مع بعض زملائه، وكتب له بتحد ولهجة شديدة الغضب: "من حسن بن صالح البحر إلى عبدالله بن عوض غرامة. السلام عليك إن كنت مجيباً للحق، وسامعاً للنصيح في الدين، وإلا فلا سلام إلا على المؤمنين المهتدين، الذين لم يلبسوا في الدين، ولم يسلكوا سبيل المعتدين الظالمين. وبعد، فهذه تذكرة وتبصرة لمن أجاب لبارئه بما أمر، وحجة قائمة على من طغى ومعدرة ... وهذه نصيحة حق وكلمة صدق، ممن لا يرى في الوجود غير مولاه، ولا يركن إلى أحد سواه، ولا يرفع إلى غيره سراءه ولا ضراه، وإن لم تقبلها فقد قامت عليك، وبلغت المعذرة. وسترى إن شاء الله ما في صمت مخالفتها من العطب، وسوء المنقلب، وإن كنت مطيع وللنصيحة مجيب؛ فبادر إلى إخراج هؤلاء الأشراف الذين أهنتهم، وخوفتهم وروعتهم، وروعت أهاليهم وأطفالهم، وذلك تسلم من العقوبة، وشر المثوبة، ونحضيكم بدعوة مستجابة، يصلح بها شأنك، ويحفظ بها إيمانك، وإلا رميناك بالسهام الصائبات، وبالمدعوات المستجابات عند المجيب لخاصته وأحبابه، وما أهونك وما أقلك! وما أصغرك! وما أذلک على جبار السماء! والسلام على من اتبع الهدى، وخشي عواقب الردى، وهذا

لك ولمن ساعدك على الظلم، وأجراك عليه، بل موعظة لنا ولك ولسائر المؤمنين والمؤمنات". ص ٨٧٣ - ٨٧٤.

وعندما توفي عبدالله غرامة تولى حكم تريم ابنه عبد القوي الذي قام هو أيضًا بحبس علي الجنيد وزملائه، فوجّه له حسن بن صالح البحر رسالة لا تختلف لهجتها عن أسلوبه في الرسالة التي كتبها لأبيه، وقال فيها: "من حسن بن صالح البحر، إلى عبد القوي بن عوض غرامة، فإن كنت عبد القوي حق لك أن تسمع الموعظة، وتتقي وأنت عبده وترعوي، وإلا فأنت مطيع ومتبع للشيطان الغوي، وقد بلغنا أنك قبضت السادة الفضلاء أولاد السيد أبي بكر المشهور والسيد العلامة الفاضل أحمد بن علي الجنيد، وقد تقدم من أهلك مثل هذا الأمر، وقد حاق به من الله المكر، وأنت في ابتداء أمرك أظهرت من الخير ما الله أعلم بما في شرك، وقد أعلننا بذلك شركك، فإن كنت ذا قلب سليم وخفت من العلي العظيم، أطلقت هؤلاء الصبيان، وكذلك السيد الحليم، وسمعت نصيحة من يدعوك إلى الصراط المستقيم، ورفعت بنفسك من هذا المرتع الوخيم، لتفوز بالسلامة والغنيمة ممن هو بالمرصاد على عباده وبهم خير، وأصغ إلى قول من يشفق عليك، ويحب لك أن ترجع إلى ربك وتستقيم، وإن أبيت وأردت إلا العصيان، وتلبست بالظلم والطغيان، وأهنت أهل بيت المصطفى من عدنان، سوف إن شاء الله تأتيك النقم، وعاجل العقوبة، وتبوء بالخزي والخسران، وعند الامتحان يُكرم المرء أو يُهان، وأبرز للطغيان، هذا الفرس وهذا الميدان، نقول ذلك معتمدين على الملك الديان، الذي لا يقوم لغضبه أرض ولا سماء ولا جان". ص ٨٦٨ - ٨٦٩.

وقد لفت أسلوب البحر في رسائله إلى آل غرامة انتباه المؤرخين، ومنهم عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف الذي كتب في (إدام القوت): "كان سيدنا الحسن البحر لا يقر على كظة ظالم، ولا على سغب مظلوم... وكان لا يقوم أحد لغضبه إذا انتهكت حرمة الله، واعتدي على من لا ناصر له سواه، وكان لا يخاطب عبدالله عوض غرامة ومن دونه من الرؤساء في المعتبة إلا باسمه مجردًا من كل صفة، يسكت لغرامة

على آرائه الوهابية؛ لأن بعضها يوافق ما عنده من تجريد التوحيد، ولكن لا هوادة له عنده متى انبسطت يده في ظلم من لا ناصر له إلا الله، فهو ركن الإسلام وموئل الأنعام".

وأما علاقة الحبيب حسن بن صالح البحر بآل كثير والشنافر بشكل عام؛ فقد كانت في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري متأرجحة، ويؤكد البحر أنه قد بذل جهودًا كبيرة لإرساء الصلح بين مختلف الفخائد الشنفرية، ولم يُكتب لها التوفيق، ويذكر ذلك في الرسالة الرابعة والثلاثين بعد المائة، الموجهة إلى السيد سالم بن علوي العيدروس، التي كتب فيها: "صدر هذا الكتاب بعد وصول كتابكم، وتذكرون أنكم واصلين للدخول بين آل كثير، وصلاح شأنهم. وقد علمتم أنا دعوناهم إلى دين الله وشرعية رسوله، ونشر حالهم في الآفاق، وقدموا على ذلك محابيس، ثم إنهم بعد ذلك هدموا ما شيدوا، وضيعوا ما به سعدوا، واستحوذ عليهم الشيطان، فركض عليهم بخيله والفرسان، ليكونوا معه في حزب أهل الخزي والخسران. وذكرت أنك واصل إليهم، فإن كنت داعيًا لهم ومشفقًا عليهم، وعاد لهم من عناية الله نصيب، استقالوا العثرات، وخشوا عقوبة جبار الأرض والسماوات، وهو يقبل التائبين ويغفر الخطيئات، وإن بقوا على تمردهم وعصيانهم، فقد حققت بهم الندامات، ووقع بهم ما وقع في الأمم السالفات؛ لأنها قامت عليهم الحجة ووضحت لهم المحجة، بإذعانهم لدين الله، وحق فيهم ما قال ﷺ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾. ص ٧٨٩.

لكن حينما يؤس حسن بن صالح البحر وبقية العلويين من إقامة علاقات ودية مع الحكام اليافيين في وادي حضرموت، وأيقنوا بعدم قدرتهم على مواجهتهم بمفردهم أو إقامة سلطة خاصة بهم في تريم؛ قرروا أن يساندوا أمراء آل كثير الذين شرعوا بقيادة غالب بن محسن سنة ١٢٦١هـ في تأسيس السلطنة الكثيرية الثالثة انطلاقًا من حيدرأباد وبلدة الغرف التي اشتراها غالب بن محسن من القرامصة التميميين. وقد دفع العلويون ثمنًا غاليًا لمناصرتهم لآل كثير في تريم وتريس، وبشكل خاص في سيئون خلال الأحداث المرعبة التي شهدتها مدن الوادي في سنتي ١٢٦٤ و ١٢٦٥هـ، والتي ذكر حسن البحر

بعضاً منها بالتفصيل في الرسالة الطويلة التي بعثها إلى علي بن ناجي بن بريك، مطالباً إياه بفك الحصار عن الوادي وآل كثير، وقد ضمّنها ابن حميد كتابه العدة المفيدة (مجلد ١، ص ٤٢٨ - ٤٣١). وجاء فيها: "ولا بُدَّ ما بلغكم ما وقع من يافع من ظلم وعدوان وفسوق وعصيان، ولم يبالوا بسخط الرحمن، حتى إنهم أهانوا أهل البيت وظلموهم، وكشفوا عوراتهم، حتى إنهم بلغوا نساءهم إلى حصونهم، وأخذوا أموالهم قهراً، ودخلوا بيوتهم بدون استئذان منهم، ولم يبالوا لفعل الجرائم والآثام، ولا بنسبة جدهم خير الأنام، حتى بلغ من أولئك القتل والأسر، ثم أذن الله بمن قوّى عزيمته، وأصلح في ذلك سريره، ببذل أموال في دفع تلك المنكرات، حتى غلبت على من غلبت عليه الشقاوة والحرمان، وأضمرّوا في نفوسهم المكر والعدوان، حتى عجّل الله النصر لأهل الإيمان، وشتت أهل الظلم والعدوان، ولم تحزم بهم قوتهم ولا نفعتهم أعوان الشيطان، وقد بذلنا النصيحة لهم، فلم يرفعوا لها رأساً. وقد اختلفت إلينا كتب من الماس أن عمر بن عوض مراده إقامة الشريعة، ولم يوافق منه العمل بذلك". ص ٤٢٩ - ٤٣٠.

وكان حسن البحر قد استبشر خيراً بتراجع هيمنة يافع على مدن الوادي، لكن تلك الأحداث كانت في الحقيقة العامل الحاسم لقيام عمر بن عوض القعيطي بتأسيس السلطنة القعيطية استجابة لليافعيين الذين طلبوا منه الانتقام من آل كثير لما فعلوه بهم في شبام ومدن الوادي الأخرى. وقد أدرك حسن بن صالح البحر مدى خطورة تلك السلطنة الناشئة على ما حققه عمر بن منصور وغالب بن محسن، وسارع في القيام بحملة كبيرة لدعم السلطان غالب بن محسن ومناصرته ضد آل يافع، وعلى رأسهم عمر بن عوض القعيطي. وامتدت تلك الحملة إلى خارج حضر موت، إذ كتب البحر في الأول من ذي الحجة ١٢٦٤هـ رسالةً طويلةً (إلى أعيان الحضارمة المهاجرين في بلاد جاوة)، يحثهم فيها على تقديم الدعم المعنوي والمادي وجزء من الزكاة للسلطان غالب بن محسن، وكتب فيها: "وهذه تذكرة لنا ولإخواننا، خصوصاً من شطّ

به البُعد عن الوادي الميمون، كما اقتضاه أمر الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، بما طغا في البلاد من الطاغين، الذين هم عن أمر الله ساهون، وغيرُوا البلاد، وأكثرُوا فيها الفساد، وألجأوا العباد إلى الغربة عن أوطانهم والأولاد، والآل جلا الله تلك الفئة الباغية، التي أضلها بما بدا منها من البغي والنكاد، وأصبح الوادي في مسرة بفضل الكريم الجواد، وأيد الله أولي النيات الصالحة بالتأييد والسداد، وبقي أهل الطغيان بعد إبعادهم في محاربة وعناد، وأمرهم إن شاء الله إلى تبديد، ولا تحصلوا قصد السوء بمراد، فوجب منّا، خصوصاً أهل البيت، المعاضدة والإسناد، وسلوك سبيل الإرشاد، وإعانة مَنْ قام بهذا الأمر بالجد والاجتهاد؛ لنيتهم الصالحة، ومحبتهم للطيبين الطاهرين الذين هم للمصطفى أحفاد، ومرادهم الحق ونصر دين الله وشريعة صفوة خير العباد، وهم الدولة آل عبد الله كافة. ولا بد أنه بلغكم ما يُنفقه على العصبية وحمية الجاهلية، عمر بن عوض القعيطي، على تلك الفئة الباغية، بإرجاعهم إلى المرتع الوخيم، وقد أظهروا في ذلك الوادي كل طغيان عظيم، وعزم بالهمة العالية، بما خصه ذو الفضل العظيم، السلطان غالب بن محسن بن أحمد، بهمة صادقة، ونية صالحة، وقلب سليم، مع أنه شفيق بالموثمين، وبهم رؤوف رحيم، حتى بذل أمواله في صلاح البلاد والعباد ... فانهضوا انهضوا معاشر الإخوان، إلى الأوطان، التي منّ الله على أهلها باليمن والأمان، واغتنموا ما بقي من الأعمار في عمارة فراديس الجنان، واسلكوا مسلك أهل التقوى والإحسان، تغشاكم النوار، وتنتفي عنكم الأكدار، برضوان مولاكم العزيز القهار ... وقد مست الحاجة، بعد ما أنفقه السلطان من الأموال، ودعت الضرورة إلى المعاونة من مياسير المسلمين، في ردع تلك الفئة الباغية بإعانة مَنْ قام بهذا الشأن ورغب فيه، وشن الغارة عليه، مع عفتهم وعلو همتهم، ورحمتهم بالعباد، حتى إنهم ما احتاجوا إليه يقترضونه ويستدينونه على جود الله، وما وقع في أيديهم، أرجعوه إلى كل ذي حق حقه، بلا مماطلة، والنفوس مطمئنة بما اقترضوه وأخذوه ممن بذل في ذلك، لما في قلوبهم من الرأفة، غير أن ميسور الدولة كما تعلمون، بحال الساعة، قليل والناس

في ضنك معاشهم، وإلا فلله الحمد، ما وقع بهم قحط ولا شدة من يوم ما أقام الله السلطان في هذا الوادي، في ميسرة ومسرة، من فضل من الخلق خلقه، والأمر أمره. فرجو من الله أن تقوموا بالعزائم، وتظفروا بالغنائم، بإعانة هؤلاء أولي الهمم العلية، بالمبادرة بإخراج ما سمحت به نفوسكم الزكية، بما يعينهم على نصر دين الله والشرعية المحمدية، فبذلك إن شاء الله تحوزون الحسنين، وتفوزون بسعادة الدارين، وقد تعيّن ذلك. ولا يخفاكم، حماكم الله، أن المذكورين لهم سهم من الزكاة، إذ هم الغارمون، والغارم يعطي منها حقه كما أمر الله". ص ٨١٤ - ٨١٥.

وقد حظيت تلك الرسالة بانتشار واسع، وعقب عليها مساندة عدد من زملاء حسن البحر، وأبرزهم عبدالله بن حسين بن طاهر وعبدالله عمر بن يحيى. وقد تمّ تضمين مجموع مكاتبات البحر اثنتين من تلك التعقيبات، وضمنها ابن حميد في كتابه العدة المفيدة (مجلد ١، ص ١٤٣).

ولمناصرة السلطان غالب بن محسن الكثيري، والحصول على الدعم اللازم له؛ لم يكتف الحبيب حسن بن صالح البحر بالتوجه إلى المهاجرين الحضارم في جاوة، بل خاطب أيضًا الحاكم الهندي الأجنبي سلطان حيدرآباد، وطلب منه التدخل في وادي حزموت، والوقوف إلى جانب السلطان غالب بن محسن ضد عمر بن عوض القعيطي، وذلك في رسالة طويلة (رقم ١٤٤)، كتبها له في الأول من ربيع الأول سنة ١٢٦٥، وحمّله فيها مسؤولية ما يقوم به عمر بن عوض القعيطي من تخريب في حزموت، وقال فيها: "ثم إن الحاصل لهذا التعريف، بعد إهداء السلام، وبذل الدعاء الخاص والعام، رفع الشكوى، إلى الله العالم بالسر والنجوى، ثم إلى رسوله ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوى، ثم إلى كل مؤمن من أهل التقوى، سيما من استخلفه الله على عباده في بلاده، وأمدّهم بجزيل الإمداد، وأنتم منهم معدودون، وفي سلك عقدهم داخلون، لما يبلغنا عنكم على ألسنة الواصلين من عندكم، من حب أهل الإسلام، وإعزازهم من بين الأنعام، والشكاية ممّا نزل بوادينا وناديننا، من البلوى

والفتن، والأسواء والمحن، التي عمّت الصالح والطالح، والغادي والرايح، وزيادة أهل التقوى والصلاح، والعلم والفلاح، وغيرهم من ضعفاء العباد، ومساكين البلاد، ممّا لا ناصر له إلا البر الجواد، فقد ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً، وضعفت أحوالهم، وقلّت أموالهم، وخابت آمالهم، وقطعت سبلهم، وتعطلت أسبابهم، وصاروا كالحوت الذي نشف بحره، وغار نهره، فحار الحكيم، وسكت العليم، وصرخ اليتيم، وبكى العديم، وكل ذلك بواسطة عوض بن عمر القعيطي، القاطن الآن في ملككم، وتحت سيطرتكم وقهركم، يصرف الأموال الكثيرة والذخائر الخطيرة، على جند الفساد والعناد، المولعين بإيذاء العباد، وخراب البلاد، وأثار بذلك نار الفتنة، بعد أن خمدت، وهيج ريحها بعد أن ركدت، وقطع السبل والمفاوز، على كل مسكين وعاوز وعاجز، ولم يأل جهداً في إيذاء أهل الجهة الحضرمية، لا سيما السادة العلوية، والعترة النبوية، التي أمر الله باحترامها، ومودتها وإكرامها، كما في كتابه العزيز. وحاصله، أنه ينفق ويمون خلف السوء والفساد، ويغريهم على العباد، ومن جملة ذلك إخراج الطنشية والمدفع، فأذى به المساكين ورؤّع، وجراً به المعتدين وشجّع، وإن كان عمله مبتور، وعمله هباء منثور، وشيطانه خاسر ومدحور، بعون من إليه تصير الأمور ... حتى قام من جهته السلطان غالب وجلاهم، وأخرجهم من مدن حضرموت، بما لهم من فراش، وأسلاب وقراش، واستوطنوا بذلك الوادي، وتركهم نائب السلطان خوفاً من شر عمر بن عوض وذنياه، وحمية جاهلية وهواه، واطمأنت الأرض بعد بعدهم، وحصل الأمن عند فقدهم، وسكنت الخواطر، وانشرحت الصدور، وخمدت الفتن وانزاحت الشرور، حتى وصل القيام من عمر بن عوض ونوّابه، يجمعون الأقوام ليطفئوا نور الله بأفواههم ويؤذوا الأنام، ويأبى الله إلا أن يتم نوره التام، ولقد هم بما لم ينل، بحول الله عز وجل، هذا وما الحامل والمعين له على ذلك إلا ما يحصل له من المال الذي يأتي من عندكم، وعلى يديكم، ويستعين بذلك على محاربة الله، وإيذاء أولياه وأصفياءه، وإخافة مساكين الله، وضعفاه، ليحق عليهم ما قال الله تعالى: إن الذين كفروا ينفقون

أموالهم ليصدوا عن سبيل الله. إلخ. فالمطلوب من الله ثم منكم زجره، ومنعه وقهره، عن فعل القبائح والسيئات، التي يغضب لها رب الأرض والسماوات، بمنع الجرايات، وزجره عن هذه الجراءات، فهذا هو يصدر من الأموال لإثارة الشرور من ملككم، شيء كثير، ومال كبير. وأنتم لكم اليد الطولى والقدرة على المنع من هذا الأمر الوخيم والفعل اللئيم... وكذلك نطلب من الله ثم منكم، إعانة السلطان غالب بالمدد والعدد والأخذ باليد؛ ليقم شرع الله بالبلد، ولقد سكنت بقومته الفتن والإرجاف، والشرور والإجحاف، في بلاد الأحقاف، وسكنت الثائرة واجتمعت الكلمة، ليكون لكم بذلك من الله المدد الحسي والمعنوي، والثواب الدنيوي والأخروي". ص ٢٢٣ - ٨٢٤.

ومن اللافت للنظر أن المواقف السياسية للحبيب حسن البحر لم تنحصر في الشأن الحضرمي، بل تجاوزته إلى خارج حضرموت، فهو - في الرسالة السادسة والثلاثين بعد المائة مثلاً - يتواصل مع فريد بن ناصر بالرواس؛ ليعبر له عن استنكاره للاحتلال البريطاني لعدن، ومساندته له وللسلطان الفضلي الذي شرع في مقاومتهم، ويقول فيها: "صدر هذا الكتاب بعد أن بلغنا أنكم شائنين الغارة على دين الله، ومعاداة من كفر بالله، فذلك سعد عظيم لمن أحبه الله وارتضاه، فبعثنا بهذا الكتاب تهنئة لكم بما خصكم به من لا إله غيره، ولا رب سواه، أسعد الله عزائمكم بهذا الفعل العظيم، وقطع بكم كل طاغ من أتباع الشيطان الرجيم. وقد وصل إلينا كتاب من السلطان المسعود أحمد بن عبد الله الفضلي، ومعه همة عالية ونفس زكية، على من كفر بالله من الإفرنج الذين دخلوا عدن وهم محادين لله، وقد ضعفت شوكة الإسلام، على أن يجمعوا همهم وقلوبهم وقوالبهم على هذا العدو اللعين، وصار عندهم هذا الأمر العظيم أضغاث أحلام، وقد كادت أن تخلع رقابهم عهدة الإسلام، وصاروا منها في أجنة الظلام، حتى مالوا إلى الكفار بطمعهم بما يدخلون به في جحر الكافرين، ويمحق عليهم دنياهم مع ضياع الدين، فيا ويلهم من غضب وعذاب القوي المتين، وسوف يلحقون الخزي والعذاب المهين. وقد أرسلنا جواباً للسلطان المذكور المنصور إن شاء الله، أحبين أن ننظرونه طي هذا الكتاب، فكونوا بالله منتصرين، وعلى حوله وقوته معتمدين". ص ٧٩٣.

كما لا يتردد حسن البحر في التعبير عن دعمه المعنوي للحاكم العثماني في ظفار عبد الرحمن بن عقيل السقاف، فقد كتب إليه رسالة بتاريخ ٢٨ من ربيع الأول ١٢٤٥هـ (رسالة رقم ١٢٨)، يدعوه فيها إلى الالتزام بتنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية، وكتب فيها: "قد علمنا أنكم واصلين إلى جهة ظفار، ونرجو أن الله يؤيدكم وينصركم، فكونوا معتصمين، ولطاعته وتقواه ممثلين، وشنوا الغارة على إقامة شرع الله على الخاص والعام، والقوي والضعيف، ولا تسامحوا أحدًا في حدود الشريعة، ومن هاهنا تهون عليكم كل عسير، ويسهل كل صعب، قال تعالى "إن تنصروا الله ينصركم". وقال تعالى "الذين إن مكنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور". ومن جاء مدعنا لكم، معطي حكم الله، نابدأ لحكم الطاغوت، وعرفتم صدقه في الآن، لا بأس إن سامحتوه في الأمور الماضية، لكن خذوا عليه بإقامة الحدود والقصاص في جميع الأحكام الشرعية، هذا إذا انشرح خاطر بقيامكم مقام الحبيب محمد، وقويت الهمة واستخرتم الله فيه، وصلحت النية لله ولدينه". ص ٧٧٤. ويكتب رسالة مشابهة (رقم ١٢٩) إلى فضل بن علوي مولى الدويلة الذي عينه الباب العالي حاكمًا عثمانيًا لظفار بين سنة ١٨٧٤ وسنة ١٨٧٩م.

وبوصفه علامةً ورجل دين يتواصل الحبيب حسن بن صالح البحر كذلك مع والي مكة، في الرسالة الخمسين بعد المائة، وينبهه فيها إلى ما يحدث من منكرات وتجاوزات لحدود الله في مكة وجدة. وقد نشر الباحث الدكتور محمد أبوبكر باذيب تلك الرسالة، مرجحًا أن الشريف محمد بن عبد المعين بن عون الحسيني النموي (ت ١٢٧٣هـ) كان والي مكة الذي وجهت إليه الرسالة التي جاء فيها: وقد بلغنا من المنكرات الفظيعة ما يوجب زوال النعم، وحلول النقم، وقد أقام السلطان عبدالمجيد بن محمود بن عبد الحميد خليفة في إقامة حدود الدين، وشريعة سيد المرسلين، وخلفائه الهداة المهتدين، الذين جعلهم الله سيفه على الجاحدين والكافرين. وبلغنا أن جندهم تزيّوا بزي الكافرين الملحدين، من النصاري المحادين لله، إذ كانوا

لما أنزله من كتابه وما جاء به الرسول الأمين مكذبين، وما ذلك إلا أن استحسنوا دينهم وخلا الإيمان في قلوبهم، وخافوا أعداء الله المعتدين، ولم يشفقوا من عذاب الله المهين، ويتصرفوا بقوة الله القوي المتين، قال ﷺ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، حتى استحوذ عليهم الشيطان اللعين، وأنساهم قيوميته من لم يقم لغضبه أهل السموات والأرضين أجمعين، حتى غفل هؤلاء النواب والحكام من المسلمين، فكأنهم لم يؤمنوا باليوم الآخر الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين، فإن كانوا بوعد الله مصدقين، ولأمره ممثلين، فليخرجوا هذا الذي شبهوا به وشاركوا فيه الكافرين الملحدين، وليقوموا بأمر الله، وليغاروا على دين الله، إن كانوا مؤمنين، وليعلوا كلمة الله عنوةً ويعزوا المسلمين ويذلوا الكافرين، إن كانوا للنصيحة سامعين، ولهدي رسوله متبعين، ويبشرون بحوله وقوته بالفتح المبين، ويهزمُ بهم جند الشيطان، وحزبه الخاسرين، وليزيلوا هذا الزي الذي هو زي الكفار، ويأمروا بزي المتقين الأبرار، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. وعليهم أن يزيلوا من دهليز الحرمين الشريفين، جدة، ومن يسكنها من الفرنج والنصارى، بل ومن غيرها من بلدان المسلمين، وقد بلغنا أنها تقبل شفاعتهم، ومسامحتهم في عشورهم وجنایاتهم، وتعزيزهم وتوقيرهم، وظهورهم بشرب الخمر، وتعاطي الكفار وغيرهم، ممن لا يخاف الله من المسلمين. وبلغنا أيضا مزاحمة النساء بالرجال في المطاف، فليميزوهن بأن يكن في حاشية المطاف، كما ذكره العلماء؛ لأن اختلاط الرجال بالنساء موجب للفتنة ووقوع الفاحشة، ولو من النظر، تحت بيت الله العظيم. ومن ذلك توقير أهل الدنيا، وإهانة الضعفاء والمساكين من عباد الله، وإخراجهم من الصفوف، ويجعلون مكانهم أهل الجدة، وربما يكون منهم من يستجاب دعوته، ويغضب لغضبه جبار السموات والأرض، فيحرق الوالي والمولى عليه بسطوات عدله. ومن المنكرات أخذهم الأجر الكثير على الطائفين، يعجز عنه الفقراء، ويتعب فيه الأغنياء، وإذا لم يعطوهم ذلك سبَّوهم وشتموهم. على الولاة

والعلماء أن يزيلوا هذه المنكرات، ليحفظون برضا رب الأرضين والسماوات، فيسلموا من غضبه بأعظم السطوات، فإنه إذا غضب لا تقوم له جميع البريات وسائر الكائنات. وعليهم أن يتفقدوا ما في الحرم، من داخله وخارجه، طائفه ومصليه، على ما مضى عليه السلف السالكون على سنة سيد المرسلين، وقد حجبنا في زمن قبل هذا، ولم نر تلك المنكرات، وصار هذا من غربة الدين والأمر المستقبحات. وقد بلغنا ذلك ممن نثق بقوله ويخاف الله ويتقيه، فبعثنا بهذه النصيحة لكم حذراً وإشفافاً من غضب الله، وغارة على دين الله، وتضييع حدوده وأحكامه، وهذه النصيحة إن شاء الله جديرة بالقبول، لمن كان له قلب حي وحياء، ومن لم تنفعه النصيحة فإنه ميت، والشجر الصالب العرق لا ينفعه سقي الماء، والذي في عروقه بقايا حياة يحيى ويرتعش. والمؤمنون الذين بذروا فيهم الإيمان، قال فيهم ﷺ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

الجزء الثالث - الأبعاد الفنية في رسائل الحضارم في القرن الثالث عشر:

(أ) السجع والبديع في رسائل الحضارم في القرن الثالث عشر الهجري؛ لا شك أن نهضة الأدب قد تأخرت في حضرموت، ففيها ظلت أساليب الكتابة في القرن الثالث عشر الهجري (القرن التاسع عشر الميلادي) متأثرة كثيراً بأساليب عصور الانحطاط التي اتسمت - في الغالب - باستخدام واسع لأسلوب السجع، والمحسنات البديعية، والأحاجي اللغوية، والمفردات العامية والأعجمية، وكذلك بالمزج بين اللغة الفصحى واللهجات العامية.

ومن المعلوم أن أسلوب السجع الذي ارتبط أساساً بفني الخطابة والرسائل الديوانية والإخوانية والأجناس النثرية الأخرى يجعل من إيقاع الكلام وسيلة للإقناع. وفي اعتقادنا أن الطبيعة التواصلية لرسائل الأدباء ورجال الدين تميل في كثير من الأحيان إلى توظيف السجع والمحسنات البديعية الأخرى للتأثير في المتلقي؛ لهذا حرص معظم كتاب الرسائل في حضرموت على الاعتناء بديباجتها ودعموها بالآيات القرآنية

والأحاديث النبوية والحكم والأمثال والأشعار، واستخدموا فيها ضروباً مختلفة من مرتكزات البيان والبلاغة العربية التي التصقت بالثر العربي قبل تحوله إلى الأسلوب المرسل في العصر الحديث.

ومن المؤكد أن مؤلف (سمط الدرر)، الحبيب علي بن محمد الحبشي، قد برز فنياً في مكاتباته جميع كتاب الرسائل الحضارم في القرن الثالث عشر الهجري، ففي رسائله وإجازاته ووصاياه بلغ الحبشي درجة من التألق لم يبلغها غيره من كتّاب القرن الثالث عشر الهجري، إذ إنه التزم في جميع مكاتباته أسلوب السجع والتوازن، واستخدم مختلف أنواع المحسنات البديعية، اللفظية والمعنوية، كالتطابق والجناس والسجع. نلمس ذلك مثلاً في هذه الرسالة التي بعثها في الأول من صفر ١٢٨٧ إلى الحبيب علي بن سالم بن الشيخ أبي بكر بن سالم، والتي كتب فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم. دهرنا أضحى ضينا * باللقا حتى ضينا/ يا ليالي الوصل عودي * اجمعينا أجمعينا. ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ وَعَلَّمَتْ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿[النحل: ١٥-١٦]. الحمد لله الذي أبرز من خزائن الكرم والجود، ما ألحق المطرود بالمسعود، وفق وذوق، وحَبَّ وشوق، وأصحى وأسكر، وأنسى وذكر، في تعريفه تعريف عين المعرفة، وأنّى للواصف أن يدرك حقيقة الصفة، أوضح مناهج السير للسائرين فساروا، وكشف سبحات وجهه للعارفين فساروا، إلى حيث يتضح المعنى، ويقع الاسم على المسمى، وفي سرائر تقلبات القلب، والمعنى الغريب، والسر العجيب، والنهار الذي ليس لشمسه مغيب ... صدور المسطور، والدور لا تزال تدور، والكتاب الذي أرسلتموه، والقريض الذي نظمتموه، وصلا إلينا، وكانا من نعم الله علينا، وما أبدعتم به في الفريدة النونية، هو فيض مواهبكم اللدنية، ولقد سرّحت طرفي فيما أبديت من المعنى الغزير، فرجع خاسئاً وهو حسير... وقد وصلت إلى تريم، لزيارة من بها مقيم، وحضور اجتماع المسلمين، والدخول في زمرة المؤمنين، والمطلب الأكبر هو الاجتماع بكم، لكوني ظاناً وصولكم، ووددت الوصول

إلى طرفكم، ولكنني خفت طول المدة، فأسأل الله أن يزلفني بليقاكم عن قريب في لطف وعافية. شعراً: كتبت ولي دمة جارية * ولي في اللقاء همة عالية / وشوقي إليكم وحق الإله * كشوق المريض إلى العافية. غيره: شوقي لذاتك شوق لا أزال أرى / أجده يا إمام العصر أقدمه. ولي فم كاد ذكر الشوق يحرقه * لو كان من قال ناراً كان أحرقه. هذا وما في الفؤاد لا يحصره البياض والمداد، فعسى الله يمن باللقاء، ويجمع اللذين تفرقا، والدعاء الدعاء الدعاء، والسلام مني ومن جميع إخواني، لا سيما الخاصة، وولدي عبد الله، ووالدي، عليكم وعلى من لاذبكم، لا سيما جميع أهل حضرتكم، والسلام. والكتاب على كاهل العجل، وإلا فالخطاب معكم لا يمل، والسلام ختام. الباسط ذراعيه بالوصيد، أقل العبيد، الفقير إلى الله علي بن محمد بن حسين بن شيخ الحبشي. علوي عفا الله عنه". مجلد ١، ص ٢٣ - ٢٤.

وحرص الحبيب حسن بن صالح البحر أيضاً على إضفاء أبعادٍ فنيةٍ على معظم رسائله، لا سيما تلك التي وجهها على القادة والحكام والولاة، لكنه - على الرغم من كونه شاعراً - لم يمزج النثر بالشعر في رسائله، ولم يُصدّر أيّاً منها بيت شعر كما فعل الحبيب علي الحبشي، ولم يبالغ مثله في استعمال الطباق والجناس والكلمات الجزلة والغريبة، واعتمد في الغالب سجعاً سهلاً ذا فواصل قصيرة.

وقد اعتنى حسن البحر بشكل رئيس بصياغة افتتاحيات (أو تصديرات رسائله)، التي يضيف إليها عادة عدداً من الآيات القرآنية، ويجعلها بساتناً أو مقدمةً يُمهّد فيها بالموعظة الحسنة للموضوع الذي سيتناوله في الرسالة، اتباعاً للتقليد السائد عند كبار مؤلفي الرسائل الإخوانية في التراث العربي قبل القرن العشرين الميلادي. ففي مفتاح الرسالة الثالثة بعد المائة، التي يوجهها إلى عبدالله وعبدالرحمن ابني أبي بكر المشهور، ويشرح لهما فيها كيفية العلاج باستخدام الماء المقروء عليه القرآن، يبدأ قائلاً: "بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله مزيل الآلام بلطفه، وكاشف الأسقام برحمته وعطفه، وصلى وسلم على سيدنا محمد الذي شمله الله بركته وكنفه، وعلى آله وصحبه الذين جعلهم الله لكل كافر مصيبته وحتفه". ص ٧٢٠.

أما رسالة العتاب (الرابعة والعشرون)، التي بعثها حسن البحر لأحد محبيه بعد أن طلب منه أخوه التدخل لإنهاء خصام حدث بين الأخ وأهله؛ فقد صَدَّرها بالآتي: "بسم الله الرحمن الرحيم. وعد الله الصابرين المخرج مما يكرهون، والرزق من حيث لا يحتسبون. والحمد لله الذي جعل الألفة والمواصلة بين المؤمنين من أعظم شعائر الدين، خصوصاً الأهلين والأقربين، وجعل ذلك شعار المؤمنين والمؤمنين إلى رب العالمين، وجعل القطيعة والتحاسد والتباغض بين حزب الشياطين الخاسرين، فليس ذلك من شأن المتقين المفلحين، بل يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، كما نص على ذلك في كتابه المبين. وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين". ص ٥٥٦.

ومن اللافت للانتباه في رسائل حسن البحر والمميز لها: توظيف كاتبها للسجع بهدف كسب وُدِّ المتلقي والتأثير فيه، وذلك من خلال جعل قافية اسمه تتكرر في جميع الفواصل التي تتكوّن منها (فقرة المتلقي)، ففي الرسالة السابعة والأربعين مثلاً يتوجّه البحر إلى متلقيه قائلاً: "إلى حضرة الحبيب الأُمجد عبد الله بن علوي بن المقدم بن ا لحبيب الإمام علي بن حسن العطاس، حفظه الله البر الرحيم من كل بأس، وأسعد به مدار الساعات والأنفاس، وسلك به مسلك أسلافه الذين أحكموا في طاعة ربهم أمكن الأساس، حتى سادوا بفضل مولا هم على جميع الأجناس". ص ٦٠١.

ويبدأ الرسالة الثامنة والعشرين على النحو الآتي: "من حسن صالح البحر إلى محبه أنيس الفؤاد وخلاصة الوداد محمد بن المؤمن الصالح سالم بلجون، حفظه الله ورعاه الذي يقول للشيء كن فيكون، وبلغه في الدنيا والآخرة المرغوب والمسهُون، فإن فضله غير مكنون، بل لم يزل إحسانه وفضله ممنون". ص ٥٦٤.

وفي الرسالة الثالثة والثلاثين يتوجه حسن البحر إلى محبه عبد الله باسلامة قائلاً: "إلى المحب الأنور الملحوظ بعين العناية، عبد الله بن زين باسلامة، حلّاه الله بحلية الاستقامة، وحفظه من كل أذى وملامة". ص ٥٧٤.

(ب) اللهجة العامية واللغة الفصحى في رسائل الحضارم:

ومن أبرز السمات الفنية لرسائل الحضارم في القرن الثالث عشر الهجري: ظاهرة المزج بين اللهجة العامية الحضرمية واللغة الفصحى. وفي الحقيقة من السهل العثور على مفردات وتراكيب عامية في جميع المكاتبات الحضرمية، حتى في تلك الرسائل التي خطّها كبار الأدباء ورجال الدين، وهذه الظاهرة كانت - كما ذكرنا - سائدة في مختلف الأجناس الثرية العربية قبل القرن العشرين، وقد تحدثنا عنها بشيء من التفصيل عندما تناولنا الأبعاد الفنية في السيرة الذاتية للحبيب حسن بن علي العطاس.

ونلمس هيمنة كبيرة للهجة الحضرمية في بعض المكاتبات الحضرمية، وانحساراً واضحاً في بعضها الآخر، فنلاحظ مثلاً أن الحبيب طاهر بن حسين بن طاهر يستخدم بشكل مطّرد اللهجة العامية، بعكس أخيه عبد الله بن حسين، ففي رسالته القصيرة التي سبق أن أوردناها في الجزء الثاني من هذه الدراسة، رصدنا التراكيب والمفردات العامية الآتية: "والكثافة إلى غاية"، "وأن شملهم بايتبد"، "حسبما عرّفناكم في عدة خطوط"، "ما هناك مُشوّش"، "أهل التدبيرة"، "والخطوط مبعاد وصلت"، "الخريف هذه السنة قليل"، "رطب من العجايب"، "والشارة على الرأس"، "والأسعار شاحية قليل"، "والزرايع موافقة".

وعلى الرغم من أن الحبيب علي بن محمد الحبشي كان يسعى إلى الارتقاء بلغته إلى مستوى الفصاحة؛ فقد تسربت في رسائله بعض الانزياحات العامية، في المستويين الشكلي (أو الصوتي) والمعنوي، لكثير من الكلمات العربية الفصحى، فهو استخدم الفعل (زحف) بمعنى (تعب، أو أنْهك)، وكلمة (المثار) بمعنى النهوض أو الاستيقاظ، وكلمة (السترة) التي استخدمت بمعنى (الجدار)، وكلمة (عارضته) بمعنى (قابلته)، وكلمة (عبرت) بمعنى (مضت) أو (مرّت)، و(الخلاء) بمعنى المكان الواسع الخالي من العمران.



وكذلك الحال بالنسبة للحبيب حسن بن صالح البحر؛ فمن الواضح أنه كان يتوق إلى استخدام لغة عربية فصيحةً وجميلةً ومرصعةً بالسجع والمحسنات البديعية، في مختلف رسائله، تلك التي أرسلها إلى محبيه وأصدقائه، أو تلك التي أرسلها إلى الحكام والقادة والسلاطين، ومع ذلك لا تخلو كثير من رسائله من التراكيب والمفردات العامية الحضرية. ففي الرسائل التي اقتبسناها في الجزء الثاني وردت مثلاً كلمة (هسفة) العامية بمعنى (خيبة)، وكلمة (علقتكم) بمعنى (تعلقكم)، وكلمة (المسهون) بمعنى (المنتظر)، وكلمة (كحال) في مكان (كحل)، وكلمة (قراش) بمعنى (متاع)، وكلمة (تكثيف) بمعنى (صداع)، وكلمة (الطنبشية) بمعنى (العساكر المسلحة بالبنادق)، وعبارة (الدرس إلى زيادة) بمعنى (يكثر عدد الحاضرين في حلقة الدرس بالمسجد).



ربابنة ونواخذة حضرموت وأثرهم في الملاحة والتجارة البحرية في القرن الثالث عشر الهجري

الربان سعيد بن سالم باطايح والنواخذة علوي بن حسن عيديد "نموذجًا"

بقلم/ محمد علوي عبدالرحمن باهارون
دار الحامي للدراسات والنشر وخدمة التراث الحضرمي

مقدمة:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن بهم اقتفى، أما بعد:

فحضرموت ثرية بتاريخها الملاحي البحري الغني بالمعارف والخبرات الإنسانية المنبثقة من مجال العمل في الملاحة والتجارة البحرية عبر القرون.

وقد استطاع الإنسان الحضرمي أن يمتدح أعالي البحار والمحيطات بتلك المعارف والقدرات التي اكتسبها، حتى صارت له مكانة بين الشعوب الممتهنة لتلك الحرفة التاريخية التي شكلت مصدر الحياة الأساسي لتلك الشعوب القاطنة على شواطئ المحيط الهندي.

وكان للحضارمة دور رائد في الملاحة والتجارة البحرية عبر قرون التاريخ المختلفة، وفي القرن الثالث عشر الهجري تربّع الحضارمة على عرش الملاحة والتجارة البحرية في البحر العربي والمحيط الهندي بشكل عام، فكانت لهم صولات وجولات وآثار ومآثر تركوها في تلك البلدان التي رست فيها سفنهم الشراعية الخشبية، وبرز منهم

رجال أفذاذ مارسوا مهنتي الملاحة والتجارة في آن واحد، ومنهم من اشتهر بإحداهما دون الأخرى، ونحن في هذه الدراسة سوف نبسط الحديث عن شخصيتين حضرميتين عُرفتا بامتهان الملاحة والتجارة منذ نعومة أظفارهما، وهما الملاحان العلمان الربان سعيد بن سالم باطايح والنوخذة علوي بن حسن عيديد. والأول أشهر من نارٍ على علم، والآخر دون الأول في الشهرة، ولكن أرشيفه يبرزه علماً من أعلام التجارة البحرية في حضرموت، بما حواه من وثائق ورسائل ومذكرات.

والربان هو القائد البحري للسفينة، المسئول عن سيرها في أعالي البحار مسترشداً بالنجوم والمعالم البحرية والبرية، ويقوم بقياس الطول والعرض حتى يوصل السفينة إلى بر الأمان للميناء الذي تقصده. وأمّا النوخذة فهو القائد التجاري للسفينة، المسئول عن دخلها وبحارتها وعن عملية الشحن والتفريغ والتواصل مع السلطات الحاكمة في الموانئ المقصودة لاستخراج التراخيص المعروفة بالمنافيس ونحوها^(١).

وقد جاءت هذه الدراسة في ثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو الآتي:

المبحث الأول: الحضارمة وأثرهم في الملاحة والتجارة البحرية في المحيط الهندي.

المبحث الثاني: الربان سعيد بن سالم باطايح وأثره في الملاحة البحرية في حضرموت.

المبحث الثالث: النوخذة علوي بن حسن عيديد وأثره في التجارة البحرية

في حضرموت.

الخاتمة: في ملخص البحث وأهم النتائج والتوصيات.

آملين أن نقدم ولو شيئاً يسيراً عن ذلك الدور الريادي في الملاحة والتجارة البحرية الذي اضطلع به أسلافنا الحضارمة، وإبرازه للمهتمين والمختصين. والله من وراء القصد.

(١) ينظر: بدر الكسادي، القاموس البحري، ص ١٢٨، ١٣٨.

المبحث الأول: الحضارمة وأثرهم في الملاحة والتجارة البحرية في المحيط الهندي

أُولع الحضارمة بركوب البحر كغيرهم من الشعوب القاطنة على سواحل البحر العربي وشواطئ المحيط الهندي، وقد كان من الطبيعي أن يلجأ سكان سواحل شبه الجزيرة العربية إلى ركوب البحر لاكتساب أرزاقهم منه، أو الهجرة إلى المناطق الغنية المجاورة لهم كسواحل شرق إفريقيا والسند والهند، فسواحل بلاد العرب التي تمتد آلاف الكيلومترات سواحل مجدبة تكاد تخلو من أسباب العيش والحياة. ولما كانت البحار المحدقة ببلاد العرب بحرًا خطرًا لا يستطيع السفر فيها - بسبب كثرة ما فيها من الشعاب والأوساخ والصخور والمياه الضحلة وغيرها - إلا من كانت لديه خبرة سابقة بها ومعرفة دقيقة بكل الأماكن الخطرة والأمنة فيها؛ لذلك لم يكن السفر في هذه البحار - على سفن بدائية - أمرًا هينًا ونزهةً ممتعةً، كما هو الحال في السفر اليوم على متن المراكب البخارية الحديثة، وإنما كان مجازفةً ومغامرةً لم يكن يقدم عليها إلا أولئك الذين سُدَّتْ أمامهم أبواب العيش على وجه اليابسة، أو أولئك التجار الذين يغامرون بأرواحهم في سبيل المال. وحتى عهد قريب جدًا كان من يريد السفر في البحر بالسفن الشراعية؛ يكتب وصيته ويودع أهله وأصدقاءه الوداع الأخير، ويعد في عداد المفقودين ما دام في البحر، وإذا عاد من سفره فإن أهله يصنعون له (فولة) على نجاته وسلامته، ويُعدُّ كمن بُعثَ من قبره! ومع مرور الزمن أصبح البحارة العرب - رغم بساطة مراكبهم وأدواتهم الملاحية - من أمهر الملاحين، ويرجع هذا إلى تعودهم على ارتياد البحار الخطرة، وتمرنهم الطويل على السير في مسالكها الخطرة، بين الصخور والشعاب، وفوق مياهها الضحلة^(١).

وكان للحضارمة نشاطٌ ملاحِيٌّ ملحوظٌ منذ فجر التاريخ، وقد أشار صاحب كتاب (الطواف حول البحر الأتريبي)، ذلك التاجر اليوناني الذي زار سواحل بلاد العرب

(١) حسن صالح شهاب، فن الملاحة عند العرب، ص ٢٩، ٣٠.

الغربية والجنوبية في القرن الأول للميلاد، لذلك النشاط البحري الواسع الذي يقوم به الحضارمة وغيرهم من العرب الجنوبيين، وأنهم لا يقبضون على زمام قوافل التجارة البرية بين بلادهم وأسواق الشام فقط، ولكنهم يقبضون أيضًا على زمام التجارة البحرية بين موانئهم وسواحل شرق إفريقيا والهند، لهم مراكب كثيرة يسافرون عليها إلى سواحل شرق إفريقيا حتى ربطه على ساحل موزمبيق، وموانئهم مليئة بأصحاب السفن والملاحين العرب، وهم في شغل شاغل بشؤون التجارة، كما وجدهم يحكمون أرتيريا والصومال وساحل كينيا وربطة، وكانوا يسيطرون على أهم طرق تجارة العالم القديم البرية والبحرية، وأنهم كانوا تجارًا ورجال بحر مغامرين، وكانوا يتاجرون بالذهب، والتوابل، والبخور، والمر، وبأزكى الطيوب والعطور، وغيرها من السلع النفيسة^(١).

وبرز الحضارمة في فنون الملاحة البحرية وصناعة السفن الشراعية الخشبية المعروفة بالسنبوق الحضرمي، وبرز منهم الكثير من الربانة ومعالمة البحر المشهورين منذ مئات السنين. ويعد الحضارمة وغيرهم من عرب الجنوب أصحاب علم ودراية بالبحر ومسالكه قبل عرب الشمال بقراءة ألف سنة من الخبرة البحرية من قبل الإسلام، بل إنهم عرفوا سر الرياح الموسمية، وعنهم أخذها اليونان، بل إن المراكب العربية كشفت مجاهل المحيط الهندي إلى الصين في حوالي النصف الأول من القرن الخامس الميلادي^(٢).

ويعد الحضارمة من أبرز عرب جنوب الجزيرة العربية الذين سيطروا على ملاحة وتجارة المحيط الهندي منذ ما قبل الإسلام، وكانت سفنهم الشراعية الخشبية تسافر جنوبًا في رحلات إلى الهند ومليبار، وإلى كلمبو بسيلان، وإلى مدراس، وإلى كلكتا، وإلى رنقون في برما، وإلى جوادر وكراشي وبومبي، وتستورد منها الأقمشة والأخشاب

(١) انظر: حسن شهاب، أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص ٣٨، ٣٩.

(٢) أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، ص ٢١.

والحديد لبناء السفن، والأرز والبهارات والتوابل، وتسافر إلى شرق إفريقيا وشواطئها، وتستورد منها حبوب الذرة والسمسم والأخشاب، وتسافر إلى شمال اليمن وجدة، وتستورد من شمال اليمن الحبوب، وفي مقابل ذلك كله كان التجار الحضارمة يُصدِّرون الصدف، والملح، والأسماك المجفَّقة والمملَّحة بأنواعها، والصَّيْفَة (زيت السمك)، والتبغ العجمي، والمستحضرات الطبية، وأعشاب الصباغة. وكانت سفنهم تقوم برحلتين تجاريتين رئيسيتين إلى تلك الجهات في كل سنة، فتسافر من الشحر إلى الهند، وتعود إلى الشحر، ثم تسافر من الشحر إلى الهند وتعود إليها، وتسافر من الشحر إلى البصرة، وتعود إليها، ثم تسافر من الشحر إلى شرق إفريقيا أو الهند أو شمال اليمن وجدة، وتعود إليها^(١).

وكان الحضارمة يحتكرون التبادل التجاري، إذ كانت حضرموت مصدرًا للبان والمُر، وكان الحضارمة يتجهون إلى مصر برًّا، وإلى الهند وشرق إفريقيا بحرًا؛ لتصريف منتجاتهم من النسيج وصناعة الحلي والأواني المزخرفة، ومركبات الروائح العطرية ومستحضرات البخور والصمغ، وليستوردوا من تلك الأقطار الأحجار الكريمة، والعاج، والتوابل، والأخشاب، والقطن، والقصدير، وبعض المواد الغذائية. وكانت الموانئ الرئيسة لهذا التبادل التجاري عدن والقنا والشحر وشرمة، وكانت المنتجات الحضرمية تحمل على سفنهم إلى جزيرة هينان الصينية، وإلى إقليم ناتال في جنوب شرقي إفريقيا، وإلى جزيرة تيمور في جنوب شرقي آسيا، وإلى خليجي العقبة والسويس في شمال بحر القلزم، أو ما يسمى اليوم بالبحر الأحمر^(٢).

وقد أشاد بدور الحضارمة البحري والتجاري عدَّة من الكتَّاب العرب والأجانب، ومنهم (بودلي) R.VC.Bodiy في كتابه (الرسول)، الذي قال: "كان أهل حضرموت رحَّالةً وتجارًا عظامًا، وإن اعتناقهم الإسلام سيكون من نتيجته - كما قدر محمد -

(١) بدر الكسادي، أبطال منسيون من ربابنة الملاحة البحرية العربية، ص ٦٨، ٦٩.

(٢) محمد بامطرف، الهجرة اليمنية، ص ٦١، ٦٢.

انتشاره خارج جزيرة العرب، لقد نشر هؤلاء النازلون في الدور الشامخة الإسلام في الملايو وجاوا والفلبين^(١).

وعندما أسلم سُكَّانُ اليمن وحضرموت كانت تجارتهم قد وصلت حينذاك إلى قمة الرقي والازدهار، وكانوا يشحنون البضائع إلى الخليج العربي، ومصر، والسند، وكونكانام، وملابار، ومعبر، وسيلان، وجاوا، والصين، وغيرها من البلدان النائية. وفي كل بلد نزلوا فيه قاموا بالدعوة إلى الإسلام، ونشروا تعاليمه بطريقة سلمية وودية. وهذه الطريقة وصل صوت الإسلام إلى الهند وسيلان عقب انبثاق فجره في جزيرة العرب^(٢).

وقد نقل الحضارمة مهنتي الملاحة والتجارة البحرية إلى مهاجرهم التي هاجروا إليها، فقد صنعوا سفناً سافروا عليها للمتاجرة بين الموانئ، وكانت مراكبهم في أثناء القرن الثالث عشر الهجري تتردد إلى الصين، ويذكر المؤرخ علوي بن طاهر الحداد أنه أدرك رجلين معمرين من أهل حضرموت كان كل منهما ناخوذةً يُسَيِّرُ المراكب الشراعية، أحدهما يسافر إلى أستراليا، والآخر إلى بحر العرب والبحر الأحمر، أحدهما السيد حامد عبيد ساكن جاكرتا، والآخر السيد عبدالقادر السقاف ساكن طوبان^(٣). وذكر في تاريخه (الشامل) أن من أشهر الحضارمة الذين نبغوا في الملاحة البحرية في الشرق الأقصى العالم الفلكي الماهر الشجاع محمد بن صالح بن سالم ابن عبدالله بن محسن بن عمر بن الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم، وُلِدَ بسيئون سنة ١٢٢٥ هـ، وتوفي بسواحل إفريقية سنة ١٣٠٥ هـ، وهو كان أول من أجرى المراكب من بتاوى إلى الحجاز وسط المحيط الهندي على الخط الجديد وترك الخط القديم الذي يمتد على شواطئ الهند، وله في بحر الزنج أيضاً مهارة وشهرة، فهو أشهر في زمنه من ابن جابر العماني^(٤).

(١) أضواء على تاريخ اليمن البحري، مرجع سابق، ص ١٨٣. نقلاً عن صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، ص ٤٤.

(٢) المرجع نفسه. نقلاً عن مجلة الهند الإعلامية، كانون الثاني ١٩٧٤ م.

(٣) المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، ص ٦٢.

(٤) الشامل في تاريخ حضرموت ومخالفها (٢/ ٤٤٤). لعله يقصد ابن ماجد العماني، وهو الأقرب للصواب.

ويذكر المؤرخ محمد ضياء شهاب أنه كان للعرب الحضارم إلى مطلع القرن الرابع عشر الهجري في فاليمانغ سفنٌ تمخر البحار، وتشحن البضائع إلى مختلف الموانئ الشرقية. وقد اشتهرت عائلات بامتلاك السفن هناك مثل آل الكاف، وآل السَّقَّاف، وآل شهاب الدين، وآل بارقبة، وآل مديحج، وآل الفاخر، وآل المساوي، وآل الشيخ أبي بكر، وغيرهم، وقد يملك الفرد الواحد عدةً من السفن، وكانوا يسمون سفنهم بأسماء عربية حسب الذوق السائد في ذلك العهد، مثل: قطمير، طائف، النور، يسرين، نور العاشقين، جيد الباري، الفتح المبارك، عطية الرحمن، الفاخر، كسب الخير، اليسر، فتح الأرزاق، هدهد، إعانة الرحمن، نور هاشم، ميمون، عطية المولى، إلى آخر ما هنالك^(١).

وقد أورد الباحث جعفر بن محمد السقاف في كتابه (الوثائق والتوثيق) وثيقة حكم صدرت في وادي حضرموت بإمضاء قاضي تريس السيد محمد بن سقاف الجفري، وتصحيح قاضي سيئون السيد محسن بن علوي بن سقاف، مؤرخة في يوم السبت ٢٠ من شوال سنة ١٢٧٦هـ، ذكر فيها عدداً من المراكب الشراعية التي كان يمتلكها آل السقاف، ويقود بعضها النواخذة عبدالقادر بن أحمد بن محمد السقاف المتقدم ذكره، في بندر بتاوى بالجهة الجاوية، منها: المركب المسمى (نعيم)، والمركب المسمى (بنكه)، والمركب المسمى (فلك السعود)، والمركب المسمى (العثماني)، والكيشي المسمى (سعدين)، والمركب المسمى (نظام اليسر)^(٢).

يقول الدكتور جمال زكريا أستاذ التاريخ الحديث بجامعة عين شمس والكويت في مقال له مشيداً بدور الحضارمة الملاحية في جنوب شرق آسيا: "كان التجار من جنوب الجزيرة العربية، وبخاصة الحضارم، أقدم من وطئ هذه المنطقة

(١) المدخل إلى تاريخ الإسلام، تعليقات ضياء شهاب، ص ٦٣.

(٢) الوثائق والتوثيق العلمي لتراثنا نقوشاً ومخطوطات، ص ٧٤، ٧٥، مركز عبادي، صنعاء،

- الشرق الأقصى -، وكان قدومهم للتجارة حيناً، وللاستيطان حيناً آخر، إذ كانت طبيعة أرضهم القاحلة تدفعهم إلى خوض عباب المحيط الهندي، والبحث عن أبواب جديدة للرزق، وعلى الرغم من أنهم كانوا قلة من الناس يأتون في فترات محدودة إلا أنه بمضي الزمن بدأ اختلاطهم يشهد بالسكان. وقد ساعدت العوامل الجغرافية على نشاط الحركة الملاحية؛ لأن الرياح الموسمية التي تهب على المحيط الهندي كانت تمكن السفن الشراعية من القيام برحلتين منتظميتين في السنة بأقل مجهود، ففي الربيع تدفعهما في اتجاه الشمال الشرقي، فتخرج من خليج عمان وساحل حضرموت إلى المحيط الهندي، وفي فصل الخريف تدفعها في اتجاه معاكس يمكن السفن من العودة إلى قواعدها في شبه الجزيرة العربية. وفي خلال دورتي الرياح هذه كان يتم التعامل التجاري. وقد عرف العرب الأيام التي تهب فيها تلك الرياح، وحددوا بها الأوقات الملائمة لسير السفن في المحيط الهندي، ونظراً لطبيعة الاتصال الموسمي بين العرب ومنطقة الشرق الأقصى؛ فقد حرص الكثير على الاستقرار مؤقتاً في مراكز تجارية وبناء مستودعات لحفظ تجارتهم انتظاراً لدورة الرياح، كما عمد الكثير منهم في مرحلة تالية من بعد ظهور الإسلام إلى الإقامة الدائمة والتعايش والتزاوج من السكان المحليين^(١).

هذه لمحة تاريخية وجيزة عن دور الحضارة وأثرهم في ملاحية وتجارة المحيط الهندي عبر القرون، فقد كانت سفنهم تمخر من موانئ حضرموت متجهة شرقاً وغرباً، ناقلة للبضائع والركاب، حاملين معهم سماحة الإسلام ورحمته، حتى دخلت مدن بكاملها بوساطتهم إلى دين الله أفواجاً، وانتشر بهم الإسلام في ربوع جزر القرن الإفريقي وجزائر الشرق الأقصى الآسيوي في إندونيسيا والفلبين، وما تزال آثارهم باقية إلى اليوم شاهدة لهم بذلك الدور الحضاري المجيد.

(١) المدخل إلى تاريخ الإسلام، مرجع سابق، ص ٦٤، ٦٥. نقلاً عن مجلة العربي الكويتية، ص ١٢٦، العدد ١٤٨، مارس ١٩٧٩ م.

المبحث الثاني: الربان سعيد بن سالم باطايح، وأثره في الملاحة البحرية في حضرموت

في مطلع القرن الثالث عشر الهجري نبغ في ميناء الحامي بحضرموت الربان المعلم والفقيه الفلكي سعيد بن سالم بن عبد الشيخ بن عوض باطايح.

ميلاده ونشأته:

كان ميلاده في بلدة الحامي المعروفة اليوم بالبلاد الفوقية سنة ١١٨٠ هـ (١٧٦٦ م)، كما يذهب إلى ذلك الأستاذ محمد عبدالقادر بامطرف^(١)، وهو تحديد تقريبي كما تميل إليه النفس، إذ لم تُشر إلى اسمه الوثائق الخطية الأهلية بالحامي إلا بعد عام ١٢٢٠ هـ، مما يدل على أنه وُلِدَ بعد ذلك العام في حدود عام ١١٩٠ هـ.

وكان والده ملاحًا وتاجرًا يمتلك سفينة شراعية كغيره من أبناء الحامي في ذلك العهد، وقد نشأ ابنه سعيد بن سالم تحت رعايته ونظره حتى شبَّ وأيفع.

تعليمه الديني:

تلقى تعليمه الديني على مشايخ الحامي في تلك الحقبة، أمثال العلامة الحبيب محمد بن هارون جمل الليل، وابنيه الفقيهين السيد عبدالرحمن بن محمد بن هارون والسيد عمر بن محمد بن هارون، والشيخ عمر باحميد، وغيرهم من مشايخ الحامي^(٢).

تعليمه الملاحي والتحاقه بالخدمة البحرية:

بعد أن أخذ قسطًا وافرًا من التعليم الديني اصطحبه والده معه في رحلاته الملاحية، كما هي عادة أبناء الحامي إلى وقت قريب، وكان عمره آنذاك قد جاوز التاسعة تقريبًا، فسافر مع والده في رتبة (صغير درك) إلى شرق إفريقيا وعمان والبصرة والهند وغيرها، وبدأ يتعلم على يد والده العلوم الملاحية والفلكية من معرفة النجوم في الديرة المعروفة في عصره بـ (الحقة)، والاسترشاد بالمعالم البرية والبحرية، وكان يتمتع بذكاء وفطنة

(١) الرفيق النافع على دروب منظومتي الملاح باطايح، ص ١٦.

(٢) باهارون، الكشف عن جوانب من حياة الملاح باطايح، ص ١٩، ٢٠.

قوية كما يُذكر عنه حتى وصل إلى رتبة أن ينبه قائد السفينة (السكوني) إذا غفل عن السير في المجرى الصحيح وهو في مرحلة الصبا، كما يُحكى عنه أنه عندما كان في وظيفته الأولى (صغير درك - خادم مساعد بالسفينة) أخطأ ربان السفينة في الإرشاد إلى الدرب الصحيح المؤدي إلى جزيرة زنجبار، فأدرك الصبي الصغير أخطار هذا الإرشاد الخاطئ فتجراً وواجه الربان وأعلمه بخطئه بما عرفه من ربانته سابقين عمل تحت خدمتهم، فأعجب الربان به، ومن ذلك اليوم صار للصبي شأن يذكر^(١).

وهكذا استمر باطايح يتلقى علومه الملاحية مضيفاً لها فيصاً من التجارب والخبرة حتى أظهرته الأيام ملاحاً بارزاً من بين أقرانه يُشار إليه بالبنان ويُعتمد على علومه وخبرته في هذا الشأن، وامتلك بعدها سفينة شراعية ظل يبحر بها بين موانئ المحيط الهندي ملاحاً ومرشداً وتاجراً، فرحل إلى الخليج العربي والهند وموانئ شرق إفريقيا واليمن وغيرها من الموانئ عقوداً من الزمن، حتى تقاعده عن هذه الخدمة عام ١٢٦٥ هـ، وبعد تقاعده أصبح مرجعاً مهماً وحكماً عدلاً للملاحين يحتكمون إليه في خصوماتهم وقضاياهم المختلفة حتى وفاته سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٦ م)، رحمه الله رحمة الأبرار^(٢).

تلاميذه المتدربون على يديه :

تلقى على يد الربان باطايح فنون الملاحة البحرية والفلكية عددٌ من أبناء الحامي وحضرموت، وسافروا معه على متن السفينة في رحلاته التجارية المتكررة إلى الموانئ الإفريقية والعربية، واكتسبوا منه خبرة واسعة ورثوها لمن بعدهم، ولعل في مقدمتهم:

١. أخوه النوخذة عوض بن سالم باطايح المتوفى سنة ١٢٨٧ هـ.

٢. ابنه النوخذة أحمد بن سعيد باطايح المتوفى سنة ١٢٧٦ هـ.

٣. الربان عوض بن أحمد بن عروة المتوفى سنة ١٣٣٣ هـ.

(١) عبدالرحمن الملاح، ربانته من القرن التاسع عشر، نشرة الساعية، ص ٢، العدد الثاني، يونيو ١٩٩٣ م، لجنة إحياء التراث البحري والشعبي بالحامي.

(٢) الكشف عن جوانب من حياة الملاح باطايح، مرجع سابق، ص ٢٦، ٢٧، ٧٣.

مكانته الاجتماعية في مجتمع الحامي والديس:

للشيخ سعيد بن سالم باطايح مكانة اجتماعية في بلاده الحامي، فقد كان أحد الربابنة الذين يحتكم إليهم الملاحون، وكان ناسخاً للكتب الفقهية ودواوين الشعر الصوفية، وموثقاً لوثائق البيوع والقسمة وغيرها، ولهذا نجد اسمه شاهداً أو كاتباً في عدة من الوثائق الخطية.

وكان الشيخ باطايح شخصية اجتماعية مرموقة من بين شخصيات الحامي، عرفت بالعلم والصلاح والورع، حتى وكله الأهالي على أموالهم، وجعلوه وصياً وناظراً على أوقافهم، كما وكله بعضهم ليحج عنه، كما تحدثنا عن ذلك إحدى الوثائق المؤرخة عام ١٢٤٩هـ.

وممن وكله على أمواله وجعله وصياً على أوقافه المرأة المحسنة عائشة بنت محمد حبيشان، وهي جدته لأبيه، فقد جعلته ناظراً على أوقافها المتعددة لبعض مساجد ساحل حضرموت في كل من الحامي والديس وثوبان وغيرها، وكان على جانب من الورع والاحتياط في ذلك، حتى إنه قام بإعطاء مسجد ثوبان حوضاً من النخيل مقابل سبعة مكاييل من التمر أوقفها عليه جدته المذكورة لإفطار شهر رمضان.

كما كان أيضاً منشداً ماهراً في المناسبات الدينية وحضرات الذكر، ومؤذناً حسن الصوت يقوم بالأذان للصلوات الخمس والتذكير لصلاة الجمعة في مسجد الجامع بالحامي، وعندما ينتقل في أيام الخريف إلى منطقة الريدة من ضواحي الديس الشرقية عند أسهاره المشايخ آل باوزير يقوم بالأذان للصلوات الخمس والجمعة والتذكير والحزب اليومي في جامع الديس، وقد كتب له ناظرته الشيخ عوض بن محمد باوزير إجارة رسمية بتاريخ ١٧ محرم سنة ١٢٦٩هـ^(١).

(١) الكشف عن جوانب من حياة الملاح باطايح، مرجع سابق، ص ٢٣، ٢٤، ٥٧، ٥٨، ٦٩.

آثاره الملاحية والفلكية والفقهية:

ترك الربان باطايح عددًا من الآثار العلمية، من أبرزها شعره الملاحى المتمثل في مرشدتيه الملاحيتين:

المرشدة الأولى: في وصف الطريق البحري الشهير بين ميناء سيحوت وميناء زنجبار بشرق إفريقيا، أبحر بها عام ١٢١٧ هـ الموافق ١٨٠٢ م، ويقول في مطلعها:

يا رب سالك تسهل ما عسر	على عبيدك في البحر والبر
بجاه أحمد نبي خير البشر	رحيم قدوس سالك يا سلام
وبعد يا صاح اسمع ما نقول	لا غابت الشمس صلي عارسلو
نقول يا الله بتوبة والقبول	اغفر وسامح وسهل في الكلام
سيحوت منها شمرنا بالعشي	من بعد ما قد قضينا كل شي
والقبض في مطلع العقرب	من بعد ليله نوفي كل زام
وفي نجم الحمارين اقض فيه يوم	وليلته بايبيّن لك رسوم
أوضح بعد الثلاثة في النجوم	سهيل مطلع قبض به واستقام

وختمها بقوله:

خل الجزاير يمينك والجميع	وكل ما قلت يا صاحب سميع
غيرور فيهنّ ذي طوله رفيع	وادخل بلاد الموالي والخدام
وختمها بالنبي يا سامعين	والآل والصحب ثم التابعين
ومن تبعهم على مر السنين	عداد ما قد سجد ساجد وقام

المرشدة الثانية: في وصف الطريق البحري الشهير بين ميناء مسقط بسلطنة عمان وميناء المخا باليمن، أبحر بها عام ١٢٢٠ هـ الموافق ١٨٠٥ م، ويقول في مطلعها:

يا الله يا رب	أدعوك يا خير مطلب
تعطي وتوهب	سالك بخير البرية
رحيم قدوس	اكشف لنا الهم والبوس

في هذه الروس
من تحت صيرة
ربه خبيره
نعبر بإخلاص نية
الفلك قد جد سيره
ينظر بعين العنية

إلى أن قال:

بندر علي بان
من أجل تصطبان
صلوا دوامي
بدر التمامي
لا تتبع الجوش ديمان
في الخيصة الماخريه
على النبي التهامي
والطلعة الهاشمية^(١)

ومن آثاره الفلكية:

- الفوائد الفلكية في معرفة وتصوير المنازل والبروج القمرية. وهي موجودة بخطه في ضمن مذكرات زميله السيد النوخذة محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن باهارون المتوفى سنة ١٢٩٣هـ.

ومن آثاره الفقهية:

- وصيته العظيمة المحررة بتاريخ ٢٧ من ذي القعدة سنة ١٢٦٠هـ. وثائق بيع الأراضي الزراعية لآل الكسادي وآل عديد، المكتوبة بخطه في عامي ١٢٦٦ - ١٢٦٨. وثيقة قسمة مال النقيب أحمد بن علي الكسادي حاكم الحامي في القرن الثاني عشر الهجري ووثيقة قسمة مال ورثة النوخذة مبارك سعد بن سبتي، المحررتان في شهري محرم وصفر سنة ١٢٦٨هـ.

- كتاب زيتونة الإلقاح في شرح ضوء المصباح في أحكام النكاح للشيخ العلامة عبدالله بن أحمد باسودن الدوعني المتوفى سنة ١٢٦٦هـ.

(١) الرفيق النافع، مرجع سابق، ص ١٧ - ١٩.

- رسالة في علم المواريث للعلامة الفقيه عمر بن عبدالرحيم بارجاء قاضي ظفار، كتبها بتاريخ ٢٥ من ربيع الآخر سنة ١٢٦٧هـ، كتبها لزميله السيد محمد ابن عبدالله بن عبدالرحمن باهارون. وهي النسخة الوحيدة في حضرموت الموجودة لدينا^(١).

الأهمية العلمية والتاريخية لمنظومتيه الملاحيتين:

تميزت منظومتا الملاح باطابع بأنهما لم تهتما بشؤون الملاحة والفلك فقط، بل تضمنتا المعلومات الإنثروبولوجية والجغرافية والتاريخية واللغوية والثقافية، فقد أودع فيها بأسلوبه السندبادي تلك المعلومات القيمة في قالب شعري ورمزي، تناقلتها عنه الأجيال بالحفظ والتلقين الشفهي. يقول عنهما شارحهما المؤرخ بامطرف: "إن الإرشادات الخالدة التي تنطوي عليها المنظومتان هي المجاري البحرية في أعالي البحار، والجبال والتضاريس الأرضية والخلجان والشعاب الخطيرة المغمورة بالماء والضحولة في المواطن البحرية الساحلية، ومناطق التيارات البحرية والرياح، هذه المعالم الملاحية الهامة نجدها اليوم كما وجدها الملاح باطابع منذ قرنين من الزمان، وكما وجدها واكتوى بنارها الملاحون الأقدمون منذ آلاف السنين.

والطريف في منظومتي باطابع أنهما تدلنا على أساطير البحارة العجيبة وتقاليدهم وعاداتهم، وبعض هذه التقاليد باق معنا في اليمن الجنوبية إلى اليوم، وهي تعطي الحديث عن الملاحة مذاقاً حضارياً يتشابه مع مذاق ما قرأناه ونقرأه بين حين وآخر عن أساطير وتقاليد بحارة الأمم الأخرى ذات الصلات العريقة بالملاحة البحرية، حتى ليخال المرء إن للبحارة في كافة بقاع الأرض معتقداً موحداً ذا اتجاهات شعورية واحدة، والحقيقة التي تختفي خلف هذه التقاليد هي أن أهوال البحر أوجدت لدى البحارة على كر الدهور ترسبات فكرية، منها أن المارد البحري الهائل لا يمنح السلامة والأمان للذين يجازفون بأرواحهم في عباب أمواجه إلا بأداء مختلف الطقوس له وتقديم القرابين المختلفة بين يديه.

(١) الكشف عن جوانب من حياة الملاح باطابع، مرجع سابق، ص ٥٧ - ٦٠.

لقد أدرك الملاح باطايح، كما يبدو، أن إرشادات ابن ماجد وكذا إرشادات الحكم سليمان المهري اليميني تسجيلات بالغة التعقيد بالنسبة لثقافة النواخذ والنواخذة والمعالمة الاعتياديين، وأن هؤلاء محتاجون إلى إرشادات مبسطة العبارة مقربة إلى الفهم مسهلة للحفظ والتطبيق، فوضع منظومتيه، فجاءتا وافيتين بالهدف الذي قصد إليه. إن باطايح لم يجاف الواقع عندما قال في الرباعية التاسعة والخمسين من إرشاداته على الخط البحري بين خليج عمان والمخاء، معرضاً بما تميزت به تلك الإرشادات من وضوح:

إِطْن تَسْمَع لاقوال زيننه جليّه

فالرجل كان يعني ما يقول ... بيد أن باطايح لم يواكب السهولة والوضوح في إرشاداته على حساب الكفاءة في العمل والتقليل من أهمية الأخطار التي تجابه الملاح العادي في كل ميل يقطعه في أسفاره الطويلة^(١).

ويقول عنهما شارحهما أيضاً المؤرخ بدر الكسادي: "أصبحت منظومتا سعيد سالم باطايح مرجعاً لقباطنة السفن الشراعية، تجدهم يهتمون بدراستها وحفظها عن ظهر قلب؛ للسير عليها في طريقهم، واتباع خطوط السير البحرية التي وردت فيهما؛ لما في المنظومتين من إيضاح لمعالم خطوط سير السفن في البحر، وإشارات لمعرفة البرور والجبال والجزر والموانئ، ومعرفة المواقع لرسو السفن، ومعرفة سير السفن في البحر على منازل نجوم البوصلة البحرية، والسير عليها، ومعرفة المواقع التي توجد فيها ينابيع المياه للشرب، إذا ما احتاجتها بعض السفن وهي سائرة في عباب البحر، كما أشار إلى بعض آلة السفينة، وكيفية استعمالها في حالة السفر، ودخول الموانئ عندما تهب الأرياح، وإعطاء النصائح المفيدة للقباطنة والمسؤولين القياديين بقيادة السفن ... وفيها الكثير من المعاني والإرشادات"^(٢).

(١) الرفيق النافع، مرجع سابق، ص ٢٠، ٩٥.

(٢) أبطال منسيون، مرجع سابق، ص ٢، ٢١.

وقال عنهما الأستاذ عبدالرحمن الملاحي: "والمنظومتان علاوة على كونهما مرشدتين بحريتين فإنهما يقدمان صورة حية لمعاناة الملاحين خلال رحلاتهم البحرية بسفنهم الشراعية البسيطة ومدى بسالتهم وجرأتهم في مواجهة الأخطار، ويقدمان ملامح من الأعراف والتقاليد البحرية، وعادات الشعوب القاطنة مع شواطئ المحيط الهندي، وعلاقاتهم الاجتماعية، ومعلومات تاريخية وسياسية وتاريخية واجتماعية عن مناطق جنوب الجزيرة العربية، وهي أيضاً تمثل مرحلة من مراحل الانتقال إلى المعارف البحرية الحديثة. وأبرز ما تقدمه في هذا المضمون ما صاغه في الرابعة الخامسة والستين من الإشارة إلى ذكر الباطلي، وهو جهاز بدائي لقياس سرعة السفينة ومدى المسافة التي أبحرت عليها، دلالة على بروز معارف وأدوات بحرية جديدة برزت في القرن الثامن عشر الميلادي، لم يعرفها ربانة القرن السادس عشر، ولم يشر إليها الشيخان الجليلان ابن ماجد والمهري ... وعلى العموم فقد كانت المنظومتان بحق لوحة فنية تعبيرية عن أصدق المشاعر وعمق الأحاسيس وغزارة المعرفة البحرية"^(١).

الربان باطايح واهتمام الباحثين به :

اهتم بالربان باطايح وبتراثه العلمي المتمثل في منظومتيه الملاحيتين عدة من الباحثين العرب والغرب، فقد استهوتهم مواضيعهما، وأطربهم ميزانهما، وجذبهم إيقاعهما البحري، فكانتا بحق مصدرًا ملاحيًا وفلكيًا وتاريخيًا واجتماعيًا، ومن أبرز أولئك الباحثين:

- الباحثون العرب:

- الأستاذ المؤرخ محمد عبدالقادر بامطرف: المتوفى بمدينة المكلا سنة ١٩٨٨م، ويعود له الفضل في إبراز الملاح باطايح عندما اهتم بمنظومتيه وشرحهما في دراسته الماتعة (الرفيق النافع على دروب منظومتي الملاح باطايح)، وقام بطبعها في مطبعة السلام بعدن عام ١٩٧٢م، ومنذ ذلك الحين ظهر باطايح بصورته العلمية التي أظهرته

(١) ربانة من القرن التاسع عشر، نشرة الساعية، مرجع سابق، ص ٣.

رباناً ماهراً على مستوى الجزيرة العربية في القرن الثالث عشر الهجري - التاسع عشر الميلادي.

وكان السبب الرئيس في اهتمام الأستاذ بامطرف بالربان باطايح وقيامه بشرح منظومتيه هو تلك الرحلة التي أبحر بها من ميناء المكلا إلى ميناء عدن عام ١٩٤٢م في بعض مهامه السياسية، إذ كان يعمل حينذاك موظفاً في إدارة الاستشارة البريطانية، ويرافق البعثات الطبية مترجماً إلى جزيرة سقطرى وغيرها، وقد أقلتته سفينة شراعية كان ربانها النواخذة شيخ بن محمد باعباد (ت ١٩٧٩م)^(١)، كما يحدثنا عنها بالقول: "في شهر ديسمبر سنة ١٩٤٢م سافرت من المكلا إلى عدن على سفينة شراعية ربانها الملاح شيخ بن محمد باعباد (من أبناء الحامي)، وفي صباح أحد الأيام كانت سفينتنا على مقربة من قرية شقرة وكنا نشاهد جبل الفضلي ممتداً في مؤخرة السفينة، ثم شاهدت الملاح باعباد يتبادل الرأي مع صرنج (نائب النواخذة) السفينة، وبعد ذلك ألقى تعليمات لم أفهم معناها إلى السكوني، ثم وضع يده على كتف الصرنج وقال بصوت مسموع:

والعقرب الآن مجراك منها لسيلان
تشوف شمسان بندر عدن سلطينة

فسألته عن هذه الرموز المنظومة وعن الناظم، فشرحها لي، وحدثني عن الملاح باطايح، ولم أكن قد سمعت به من قبل، ومنذ ذلك اليوم أصبح الملاح باطايح موضع اهتمامي"^(٢).

جزى الله الصدف خير الجزاء، فلو لم يسافر الباحث بامطرف مع الربان باعباد في تلك الرحلة لما كنا عرفنا شيئاً عن الملاح باطايح وبقيّة الملاحين الحضارمة الذين قام بدراسة حياتهم بعد ذلك، سوى تلك المقاطع الشعرية المبتورة التي تردد على

(١) باهارون، ريادة الأستاذ بامطرف في دراسة تراث حضرموت الملاحية البحري، ص ٥.

(٢) الرفيق النافع، مرجع سابق، ص ٢٤.

ألسن بعض كبار السن من أبناء الحامي وغيرهم من البحارة الحضارمة، وينسبونها إلى النوخذة باطايح، فمن يا ترى باطايح المذكور؟ وفي أي عام وُلد؟ ومتى مات؟ وأين تعلم؟ وكيف عاش؟ وما مؤلفاته وآثاره العلمية؟ كل تلك الأسئلة سنقف حيارى عندها.

بعد عودة الأستاذ بامطرف من مهمته تلك إلى المكلا اتصل بزميله في العمل الحكومي إبان السلطنة القعيطية في تلك المدة المرحوم الشيخ بدر بن أحمد الكسادي، وأخبره بما جرى له وسمعه من النوخذة بأعباد في أثناء سفرهم إلى عدن، فزاد من رغبته في دراسة تلك المنظومة التي وصف فيها الطريق البحري من مسقط إلى المخا، وأخبره أن له منظومة أخرى في وصف الطريق البحري من سيحوت إلى جزيرة زنجبار، وقد جهز له الرحلة إلى ميناء الحامي حيث نزل ضيفاً عليه في بيته المكتظ بالزوار، والتقى بربابنتها المتقاعدتين، وفي مقدمتهم الربان المعلم محمد بن عبدالله بأعباد (ت ١٩٨١م)، والربان عمر بن حسين عيديد (ت ١٩٧٠م)، والربان عمر عبدالله الكسادي (ت ١٩٩١م)، والربان سالم بن سالمين كعيتي (ت ١٩٨١م)، بالإضافة إلى الربان شيخ بأعباد الذي التقى به في السفينة، والذي كان سبباً في زيارته تلك^(١).

وقد قام الأستاذ بامطرف بإلقاء عددٍ من الأسئلة عليهم، وهم يجيبونه، وقد دَوَّن تلك اللقاءات البحثية في مذكراته اليومية، كما اطلع على مدوناتهم البحرية والشخصية، وسجَّل عنهم منظومتي الملاح سعيد بن سالم باطايح الأولى والثانية، وقام بمقابلة النصوص ومناقشتها مع أولئك الربابنة، وشرحوا له مضامينها، واستخرج منها نصًّا موحدًا متفقًا عليه بين روايات أولئك الملاحين، كما يحدثنا عن ذلك بقوله: "وفي عام ١٩٦٥م ألح عليَّ صديقٌ عزيزٌ [بدر الكسادي] أن أعد دراسةً عن الملاح باطايح ومنظومتي الملاحيتين، غير أن أعمالاً تاريخيةً أخرى حالت دون تحقيق مطلبه، وفوق ذلك فإنني لم أكن في ذلك الحين قد أكملت البحث عن متن المنظومتين، ومضاهاة

(١) ريادة الأستاذ بامطرف، مرجع سابق، ص ٦.

نصوصها بالروايات المختلفة التي كانتا ترويان بها، للخروج من كل ذلك بنص موحد للمنظومتين متفق عليه بين الملاحين اليمنيين المعاصرين الثقات. وبمساعدة عدد من ملاحى قرية الحامى تمكنت من جمع نصوص المنظومتين وشرحهما في هذه الدراسة التي أسميتها - بناءً على اقتراح أحد شيوخ الملاحة البحرية فى الحامى - (الرفيق النافع على دروب منظومتى الملاح باطايح)^(١).

- الأستاذ المؤرخ بدر بن أحمد الكسادي: المتوفى شهيداً بمدينة المكلا سنة ١٩٧٣م، أشاد بالربان باطايح فى كتابه (القاموس البحرى)، وقال عنه: "إذا افتخر إخواننا أبناء الخليج العربى بالأستاذ ابن ماجد المعروف؛ يحق لنا أن نفتخر نحن أبناء بلدة الحامى من أبناء الجنوب العربى بالقبطان الشهير سعيد سالم باطايح صاحب المنظومتين الشهيرتين فى الملاحة البحرية، اللتين تعتبران مرجعين مهمين لأرباب السفن فى المعالم البحرية". وترجم له وشرح منظومتيه فى كتابه (أبطال منسيون من ربابنة الملاحة العربية)^(٢).

- الأستاذ المؤرخ حسن صالح شهاب: المتوفى بمدينة عدن سنة ٢٠١٢م، تلقف كتاب (الرفيق النافع) وقام بدراسته دراسة فاحصة، وقال عنه إنه كتاب ممتاز، وإن المنظومتين من أبدع المنظومات البحرية، وقد استفاد منه فى تأليف كتابه (أضواء على تاريخ اليمن البحرى) عند الحديث على ميناء الشحر التارىخى، وعند الحديث على المتغيرات التى طرأت فى فن الملاحة عند العرب الجنوبيين، وأشار إلى أن الربان باطايح يسير بنا فى منظومتيه فى أحنان (ديرة المل) المسائرة للبرور، ويصف لنا معالم البر، ويحسب المسافات بالساعات والأيام، وأنه كان من نماذج البحارة العرب المغامرين الذين يرحلون إلى سفالة فى جنوب إفريقيا وملقا وسمطرى وجزر الهند الشرقية من أطراف العالم القديم الشرقية^(٣).

(١) الرفيق النافع، مرجع سابق، ص ٢٥.

(٢) القاموس البحرى، مرجع سابق ص ٢٤، أبطال منسيون، مرجع سابق ص ٣٥، ٦٦.

(٣) أضواء على تاريخ اليمن البحرى، مرجع سابق، ص ٢٥٦، ٣٢٥، ٣٦٠.

- الأستاذ المؤرخ عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي: المتوفى بمدينة الشحر سنة ٢٠١٣م، قام بدراسة منظومتي الملاح باطايع، وكتب عنهما في أبحاثه عن معارف ربابنة جنوب الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر الميلادي، ومما كتبه عنهما ورقته البحثية (الأهمية العلمية التاريخية لمنظومتي الربان باطايع)، التي شارك بها في ندوة مرور قرنين على منظومتي الملاح باطايع، التي عقدتها جمعية التراث بالحامي بتاريخ ٢٥/٣/٢٠٠٨م. ومن آخرها قراءته التاريخية (الطريق التجاري البحري بين مسقط والمخاء في مرشدة الربان باطايع)، التي قدمها في الندوة الدولية التبادل الحضاري العماني اليمني بجامعة السلطان قابوس - مسقط في فبراير ٢٠١٠م^(١).

- الأستاذ الدكتور عبدالله يوسف الغنيم: رئيس مركز البحوث والدراسات الكويتية منذ عام ١٩٩٢م، أشاد بالربان باطايع، في محاضرة الإلكسو الشرفية التي قدمها في قاعة "المملكة العربية السعودية" في المقر الجديد للمنظمة يوم الأربعاء ٢ مارس ٢٠١٦م بعنوان: (التراث البحري في الكويت ومنطقة الخليج العربي)، وأعاد نشرها في رسالة الكويت تحت عنوان: (المرشدات البحرية العربية القديمة والمعاصرة)، بقوله: "ويصادفنا في فترة معاصرة أيضًا أعمال شخصية اكتسبت شهرة كبيرة في ميدان الملاحة البحرية، ألا وهي شخصية الربان الحضرمي الشيخ سعيد بن سالم باطايع الذي وُلِدَ ببلدة الحامي على ساحل حضرموت في جنوب الجزيرة العربية، وتلقى تعليمه على أشياخ تلك البلدة حتى برع في اللغة والفقه، وبدأ نشاطه البحري وهو في سن التاسعة مع والده الذي كان ربانًا وتاجرًا، وما إن بلغ العشرين من عمره حتى أصبح من أعلام الملاحة البحرية في بحر العرب، وقد امتدت رحلاته من سواحل شرقي إفريقيا غربًا

(١) باهارون، إسهامات الأستاذ عبدالرحمن الملاحي في إبراز تراث جنوب الجزيرة العربية الملاحي البحري ص ٥٧، ٥٨، من أبحاث الندوة العلمية الأستاذ عبدالرحمن الملاحي ودوره التنويري والمجتمعي في حضرموت، مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، المكلا، فبراير ٢٠١٦م.

إلى سواحل الهند شرقاً. وقد أودع الربان باطايح تجاربه البحرية في منظومتين مكتوبتين باللهجة المحلية وبطريقة بسيطة سهلة الحفظ والتطبيق^(١).

- الباحثون الغربيون:

- البروفسور روبرت بترا سارجنت: المتوفى سنة ١٩٩٣ م أستاذ الثقافة العربية في جامعة كامبردج ببريطانيا، وقد كان مهتماً بالتاريخ والتراث الحضرمي، ومتابعاً لصديقه الأستاذ بامطرف عندما كان يقوم بتجميع منظومتي الملاح باطايح وشرحهما في كتابه الرفيق النافع، ولما انتهى منه عرض عليه أن يقدمه إلى مركز أبحاث الشرق الأوسط بجامعة كامبردج لطباعته، وأن يترجمه إلى اللغة الإنجليزية، ويصدر باللغتين العربية والإنجليزية باسميهما، ولكن - كما يقول الأستاذ بامطرف نفسه - لم يتم شيء في هذا المجال.

ولكن الأستاذ بامطرف لم يخل على صديقه المذكور بالاستفادة من منظومتي باطايح وشرحه المذكور عليهما، فقد كان يطلعه عليه بين حين وآخر، ولما عزم على المشاركة في المؤتمر البحري الذي عُقد في روما عام ١٩٦٥ م، جعله مرجعاً أساسياً له، وقد كانت بعض الرباعيات من منظومتي باطايح مثار إعجاب المهتمين بالتراث الإنساني في ذلك المؤتمر البحري^(٢). وتحدث في تلك المشاركة عن السفينة الشراعية الحضرمية مستعرضاً بعضاً من منظومتي الملاح باطايح الإرشاديتين^(٣).

وقد قام الدكتور سارجنت المذكور بكتابة دراسة مقارنة بين نص بامطرف الذي أورده في الرفيق النافع وبين نص مخطوطة تحصل عليها في ميناء الحامي عند زيارته له عام ١٩٦٤ م، زوّده بها النواخذة عوض مبارك بقرف، وقد كتب تلك الدراسة عام ١٩٨٢ م تحت عنوان: (من حضرموت إلى زنجبار، قصيدة مرشد السفينة النواخذة

(١) رسالة الكويت ص ٢٣، ٢٤، العدد (٥٨) أبريل ٢٠١٧ م، مركز البحوث والدراسات الكويتية.

(٢) الرفيق النافع، مرجع سابق، ص ٩٦.

(٣) أبطال منسيون، مرجع سابق، ص ٢٠.

سعيد باطايح "الحامي"، وقدّمها لجامعة كامبردج بلندن، وقال فيها: "زُوِّدَتْ بهذه النصوص من قِبَل صديقي الشيخ محمد عبدالقادر بامطرف، ثم تمكنت فيما بعد في طلب المشورة والاستعانة بنص أفضل مع عوض مبارك بقرف من أهل الحامي، حيث ناقشت وعرضت النص مع العديد من النواخذة أخيراً في مدينة المكلا في منزل بامطرف، ثم التعليق وأخذ الآراء على القصائد من قبل النواخذة، مثل كرامة بن مبارك باحميش من سيحوت، والنواخذة عبدالله بن ناصر بن الأسد من حصوين، والشيخ علي جابر مسؤول في ميناء المكلا، والشيخ علي بن أبوبكر بامعبيد من الشحر، والشيخ عمر عبدالله الكسادي من الحامي، والنواخذة سالم عوض الشقري من الديس الشرقية. وبالتالي قام بامطرف بإجراء بعض الاستفسارات الإضافية في الحامي، وتم نشر القصيدتين كـ (دراسة في التراث اليمني) في عام ١٩٧٧م. بالرغم من الادعاء بأنها محلية إلا أنه غير مناسب إلى حد ما، فقصيدة باطايح في الحقيقة تعود أو تنتمي إلى أصل شائع من التراث البحري للخليج الفارسي وعمان وأماكن أخرى" (١).

- الباحث الفرنسي ميشل نيتو: باحث وأمين مكتبة المعهد الفرنسي للدراسات الآثارية بدمشق، قام بتقديم بحث في منظومتي باطايح الإرشاديتين لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في اللغة العربية بعنوان: (القصائد الملاحية لسعيد بن سالم باطايح)، تحت إشراف البروفسور جان - كلود - جارسيان، وتم الدفاع عنه في يونيو ١٩٩٥م في جامعة إكس إن بروفنس (مرسيليا)، وقد قام بترجمة المنظومتين من العربية إلى الفرنسية، وتعيين أسماء الأماكن بالإحداثيات الجغرافية، وتحديد المسافات، كما شرح المصطلحات والمفردات البحرية معتمداً على القواميس البحرية العربية والأجنبية، وأفاد في تلك الدراسة بأن باطايح كان من أبرز بحّارة عصره، وأن منظومتيه الملاحتين رغم أنهما تعودان إلى بداية القرن التاسع عشر الميلادي فإنّ مضامينهما وتقاليدهما

(١) باهارون، ميناء الحامي في عيون الباحثين والمؤرخين العرب والأجانب، ص ٧١ - ٧٢.

الملاحية تعود إلى القرن الخامس عشر الميلادي، كما أن هاتين المنظومتين ضُمَّتا كل المعلومات اللازمة للبحار في الفلك والمواسم والرياح وغيرها^(١).

زار الباحث المذكور حضرموت في عام ٢٠٠٢م؛ لاستكمال أبحاثه عن الملاحة البحرية، وقد التقى بالأستاذ عبدالرحمن الملاحي؛ ليرشده إلى ما كان يرمي إليه من إقامة رحلة بحرية على سفينة شراعية من الحامي إلى زنجبار على غرار رحلة الملاح الحضرمي باطايح. وقد حدثني الأستاذ الملاحي^{||} بأنه كان مصمماً على تلك الرحلة، وقد شرحت له هبوب الرياح واتجاهاتها في طريق السواحل الإفريقية، وقد جاء في شهر فبراير، فأرشدته أن يقوم بها في شهر يوليو وأغسطس لكون الرياح مواتية، ولكنه لم يتمكن من إقامة تلك الرحلة لعدم توافر الإمكانيات اللازمة^(٢).

- الباحثان إدوارد برادوس ودايفيد واربرتون: أشادا بدور الربان باطايح في عدة من دراستهما عن الملاحة العربية في المحيط الهندي، ومنها مقالهما (الحامي تحفظ ماضيها البحري)، الذي نشره في مجلة سي هستوري الأمريكية عام ١٩٩٩م، وقالاه في عن الحامي وباطايح: "تمثل مدينة الحامي ثورة المعرفة والخبرة الملاحيتين للجزيرة العربية. من على مسافة تبدو مدينة الحامي واحدة من التجمعات العربية الفقيرة المعتمدة على الصيد، ولكن عندما غادرناها وتلاشت أمام أعيننا أدركنا أنها كانت قرية ذات مكانة خاصة في تاريخ العرب.

سعيد سالم باطايح - وهو أحد أسلاف مرشدنا الدكتور باطايح - كان أعظم قائد بحري في تاريخ الحامي والساحل الجنوبي. وُلِدَ عام ١٧٦٦م، ووضع أول دليل بحري له عام ١٨٠٢م، وصف فيه الطريق البحري من سيحوت إلى زنجبار (كلاهما يقعان على طول سواحل الجزيرة العربية). في عام ١٨٠٥م كتب دليله الثاني مقتفياً الطريق من مسقط في عمان إلى المخا في اليمن^(٣).

(١) المرجع السابق، ص ٥٩ - ٦٢.

(٢) إسهامات الأستاذ عبدالرحمن الملاحي، مرجع سابق، ص ٦٠.

(٣) ميناء الحامي في عيون الباحثين، مرجع سابق، ص ٣٥، ٣٨.

المبحث الثالث: النوخذة علوي بن حسن عيديد، وأثره في التجارة البحرية في حضرموت

تعد أسرة آل عيديد من أشهر أسر السادة العلويين الحضارمة الذين امتهنوا حرفة الملاحة والتجارة البحرية في حضرموت منذ القرن العاشر الهجري، عندما توطنوا بندر الشحر التاريخي، ثم نقلوها إلى مهاجرهم الآسيوية والهندية، وقد سبق في المبحث الأول ذكر أحد مشاهيرهم في جاوة، وهو النوخذة السيد حامد عيديد الذي عمل على متن السفن الشراعية بين جاوة وأستراليا وبحر العرب في القرن الثالث عشر الهجري.

ويعد السيد النوخذة علوي بن حسن بن عبدالله بن عوض عيديد من مشاهيرهم في حضرموت في القرن الثالث عشر الهجري، وقد كان جده النوخذة عبدالله بن عوض عيديد المتوفى سنة ١٢٥٦هـ، ووالده النوخذة عوض بن محمد عيديد المتوفى سنة ١٢٢٢هـ، من كبار التجار والنواخذة الحضارمة الذين امتلكوا السفن الشراعية في مينائي الشحر والحامي، وكانت لهم تجارة واسعة على طول الموانئ الحضرمية واليمينية والعمانية^(١).

حياته الاجتماعية والملاحية:

في ربوع الحامي الشهيرة بإنجاب الربانة الأفذاذ على مستوى الجزيرة العربية؛ وُلد النوخذة علوي بن حسن عيديد في مستهل القرن الثالث عشر الهجري، ونشأ نشأة صالحة كنشأة غيره من أبناء الحامي في ذلك العصر، تحت رعاية والده السيد حسن بن عبدالله عيديد الذي لم يعمر طويلاً، إذ توفي وهو في سن الكهولة سنة ١٢٣٦هـ، ثم كفله جده النوخذة عبدالله بن عوض عيديد، وكان جده المذكور يعتني به عناية تامة حتى إنه أوصى له بسهمين من ماله المنتشر في الشحر وفي مزارع الحامي

(١) انظر ترجمتهما في دراستنا العقد النضيد في تراجم بعض أعلام آل عيديد، الصادرة عن دار الحامي للدراسات والنشر ٢٠١٣م.

والمقد والبرح وعرف وغيرها، بالإضافة إلى ما امتلكه بماله لنفسه من الأراضي الزراعية والنخيل في الحامي والمقد المؤرخة وثائقها بين عامي ١٢٥٢ - ١٢٧٩ هـ^(١). تلقى تعليمه في أحد كتاتيب الحامي، ثم تتلمذ على مشايخ الحامي، كعمه العلامة عبدالله بن عمر بن محمد بن هارون، والعلامة عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن هارون، والعلامة أحمد بن محمد باهارون.

اصطحبه معه جده النواخذة عبدالله بن عوض عديد في رحلاته البحرية إلى موانئ إفريقيا واليمن وعمان والبصرة على متن سفينته عين الحياة التي انتقلت إلى ملكه بالشراء من النقيب سعيد بن عبدالله الكسادي المتوفى سنة ١٢٥٢ هـ حاكم الحامي في تلك المدة، وبدأ السيد علوي بن حسن يتدرب على فنون الملاحة البحرية مشاهدًا للبحارة والربابنة، حتى صار ناخوذة يُشار إليه بالبنان من بين أقرانه، وبعد ذلك امتطى متن سفينة سنوق عديد مع عميه الناخوذتين السيد حسين بن عبدالله عديد والسيد محمد عبدالله عديد، ويبدو أن جده النواخذة عبدالله بن عوض كان يعتمد عليه في إدارة تجارته حتى إنه أعطاه ربعين في سفينة سنوق عديد كما سيأتي ذكره^(٢).

أسطوله التجاري البحري:

بعد أن توسعت تجارة السيد علوي بن حسن عديد استدعى الأمر شراء عدد من السفن الشراعية التي يتم عليها نقل تجارته بين موانئ حضرموت وعمان وبين شرقي إفريقيا التي كان كثيرًا ما يتردد إليها، كما تحدثنا رسالة القاضي أبي بكر بن محمد بامطرف سنة ١٢٧٥ هـ، وسيأتي ذكرها.

وقد قام بشراء عدد من السفن الشراعية في حضرموت ومن بر عجم من أرض الصومال، وقد وقفنا على صكوك شراء بعض تلك السفن^(٣)، وأول سفينة امتلكها

(١) المرجع السابق، ص ٨٦، ٨٨.

(٢) أرشيف النواخذة علوي بن حسن عديد، مخطوط. وانظر ملحق العقد النصيد، مرجع سابق، ص ١٤٩.

(٣) العقد النصيد، مرجع سابق، ص ٨٧.

هي السفينة المسماة بسنبوق عيديد، وهي من أملاك جده النوخذة عبدالله بن عوض عيديد، وقد أوصى منه بربعين لحفيده السيد علوي، وربع لأخته فضلون بنت حسن، وربع لأولاده حسين ومحمد وخديجة، وقد جاء في وثيقة الشراء التي كتبها قاضي الحامي الفقيه العلامة أحمد بن محمد باهارون المتوفى سنة ١٢٧١ هـ ما يأتي:

"الحمد لله، اشترى السيد الشريف علوي بن حسن بن عبدالله بن عوض عيديد بماله لنفسه من السيدين الشريفين محمد وحسين وأختهم خديجة أبناء السيد عبدالله بن عوض بن محمد عيديد البايعين بأنفسهم عن أنفسهم ما هو ملكهم وفي حوزهم وتحت أيديهم الصاير إليهم بالإرث من مورثهم، وذلك المبيع جميع ربع في الصنبوق المعروف بصنبوق عيديد شركة المشتري فيما صار له ولأخته بالوصية من جدهم، فصار الصنبوق المذكور جميعه من ثلاثة أرباع للسيد علوي المذكور، وربع لأخته فضلون بنت حسن بثمن معلوم مبلغ وقدره مائة ١٠٠ قرش فرانصة مقبوضاً بيد البايعين، وبرثة ذمة المشتري المذكور بيعاً صحيحاً شرعياً قطعاً قلاطاً لا وعد فيه ولاعهدة، حاوياً لشروط الصحة، نافياً للغرر والجهالة، مقبوضاً قبض مثله بالإذن والتخلية المعتمدة شرعاً، جراً ذلك وكلاً منهم راضياً مختاراً من غير إكراه ولا إجبار، وبذلك وقع الإشهاد بتاريخ يوم الاثنين وسبع في شهر القعدة سنة ١٢٥٧ سبعة وخمسين وميتين وألف والله خير الشاهدين".

وظل السيد علوي بن حسن يُبحر في سنبوقه المذكور لمدة عشر سنوات حتى عام ١٢٦٥ هـ، عندها اشترى سفينة النوخذة مبارك بن سعد بن سبتي من ورثته، وقد جاء في وثيقة البيع التي كتبها السيد أحمد بن محمد باهارون قاضي الحامي ما يأتي:

"الحمد لله، اشترى السيد الشريف علوي بن حسن بن عبدالله بن عوض بن محمد عيديد بماله لنفسه من جميع ورثة مبارك بن سعد بن سبتي، وهم ولده سعيد وبنته، ومن الصدر عبيد بن سالم بن مبارك بن سبتي البايع عنه نفسه، وعن ولد أخيه أحمد القاصر بالرشادة عليه، ومن زوجة أحمد سلامة بنت مبارك بقرف، ما هو ملكهم وفي

حوزهم وتحت أيديهم، الصاير بالشري من عبود بن سالم المهري، وذلك المبيع جميع ساعية مبارك سعد المعروفة وهي الزعيمة، مع ما اشتملت عليه الزعيمة المذكورة من دقل وفرمال وشرع وبرأوصة وعدة ما وكلما حصل المشتري وهو فيها من عيدان وست وفاس وغيره. اشترى السيد علوي المذكور جميع ساعية مبارك سعد المذكورة بثمن معلوم مبلغه وقدره ثلثماية قرشاً الناصفة من ذلك مائة وخمسين، حفظاً للأصل، مقبوضاً بيد البائعين، وبرية ذمة المشتري المذكور براءة قبض ووفاء واستيفاء بيعاً شرعياً قلاطاً لا وعد فيه ولا عهدة، حاوياً لشروط الصحة نافياً للغرر والجهالة، مقبوضاً قبض مثله بالإذن، فصار المبيع بحكم العقد الصحيح الشرعي ملك من أملاك المشتري يتصرف فيه تصرف الملاك في أملاكهم، والحال أن سلامة بنت مبارك بقرف وكّلت عبيد بن سالم بوكالة صحيحة شرعية في بيع حصتها، وكذلك عائشة بنت مبارك سعد باعت على لسان وكيلها أخوها سعيد بن مبارك، وباعوا الجميع وكلاً منهم راضياً مختار من غير إكراه ولا إجبار، وبذلك وقع الإشهاد بتاريخ يوم الخميس منتصف شهر الحجة الحرام سنة ١٢٦٥ خمسة وستين وميتين وألف، والله خير الشاهدين".

وفي إحدى رحلات السيد علوي بن حسن إلى أرض الصومال وفي مقديشو؛ عرض عليه أحد زملائه سفينة من نوع السنوق المسمى بالعبري، وقد اشتراه بمائة قرش فرانصة، وجاء في وثيقة الشراء التي كتبها خادم الشرع الشريف في مقديشو الشيخ سالم بن حسن بن محمد بافضل ما نصه:

"الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، وبعد: لما كان يوم الجمعة سلخ شهر جماد آخر سنة ١٢٦٧ السبع والستين والميتين والألف؛ فقد اشترى الأجل الأكرم السيد علوي بن حسن بن عبدالله عيديد باعلوي بماله لنفسه من البايع إليه عبدي علي عمر الحداد السومالي البايع بنفسه عن نفسه ما هو ملكه وتحت تصرفه، وذلك المبيع ممن ذُكر لمن ذُكر جميع السنوق العبري بجميع ما تعلق به دقل وفرمال وبرأوصة وشرعه وحبال، بجميع حقوقه ومصالحه ومنافعه،

شرعاً وعرفاً، بثمن قدره ومبلغه من النقد مائة قرش فرانصة مسلّمة ومقبوضة بيد البائع عبدي المذكور، وبرية بذلك ذمة المشتري علوي المذكور براءة قبض واستيفاء بيعاً صحيحاً شرعياً قلاطاً بتاً منجزاً، لا عدة فيه ولا عهدة، حاوياً شروط الصحة، نافياً للغرر والجهالة، مقبوضاً بالإذن والتخلية المعتبران شرعاً، حصل ما ذكر ممن ذكر كما ذكر، وكل منهم بصحة العقل والبدن ونفوذ التصرف مع الرضا والاختيار من غير إكراه ولا إجبار، وبذلك وقع الإشهاد، والله خير الشاهدين^(١).

هذه ثلاث وثائق لشراء السفن الشراعية في القرن الثالث عشر الهجري، تم عرضها نماذج على تفوق السيد علوي بن حسن عيديد الملاحي ونشاطه التجاري، وتحدثنا قوائم السفينة أن بحارته كانوا خليطاً من أبناء الحامي والشحر والمكلا.

تعاملاته الأهلية والتجارية:

كان السيد علوي بن حسن عيديد شخصية معروفة في مجتمعه بأخلاقه وكرمه ومساعدته لأهل بلده، كما تحدثنا مذكراته وقوائم الديون التي يصدرها بقوله: (بيان الذي عند الناس) لعامي ١٢٧٠ - ١٢٧١ هـ، والتي يكتب فيها الأشياء التي كان الأهالي يأخذونها منه لأجل الميرة المعروفة محلياً بـ (الزواد) من تمر وطعام وبصل ونحوه، خصوصاً عند عودته من رحلته البحرية من شرق إفريقيا وغيرها، كقوله: "عند دار فلان بن فلان قرش قيمة ربع بهار تمر، وحرف قيمة طعام، عند فلان بن فلان سبع خماسي قيمة ثلاثة أرطال ونص بصل". وكان يمهل الكثير منهم إلى فصل الصيف أو الشتاء أو إلى العودة من رحلتهم البحرية أو مجيء ابنهم في أول رحلة له في السنة، مثال ذلك:

"لحق عند محمد شمس قرشين قيمة طعام إلى الصيف غير القرشين السابقة، ولحق عنده قيمة ربع بهار تمر إلى الصيف.

(١) العقد النضيد، مرجع سابق، ص ١٥٢ - ١٥٤.

عند ثابت سعد قرش قيمة طعام إلى الشتاء.

لحق عند حمد سعيد سالم باطايح نص قرش قيمة طعام إلى التدبير من حوالة سعيد مبارك سبتي.

عند دار فرج جمعان قرش قيمة تمر إلى مجيئه أول جوش.

وكان ربما يستدين منه نقيب الحامي أو أحد إخوانه: "عند النقيب عبدالكريم ربع وثمان قرش قيمة ثمن بهار تمر، مسلّم من ذلك حرف ونص عشور، الباقي عنده ستة حروف.

عند عوض حسين قرش وربع باقي قيمة البروصي، وعنده قرشين قيمة الشراع، وذلك في لامو، وعنده قرش قيمة قماش صح الجملة أربعة ريال وربع، مسلّم قرشين الباقي قرشين وربع، ومسلّم قرشين الباقي ربع قرش.

كما كان يتم تقييد التسليم لغيره إبراء لدمته، ومثال ذلك كتب: "مسلّم بيد سعيد بن مبارك سعد بن سبتي في سنة ١٢٧٠ من حل سنة السبعين حوالة عبدالله محمد كعيتي قرش إلا ربع، وقيمة ربع بهار تمر قرش وربع خمس بقش، وقيمة بهار بصل أربعة قروش إلا ثمن. وحوالة حمد سعيد باطايح ستة قروش يصح الجملة المسلّمة حد عشر قرش ونص وخمس بقش، لحق بيد ولده خمس بقش قيمة تمر، لحق بيد ولده عشر بقش قيمة تمر"^(١).

وفي إحدى مذكرات السفينة والتي تسمى بالروزنامة، والتي تعود إلى سنواته الأخيرة في الإبحار؛ نجد السيد علوي بن حسن يذكر بعض التجار الذين كان يتعامل معهم في نقل بضائعهم والمواد التي كان يجلبها لهم من موانئ عدن إفريقيا والصومال، مثل صالح بن عوض بلخير، وأحمد معاشر، وعبيد ديمان، وعبدالله عمر باجرش، والشيخ بكران باجمال، ومحمد عبدالله بن ثعلب، وغيرهم من أبناء شبام والوادي

(١) قائمة الديون بأرشفيف النوخدة علوي بن حسن عيديد، مخطوطة بمكتبة الباحث.

والشعر والمكلا ودوعن، ومن المواد التي كان ينقلها على سفينته مثل التمر، الطعام، الذرة، الشب، البُن، القرفة، البُن وقشره، الجفل، بالإضافة إلى الزلع والمرطبانات التي يوضع فيها الخل والعسل وغيرها.

ونورد مقتطفات من تلك المذكرات أو القوائم كما كان يسميها النواخذة، دليلاً على ما ذكرنا:

"- الطالع من بندر عدن إلى بندر الشعر من طرف السيد سالم بن محمد مدهر ٤ عده سمن علامة ٨٣ سم، وزلعة ومرطبان صغير علامة س مح مدهر، تسلّم سالم عبود منصور، ٣ ورنيل قشر علامة س مح مدهر، تسلّم الولد محمد سالم مدهر، ورنيل قشر صغير علامة باعيدروس، تسلّم السيد محمد بن شيخ العيدروس، وأيضاً مرطبان كسيكي علامة س ص يسلم المحب سعيد بن عمر باصالح بندر المكلا.

- الطالع من بندر عدن من طرف محمد بن أحمد اليزيدي بكر سمن علامة ع ب ع تهدي وتسلم عبود بن علي بن كليب بندر الشعر.

- الطالع من بير أحمد شب من طرف أحمد معاشر ٤ شخوص، وذلك بعلامة ٣٦٣، اثنين تسلّم طيب بن عوض بندر الشعر، وبعلمة اح ع ش تسلّم عبدالله باجرش. - من طرف الشيخ بكران باجمال معلاق علامة ب ك ح تسلّم عوض بن ربيعة بندر المكلا.

- من طرف سالمين بلال زلعه تسلّم أحمد عبد الشيخ مقطوف، ومرطبان يسلم سعيد محمد بازرقان.

- طالع من طريق صالح بن عوض بلخير، وذلك أربعة صناديق قرفة، وأربع جواني سنكر، وثلاث قطن محلوج، ومعلاق علامة ش ك، والباقي ٣١٠ خ، وقضمة طعام النول ريال وربيع، يسلم الصنو عمر عوض بلخير".

كما كان السيد علوي بن حسن يآتمنه الحضارمة المقيمون في عدن وغيرها على المبالغ النقدية التي يرسلونها إلى ذويهم في موانئ بروم والمكلا والشحر، كما تحدثنا تلك المذكرات القيمة:

"- مصدر لأهل بروم دراهم من طرف محمد بن بركات الدهري ١ ريال يسلم سالم بن بركات الدهري. من طرف عبيد باسلوم ٤ ريال تسلم بازرعة وإلا حد من أهل بروم. وطاقيه سواد ورنيل بن يسلم سعيد باعمر. من طرف سعيد باعمر ٢ ريال تسلم صلاح متاش. من طرف سالم باعوض ٢ ريال يسلم عرفان باعمران.

- مصدر لأهل المكلا من طرف نصيب باكليمان ٤ ريال تسلم سعيد باذيب. من طرف سالم بن محمد باحارث ١ ريال يسلم هادي عبدون. من طرف السيد سالم مدهر بقشة باعشن تسلم الشيخ عمر بن محمد بن سعيد باصالح. من طرف عبدالله باعزان ١ ريال يسلم عوض عاطف أو أهله. من طرف قاسم بن محمد بن أحمد الذيباني ١٠ ريال تسلم علي بن أحمد بن عوض بن حسين بن سالم بن بريك.

- لحق من طرف عمر بن محمد باصهي صرتين، وحدة فيها ٨٠ ريال فرانصة تسلم عوض سالم باصهي، وحدة باطنها ٤٠ ريال تسلم أحمد عوض بن شماخ بندر الشحر. - ومن محمد بن أحمد باجرش ثلاث مائة قرش فرانصة معدودة على النوخدا تسلم الولد عوض بن سالم باصبع وسلم الحفاظة قرش إلا ربع" (١).

وتحدثنا عن ذلك أيضاً أوراق الحوالات المتعددة المؤرخة بين عامي ١٢٦٢ - ١٢٨٠هـ، مثال ذلك هذه الوثيقة المحولة للشيخ العلامة محمد بن أحمد باحنشل أحد فقهاء الخريبة بدوعن المتوفى سنة ١٣١٥هـ، جاء فيها:

"الحمد لله، بتاريخ يوم الاثنين وثنعشر خلت من جماد آخر سنة ١٢٦٧هـ استلم محمد بن أحمد باحنشل من يد أخيه عبدالله بن سالم بشهر صرة مية وخمسة

(١) قائمة الطالع للسفينة، أرشيف النوخدة علوي بن حسن عديد، مخطوطة بمكتبة الباحث.

وأربعين ريال، وذلك الذي أبقاها طرفه السيد علوي بن حسن عديد المصدرة بيده من الناخوذا علي بن أحمد بن حمدين المرسله بيده من الحبيب حسين بن أحمد بافقيه، قبض محمد المذكور الدراهم المذكورة من عبدالله المذكور. شهد بذلك عبدالله بن سعيد باحنشل^(١).

هذه نماذج يسيرة عرضناها من مذكرات وقوائم النوخذة علوي بن حسن عديد، تدلنا على طول باعه وإسهامه في المجال الملاحي والتجاري في حضرموت في القرن الثالث عشر الهجري، وهي تحتاج إلى دراسة خاصة تبين ألفاظها، وتشرح مصطلحاتها، وكيف يتم التعامل مع النوخذة والتاجر في نقل البضائع من وإلى موانئ حضرموت، وهي وثائق قيمة حفظت لنا في ضمن أرشيفه الخطي الثري بالوثائق والمعلومات.

علاقته مع أعيان عصره:

ارتبط السيد علوي بن حسن بعلاقات أخوية حميمة بالكثير من الأعيان في عصره مثل تجار الشحر والمكلا في القرن الثالث عشر، وكذلك كانت له علاقة علمية بالعلماء والفقهاء في ساحل حضرموت، فكان يحضر دروسهم ويراسلهم ويستفتيهم عن بعض الوقائع التي تحصل له، ومن أبرز فقهاء حضرموت الذين ارتبط بهم:

- السيد العلامة أحمد بن محمد بن عبدالرحمن باهارون:

قاضي الحامي ومفتيها وإمام وخطيب جامعها المتوفى سنة ١٢٧١هـ، كان يحضر دروسه ويصلي خلفه بالجامع، وربما أذن له بكتابة بعض الصكوك، وكان ينييه هو وزميله الربان الفقيه الشيخ سعيد بن سالم باطايح في كتابة الوثائق لبيع الأراضي الزراعية والبيوت عندما يرجعون من رحلاتهم البحرية في أيام غلق البحر في فصل الخريف.

- الشيخ العلامة أبوبكر بن محمد بن سالم بامطرف:

مفتي غيل باوزير المتوفى بها سنة ١٢٨٤هـ، وقد تولى القضاء ببندر المكلا في أيام الإمارة الكسادية، وكان السيد علوي يرسله بالمسائل ويجيب عنها ويرسلها له إلى

(١) المرجع نفسه.

الحامي، منها رسالته المؤرخة في ٢٦ من جمادى الآخرة سنة ١٢٧٥ هـ المتضمنة السؤال عنه وعن أحواله ورحلاته البحرية إلى السواحل الإفريقية، وكذلك الرد على سؤاله عن وصية جده الذي أوصى بتهليلتين كل سنة سبعين ألف من (لا إله إلا الله) في شهر رمضان وشهر رجب، وأوصى بربع بهار تمرًا (٧٥ رطلًا) إفطار شهر رمضان على المسجد الكائن بالساحل (الجامع) بأرض الحامي مدة محلة أولاده في الحامي، وإذا شق عليهم يصرفه الوصي على أي مسجد شاء. فأجابه بقوله: "وكذلك السؤال الذي عرفناكم به في الكتاب السابق بأن تنقلوا لفظ الوصية وترسلوه، وصدر بجوابه باطن هذا الكتاب كما ترونه بأنه لم يلزم على الورثة الموصى به من تهيلة وفطور رمضان إلا للسنة الأولى بعد موت الموصي فقط، وعرفناكم بما هو الأفضل إبقاءً لقصد الموصي مع لزومه عليكم، ولكم التصرف في جميع التركة بالقسمة والبيع وغيرهما، وذلك لأن التركة لم يتعلق بها شيء بعد أن سلمتم ما عيّنه الموصي للسنة الأولى بعد موته".

كما طلب منه أن يشتري له نصف بهار بصلاً (وهو ١٥٠ رطلًا) من الحامي، ويرسله إلى الغيل^(١)، مما يدل على أن الحامي كانت مشهورة بزراعته في تلك المدة، وكان يصدر إلى شرق إفريقيا، كما أشار إلى ذلك الملاح باطايح في منظومته، وأنه يباع في أسواق شيلة ولامو وزنجبار، بقوله:

شيله ولامو وموسمهن وصل وكل ما في مرادك قد حصل
وان كان شي يا فتى معكم بصل هنا وفي زنجبار السعر قام^(٢)

- الشيخ العلامة ناصر بن صالح بن عبدالله بن الشيخ علي بن هريرة:
قاضي الشحر ومفتيها المتوفى سنة ١٣٠١ هـ، كانت تربطه علاقة حميمة وزمالة بآل عديد الشحريين والهاميين، وكان السيد علوي بن حسن يستفتيه في بعض الوقائع التي تستجد له، ومنها تلك القضية "في رجل باع نخله بثلاثة قروش إلا ربع والتزم المشتري

(١) العقد النضيد، مرجع سابق، ص ٨٩ - ٩٣.

(٢) الرفيق النافع، مرجع سابق، ص ٤٣.

إذا أقبل عليه البائع بقرشين يقيله في النخلة، والقرش إلا ربع فيه مهلة مطلقة، وباع المشتري النخلة لمالك آخر بثلاثة قروش، وأقبل البائع الأول بالقرشين على حسب الشرط الذي بينه وبين المشتري الأول، وهذا المشتري الأول قد مات، ما الجواب في النخلة؟ هل تفتك بالقرشين أو بالثلاثة الأربع أو بالثلاثة؟ الجواب يا سيدي والسلام". فأجابه بقوله: "الجواب على هذا السؤال إذا وصل البائع بثلاثة قروش إلا ربع قيمة النخلة المعهدة وجب على المشتري الثاني أن يفسخ النخلة له، والربع الذي له يرجع به على ورثة البائع الثاني الذي باع له النخلة إن خلف تركة. والله أعلم"^(١).

وفاته وذريته:

بعد عمر مديد مبارك قضاه السيد علوي بن حسن عيديد في الملاحة والتجارة البحرية والإبحار على متن السفن الشراعية يمتد لأكثر من نصف قرن؛ انتقل إلى رحمة الله في سنة ١٢٨٢هـ (١٨٦٥م)، ودفن بمقبرة أجداده آل باهارون بالحامي القديمة المعروفة بالبلاد الفوقية حيث ترعرع وشب، وقد واصل مشواره الملاحي التجاري أولاده الأعلام:

- النوخذة حسن بن علوي بن حسن عيديد (١٢٦٠ - ١٣٣٣هـ): خلف والده على سفنه وأملاكه، ومارس الملاحة والتجارة البحرية بين حضرموت وظفار، وكان ناسكاً صالحاً، قام بكتابة عدد من المخطوطات، وقد انتقل إلى رحمة الله في حادثة غرق سفينته في بحر العرب، وذريته في صلالة بظفار سلطنة عمان.

- القاضي أحمد بن علوي بن حسن عيديد (١٢٦٥ - ١٣٣٧هـ): من أعلام الحامي، عُرف بالفقه والتصوف، تخرج في رباط العلامة الكبير الحبيب علي بن محمد الحبشي بسيئون، ومارس التجارة، ثم انتقل إلى ظفار وتولى القضاء الشافعي في صلالة في عهد

(١) العقد النضيد، مرجع سابق، ص ٩٣، ٩٤.

السلطان فيصل بن تركي البوسعيد، ثم في عهد ابنه السلطان تيمور بن فيصل، وكانت تربطه علاقة صداقة حميمة به، وكان مستشاره الشخصي، ثم قدم استقالته من القضاء، ومارس التجارة في سوق الحصن حتى وفاته، وله ذرية كثيرة في الحامي وصلالة.

- النواخذة عمر بن علوي بن حسن عيديد (١٢٧٠ - ١٣٥١هـ): من مشاهير النواخذة والتجار الحضارمة في القرن الماضي، عُرف بعلاقاته التجارية الواسعة مع كبار التجار في موانئ حضرموت والمهرة وعدن وظفار ومسقط والبصرة وشرق إفريقيا والصومال وغيرها، وأرشفه الشخصي خير شاهد على ذلك الذي يضم عشرات الرسائل المتبادلة بينهم، وقد امتلك عددًا من السفن الشراعية الخشبية منها: البقارة، والمتيسر، وتيسير، والزاهر، والهاشمي، وغيرها، وقد أفردنا سيرته الشخصية وأرشفه الخطي القيم في دراسة خاصة بعنوان (النواخذة عمر بن علوي عيديد وأثره في الملاحة والتجارة العربية في المحيط الهندي)^(١).

خاتمة:

لقد أظهرت لنا هذه الدراسة أن للحضارمة أثرًا بارزًا في التجارة والملاحة البحرية في القرن الثالث عشر الهجري، وكانوا يقبضون أزمة الأمور في ملاحة وتجارة المحيط الهندي، ويمتلكون أسطولًا تجاريًا ضخمًا من السفن الشراعية الخشبية في جنوب الجزيرة العربية التي تتسع لآلاف الأطنان، وقد وصل ذلك الأسطول إلى جزائر الأرخيل الهندي وشرقي وجنوب إفريقيا.

كما أظهرت أيضًا بروز العشرات من الملاحين الحضارمة في الملاحة والتجارة البحرية على مستوى شبه الجزيرة العربية، وما باطاع وعيديد إلا نموذجان من عشرات النماذج الناجحة والأشخاص الذين نبغوا في حضرموت، انطمست آثارهم بسبب النسيان، واندثرت مآثرهم لعدم أثر مكتوب يدل عليهم، وهذه السلبية موجودة

(١) العقد النضيد، مرجع سابق، ص ٩٦ - ١٠٣ - ١١٧.

في مخلفات عدة من العلماء وربابنة والتجار الحضارمة، وسببها الجهل بتلك الأرشيفات والمخطوطات التي ربما يكون مصيرها في كثير من الأحيان أن تكون طعمة للأرضة أو وقودًا للتنور.

وتوصي هذه الدراسة بالاهتمام بإبراز تاريخ حضرموت البحري ودورها الملاحي والتجاري عبر التاريخ، بعقد ندوة أو مؤتمر يتحدث عن التراث الملاحي والتجاري للحضارمة، وعلاقة حضرموت بدول المحيط الهندي أسوةً بالجارة سلطنة عُمان الشقيقة. وكذلك الاهتمام بأرشفة المذكرات والمخطوطات والمستندات لتجار وربابنة حضرموت والتي تعد البقية الباقية من آثار أولئك الملاحين والتجار، ونشر الرحمانيات والروزنامات البحرية لربابنة حضرموت أسوةً بالإخوة في دولة الكويت الشقيقة.

نرجو أن نكون قدّمنا في هذه الأسطر القليلة ما فيه الفائدة، تخليدًا لدور أسلافنا الأمجاد في تلك الصناعة التي سادت ثم بادت، ولم يبق منها سوى الذكريات وحديث المغامرات. والشكر موصول لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر على عقد مثل هذه المؤتمرات لتدارك ما فات وإحياء ما مات. والله ولي التوفيق.

الحامي / ١٦ أكتوبر ٢٠١٩م

المصادر والمراجع

١. أرشيف السيد النوخدة علوي بن حسن بن عبدالله عديد، مخطوط بمكتبة الباحث.
- بامطرف، محمد عبدالقادر:
٢. الرفيق النافع على دروب منظومتي الملاح باطايح، مطبعة السلام، عدن ١٩٧٢م.
٣. الهجرة اليمنية، وزارة شؤون المغتربين، الآفاق للطباعة والنشر، صنعاء ٢٠٠١م.
- الحداد، علوي بن طاهر:
٤. الشامل في تاريخ حضرموت ومخالفها، تحقيق محمد يسلم عبدالنور، مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، ٢٠١٦م.
٥. المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، تعليق وتحقيق محمد ضياء شهاب، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، عالم المعرفة - جدة.
- شهاب، حسن صالح:
٦. أضواء على تاريخ اليمن البحري، دار العودة بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨١م.
٧. فن الملاحة عند العرب، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، ودار العودة بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.
٨. الغنيم، عبدالله يوسف، المرشدات البحرية العربية القديمة والمعاصرة، رسالة الكويت، العدد (٥٨)، أبريل ٢٠١٧م، مركز البحوث والدراسات الكويتية.
٩. عبدالعليم، أنور محمد، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، سلسلة عالم المعرفة (١٣)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير ١٩٧٩م.
- الكسادي، بدر أحمد:
١٠. أبطال منسيون من ربابنة الملاحة البحرية العربية، تحقيق: محمد علوي باهارون، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٢م.
١١. القاموس البحري، معجم للمصطلحات البحرية في جنوب الجزيرة العربية، مراجعة: حسن صالح شهاب، المجمع الثقافي أبوظبي، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
١٢. الملاحي، عبدالرحمن عبدالكريم، ربابنة من القرن التاسع عشر، نشرة الساعية، العدد (٢)، يونيو ١٩٩٣م، لجنة إحياء التراث البحري والشعبي بالحامي.
١٣. السقاف، جعفر محمد، الوثائق والتوثيق العلمي لتراثنا نقوشاً ومخطوطات، مركز عبادي، صنعاء، ٢٠١١م.



- باهارون، محمد علوي عبدالرحمن:

١٤. إسهامات الأستاذ عبدالرحمن الملاحي في إبراز تراث جنوب الجزيرة العربية الملاحي البحري، من أبحاث الندوة العلمية الأستاذ عبدالرحمن الملاحي ودوره التنويري والمجتمعي في حضرموت، المكلا، يوم الأحد ٢٧ ديسمبر ٢٠١٥م، مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر المكلا فبراير ٢٠١٦م.
١٥. ريادة الأستاذ بامطرف في دراسة تراث حضرموت الملاحي البحري، من أبحاث ندوة مئوية ميلاد المؤرخ والأديب الموسوعي محمد عبدالقادر بامطرف، التي نظمتها جامعة الأندلس للعلوم والتقنية بصنعاء بتاريخ ٢٩ نوفمبر ٢٠١٥م.
١٦. العقد النضيد في تراجم بعض أعلام آل عبيد، دار الحامي للدراسات والنشر ٢٠١٣م.
١٧. الكشف عن جوانب من حياة الملاح باطايح، دار الحامي للدراسات والنشر، الطبعة الثانية ٢٠١٣م.
١٨. ميناء الحامي في عيون الباحثين والمؤرخين العرب والأجانب، الطبعة الأولى، دار الحامي للدراسات والنشر ٢٠١٦م.



نظام الري بمعيان الصَّيْق بالديس الشرقية في عهد الإمارة الكسادية (القرن الثالث عشر الهجري) وثيقة خاصة بورثة أسرة النقيب^(١) أحمد بن سالم بن صالح ابن غرامة الكسادي

أ. طاهر ناصر المشطي
محررة بيوم الاثنين ١٩ شوال ١٤٢٠هـ
الموافق ١٩ مايو ١٧٩٤م



المقدمة:

لقد برع الحضارم عبر تاريخهم الحضاري العريق في الاستفادة من مميزات بلادهم الطبيعية والبيئية، ولا تزال آثار أعمال الري الواسعة القديمة منتشرة في معظم مناطق

حضر موت، وحتى يومنا هذا لا يزال الأحفاد يستفيدون من بعض هذه الخبرات ويتوارثونها.

وخلال مدّة دويلات المدن، في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، كانت بلدة الديس الشرقية إحدى البلدات الساحلية التي خضعت لحكم الإمارة الكسادية في

(١) النقيب: هو كالعريف على القوم، والمقدّم عليهم، يتعرف وينقب عن أخبارهم، والنقيب في اللغة: الأمين والكفيل، وقيل: النقيب: الرئيس الأكبر. نقلاً عن ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب الجزء ١٤، طبعة ٣، بيروت لبنان، ص ٢٥٢.

ساحل حضرموت، وقد اهتم آل كساد بوضع أُسسٍ للدولة من خلال توقيع معاهدات وتحالفات مع القبائل والدويلات المجاورة، وتنظيم حياة المواطنين وتلبية متطلباتهم المعيشية، مثل توزيع الأراضي سواء كانت للزراعة أم للسكن، وتنظيم أمور البحر والإقرار بأنظمة الجداحة، والخفارة، والشراحة، التي كانت سائدة في المجتمع حسب الأعراف، وكذا بناء الحصون للدفاع عن المدينة، وغير ذلك.

ومن أكثر اهتمامات آل كساد في بلدة الديس الشرقية، اهتمامهم بمعيان الصَّيْق، القلب النابض لمدينة الديس الشرقية، واستحوذهم على مساحات زراعية واسعة منه وأكثر الحصص من مياه المعيان، فقد اشتروا عشرات القراريط من مياه المعيان من المُلَّاك الأوائل وهم الحموم، وارتبطوا معهم بمصاهرات ومعاهدات، إذ بلغ إجمالي ما امتلكه آل كساد من معيان الصَّيْق في سنة ١٢٠٨هـ (١٢٣) قيراطاً بنسبة ٢٨، ٥٪، أي ما يقارب الثلث من إجمالي دورة مياه معيان الصَّيْق، وذلك لإدراكهم لقيمة الموارد المائية وأهمية القطاع الزراعي، باعتباره من أهم من القطاعات الاقتصادية، وذلك لما لهذا القطاع من أهمية في توفير الغذاء للسكان، وتحقيق الأمن الغذائي للمجتمع، ولكي ينهض هذا القطاع لا بد من توافر المقومات الأساسية لنموه، لتحقيق التنمية الزراعية المنشودة. ومن أهم مقومات ومتطلبات هذا القطاع مصادر الري، كما قاموا بإنشاء أكبر شبكة لتوصيل مياه الشرب والطهور من المعيان إلى جابية المحضار، ومنها لمسجدي المدينة الرئيسيين المحضار والجامع، بل سَبَّلُوا بَرَكًا وأحواضًا لشرب الحيوانات والدواب.

وقد تحصلنا على نسخة مهمة من وثيقة تنظيم الري بمعيان الصَّيْق، وهي نسخة خاصة بورثة أسرة المرحوم النقيب أحمد بن سالم بن غرامة الكسادي، المحررة في يوم الاثنين ١٩ شوال ١٢٠٨هـ، كانت هذه النسخة محفوظة لدى المشايخ آل أبي وزير، إذ كانت تحفظ الوثائق المهمة للقبائل والعسكر عند السادة والمشايخ، أهداها لي الأخ عبداللطيف محمد حوري مشكورًا، ولأهمية هذه الوثيقة؛ قمنا بهذه الدراسة الخاصة بها. وقد قسمنا الدراسة على ثلاثة مباحث على النحو الآتي:

♦ المبحث الأول: عن معيان الصَّيْق: استعرضنا فيه تاريخ المعيان وأهميته وما يتعلق به.

♦ المبحث الثاني: عن حكم الإمارة الكسادية بالديس الشرقية، ودورها في مختلف المجالات.

♦ المبحث الثالث: دراسة وتحليل وثيقة معيان الصَّيْق في عهد الإمارة الكسادية.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على مجموعة من وثائق آل كساد بالديس الشرقية، قدّمها الشيخ عوض أحمد الكسادي شيخ آل كساد، والأستاذ العزيز عبد القادر محمد الكسادي، كما اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع والتقارير والوثائق الأخرى وبعض المجلات والدوريات المحلية، والروايات الشفهية لبعض كبار السن، أهمهم الشيخ عوض أحمد الكسادي الذي بذل ما لديه من معلومات، كما أشكر الوالد سالم عمر بن عمرو والأخ سعيد عبدالله غانم، وكل من قدّم لي معلومة أو أرشدني إليها، وقد بذلت جهدي، واستنفدت طاقتي في إتمام هذه الدراسة، لكنني أعترف أنني لم أصل إلى مرحلة الكمال، لأنها صفة الله سبحانه وتعالى وحده، فأسأله التوفيق.

المبحث الأول: معيان الصَّيْق

تعريف المعيان:

يُعرّف المعيان بأنه نظام لنقل المياه من مصادرها المختلفة (بئر، نبع، حومة- بالوعات كارستية) بوساطة قنوات مفتوحة، أو أنفاق محفورة تحت سطح الأرض، مع وجود فتحات للتهوية، والإضاءة (نقب)، وتوصيل هذه المياه إلى الأراضي الزراعية، أو لاستخدامها في أغراض التنمية الريفية والحضرية المختلفة. وينتشر هذا النظام في المنطقة الممتدة من شرق مدينة المكلا إلى مناطق الريدة الشرقية، على امتداد الشريط الساحلي لمحافظة حضرموت^(١).

(١) باقحيزل، سالم عبد الله، وإبراهيم أحمد سعيد، بن غوث، محمد بن سالم (نماذج من أنظمة الري التقليدي، وطرق الحصاد المائي في محافظتي حضرموت وشبوة من اليمن ص ١٩.

تشتهر منطقة الديس الشرقية منذ القدم بوجود المعايين أو ما يُسمى بالينابيع، إذ يوجد في الديس أكثر من عشرة ينابيع، ومن أشهرها وأهمها معيان (الصَّيْق)، ومعيان (صَنْعَه)، وثوبان، وصوِير، وقرّة العين، ومعيان السادة، وغيرها، وقد وصفها المؤرخ صلاح البكري عند زيارته لها سنة ١٩٤٧م قائلاً: «وخلف المدينة غابات النخيل وحقول السمسم والذرة ترويهها ٢٥ عيناً جارية طوال العام»^(١).

والجدير بالذكر أنه توجد عدد من المعايين الكبرى الساخنة، التي تصل درجة حرارتها إلى ٦٥ درجة مئوية في بعض المناطق، ولا تتأثر تدفقات هذه المعايين بمياه الأمطار الموسمية إلا بشكل محدود، إذ ترتبط مصادر تغذيتها بدورة المياه الباطنية العميقة المرتبطة بالنشاط التكتوني الذي صاحب المراحل الأخيرة لانفتاح خليج عدن وتشكيل هضبة حضرموت، ومنها معايين الصَّيْق وصنعه وثوبان وصوِير في الديس الشرقية^(٢).

والصَّيْق من أقدم معايين الديس الشرقية وأشهرها، وتاريخه ليس محققاً، إلا أن عمره يقدر بأكثر من ٥٠٠ سنة، وقد تم تغيير قناته من نظام الأنفاق إلى نظام الساقية المكشوفة حديثاً بسبب انهيار جدرانها^(٣).

الموقع:

يقع معيان الصَّيْق في مديرية الديس الشرقية، شمال شرق مدينة الديس الشرقية، والتي تبعد مسافة ١٠٥ كليومترات تقريباً إلى الشرق من المكلا عاصمة محافظة حضرموت، وترتفع عن مستوى سطح البحر بـ (١١٧) متراً فوق مستوى سطح البحر^(٤).

(١) البكري، صلاح عبد القادر، (في جنوب الجزيرة العربية) ص ٧٢.

(٢) باقحيزل، وآخرون، مرجع سابق، ص ٢٠.

(٣) باقحيزل، وآخرون، مرجع سابق، ص ٨٥.

(٤) مؤسسة العون للتنمية وجمعية أصدقاء البيئة م/ الديس الشرقية (التقرير النهائي لورشة العمل حول الموارد المائية وجفاف معيان الصيقي) ٢٨ فبراير ٢٠١٣م، ص ٤.

اكتشاف المعيان:

تقول الروايات المحلية المتواترة عن الأجداد: إن الذي اكتشفه رجل أو امرأة من آل بحسن (الحموم)، في أثناء رعيها الأغنام، وبعد اكتشاف معيان الصَّيْق تكونت مدينة الديس الشرقية على ربوة في وسط الوادي^(١)، إذ كانت الديس الحالية منطقة خالية من السكان، وكان السكان يتركزون في المناطق الساحلية حيث البلدات القديمة في رأس باغشوة، جثمون، شرمه، خلفه، مقرة...، وكانت هناك بعض الغياض حول معيان الصَّيْق يتناوب عليها الزَّراع والشُّراح، حيث أنشؤوا لهم بعض الأكواخ من سعف النخيل ليكونوا قرييين من مزارعهم، ومن ثم استقروا وتكاثروا^(٢). إذن أقدم من سكن الديس هم أولئك الشُّراح الزَّراع الذين كانوا يحرسون تلك الغياض، ولو رجعنا إلى سوارح الشراحة لدى الحموم على تلك الغياض لوجدنا أن الحموم هم أقدم الساكنين وخاصة البحسني.

الديس هبة الصَّيْق:

إن معيان الصَّيْق عينٌ جارية و نبعٌ متدفقٌ يُروي مساحةً زراعيةً واسعةً يملكها عشرات الأهالي، و هذا النبع هبةٌ من الله تعالى، وهو الأساس الذي دفع بالناس للاستقرار حوله وتأسيس مدينتهم الزراعية معتمدين على الله ثم على خدماته وإنتاجه من التمور والحبوب والأعلاف والليم الحامض وجوز الهند والخل وكثير من الخضار والفواكه الأخرى^(٣). وإذا كانت مصر هبة النيل، فإن الديس هبة الصَّيْق، فقد تأسست مدينة الديس الشرقية في بداية القرن الخامس عشر الميلادي، واقرن تأسيس النواة الأولى للمدينة بتدفق معيان الصَّيْق، قبل حوالي ٦٠٠ سنة^(٤)، وكان سكان منطقة

(١) مؤسسة العون، مرجع سابق ص ٧.

(٢) مقابلة مع الأستاذ: أحمد كناش النموري.

(٣) مؤسسة العون للتنمية وجمعية أصدقاء البيئة م/ الديس الشرقية (التقرير النهائي لورشة العمل حول الموارد المائية وجفاف معيان الصيقي) ٢٨ فبراير ٢٠١٣ م ص ١٢.

(٤) الشيخ: عبد الله سعيد غانم.

الديس هم البدو الذين كانوا يحرقون الأرض بمعيان الصَّيْق، وخاصة قبائل الحموم، وبالأخص بيت بحسن وبيت غراب وبيت علي، فهم أوّل مَنْ سكن بأطراف الديس في عشب سعف النخيل، وعملوا دروعاً وأحواشاً لتجفيف التمور، وعملوا مرابي للاحتماء بها من هجمات الأعداء، وما زالت آثارها باقية إلى اليوم، وأشهرها دروع (بهية) قرب الخدرة والرجيدة^(١).

وكان الصَّيْق في المرتبة الثالثة بين معايين ساحل حضرموت التي يبلغ عددها حوالي ٢٩ معيائاً من حيث معدل تدفق مياهه، الذي يبلغ ٣٩،٣ لتر/ ثانية^(٢)، بعد معيائي الحرث (٨٠ ل/ ث)، والشول (٤٠ ل/ ث)، الواقعين في منطقة القارة بغيل باوزير^(٣)، وأهم خصائص مياه معيان الصَّيْق أنّه ماءٌ معدنيٌّ ساخنٌ ترتفع فيه نسبة الكبريت، وتبلغ ملوحة المياه EC 3,1^(٤).

أهمية معيان الصَّيْق:

١. مصدر المياه الرئيس لسكان الديس خلال مئات السنين: اقترن معيان الصَّيْق (العتم) - وهو الجدول الدائم الجريان منذ زمن بعيد - بنشأة مدينة الديس الشرقية باعتباره المصدر الرئيس للمياه لسكان المدينة سواء للشرب أم للزراعة أم للاغتسال أم لغير ذلك من الاستخدامات، فكان عامل جذب لكثير من الناس، ويعتقد أن الناس قد زحفوا من خلفه ليستوطنوا حول المعيان، فكان نبع الصَّيْق هو قلب الديس النابض،

(١) العفاري، عبيد عوض (لمحات من تاريخ وادي عمر الديس الشرقية ح ٢) (شركة العدد (٤) ص ٧.

(٢) مكتب وزارة الزراعة والري م/ حضرموت، مشروع التنمية الريفية بوادي حجر وساحل حضرموت.

(٣) د. باصريح، سالم عبد الله (أثر الموارد المائية في تحقيق التنمية الزراعية المستدامة في ساحل حضرموت) مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد (٥) المجلد (٩) يناير ٢٠١٥م، ص ٢٨٧ مستخلص من مكتب وزارة لزراعة والري م/ حضرموت.

(٤) باصريح، مرجع سابق ص ٢٨٦.

والذي تتدفق الحياة مع نبضاته، و كانت السواقي (العتوم) هي الشرايين التي تنقل المياه إلى كل الأراضي الزراعية المجاورة، وإلى خزان مياه الشرب والطهور، ليشرب البشر والطيور والدواب، لتدب فيها الحياة، كما أن مشروع الشيخ عبيد بسواقيه وعتومه وقصبه بمنزلة الشرايين التي تبث الحياة في كل كبد رطبة داخل المدينة وأطرافها.

٢. يُروى مساحة زراعية واسعة: ويؤكد ذلك كبر المساحة المزروعة على ضفاف وادي عمر، إذ إن حوالي ٩٠٪ من الأراضي الزراعية بالديس الشرقية تُروى من هذا المعيان المهم.

٣. مستحم ومغتسل ساخن: يستفيد من المعيان أكثر من ١٠٠٠ نسمة، وحوالي ٥٠٪ من مواطني مديرية الديس الشرقية، فهو يعد مصدر خير للسكان، فحوالي ٣٠٪ من السكان كانوا يذهبون يومياً إلى القناة الرئيسة للماء للاغتسال وإرواء الحيوانات، وسحب الماء لأعمال البناء، وكذلك للعلاج من آلام المفاصل وتضميد الجروح، وترتفع هذه النسبة لتصل إلى ٥٠٪ في أيام الشتاء، ويتزاحم الناس على طول القناة بواقع ١٠٠ شخص في الساعة طول ساعات النهار والنصف الأول من ساعات الليل^(١).

٤. يُشكّل حزاماً أخضر حول مدينة الديس الشرقية: إذ أصبح رئةً تنفس بها المدينة، وذلك نتيجة لتزاحم الأشجار التي كوَّنت مصدّات للرياح والأتربة وزيادة الأكسجين في جو المدينة^(٢).

٥. مصدر غذاء للسكان: لما ينتجه المعيان من التمور والخضار والفواكه؛ إذ تُقدَّر أصناف التمور بالمديرية بأكثر من (٣٠) صنفاً (مدير مكتب الزراعة بالمديرية

(١) مؤسسة العون للتنمية وجمعية أصدقاء البيئة م/ الديس الشرقية (التقرير النهائي لورشة العمل حول الموارد المائية وجفاف معيان الصيق) ٢٨ فبراير ٢٠١٣م ص ١٢.

(٢) رويشد، علي خميس، والغرابي، عبد الباسط سعيد (الأضرار البيئية الناجمة عن جفاف معيان الصيق). ورقة مقدّمة لورشة العمل حول الموارد المائية وجفاف معيان الصيق، المنعقدة بتاريخ ٢٠ - ٢١ فبراير ٢٠١٣م بمدينة المكلا. ص ٢.

٢٠٠٥^(١). كان الصَّيْق غابة من النخيل تُشكّل ما تقارب نسبته ٥٠٪ من أعداد النخيل بالديس الشرقية، في حين تُشكّل بقية المناطق الـ ٥٠٪ المتبقية^(٢)، وقُدّرت أعداد أشجار النخيل قبل جفاف المعيان بالمديرية بأكثر من ٢٥٠٠٠ نخلة، وتنتج هذه النخيل من التمر حوالي ١٨٠ طُنًا من التمر^(٣)، وتعد هذه الكمية بالنسبة لعدد النخيل والمساحة المزروعة قليلة جدًا إذا قُوِّبَت بإنتاجية النخيل قبل ٤٠ سنة وإنتاجية الدول الأخرى، إذ تصل إنتاجية النخلة الواحدة قبل ٤٠ عامًا تقريبًا إلى ٣٠٠ كجم من التمر، في حين يصل الآن متوسط إنتاجية النخلة الواحدة ٢٥ كيلو جرام من التمر فقط^(٤). وتأتي أهمية التمر بدرجة أساسية من أنّها من محاصيل الأمن الغذائي بالجمهورية اليمنية، كما تُزرع بالمعيان أشجار الفاكهة مثل: جوز الهند والباباي، كما يتم إنتاج الحنّاء، والبيدان، والنبق، وأجود أشجار الليم الحامض، والرَّمان، والجوافة، وغيرها^(٥)، ويعد الخلّ المُنتج من أشجار جوز الهند من أجود أنواع الخلّ بالمديرية، وكذا التبغ والبصل والبطاطا الحلوة ومحاصيل الخضار المختلفة.

٦. مصدر غذاء للماشية: اشتهر معيان الصَّيْق بزراعة البرسيم والدُّرة الرفيعة في مساحات كبيرة، إلى جانب محاصيل أخرى مثل الدُّخن والمسيبلي، والتي تستخدم أعلافًا للماشية، والتي يتناسب نموها مع مناخ المنطقة.

٧. تستخدم مياه المعيان علاجًا طبيعيًا: إذ أثبتت ذلك تجارب الاستشفاء بمياه معيان الصَّيْق الكبرى الساخنة من كثير من الأمراض كالروماتيزم الخفيف، والضغط

(١) الغرابي، عبد الباسط سعيد، (الإنتاج الزراعي وأهمية نخيل البلح بمديرية الديس الشرقية) الفعالية الشهرية الرابعة للمتدّى الجغرافي للجمعية الجغرافية اليمنية فرع حضرموت،

المنعقدة في ١ يوليو ٢٠٠٥م، ص ١٢.

(٢) الغرابي، المرجع السابق، ص ١١.

(٣) الغرابي، المرجع السابق، ص ٢.

(٤) الغرابي، المرجع السابق، ص ١١، ١٢.

(٥) مقابلة مع الدكتور عبد الله عمر باخوار.

والرضوض والكدمات، كما تستعمل النساء مياهه بعد الولادة^(١)، إذ تلجأ إليها النساء بعد النفاس يوميًا، وهناك مواقع خاصّة لاغتسال النساء، ولعددٍ من الأمراض.

٨. مصيف أيام الخريف: يقصده الناس في أيام الخريف للمصيف بعيدًا عن أجواء المدينة المكتظة بالسكان، ويمثل منتجعًا صيفيًا يجدون فيه الراحة والهدوء، وهذا ما نلاحظه من امتلاك عددٍ من الأسر القاطنة بالشحر والحامي للأراضي الزراعية بمعيان الصِّيق، مثل آل عديد وآل حبيشان والشاطري وغيرهم.

نظام الشراحة بمعيان الصِّيق:

الشراحة: هي حراسة النخيل أيام الخريف (النضج)، فكان أرباب الأموال قديمًا يُجبرون على وضع حُرّاس من القبائل على نخيلهم المثمرة الكائنة في المناطق القبلية، وإلا تعرض الثمر للسرقة، وهذا يدل على اضطراب الأمن في تلك المدة^(٢).

أمّا شرحات الصِّيق فهي مقسّمة، ومنها شرحاة بحسن، وشرحاة بن النقش في جرب الديني في الغريفة، وغيرها. ويقوم الشّراح بصد اعتداءات بعض البدو على الخريف، إذ يقوم الشّراح بمنع الناس من النزول إلى الصِّيق من بعد المغرب، باستثناء مَنْ يقومون بري الأرض، ويتجوّل الشّراح بأسلحتهم لمنع أي اعتداءات أو سرقات للخريف، ومن يُضبط متلبسًا بالسرقة يتم ربطه في إحدى النخيل إلى أن يأتي الطّبين^(٣) ليعاقبه أو يسامحه. وفي الصباح الباكر يُسمَح للناس بالدخول إلى الصِّيق، فترى الأطفال الصغار مستعدين للدخول لالتقاط الثمار المتساقطة تحت أشجار النخيل والجوّافة والرّمّان، وغيرها.

(١) باقحيزل، سالم عبد الله، وإبراهيم أحمد سعيد، بن غوث، محمد بن سالم (نماذج من أنظمة

الري التقليدي، وطرق الحصاد المائي في محافظتي حضرموت وشبوة من اليمن)، ص ٨٥.

(٢) عكاشة، محمد عبد الكريم (السلطنة القيعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت) ص ٢٣.

(٣) الطّبين: هو مالك الأرض والماء.

الحيازات الزراعية بمعين الصَّيْق (الجروب):

تُؤَقِّلَت الملكيات الزراعية ومياه معين الصَّيْق عبر الأجيال، فكان المُلَّاك الأوائل من قبائل الحموم، وما زال بعض من بيت علي إلى يومنا هذا يمتلكون نصيباً من الصَّيْق، مثل نقادي العاربة وجرب النخر وجرب بن العوش وبن شخر وغبَّاش وغيرها، كما تملَّكت الكثير من الأسر القاطنة في المديرية أغلب الأراضي، ولحصر هذه الجروب والغياض تمَّت الاستعانة بالوالد سالم عمر بن عمرو، وكانت نتيجة الحصر ما يقارب ٦٠ جروباً، منها: السليل، سليم والريضة، جرب السيد، نقدات باخبازي، جرب المخي، السرف، جرب الديني، جرب الشيبة، نقدات بحرق، جرب الذيب، الرقية، البويكرة، غيضة بيت جرير، بن سلما، جرب شماخ، العوَّار، النويدرة، البطاح، المساعيد، غيضة حبشان، غيضة عمر بن سعد، حيط باعباد، البرار، الخدرة، الحضاون، الفريضة، جرب بن العوش، السرحة، جرب بني شنين.

نظام الري بمعين الصَّيْق:

بتتبع ودراسة الوثائق القديمة الخاصة بمعين الصَّيْق يتبيَّن أنَّ دورة الصَّيْق كانت تتم خلال ثمانية أيام^(١)، وذلك في بداية القرن الثاني عشر، وفي بداية القرن الثالث عشر في عهد الإمارة الكسادية كانت الدورة تتم في تسعة أيام^(٢)، وهي عبارة عن ٤٣٢ قيراطاً، وفي القرن الثالث عشر في عهد الدولة القعيطية وبعد قيام الشيخ عبيد باشعيب ببناء خزانات وجوابي مشروع الشرب والطهور؛ اتفق المُلَّاك على إضافة يوم إلى الدورة، لتصبح عشرة أيام، وهذا اليوم أسَمَّوه (المجبرة)، وتم تقسيم الدورة على فرتين: فردة وقف لمشروع الشرب والطهور، والفردة الأخرى تؤجر، ويذهب ريعها لصيانة المعين^(٣).

(١) المصدر وثيقة تعود إلى عام ١١٠٠ هجرية، بيع ربع قيراط ماء، ذكر في الوثيقة: من أصل المعين ست عشرة فردة. أي ثمانية أيام.

(٢) المصدر: وثيقة خاصة بورثة أسرة النقيب أحمد بن سالم بن غرامة الكسادي، محررة في يوم الاثنين ١٩ شوال ١٢٠٨ هـ.

(٣) لقاء مع الوالد سالم عمر بن عمرو.

ويُطلَق على أيام الري العشر في هذا النظام أسماء معينة، وهي:

(١) مضلّي. (٢) المجبرة. (٣) السريّة. (٤) الصَّيْق ابن قرنج. (٥) النخر. (٦) بن شخر. (٧) طلوع الهجر. (٨) الغدير (بن العوش). (٩) جرب النخر (نخر بن العوش). (١٠) معيانين مصكصك.

يعتمد معيان الصَّيْق بالديس الشرقية على نظام الري بالقراريط والفرد، إذ إنّ عدد الفرد في المعيان ٢٠ فردة، والفردة الواحدة تساوي ٢٤ قيراطاً، وعدد القراريط في المعيان ٤٨٠ قيراطاً، ويقسم اليوم على فرتين، والفردة (سقي يوم أو ليلة)، وهي كمية تدفق المياه من المعيان إلى الأرض الزراعية خلال يوم أو ليلة، (اليوم من شروق الشمس إلى غروبها، واللييلة من غروب الشمس إلى شروقها)^(١). أي إن الفردة هي المدة التي يتم فيها ري الأرض لمدة ١٢ ساعة، وكل قيراط نصف ساعة، ويقسم القيراط إلى ٢٤ حمبصة، وكل حمبصة دقيقة وربع (١ ¼ دقيقة). والجدول الآتي يبين توزيع الماء بالقيراط حسب الحيازات الأرضية في معيان الصَّيْق^(٢):

اسم المالك	عدد القراريط
بيت جنيد	٤٦
بيت باخوّر	٤١
الأوقاف	٣٦
بيت شنين	٣٠
بيت شمّاخ	٢٤

(١) باقحيزل، سالم عبد الله، وإبراهيم أحمد سعيد، بن غوث، محمد بن سالم (نماذج من أنظمة الري التقليدي، وطرق الحصاد المائي في محافظتي حضرموت وشبوة من اليمن)، ص ٤٠.

(٢) رويشد، علي خميس، والغرابي عبد الباسط سعيد (الأضرار البيئية الناجمة عن جفاف معيان الصيقي) ورقة مقدمة لورشة العمل حول الموارد المائية وجفاف معيان الصيقي، المنعقدة بتاريخ ٢٠ - ٢١ فبراير ٢٠١٣م بمدينة المكلا.

١٩	البويكرة
١٨	بيت غانم
١٦	بيت كساد
١٤	بيت باغشوة
١٣	بيت بامسعود
١٣	بن عمرو
٩	بيت حداد
٩	غیضة عمر بن سعد
٨	سالم يحيى
٨	بيت باشعيب
٧	بيت هبير
٧	بيت شريم
٧	الثماون
٧	بيت حسن
١٦٩	عدد من الأسر تتراوح ملكيتها بين (٢ و ٦ قرارات)
٤٨٠ قيراطاً	الإجمالي

جفاف معين الصَّيق:

تعرضت منطقة الدير الشرقية وضواحيها قبل حوالي خمس عشرة سنة إلى موجة من الجفاف تسببت في ضعف مياه العيون، وتعرضت بعض العيون للجفاف الكامل مثل عين الميزاع (بمنطقة يضغط)، والعطية، وقرّة العين، وصنّعة، وانخفاض منسوب المياه في كثير من العيون الأخرى.

وظهرت بواذر الجفاف في معيان الصَّيْق منذ عام ٢٠٠٧م، وقد أدركت جميع الجهات خطورة الوضع، خاصة وأن الحقل الذي في منطقة هبورك الذي يستخدم للشرب، ويضخ المياه بكميات كبيرة، لا يبعد عن الصَّيْق أكثر من ٩٠٠ متر، وتدرجياً بدأ المعيان في الجفاف. وشمل الجفاف أكثر من ٧٠٪ من أشجار النخيل وبقية الأشجار المثمرة وتعرضت البيئة إلى كارثة كبيرة، ونقص الماء في المعيان من ٢٦ لتراً في الثانية تدرجياً حتى بلغ ٥ لترات في الثانية^(١)، وتشرد الفلاحون والمُلاك وعكس ذلك على الوضع الاقتصادي لأسرهم^(٢).

وفي عام ٢٠١٠م شكَّلت لجنة للإنقاذ، وتم شراء مضخة تعمل بالديزل، ولكن لعدم تمكن المُلاك من توفير تكاليف التشغيل ووضع رسوم واضحة لإدارة المعيان؛ توقفت العين عن العطاء تدرجياً، كما أن الأمطار والسيول التي حصلت في عام ٢٠٠٨م ألحقت أضراراً بليغةً بالعين وبالقنوات، فأصبحت القنوات مليئةً بالأتربة وأكياس البلاستيك وغيرها، وبدأت أطراف المعيان تتصحّر تدرجياً، عندئذ أصبحت الأراضي غير قادرة على الزراعة، مما أدّى إلى نزوح الفلاحين من هذه الأراضي الزراعية، وبحكم الحالة البائسة للملاك لم يستطيعوا عمل أي شيء.

وحالياً يُدار المعيان بطريقة غير مفهومة من قِبَل بعض الفلاحين والمُلاك، ولا يوجد أي نظام إداري ومالي ينظم هذا العمل، ويعتمد هؤلاء على الهبات التي تأتيهم من المحسنين، وقليلًا ما تأتيهم هذه الهبات.

استطاع المُلاك بتعاون بعض الجهات الاستفادة من المياه التي تخرج من فوهة البئر لري بعض الأراضي القريبة، إذ تصدر هذه المياه بمعدل ٥ لترات في الثانية، وتتسرب

(١) باخوار، عبد الله عمر (إعادة تأهيل معيان الصيقي). الهيئة العامة للبحوث والإرشاد الزراعي، ورقة مقدمة لورشة العمل حول الموارد المائية وجفاف معيان الصيقي، المنعقدة بمدينة المكلا بتاريخ ٢٠ و٢١ فبراير ٢٠١٣م، ص ٢.

(٢) مؤسسة العون للتنمية وجمعية أصدقاء البيئة م/ الديس الشرقية (التقرير النهائي لورشة العمل حول الموارد المائية وجفاف معيان الصيقي) ٢٨ فبراير ٢٠١٣م ص ١٢.

عند حركتها، ولا تستخدم لري كل الأراضي، ومن ثمَّ خسرت المديرية آلاف النخيل والمزروعات الأخرى.

المبحث الثاني: الديس تحت حكم آل كساد في القرن الثالث عشر

تعد الإمارة الكسادية أول إمارة يافعية تقوم في حضرموت، وهي أطول الكيانات السياسية اليافعية عُمرًا، إذ استمرت مائة وثمانين عامًا (١١١٥ - ١٢٩٩هـ/ ١٧٠٣ - ١٨٨١م)^(١).

أثر مكتب الكسادي بالديس الشرقية في تأسيس الإمارة الكسادية:

تذكر الروايات أنَّ آل كساد يتكونون من أسرتين، إحداهما أسرة النقيب أحمد بن صلاح الكسادي، وكان مقرها قرية الحامي، والأخرى مقرها قرية الديس، ومن بين الكساديين المقيمين في قرية الديس ظهر سالم بن صلاح رُبَّانًا لسفينة شراعية، وأخذ يتردد على ميناء المكلا للتجارة، وطابت له المكلا والإقامة بها، فاتَّخذها مستقرًا له، وكان محبوبًا لدى سكانها، وجاء بعده ابنه أحمد فأنشأ الإمارة الكسادية بالمكلا سنة ١١١٥هـ/ ١٧٠٢م، وهي أول إمارة يافعية تُقام في حضرموت^(٢).

وفي هذه المدة التي تأسست فيها الإمارة الكسادية بالمكلا ظلَّ آل كساد بالديس والحامي جزءًا من الحاميات التي يتكون منها جيش الدولة الكثيرة، وكانت الحامية الكثيرة بالديس الشرقية تتمركز في حصن الجلاّدي، وهو حصن قديم بناه آل الجلاّدي، وهم من مكتب كلد اليافعي، ومن المعروف أنَّ آل كلد^(٣) من أقدم القبائل

(١) مرجان، سامي ناصر، الإمارة الكسادية في حضرموت، دار الوفاق، الطبعة الأولى ٢٠١٢م، ص ١٣.

(٢) عكاشة، محمد عبد الكريم (قيام السلطنة القيعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت ١٨٣٩ - ١٩١٨م، ص ٣٧، نقلًا عن علوي بن طاهر الحداد (الشامل...)، ص ١١٧.

(٣) كان آل كلد جنودًا للسلطان المسعود الأيوبي في عدن، إلا أنهم استأثروا بالحكم من دونه، ولم ينفادوا له، مما جعله يغادر مدينة عدن خوفًا منهم، وقد رفضوا قبول الحكم الطاهري في عدن، في حين رحب آل أحمد بن علي بالطاهريين، وتعاونوا معهم في السيطرة على عدن.

اليافعية التي قدمت إلى حضرموت في عام (٨٥٨ هـ / ١٤٥٤ م) بزعامة الشيخ مبارك الكلدي إثر خصومة وحرب مع إخوانهم في عدن عندما دخلها المجاهد شمس الدين بن علي الطاهري^(١). وتذكر المصادر التاريخية أنه في سنة ١١٢٣ هـ وصل السلطان عمر بن جعفر الكثيري ومعه بعض من يافع إلى بندر الشحر وخرجوا إلى الديس، وأخذوا إلى المشقاص^(٢). وهذا يعني أن الديس ما زالت تحت نفوذ الدولة الكثيرة في هذا التاريخ، وأن الإمارة الكسادية قامت في المكلا سنة ١١١٥ هـ والديس ما زالت تحت نفوذ الدولة الكثيرة، وهو نفوذ شكلي. وبعد سقوط الدولة الكثيرة، أصبحت الديس تحت حكم أسرة آل بن غرامة الكسادي أبناء عمومة آل الكسادي الذين حكموا الحامي والذين كانوا جزءاً من الحاميات التي يتكوّن منها جيش الدولة الكثيرة^(٣). وبذلك امتدت الإمارة الكسادية من شرق ميناء شرمة والديس الشرقية والحامي إلى ميناء بروم، ما عدا ميناء الشحر الذي كان خاضعاً لسلطة إمارة آل بريك، بالإضافة إلى امتداد الإمارة الكسادية إلى دوعن.

ارتباط آل كساد بالسكان المحليين وخاصة الحموم والانصهار معهم:

ارتبط آل كساد بالسكان المحليين بعلاقات ود ومصاهرة، حيث تزوج جد آل كساد عبد الله عبد الكريم بن غرامة الكسادي حسينة بنت عبود بن علي العلي، وأم حسينة ترجع من آل بن خوار الكثيري، وتزوج ابنه حسن عبد الله بن غرامة الكسادي عند بيت علي أيضاً، تزوج سلمى بنت هادي العلي^(٤). وهذه المصاهرة وغيرها اختلطت دماء آل كساد بدماء الحموم، بل اختلطت دماء يافع بالحموم، فكانت التحالفات والنصرة فيما بينهم عند اشتداد الملمات.

(١) الحامد: صالح بن علي، تاريخ حضرموت ج ٢، مكتبة الإرشاد، صنعاء ٢٠٠٣ ص ٥٧١، ٥٧٢.

(٢) ابن حميد الكندي، سالم بن محمد (العدة المفيدة...) المجلد ١، ص ٢٩٥.

(٣) ناصر، سامي مرجان (الإمارة الكسادية في حضرموت)، دار الوفاق ط ١، ص ٨١ - ٨٢.

(٤) مقابلة مع عبد القادر محمد الكسادي، بتاريخ ١ / ١ / ٢٠١٣ م.

الديس الشرقية في القرن الثالث عشر الهجري:

خلال هذه المدة شهدت الديس الشرقية حالة من الاستقرار السياسي النسبي، وانتعاشاً اقتصادياً تمثل في انتعاش التجارة البحرية، وازدياد حركة السفن والبضائع في مينائي شرمة والقرن، وكذا شهدت انتعاشاً في المجال الزراعي، إذ تم استصلاح بعض الأراضي الزراعية، وتنظيم الري في الحيازات الزراعية المشتركة في بعض المعايين، ومنها معيان الصيقي، ووضع أنظمة للبحر، تنظم أمور الموانئ من حراسة السفن والجدوح والضرائب على البضائع القائمة^(١)، كما شهدت الديس آنذاك هجرات وافدة من مناطق مختلفة، وازداد عدد العبيد؛ نتيجةً لرواج تجارة العبيد، وامتلاك كثير من الأسر من السادة والمشايخ والقبائل والعسكر وبعض التجار للعبيد الذين يتم استخدامهم للعمل في الزراعة أو للعمل جنوداً وعسكرياً لحماية الأسر الكبيرة أو القبائل، وكذا استخدامهم خدماً في المنازل.

ومن أشهر حُكَّام الديس الشرقية في القرن الثالث عشر عهد الإمارة الكسادية النقيب أحمد بن عوض بن غرامة الكسادي، الذي كان يحكم حصن آل كساد سنة ١٢١٢هـ^(٢)، وهي المدة التي كُتِبَتْ فيها وثيقة تنظيم الري بمعيان الصيقي الخاصة بالأسرة الكسادية.

وقد حاول آل كساد في هذه المدة وَضْعَ أُسُسٍ وقواعد للدولة كنظام سياسي واجتماعي واقتصادي، وبنوا المساجد، وأوقفوا الأوقاف الجزيلة عليها، وقاموا بتوصيل مياه الشرب والطهور إلى المساجد الرئيسية، وبنوا الخزانات والجواري لتجميع هذه المياه؛ حتى يستفيد منها كل الناس. وسنفصل ذلك في الأسطر الآتية.

(١) توجد وثائق عن إعفاء بعض القبائل من العشور خلال مدة الإمارة الكسادية، ومن هؤلاء آل إسحاق والسباعي.

(٢) وثيقة آل جميع طلب قطعة أرض لبناء بيت في الخلعة من النقيب أحمد عوض الكسادي في ١٥ رجب ١٢١٢هـ، وأعطاهم إياها.

أهم المظاهر الحضارية للأسرة الكسادية بالديس الشرقية : أولاً: المجال الاجتماعي والإنساني:

١) إنشاء أول شبكة لمياه الشرب والطهور بمدينة الديس الشرقية:

بل ولشرب الحيوانات (الحمير والمواشي) لاعتمادهم عليها في تنقلاتهم ونقل البضائع والمنتجات الزراعية، فقد قام النقيب أحمد بن سالم بن غرامة الكسادي ببناء شبكة تمتد من عين الصَّيْق إلى موقع يُسمَّى (حصاة يعقوب) في الجهة الشمالية من المعيان، إذ تم حفر قناة خاصة ومنفصلة عن عتم معيان الصَّيْق باتجاه الجهة الجنوبية، ثم تنحني إلى الجهة الغربية مارّةً بجوار جوانبي النساء عند كوت الغدير سابقاً، متجهةً إلى مكان يُسمَّى قارة (الخدره) بالرجيدة، ثم تمتد القناة إلى الجهة الجنوبية عبر قنطرة ارتفاعها حوالي ٦ أمتار حتى وصولها إلى الجابية الشرقية القديمة (جابية المحضار)، والتي قام المتصدق أحمد بن سالم الكسادي ببنائها لحفظ مياه الشرب والطهور لمسجد محضار^(١)، ثم في مدّة لاحقة مُدّت قناة مجصّصة إلى مسجد النور ثم إلى مسجد الجامع، كما بُنيت بركة بجانب جابية محضار لشرب الحيوانات، إذ كان البدو (الجمّالة) يُنيخون جمالهم ويحطّون رحالهم بجانب المسجد، عند مزار (الشيخة غيدة)، ويُسمّى هذا المحط بالصروم، حيث الماء متوافر لشرب حيواناتهم، ومن هذا المكان ينطلق البدو إلى السوق للتسوق، وينطلقون بعد ذلك إلى ميناء شرمه لنقل البضائع التي تصل عبر البحر إلى المناطق الأخرى^(٢).

ثانياً: المجال الدعوي والإرشادي:

١) الاهتمام بتشييد المساجد والإنفاق والوقف عليها:

اهتم آل كساد بالدعوة إلى الله، وذلك من خلال بناء المساجد والإنفاق عليها وتوقيف الأوقاف عليها، وأهم المساجد التي شيدها آل كساد أو أسهموا في تشييدها المساجد الآتية:

(١) المصدر: عبد الله حسين الطفي.

(٢) المصدر: الشيخ عوض أحمد الكسادي، بتاريخ ٢٩ / ١٠ / ٢٠١٩ م.

أ. جامع المحضار: وهو أول جامع بمدينة الدير الشرقية، كان في البداية مُصَلًّى تمر بجانبه ساقية معين الصَّيْق التي يتوضأ النَّاس منها، ثم بناه النقيب أحمد بن سالم بن غرامة الكسادي جد آل كساد^(١)، وتصدَّق عليه بالماء للشرب والطهور، وقد أوقف على المسجد الأوقاف الجزيلة من ماء وزراعة، لتدرَّ على المسجد ما يفي بنفقات الإنارة والنظافة وأجرة المُعَلِّم (الإمام)، وبنى الجانية الشرقية بجانب المسجد للشرب والطهور^(٢).

ب. مسجد الجامع: أسسه النقيب عبد الله بن عمر بن عبد الله بن سالم بن غرامة الكسادي، الذي كان في الهند، في منتصف القرن الثالث عشر الهجري، وقد اهتم به آل كساد اهتماماً كبيراً، وأوقفوا له الأوقاف الجزيلة، ومن آل كساد الذين قدَّموا أوقافاً للجامع: عبد الله بن عمر الكسادي (المؤسس)، وعبد الكريم وسعد ابنا عمر بن سعد بن غرامة الكسادي، وكان تاريخ حُجَّة الوقف ٤ / ٢ / ١٢٥٩ هـ^(٣)، وهي أقدم حُجَّة لوقف الجامع.

وقد قام المؤسس عبد الله بن عمر بتوكيل الشيخ عوض بن محمد بن عبد الله باوزير بإدارة شؤون المسجد، واستلام الإيجارات لتسديد صرفيات المسجد، وجعل مُعَلِّماً للمسجد سعيد بن محمد بن عمر العماري للقيام بالصلوات الخمس والأذان وخطبة وصلاة الجمعة وصلاة الجمعة والعيد، وصلاة التراويح في رمضان، وصلاة الكسوفين، وتكنيس الفرش عند الحاجة، وشراء القاز والسليط للإضاءة في أوقات الحزب المغرب والصباح، والقهوة في رمضان، ودفع أجرة الساني الذي يقوم برفع الماء من البئر، إلخ^(٤).

(١) مقابلة مع عبد القادر محمد الكسادي، بتاريخ ١ / ١ / ٢٠١٣ م.

(٢) المصدر: الشيخ عوض أحمد الكسادي، بتاريخ ٢٩ / ١٠ / ٢٠١٩ م.

(٣) مكتب الأوقاف والإرشاد / الدير الشرقية، ملف مسجد الجامع.

(٤) وثيقة مسجد الجامع المؤرخة في سنة ١٢٨٧ هـ.

- ج. مسجد النور: أنشأه عبد الله بن عمر بن غرامة الكسادي.
 د. مسجد الرجيدة: وله أوقاف من آل كساد من زراعة وماء.
 هـ. مسجد أحمد علي: قام بينائه النقيب محفوظ بن عوض بن غرامة الكسادي.
 (٢) إنشاء رباط الحضارم بمكة المكرمة:

أنشأه رجل الخير والإحسان الشيخ عبد الله بن عمر بن غرامة الكسادي رحمه الله، وكان يقوم بسفريات متكررة إلى مكة المكرمة لأداء الحج والعمرة، واختار مكان الرباط ليكون بالقرب من الحرم المكي، وعند توسعة الحرم المكي قام بإدخاله ضمن التوسعة، وقام بعد ذلك ببناء رباط آخر في شُعب عامر في مكة بدلاً من الرباط السابق، وجعل عليه شخصاً من آل الشيخ للقيام بإدارته.

ثالثاً: المجال السياسي والعسكري:

- (١) إقامة التحالفات مع القبائل: ومن هذه التحالفات:
 أ. حلف بين آل غرامة الكسادي وآل وعيل السباعي سنة ١١٩٠هـ، على كفاية الضرر مقربين الخير لبعضهم لبعض ومباعدن الشر عن بعضهم لبعض^(١).
 ب. حلف عام ١١٩٤هـ بين آل غرامة الكسادي وآل بريك:
 كان هذا الحلف في سلخ شوال عام ١١٩٤هـ، بين آل بريك وحلفائهم ومن يصلحون ويبيعون عليه، وبين أحمد بن سالم بن غرامة الكسادي وعياله وعبيده، وكان هذا الحلف كما جاء فيه: "على الطيب والنقاء، والصدق والوفاء، حلف الدم يقضي بالدم، وأنهما إخوة بعضهم لبعض، معرضين الخير لبعضهم لبعض، ومباعدن الشر عن بعضهم لبعض، والحلف إرث ماروث، لمّا يشيب الغراب ويفنى التراب...".
 وجاء في الحلف: "إن أحمد بن سالم قاطع مقطوع من أصل بريك، ولا له تقديم ولا تأخير بحال إلا بالشورى، والرأي لأهل بريك، ولكل من قرّبه أحمد بن سالم من

(١) صورة من الحلف بين آل غرامة وآل وعيل سنة ١١٩٠هـ.

آل كساد الديس، وبا يدخل فيما دخل فيه أحمد بن سالم من ثقل أو خف، وأهل بريك متقبلينه من خلاف عبد الله بن سالم بن غرامة، إلا إذا أعطى الحق وما وجب عليه عند من يطلبونه". ويبدو أنَّ هذا الحلف ضد النقيب صلاح، ويستهدف احتلال المكلا والسيطرة عليها من قبل آل بريك.

(٢) بناء القلاع والحصون:

اهتم آل كساد ببناء الحصون والقلاع لحماية مقر سلطتهم، وحماية مدينة الديس، وحماية الطريق الحيوي بين ميناء القرن ومدينة الديس، ومن حصونهم:

أ. حصن آل غرامة الكسادي: حاليًا محل بيت صلاح أحمد بن علي الحاج الحوثري ومحمد عيسى عبود العفاري، هذا المكان كان به حصن آل غرامة الكسادي، ومساحته حوالي ثمانية مساقط^(١)، ويتكون الحصن من طابقين، وبه أربع معصورات في أركانه الأربعة، و كان يوجد به بئر وجابية^(٢)، ويقال إنَّ هناك نفقًا تحت الأرض من هذا الحصن إلى حصن العيننة^(٣)، وعند سقوط الإمارة الكسادية استولى عليه القعيطي، ثم اشتراه حسين سعد الطفي من الدولة القعيطية، وظلَّ حوشًا، ثم باع منه الأربعة المساقط القبيلة لمحمد عيسى العفاري، والأربعة المساقط الشرقية لصلاح أحمد بن علي الحاج^(٤)، وكان أمامه من جهة الغرب ساحة كبيرة^(٥).

كوت جنوب قارة العيننة: وهو كوت قديم يقع في الجهة الجنوبية من قارة العيننة، بناه النقيب ناجي بن عمر بن عبد الله بن غرامة الكسادي في القرن الثالث عشر الهجري (كان يعيش سنة ١٢٥٤ هـ)، وأهمية هذا الكوت تنبع من أنَّه كان موقع دفاع عن الديس،

(١) المسقط: وحدة لقياس عرض المنازل، وتساوي حوالي ١٢ قدمًا، ويساوي ضيقة سراب.

(٢) الجابية: حوض لتجميع المياه.

(٣) المصدر: علي محمد الطفي، بتاريخ ٢٥ / ١ / ٢٠١٩ م.

(٤) عبد الحافظ صلاح الحوثري، بتاريخ ٣ / ٤ / ٢٠١٣ م.

(٥) أحمد سعد باخبازي.

إذ يسيطر على جهات الديس الأربع، وكانوا يرددون عند البناء هذه الأرجوزة:
سلام ألفين يا حصن مبني فوق قارّه واللي قاموك شُبَّان وعيال الثَّماره
وناجي بن عمر ما يعوّل عالخساره^(١)

وتوضح هذه الأرجوزة أن الذين شاركوا في بناء الحصن هم شباب ورجال النمارة، والنمارة هم فخذ من بني هلال يقطن جردان، وينقسمون على خمس قبائل كبيرة: آل بن حسن، وآل بن عاطف، وآل الأخضر، وآل ضبَّاب، وآل سريع، ويتفرع منهم بيوت كثيرة (ارجع للنخبي)، وينتمي إليهم (آل نمير)، وهم اليوم يُعرَفون بـ (النموري)، ومركز وجودهم حاليًا قرية (يضاغت)، ومن المناطق التي كانت تحت حيازتهم منطقة العارة وما حولها والتي بُني فيها هذا الحصن، وما زال أساس هذا الحصن ماثلاً للعيان إلى يوم الناس هذا.

حصن القرن: عند قبر النُّغْب^(٢)، باتجاه البحر، وقد اندثر، وكان يستعمل في حراسة الطريق إلى الميناء في عهد الإمارة الكسادية^(٣).

رابعاً: المجال الملاحي والتجاري لآل كساد بالديس الشرقية:

كان ميناء شرمة هو الميناء الرئيس لآل كساد بالديس الشرقية، الذين اشتهروا بحبهم للملاحة والتجارة البحرية، وكان بعضُ منهم يمتلكون عددًا من السفن الشراعية التجارية، ومن نواخذ آل كساد في القرن الحادي عشر الهجري بالديس

(١) مقابلة مع عوض أحمد الكسادي أخي ناجي، بتاريخ ١٣/٩/٢٠١٢ م.

(٢) قبر النُّغْب: هناك أسطورة متداولة تقول: إن امرأة أجنبية جاءت من البحر من ناحية القرن، جاءت لحرق البلاد، وقام بعض الناس بردها عن البلاد وقتلها في ذلك الموقع (قبر النُّغْب)، فأصبح كل إنسان قادم أو آت من القرن يرمي القبر بعدد من الحصا. ويُعتقد أنَّ القبر لباحثة أوروبية كانت تقوم بزيارة للمنطقة، فتم رجمها بالحجارة اعتقادًا من الأهالي بأنها ستحرق البلد. ويُحتمل أنَّ هذا القبر من قبور ما قبل الإسلام والتي تُعرف بالقبور الركامية، إذ كانت تُمارَس طقوس الدوران حول القبور القديمة ورجمها.

(٣) مقابلة مع عبد القادر محمد الكسادي، بتاريخ ١/١/٢٠١٣ م.

الشرقية الناخوذة سالم بن صلاح الكسادي، الذي كان يتردد بسفينته على المكلا للأغراض التجارية حتى طابت له الإقامة بها والاستقرار فيها، ولا سيما أنه كان محبوباً بين الناس، وبعد وفاته تمكن ابنه أحمد من إنشاء الإمارة الكسادية فيها عام ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م، وهي أول إمارة يافعية تُقام في حضرموت^(١)، ومن نواخيد آل كساد في القرن الثالث عشر بالديس أيضاً الناخوذة عبدالله بن عمر بن غرامة الكسادي، وأخوه ناجي بن عمر، واشتهروا بالملاحة والتجارة، وكانوا يملكون عدداً من السفن الشراعية (أسطولاً) يدرّ عليهم الأموال^(٢)، ومن نواخيد آل كساد بالديس أيضاً الناخوذة سالم بن علي بن محسن بن مجحم الكسادي الذي كان يتناوب على أحد السفن مع الناخوذة عبد الرحيم بن عمر حوري باوزير سنةً بسنةً لكل منهما قبل عام ١٢٧١هـ، وهذا السنبوق شراكة بين آل حوري وآل كساد^(٣)، والناخوذة عبدالله عبدالكريم بن غرامة الكسادي كان من كبار النواخيد، وكان له مدفع فوق السنبوق، فعندما يدخل ميناء القرن أو شرمة يضرب بالمدفع^(٤).

وقد كان آل الكسادي مُولعين بالملاحة البحرية وذوي خبرة كبيرة فيها وفي الاصطياد البحري، وبفضل خبراتهم وبذلهم وعطائهم استطاعوا أن يُحوّلوا قرية الخيصة (المكلا) إلى مدينة ساحلية وميناء رئيس على ساحل حضرموت يُنافس ميناء الشحر الذي كان يعد الميناء الرئيس في ساحل حضرموت آنذاك.

وقد كانت التجارة نشطة مع شرق إفريقيا على طول الساحل الشرقي من زنجبار جنوباً حتى السودان شمالاً، وقد كان السكان يستوردون ما كان ينقصهم من المواد

(١) بامطرف، محمد عبد القادر، (المختصر في تاريخ حضرموت العام)، ص ١٠٨.

(٢) الشيخ عوض أحمد الكسادي.

(٣) اتفاقية شراكة بين الناخوذة سالم بن علي محسن بن مجحم الكسادي والناخوذة عبد الرحيم بن عمر حوري باوزير سنة ١٢٧١هـ.

(٤) علي صالح الكسادي ٢٠/١١/٢٠١١م.

الغذائية من هذه البلدان، كما كانت هناك علاقات تجارية مع سواحل الخليج ونسبياً مع الهند.

أهم الأحداث الكبرى التي شهدتها الديس الشرقية في عهد آل كساد القرن الثالث عشر:

◆ شهدت الديس الشرقية في عهد الإمارة الكسادية سنة ١٢٢١هـ هزيمة حملة إسحاق بن عمر بن يحيى باعلوي الذي رسا بسفنه في ميناء شرمه، ثم توجه برجاله إلى الديس بعد أن انضم إليه جماعة من الحموم، فقابلتهم حامية الديس من آل غرامة وعبيدهم، فانهمزوا شرَّ هزيمة، وهرب إسحاق إلى جدة^(١).

◆ شهدت الديس الشرقية في عهد الإمارة الكسادية هزيمة الحملة التركية على سواحل شرمه، فيما يعرف بحادثة (مير) سنة ١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م، والتي كانت مهمتها أن تسهل احتلال الكثيري للشحر والمكلا^(٢). وقد بدأت الحملة التركية أعمالها باحتلال بندر بروم، فاستنجد الكسادي مولى المكلا بالبريكي مولى الشحر، فقامت القوة الكسادية البريكية المشتركة بهجوم مضاد على الأتراك في بروم، فأجلتهم عنها، فشنت العواصف الرعدية السفن التركية، فانسحب رجالها إلى شرمه لإصلاح ما طرأ عليها من عطب، وتابع آل بريك وإخوتهم آل كساد الزحف إلى شرمه مطاردين الأتراك، فمزقوا الأسطول التركي ورجالَه، واتخذت بعض السفن التركية التي نجت من الهجوم المشترك الكسادي البريكي سبيلها إلى أعالي البحار^(٣).

(١) راجع تاريخ حضرموت السياسي صلاح البكري، ج ١ ص ١١٧.

(٢) بامطرف، محمد عبد القادر (في سبيل الحكم)، ص ٢٦.

(٣) بامطرف، المرجع السابق، ص ٢٦، ص ٢٧.

المبحث الثالث: دراسة وثيقة معين الصَّيق:



صورة من الوثيقة موضوع الدراسة

نص وثيقة الصَّيْق:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- لَمَّا كَانَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ١٩ فِي شَهْرِ شَوَّالِ سَنَةِ ١٢٠٨ هـ، بَيَانُ تَعْيِينِ مَعْيَانِ الصَّيْقِ
١. الْفَرْدُ أَوَّلُ بُوْدِي فَرْدَةٍ^(١) فِي الصَّيْقِ، مِنْهَا رُبْعُ فَرْدَةٍ لِبَيْتِ غَانَمٍ^(٢)، وَفَرْدَةٌ إِلَّا رُبْعَ يَعْجَزِ قِيْرَاطٍ^(٣) عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ سَالِمٍ^(٤)، وَالْقِيْرَاطُ عِنْدَ بَيْتِ هَيَّامٍ^(٥).
 ٢. وَفَرْدَةٌ فِي الصَّيْقِ فِي الْمَشْرُوكِ^(٦)، مِنْهَا رُبْعُ فَرْدَةٍ لِعِيَالِ سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَبَيْتِ غَانَمٍ، وَفَرْدَةٌ إِلَّا رُبْعَ حَبِيشَانَ وَشِرْكَاهُ مُطَّرَ بْنَ سَكْرَانَ^(٧)، وَتَوَابِعُهُمْ.
 ٣. لِحَقِّ^(٨) الْهَابِطَةِ، مِنَ الصَّيْقِ اللَّيْلِ، نِصْفُ فَرْدَةٍ عِنْدَ بَيْتِ غَانَمٍ، وَنِصْفُ فَرْدَةٍ فِي جَرَبِ النَّخْرِ.
 ٤. نَهَارٌ فِي الشَّرْقِ نِصْفُ فَرْدَةٍ عِنْدَ عِيَالِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَالِمٍ، وَرُبْعُ فَرْدَةٍ جَرَبِ بَنِي شَنِينِ أَحْمَدَ بْنِ سَالِمٍ، وَرُبْعُ فَرْدَةٍ عِنْدَ حَبِيشَانَ.
 ٥. لَيْلَةُ الثَّانِيَةِ مِنَ الصَّيْقِ نِصْفُ فَرْدَةٍ مِنْهَا: رُبْعُ فَرْدَةٍ عِنْدَ بَنِ نَخْرٍ، وَبَنِ الْعَرَبِ أَرْبَعَةَ قَرَارِيْطٍ، وَحَيْطُ غُوْثِ قِيْرَاطِيْنَ، وَعِنْدَ بَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ثَمَنَ فَرْدَةٍ،
-
- (١) بُوْدِي فَرْدَةٍ: أَيُّ أَوَّلِ فَرْدَةٍ، وَالْفَرْدَةُ هِيَ سَقْيُ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ، أَيُّ السَّقْيِ بِالْمَاءِ لِمُدَّةِ ١٢ سَاعَةٍ.
- (٢) بَيْتُ غَانَمٍ: مِنْ أَقْدَمِ الْأَسْرِ الَّتِي سَكَنْتِ الدِّيْسَ الشَّرْقِيَّةَ، وَالَّتِي نَزَحَتْ مِنْ مِيْنَاءِ خَلْفَةٍ، يَرْجِعُ نَسَبُهُمْ إِلَى قَبِيْلَةِ كَنْدَةَ.
- (٣) يَعْجَزُ قِيْرَاطٍ: أَيُّ نَاقِصَةِ قِيْرَاطٍ.
- (٤) أَحْمَدُ بْنُ سَالِمٍ: هُوَ النَّقِيبُ أَحْمَدُ بْنُ سَالِمٍ بْنِ غَرَامَةِ الْكَسَادِيِّ.
- (٥) بَيْتُ هَيَّامٍ: مِنْ بَيْتِ وَعِيْلِ السَّبَاعِيِّ.
- (٦) الْمَشْرُوكُ: اسْمُ مَوْضِعٍ.
- (٧) مُطَّرَ بْنُ سَكْرَانَ: اسْمُ مَوْضِعٍ لِأَرْضٍ زُرَاعِيَّةٍ، وَبَنُ سَكْرَانَ هُوَ صَاحِبُ هَذِهِ الْأَرْضِ (الْمَطَرِ)، وَهُوَ مِنْ بَيْتِ غَرَابٍ.
- (٨) لِحَقِّ: أَيُّ يَتْبَعُ.

وعند بن بطاح ثمن فردة، وعند بيت غانم ربع فردة في الفريطحة.

٦. وفي الثالثة من الصَّيْقُ النهار نقداً السيد سالم ربع فردة، وعند سعد بن عبود ثمن فردة، وعند عيديد ثمن فردة في صقرة برجمي^(١)، وعند عمرو بن شخر نصف فردة، ونخل بن زياد، مج^(٢) فردة.

٧. لحق الثالثة في الليل فردة: عند الشنيني خمسة قراريط، وعند بن حميد خمسة قراريط، وقيراطين بيت غانم، وربع فردة عند مصاقع^(٣)، وربع فردة عند باغشوة.

٨. وفي الثالثة النهار فردة: عند الشاطري ربع فردة وقيراط، وعند عمر بن سعد ابن غرامة أربعة قراريط في الريدة، ونصف فردة وقيراط عند عيال سعد بن غرامة.

٩. لحق في الرابعة في الليل المغاب ربع فردة عند عيال سعد بن غرامة، وعند أحمد بن سالم ربع فردة، وعند عيال سالم بن شماخ ربع فردة، وربع فردة الديني.

١٠. وفي الرابعة النهار فردة منها: بن جرير ربع فردة وقيراط، ثمن فردة بن سلما باغويطة، وقيراطين لأحمد بن سالم، وبن بطاح ربع فردة، الغدير ربع فردة.

١١. وفي الهابطة من الغريفة الليل: نصف فردة عند عيال عبد الله بن سالم بن غرامة، وعند بن حويصل^(٤) ربع فردة، وعند حبيشان ربع فردة.

(١) صقرة برجمي: هكذا وردت في الوثيقة، ولعلها تصحيف لبرار بن جميل، والبرار هي الأرض المنبسطة، والصقرة وهي تربة لينة ناعمة، شديدة الحموضة، يطلق عليها محلياً (طين صقار)، توجد بالقرب من البرك والمستنقعات، يستخدمها الأهالي في طلاء واجهات منازلهم الطينية قديماً.

(٢) مج: أي المجموع يساوي فردة.

(٣) هو عبد الله مصاقع، له غيضة تسمى (غيضة مصاقع) موقعها حالياً عند مسجد التقوى باتجاه القبلة.

(٤) بن حويصل: من الأسر المنقرضة.

١٢. وفي الهابطة النهار: نصف فردة بيت غانم، ونصف فردة في جرب النخر.
١٣. وفي الثانية الليل فردة: منها ربع فردة عند سعد بن سعيد باخبازي، وثمان فردة عديد على الفريطحة، وثمان فردة في جرب بن شنين، عند عمرو بن شخر قيراطين ونصف، وعند عيال عبد الله بن الهبير قيراطين ونصف، عند عبد الله مصاقع أربعة قراريط، وعند بن عبد الرحمن ثمن فردة.
١٤. وفي الثانية النهار فردة منها: نقدات سعيد بن محمد ربع فردة، والسيد علوي ابن أحمد بن إسماعيل ربع فردة، وثمان فردة المعيسي، وثمان فردة بن بطاح، وربع فردة عيال سالم بن شَمَّاخ.
١٥. وفي الثالثة الليل فردة منها: خمسة قراريط عند عيال عبد الله بن سالم في جرب باغويطة، وفردة إلا ربع وقيراط عند عمر بن سعد ومحمد وعبد الله.
١٦. وفي الثالثة النهار فردة منها: ربع فردة وقيراطين باغشوة، وقيراطين عبد الله مصاقع، عند الشنيني ربع فردة وقيراطين، وعند عمرو بن الكسح^(١) ربع فردة.
١٧. الرابعة الليل فردة منها: عند أحمد بن سالم ربع فردة، وعند بن حويصل ثمن فردة، وعند بن بطاح ثمن فردة، عند بن جرير ثمن فردة، وربع فردة وثمان فردة عند أحمد بن سالم.
١٨. وفي الرابعة النهار فردة منها: ربع فردة عند عيال سالم بن شَمَّاخ، وربع فردة عند عيال عبد الله بن سالم نقدات بحرق، وربع فردة الديني وشركاه، وربع فردة عند المعيسي.
- هذا نقل من قائمة معيان الصَّيْق الذي عند ورثة أحمد بن سالم بن غرامة، في بلد الديس حرف بحرف. ا.هـ.

(١) عمرو بن الكسح: من البدو الحموم.

هذه الوثيقة هي نسخة منقولة من وثيقة نظام الري بمعيان الصَّيْق، لم يذكر الناسخ اسمه عليها، حصلنا على هذه النسخة عند الأخ عبد اللطيف محمد حوري، عشر عليها ضمن وثائق المشايخ آل حوري باوزير، وقد بدأ عامل الزمن بالتأثير في أجزاءها العلوية.

أهمية الوثيقة :

تكمن أهمية هذه الوثيقة في الآتي:

١. تؤرخ لدور الإمارة الكسادية بالديس الشرقية في تنظيم الري للحيازات الزراعية بمعيان الصَّيْق، وهو ما يدل على اهتمام آل كساد بالزراعة.
٢. معرفة مُلَّاك الأراضي الزراعية والمياه بمعيان الصَّيْق في عهد الإمارة الكسادية في بداية القرن الثالث عشر الهجري وبالأخص سنة ١٢٠٨هـ.
٣. معرفة أهم الغياض والجروب التي تروى بمياه معيان الصَّيْق في القرن الثالث عشر.
٤. إدراك طبيعة الاستيطان البشري القديم لمدينة الديس الشرقية، والتركيب الديموغرافي للسكان.
٥. معرفة نمو وتطور مدينة الديس الشرقية، وعلاقة ذلك بمعيان الصَّيْق.
٦. استنباط بعض الخصائص الاقتصادية للديس الشرقية المتعلقة بالجانب الزراعي.

تحليل وثيقة معيان الصَّيْق:

بدراسة هذه الوثيقة، من خلال القراءة المتأنية والمتكررة لها، وبالتأمل العميق في نصوصها؛ نُدرِك القيمة التاريخية لهذه الوثيقة، فهي تؤرخ لدور الإمارة الكسادية بالديس الشرقية، بصفتها دويلة من دويلات المدن التي كانت سائدة في حضرموت، بعد أن تضعُض شأن الدولة الكثيرة الأولى في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر

الميلادي، والتي قام على أنقاضها حكم الطوائف اليافعية في مدن وقرى معينة في داخل وساحل حضر موت، ومن أبرز تلك الطوائف الإمارة الكسادية بساحل حضر موت^(١).

والوثيقة تبرز دور الإمارة الكسادية بالديس الشرقية في تنظيم الري للحيازات الزراعية لمعيان الصَّيْق، الذي يعد القلب النابض الذي نمت حوله مدينة الديس الشرقية. ومن خلال هذه الدراسة ستتعرف إلى المُلَّاك الأوائل لمعيان الصَّيْق وخاصة من سنة ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٤م، وكذا إلى الغياض والجروب التي كانت تُروى بمياه الصَّيْق، ونظام الري بمعيان الصَّيْق (دورة مياه الصَّيْق على الأراضي الزراعية).

أولاً: ملاك معيان الصَّيْق في بداية القرن الثالث عشر الهجري منذ سنة ١٢٠٨هـ: تبين الوثيقة أن الأسر الرئيسة التي تمتلك كميات من مياه معيان الصَّيْق، وتستخدمها في ري ما تمتلكه من أراضي زراعية، يبلغ عددها أكثر من ٣٠ أسرة، وتختلف نسبة ما تمتلكه هذه الأسر من مياه المعيان. والجدول الآتي يبين عدد ما تمتلكه كل أسرة من قرايط ونسبتها إلى إجمالي عدد قرايط الدورة في سنة ١٢٠٨هـ، وعددها ٤٣٢ قيراطاً:

م	المُلَّاك	عدد القرايط	النسبة من إجمالي عدد قرايط الدورة
١	بيت غانم	٤١	٩, ٤٩٪
٢	أحمد بن سالم بن غرامة	٤٦	١٠, ٦٥٪
٣	عبد الله بن سالم بن غرامة	٣٥	٨, ١٠٪
٤	بيت هجّام	١	٠, ٢٣٪
٥	حييشان وشركاه مطر بن سكران وتوابعهم	٣٠	٦, ٩٤٪

(١) بامطرف، محمد عبد القادر (في سبيل الحكم) ص ١٤.

٦	غوث	٢	٠,٤٦٪
٧	بن عبد الرحمن	٦	١,٣٨٪
٨	بني شنين	١٦	٣,٧٠٪
٩	بن نخر	٣٠	٦,٩٤٪
١٠	بن العرب	٤	٠,٩٣٪
١١	بن بطاح	١٥	٣,٤٧٪
١٢	عيديد	٦	١,٣٨٪
١٣	عمرو بن شخرو بن زياد	١٤,٥	٣,٣٦٪
١٤	بن حميد	٥	١,١٦٪
١٥	باغشوة	١٤	٣,٢٤٪
١٦	الشاطري	٧	١,٦٢٪
١٧	عبدالله مصاقع	١٢	٢,٧٧٪
١٨	عيال سعد بن غرامة	١٩	٤,٤٠٪
١٩	عيال سالم بن شماخ	١٨	٤,١٧٪
٢٠	الديني وشركاه	١٢	٢,٧٧٪
٢١	بن جرير	١٠	٢,٣١٪
٢٢	بن سلما باغويطة	٣	٠,٦٩٪
٢٣	بن حويصل	٩	٢,٠٨٪
٢٤	سعد بن سعيد باخبازي	٦	١,٣٨٪

٢٥	عيال عبدالله بن الهبير	٢,٥	٠,٥٨٪
٢٦	السيد علوي بن أحمد بن إسماعيل	٦	١,٣٨٪
٢٧	المعيسي	٩	٢,٠٨٪
٢٨	عمرو بن الكسح	٦	١,٣٨٪
٢٩	سيد سالم	٦	١,٣٨٪
٣٠	سعد بن عبود	٣	٠,٦٩٪
٣١	عمر سعد بن غرامة ومحمد وعبدالله	٢٣	٥,٣٢٪
٣٢	الغدير ^(١)	٦	١,٣٨٪
٣٣	عيال سعيد بن محمد	٩	٢,٠٨٪
	المجموع	٤٣٢	١٠٠٪

من الجدول السابق، نلاحظ تفاوت حصص ملاك الصَّيْق من المياه بين ٤٦ قيراطًا حدًّا أعلى، وقيراط واحد حدًّا أدنى، ويمكننا تقسيم الملاك حسب حصصهم من المياه المتدفقة من المعيان على ثلاث مجموعات، على النحو الآتي:

١. المجموعة الأولى: أسر حصتها أكثر من ثلاثين قيراطًا:

وهم كبار الملاك في معيان الصَّيْق، وعددهم خمس أسر وهي: أسرة أحمد بن سالم بن غرامة الكسادي، وتحتل المرتبة الأولى بنسبة ١٠، ٦٥٪، وتبلغ حصتها ٤٦ قيراطًا، تليها أسرة آل غانم وحصتها ٤١ قيراطًا، بنسبة ٩، ٤٩٪، ثم أسرة عبدالله بن سالم بن غرامة وتبلغ حصتها ٣٥ قيراطًا، بنسبة ٨، ١٠٪، ثم بن نخر وحيشان وشركاؤه، وتبلغ حصة كل منهما ٣٠ قيراطًا، بنسبة ٦، ٩٤٪ لكل منهما. ويبلغ

(١) الغدير: اسم موضع يمتلكه الآن آل الهبير وآل حوري.

إجمالي ما تمتلكه هذه الأسر ١٨٢ قيراطاً بنسبة ٤٢، ١٣٪ من إجمالي مياه المعيان. وهذه الأسر هي صاحبة الكلمة الأولى واليد الطولى بمعيان الصَّيْق، ونلاحظ أن معظم حصصها من المياه تكون خلال مدة المساء، إذ تتضاعف المياه الواردة إلى الأراضي الزراعية مساءً، وتقل صباحاً بسبب أن أهالي البلدة جميعهم يجلبون المياه لمنازلهم خلال مدة الصباح، كما أن جميع سكان الديس تقريباً رجالاً ونساءً وأطفالاً يستحمون في الصباح الباكر في معيان الصَّيْق، مما قد يؤدي إلى تسرب جزء من المياه بسبب الازدحام في مكان الاغتسال من عثم الصَّيْق، لذا اختار هؤلاء الملاك حصتهم من المياه في مدة المساء بمحض إرادتهم؛ ليتحصلوا على كميات مضاعفة من المياه.



٢. المجموعة الثانية: أسر تتراوح حصتها ما بين ٥١ و ٩٢ قيراطاً:

وعدد هذه الأسر خمس أسر، وتتصدر الأسرة الحاكمة من آل غرامة الكسادى هذا القسم ممثلة بأسرة عمر سعد بن غرامة وأخويه محمد وعبدالله بـ ٢٣ قيراطاً، وهو ما

يشكل نسبة ٥,٣٢٪ من إجمالي القراريط، ثم عيال سعد بن غرامة الذين يمتلكون ١٩ قيراطاً بنسبة ٤,٤٠٪، يليهم عيال سالم بن شماخ بـ ١٨ قيراطاً بنسبة ٤,١٧٪، ثم بنو شنين ١٦ قيراطاً بنسبة ٣,٧٠٪، وأخيراً بن بطاح ١٥ قيراطاً بنسبة ٣,٤٧٪ من إجمالي قراريط دورة مياه الصَّيْق البالغة ٤٣٢ قيراطاً.

٣. المجموعة الثالثة: أسر حصتها أقل من ٥١ قيراطاً:

وعدها ٢٣ أسرة، وتراوح حصة الأسرة الواحدة بين قيراط واحد و ١٤ قيراطاً، إذ إن أقل حصة من معيان الصَّيْق سجلتها الوثيقة ترجع لبيت هَجَام وهي قيراط واحد فقط بنسبة ٠,٢٣٪، تليها أسرة عيال عبد الله بن الهبير، إذ تبلغ حصتهم ٢,٥ قيراط بنسبة ٠,٥٨٪. أمّا أكبر أسرة في المجموعة الثالثة فهم المشايخ آل باغشوة الذين تبلغ حصتهم ١٤ قيراطاً بنسبة ٣,٢٤٪ من قراريط الدورة، أما أسرتا عمرو بن شخر وبن زياد فتبلغ حصتهما مجتمعتين ١٤,٥ قيراط بنسبة ٣,٣٦٪، أما إن عددنا كل واحدة منهما على حدة فلا شك أن الرقم سيكون أقل من ذلك بكثير.

ثانياً: الغياض والجروب التي تُروى بمياه الصَّيْق:

تذكر الوثيقة مجموعة من الأراضي الزراعية التي تُروى من مياه معيان الصَّيْق بمسميات مختلفة، وهي:

١. الجروب: مفرداً جَرَب أو جربة، وهي مشتقة من لفظ (الجريب)، والجريب: وحدة لقياس المساحات، وأصله فارسي - مما يدل على تأثر أهل المشقاص بوجود الفرس في المنطقة قديماً - وهو عندهم مساحة من الأرض تعادل عشرة آلاف متر مربع، اقتبسه العرب منذ بداية العصر الإسلامي مع اختلاف في المساحة، واستخدموه في تحديد مساحات الأرض، فالجريب عند العرب يعادل (١٢٠٠ م^٢). وقد يُراد به المزرعة، ويسمى الحضارمة: الجَرَب^(١). وأهم الجروب بمعيان الصَّيْق والمذكورة في الوثيقة: جرب النخر، جرب بني شنين، جرب باغويطة.

(١) (إدام القوت، الهامش ص ٣٧٥).

٢. **الغياض:** ومفردها غيضة، وهي: الموضع الذي يكثر فيه الشجر ويلتف^(١). ولم تذكر الوثيقة أسماء الغياض، وإنما ذكرت مُلَّاكها، وهي غياض معروفة لدى السكان إلى يومنا هذا، مثل غيضة عمر بن سعد الكسادي، وغيضة حبشان، وغيضة مصاقع، وغيرها.

٣. **نقدات:** وهي جزء من أرض الوادي البكريتم نقدها بإزالة الأحجار عنها حتى تظهر التربة الزراعية، ويتم رص تلك الأحجار على شكل مضالع على جوانبها لتحمي الأرض من مياه السيول، وتكون حدودًا لها، وغالبًا ما تُنسب تلك الأرض إلى من قام بإحيائها، مثل نقدات السيد سالم، نقدات سعيد بن محمد، نقدات بحرق.

٤. **الحيط:** وأصلها العربي الفصيح (حائط)، وهو البستان المحاط بسور لحمايته من أيدي العابثين، وغالبًا ما تُزرع فيه أشجار الفواكه والحمضيات مثل الليم والرمال والجوافة والباباي وغيرها. وقد ذكرت الوثيقة حيط غوث.

٥. **مُطر:** جمع مطيرة، وهي مساحة من الأرض الصغيرة التي يُزرع فيها. وذكرت الوثيقة مُطر بن سكران.

٦. **نخل:** ويقصد بها الأرض الزراعية المزروعة بأشجار النخل. وذكرت الوثيقة نخل بن زياد.

٧. **صقرة:** وهي تربة لينّة ناعمة، شديدة الحموضة، يُطلق عليها محليًا (طين صقار)، توجد بالقرب من البرك والمستنقعات، ويستخدمها الأهالي في طلاء واجهات منازلهم الطينية قديمًا. وذكرت الوثيقة صقرة برجمي، و(برجمي) هي تصحيف لبرار بن جميل، والبرار هي الأرض المستوية المنبسطة. وآل بن جميل كانوا أئمة جامع المحضار.

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (لسان العرب) ج٧، ص ٢٠٢.

والجدول الآتي يبين أهم الحيازات الزراعية المذكورة في الوثيقة ومُلاكها:

م	الجرب	المالك القديم سنة ٢٠٠٨ هـ	موقعه من دورة المعيان		الملاحظات
			اليوم	الوقت	
١	مُطر بن سكران	بن سكران	الأول	نهار	حمومي، من بيت غراب
٢	جرب النخر	بن نخر	اليوم الثاني والثالث واليوم السادس	مساء، صباح	حمومي، من بيت علي
٣	جرب بني شنين (السرحة)	بنو شنين	الثاني والثامن الرابع والسابع	نهار ليل	حمومي، من بني شنين
٤	نقادي العاربة	بن العرب	الثالث	ليل	حمومي، من بيت علي
٥	نقدات السيد	سالم	الثالث	نهار	سيد من آل باعلوي
٦	نخل بن زياد	بن زياد	الثالث	نهار	غير معروف
٧	غيسة عمر بن سعد بن غرامة	عمر بن سعد بن غرامة	الثامن	مساء	عسكري يافعي
٨	غيسة حبشان	حبشان	الثاني السادس	نهار مساء	من قرية الحامي المجاورة
٩	جرب بن سلما	بن سلما باغويطة	الخامس	نهار	هزيلي

١٠	جرب الديني	الديني	الخامس التاسع	مساء نهار	غير معروف
١١	نقدات بحرق	عيال عبدالله بن سالم	التاسع	نهار	حضرمي
١٢	جرب باغشوة	باغشوة	الرابع	مساء	من المشايخ
١٣	الغدير	؟؟ ^(١)	الخامس	نهار	حضرمي
١٤	نقدات سعيد	سعيد بن محمد	الثانية	نهار	غير معروف
١٥	الفريضة ^(٢)	بيت غانم	الثالث	ليل	كندي
١٦	البطاح	بن بطاح	الثالث الخامس السابع التاسع	مساء نهار نهار ليل	بيت علي
١٧	غيشة مصاقع	عبدالله مصاقع	الرابع السابع الثامن	ليل ليل نهار	حضرمي
١٨	بن إسماعيل	السيد علوي بن أحمد بن إسماعيل	السابع	نهار	سيد من آل باعلوي
١٩	نقدات باخبازي	سعد بن سعيد باخبازي	السابع	مساء	كندي

ثالثًا: نظام الري بمعيان الصَّيْق:

كانت دورة المياه لمعيان الصَّيْق في بداية القرن الثالث عشر الهجري تستمر لمدة

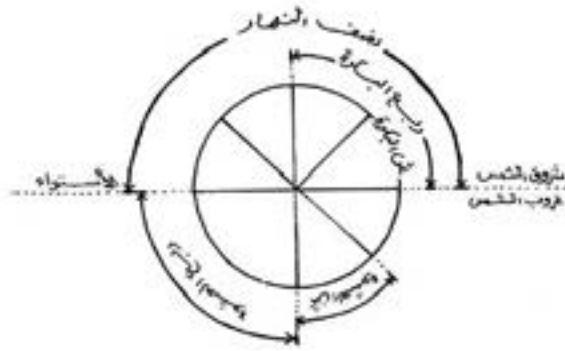
(١) يمتلك الغدير حاليًا آل هبير وآل حوري.

(٢) في الوثيقة: الفريضة، والمتداول بين الناس حاليًا (الفريضة).

تسعة أيام، يتم خلالها توزيع ١٨ فردة من مياه المعيان على الأراضي الزراعية، وتُعرف الفردة بـ (سقي يوم أو ليلة)، أي إن الفردة تساوي سقي ١٢ ساعة، وتقسم الفردة على ٢٤ قيراطًا، وعدد القراريط في المعيان ٤٣٢ قيراطًا، إذ يقسم اليوم على فردتين فردة في الصباح، وفردة في المساء، وكل قيراط يساوي سقي نصف ساعة، ويقسم القيراط على ٢٤ حمبصة (حبة الطعام)، وكل حمبصة تساوي سقي دقيقة وربع ($\frac{1}{4}$ دقيقة).

ونظرًا لتدفق مياه المعيان بشكل مستمر ليلاً ونهارًا؛ استخدم القائمون على معيان الصَّيْق نظامًا فلكيًا يعتمد على ظل الشمس نهارًا، وموقع النجوم ليلاً لضبط توزيع حصص هذه المياه وفق نظام محدد، وعليه يقسم النهار على أربعة أرباع أو ثمانية أثمان أي فردة، ويساوي ٢٤ قيراطًا، أي إن ربع النهار يساوي ٦ قراريط، والثمان يساوي ٣ قراريط ماء.

يبدأ تقسيم النهار من الثمن الأول من شروق الشمس إلى ثمن البكرة، ثم ربع البكرة إلى نصف النهار عند الاستواء (وجود الشمس في كبد السماء)، ثم ربع العشوة فثمان العشوة ثم إلى المغاب (غروب الشمس)^(١)، كما في الشكل الآتي:



رسم تخطيطي يوضح تقسيم النهار من شروق الشمس إلى غروبها

حسب أعراف تقسيم المياه في نظام المعايين^(٢)

(١) باقحيزل، سالم عبدالله، وإبراهيم أحمد سعيد، بن غوث، محمد بن سالم (نماذج من أنظمة الري التقليدي، وطرق الحصاد المائي في محافظتي حضرموت وشبوة من اليمن، ص ٤١.

(٢) المصدر السابق ص ٤٢.

أما بالنسبة إلى الليل فيتم تقسيمه على ٢٤ منزلة حسب مطالع النجوم، وهي كالآتي:
١. ربع الليل الأول (المغاب): يبدأ من غروب الشمس، وهو عبارة عن أربع منازل، أي أربعة نجوم متتالية في السماء بتوقيت ثابت، كل منزلة بقيراط ونصف، أي ما يعادل ٦ قراريط.

٢. ربع الليل الثاني: عبارة عن ثلاث منازل، أي ثلاثة نجوم تظهر متتالية، كل منزلة بقيراطين، أي ما يعادل ٦ قراريط.

٣. ربع الليل الثالث: عبارة عن ثلاث منازل، كل منزلة بقيراطين، أي ما يعادل ٦ قراريط.

٤. ربع الليل الأخير: إلى الشروق عبارة عن أربع منازل، كل منزلة بقيراط ونصف، أي ما يعادل ٦ قراريط.

وبهذا قسم الليل على أربعة أرباع، كل ربع بستة قراريط، فيكون مجموع هذه القراريط في الليل كله ٢٤ قيراطاً، وهو ما يعادل الفردة. وكل قيراط يعادل نصف ساعة تقريباً، ويقسم القيراط على ٢٤ حمصة (حبة طعام)^(١).

والجدول الآتي يوضح تقسيم اليوم (الليل والنهار)، وتوزيع الماء بالساعات، إذ كانوا يعتمدون على التوقيت العربي الذي يكون وقت شروق الشمس فيه الساعة ١٢ صباحاً يومياً توقيتاً ثابتاً، ويقسم النهار على أربعة أرباع، ويقسم الليل كذلك على أربعة أرباع، كل ربع يساوي ثلاث ساعات، يتم خلالها ضخ ٦ قراريط من ماء المعيان، أو يُقسم الليل والنهار على أثمان، كل ثمن يساوي ساعة ونصفاً، يتم خلالها ضخ ٣ قراريط من ماء المعيان.

(١) باقحيزل، سالم عبدالله، وإبراهيم أحمد سعيد، بن غوث، محمد بن سالم (نماذج من أنظمة الري التقليدي، وطرق الحصاد المائي في محافظتي حضرموت وشبوة من اليمن ص ٤١ بتصرف.

اليوم	الأربع	المدة الزمنية لكل ربع ٣ ساعات		التوقيت بالساعات	
		البداية	النهاية	العربي	الإفريقي
النهار	ربع النهار الأول	من شروق الشمس	نهاية ربع النهار الأول	٣ - ١٢ صباحًا	٩ - ٦ صباحًا
	ربع النهار الثاني	من نهاية ربع النهار الأول	منتصف النهار (الزوال)	٦ - ٣ ظهرًا	١٢ - ٩ ظهرًا
	ربع النهار الثالث	منتصف النهار (الزوال)	نهاية الربع الثالث	٦ ظهرًا - ٩ عصرًا	١٢ ظهرًا - ٣ عصرًا
	ربع النهار الرابع (التالي)	من نهاية الربع الثالث	غروب الشمس	١٢ - ٩ عصرًا	٦ - ٣
	ربع الليل الأول	من غروب الشمس	نهاية الربع الأول	٣ - ١٢	٩ - ٦
الليل	ربع الليل الثاني	بداية الربع الثاني	منتصف الليل	٦ - ٣	١٢ - ٩
	ربع الليل الثالث	منتصف الليل	ربع الليل الأخير	٩ - ٦	٣ - ١٢
	ربع الليل الرابع	ربع الليل الأخير	الشروق	١٢ - ٩	٦ - ٣

دورة مياه معيان الصَّيْق كانت الشغل الشاغل لكل أبناء مدينة الديس، وذلك لارتباطها بحياتهم اليومية من غسل، وشرب، وتغسيل، وزراعة إلخ، وهناك شخصيات

اشتهرت بتنظيم هذه الدورة، ومن أقدمهم: محمد جوبح جدُّ حاج سعيد جوبح، ثم بعده محمد حسن الكسادي وعبدالله حسن الكسادي^(١)، ثم عبدالله سعيد غانم.

كما كان المرحوم عيسى أحمد التميمي والد محفوظ عيسى الملقب (عطوفة) مسؤولاً عن تقنين وتوزيع مياه الصَّيْق للمزارعين بالساعة واليوم من خلال الكلمة التي كانت متداولة (النغب)، ينبغي لكي يوصل صوته لمن حان عنده السقي ﷺ^(٢).

لقد وضع أجدادنا ورتَّبوا توزيع ساعات الماء المقدرة، في دورة منتظمة يتعاقبها كل فلاح ليأخذ نصيبه من ساعات السَّقي، بواقع نصف ساعة عن كل قيراط من هذا الشريان المتدفق (الصَّيْق)؛ حتى يعم الخير كل أبناء المنطقة.

أهم الملاحظات على الوثيقة :

١. إن الأسر المذكورة في الوثيقة تعد من الأسر القديمة التي استوطنت منطقة الديس الشرقية.

٢. نلاحظ تنوع الأسر المالكة بمعين الصَّيْق في الوثيقة، فهناك أسر من التحالف القبلي الحمومي مثل: بني شنين (الشنيني)، وأسر تنتمي لقبيلة كندة مثل: بيت غانم، وآل باخبازي، وأسر من ثعين مثل: آل جرير (الجريري)، وأسر من السادة آل باعلوي (السيد علوي بن أحمد بن إسماعيل، والسيد سالم، وععيد، والشاطري - جمل الليل)، وأسر يافعية (العسكر) (آل بن غرامة الكسادي).

٣. استحوذ الأسرة الحاكمة من آل بن غرامة الكسادي على ١٢٣ قيراطاً بنسبة ٢٨,٥٪، ما يقارب الثلث من إجمال دورة مياه الصَّيْق، وأمَّا معظم هذه المياه والحيازات الزراعية التي كانت ترويه فقد تم توقيفها على المساجد، والشرب، والطهور، وأعمال الخير.

(١) سالم باغزال.

(٢) الحوثري، سعيد عبد الرب (من مذكراته): (محطات للتأمل: محاضرة أقيمت في صالون الرابطة عام ٢٠٠٠م).

٤. نلاحظ اليوم أن كثيرًا من الأسر المذكورة في الوثيقة ليس لها وجود اليوم في منطقة الديس الشرقية وضواحيها، مثل: آل عديد^(١)، وآل حيشان^(٢)، والشاطري^(٣). ولعل بعضها قدم من بعض الأسر من الحامي المجاورة مثل آل حيشان وآل عديد، وبعضها الآخر من الشحر كالشاطري.
٥. التغير الجيومورفولوجي لمظاهر سطح أرض المعيان، إذ جرفت السيول كميات كبيرة من التربة الخصبة في وادي عمر خلال أكثر من ٢٣٠ سنة.
٦. كان معيان الصَّيْق خلال مدة الدراسة يروي مساحات شاسعة، ليصل إلى معيان غانم الكبير بالقرب من خليف الصَّفر.

(١) آل عديد: هم ذرية السيد علوي بن حسن بن علي عديد، وذرية السيد الثري عوض بن محمد عديد المتوفى سنة ١٢٢٢هـ، منهم ابنه الناخوذة السيد عبدالله بن عوض عديد الذي امتلك بعض الأراضي الزراعية والعقارات في الديس. باهارون، محمد علوي: (العلاقة التاريخية بين الديس والحامي من خلال الوثائق والمراسلات).

(٢) آل حيشان: هم ورثة محمد بن سالم حيشان المتوفى في حوالي ١٢٢٠هـ. المصدر السابق.

(٣) آل الشاطري: من سكان الشحر، وذلك المال ملك السيد أبي بكر بن محمد الشاطري، جد الشاعر الأديب المعروف عبدالله بن محمد باحسن جمل الليل. المصدر السابق.

المصادر:

أولاً: الوثائق:

١. وثيقة نظام الري بمعيان الصَّيْق بالديس الشرقية، خاصة بورثة أسرة النقيب أحمد بن سالم بن صالح بن غرامة الكسادي، المحررة بيوم الاثنين: ١٩ شوال ١٢٠٨هـ، الموافق ١٩ مايو ١٧٩٤م.
٢. وثيقة تعود إلى عام ١١٠٠ هجرية، بيع ربع قيراط ماء بمعيان الصَّيْق، ذكر في الوثيقة: من أصل المعيان ست عشرة فردة. أي ثمانية أيام، المصدر: محمد علوي باهارون.
٣. وثيقة آل جميع طلب قطعة أرض لبناء بيت في الخلعة من النقيب: أحمد عوض الكسادي في ١٥ رجب ١٢١٢هـ وأعطاهم إياها.
٤. ملف مسجد الجامع بمكتب الأوقاف والإرشاد/ الديس الشرقية.
٥. وثيقة مسجد الجامع المؤرخة في سنة ١٢٨٧هـ.
٦. صورة من الحلف بين آل غرامة وآل وعيل سنة ١١٩٠هـ.
٧. حلف عام ١١٩٤هـ بين آل غرامة الكسادي وآل بريك، النسخة عند الشيخ ناجي أحمد.
٨. اتفاقية شراكة بين الناخوذة سالم بن علي محسن بن مجحم الكسادي والناخوذة عبد الرحيم بن عمر حوري باوزير سنة ١٢٧١هـ.

ثانياً: الكتب:

١. مرجان، سامي ناصر، (الإمارة الكسادية في حضرموت)، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، دار الوفاق، الجمهورية اليمنية/ عدن.
٢. ابن حميد الكندي، سالم بن محمد بن سالم، (العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة)، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، مكتبة الرشاد صنعاء.
٣. البكري، صلاح عبد القادر، (في جنوب الجزيرة العربية)، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة.
٤. عكاشة، محمد عبد الكريم، (قيام السلطنة القيعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت ١٨٣٩ - ١٩١٨م، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، عمّان الأردن، طبعة ١٩٨٥م.
٥. بامطرف، محمد عبد القادر، (المختصر في تاريخ حضرموت العام)، الطبعة الثانية ٢٠٠٨م، دار حضرموت.

٦. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (لسان العرب)، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ، دار صادر بيروت.

ثالثاً: دراسات وأبحاث وتقارير:

١. باخوار، عبد الله عمر، (إعادة تأهيل معيان الصَّيْق). الهيئة العامة للبحوث والإرشاد الزراعية، ورقة مقدمة لورشة العمل حول الموارد المائية وجفاف معيان الصَّيْق، المنعقدة بمدينة المكلا بتاريخ: ٢٠ و ٢١ فبراير ٢٠١٣م.

٢. باحكيم، عبدالكريم سعيد، وبامصلح، عبدالعزيز صالح، (أهمية توظيف المقومات والخصائص الطبيعية لمنطقة (وادي عمر) لتحسين الوضع المائي فيها). ورقة مقدمة لورشة

٣. مؤسسة العون للتنمية وجمعية أصدقاء البيئة م/ الديس الشرقية، (التقرير النهائي لورشة العمل حول الموارد المائية وجفاف معيان الصَّيْق) ٢٨ فبراير ٢٠١٣م.

٤. د. رويشد، علي خميس، ود. الغرابي، عبد الباسط سعيد، (الأضرار البيئية الناجمة عن جفاف معيان الصَّيْق)، ورقة مقدمة لورشة العمل حول الموارد المائية وجفاف معيان الصَّيْق، المنعقدة بتاريخ ٢٠ - ٢١ فبراير ٢٠١٣م بمدينة المكلا.

٥. م. باقحيزل، سالم عبدالله، وم. إبراهيم أحمد سعيد، بن غوث، د. محمد بن سالم، (دراسة توثيقية لنماذج من أنظمة الري التقليدي وطرق الحصاد المائي في محافظتي حضرموت وشبوة من اليمن).

٦. د. باصريح، سالم عبدالله، (أثر الموارد المائية في تحقيق التنمية الزراعية المستدامة في ساحل حضرموت)، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد (٥) المجلد (٩) يناير ٢٠١٥م.

٧. د. الغرابي، عبد الباسط سعيد، (الإنتاج الزراعي وأهمية نخيل البلح بمديرية الديس الشرقية) الفعالية الشهرية الرابعة للمتدري الجغرافي للجمعية الجغرافية اليمنية فرع حضرموت، المنعقدة في ١ يوليو ٢٠٠٥م بعنوان: السكان والتنمية في مديرية الديس الشرقية.

٨. العفاري، عبيد عوض (لمحات من تاريخ وادي عمر الديس الشرقية ح ٢) نشرة (شربة) العدد (٤) الأحد ١ شوال ١٤٢٢هـ الموافق ١٦ / ١٢ / ٢٠٠١م.

٩. باهارون، محمد علوي، (العلاقات التاريخية بين الديس والحامي من خلال الوثائق والمراسلات). أقيمت هذه المحاضرة يوم الجمعة ٩ نوفمبر ٢٠١١م في المركز الثقافي بالديس الشرقية.

١٠. وثائق الندوة العلمية التاريخية حول المقاومة الشعبية بحضرموت ١٩٠٠ - ١٩٦٣ م، المنعقدة في كلية التربية المكلا في ٢٥ - ٢٦ فبراير ١٩٨٩ م، ص ١١٩.

رابعاً: المقابلات:

١. مقابلة مع الشيخ عوض أحمد محفوظ الكسادي: شيخ آل كساد بمديرية الديس الشرقية.
٢. مقابلة مع الوالد سالم عمر بن عمرون: من أقدم المزارعين العارفين بدورة معيان الصَّيْق.
٣. مقابلة مع سعيد عبدالله غانم: من أقدم الأسر المملكة بمعيان الصَّيْق.
٤. مقابلة مع عبد القادر محمد الكسادي بتاريخ ١ / ١ / ٢٠١٣ م.
٥. مقابلة مع عوض أحمد عوض الكسادي أخي ناجي بتاريخ ١٣ / ٩ / ٢٠١٢ م.
٦. مقابلة مع علي صالح الكسادي بتاريخ ٢٠ / ١١ / ٢٠١١ م.
٧. مقابلة مع الأستاذ: أحمد كناش النموري.
٨. مقابلة مع الشيخ: عبدالله سعيد غانم.
٩. مقابلة مع د. عبدالله عمر باخوار.
١٠. مقابلة مع عبدالله حسين الطفي.
١١. مقابلة مع علي محمد الطفي بتاريخ ٢٥ / ١ / ٢٠١٩ م.
١٢. مقابلة مع عبدالحافظ صلاح الحوثيري بتاريخ ٣ / ٤ / ٢٠١٣ م.
١٣. مقابلة مع أحمد سعد باخبازي.
١٤. مقابلة مع سالم باغزال.

السيرة الذاتية (Curriculum Vitae)

البيانات الشخصية :

- الاسم: طاهر ناصر طاهر المشطي. الجنس: ذكر. الجنسية: يمني.
- تاريخ الميلاد: ١٩٦٣ م. مكان الميلاد: الديس الشرقية م / حضرموت.
- الحالة الاجتماعية: متزوج.
- جوال: ٧٧١٨٦٦٨٤٠
- البريد الإلكتروني: taheralmoshty@hotmail.com

المؤهلات :

- ثانوية عامة: ثانوية بامطرف / الشحر. التخصص: علمي. سنة التخرج: ١٩٨٢ م.
- الجامعي: كلية التربية بجامعة عدن / المكلا. التخصص: جغرافيا. سنة ١٩٨٨ م.

المؤهلات العملية :

- عملتُ في حقل التدريس الحكومي منذ عام ١٩٨٨ م إلى ٢٠١١ م.
- أعمل حالياً موجَّهاً تربوياً للمواد الاجتماعية بمكتب التربية م / الديس الشرقية، منذ ٢٠١١ م.
- تلقيتُ عدداً من الدورات في مجال الحاسوب في السكرتارية والصيانة والتصاميم.
- عملتُ مديراً لمعهد الفاروق للكمبيوتر واللغات م / الديس الشرقية من ٢٠٠٦ - ٢٠١١ م.
- أدرتُ وشاركتُ في عددٍ من الدورات التربوية وفي مجال التنمية البشرية.
- كُلفتُ من مكتب الأوقاف والإرشاد بالمديرية بإمامة المصلين بمسجد الجامع بالديس الشرقية لمدة ثماني سنوات من ٢٠٠٩ - ٢٠١٧ م.
- عضو عدد من منظمات المجتمع المدني والجمعيات: مثل جمعية التراث والآثار، البيئة، أهالي الديس، وغيرها.
- شاركتُ في بعض الندوات والمؤتمرات التاريخية في حضرموت وعدن، وكتبتُ في بعض المجالات الثقافية.



العادة التاريخية والإثنوغرافية عن المشقاص في كتابات المستكشفين الأوروبيين لحضرموت في القرن التاسع عشر الميلادي

باسل عبدالرحمن محمد باعباد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

بعد أن كانت معرفة الأوروبيين عن حضرموت مقتصرة على ما ورد من معلومات في التوراة وكتب اليونان والرومان وما وصل إليهم من خلال المصادر التاريخية والجغرافية الإسلامية؛ أتى عهد الكشف الجغرافية ليوسع آفاق المعرفة عنها، إذ رفدت الرحلات البرتغالية والهولندية والدنماركية - بالرغم من وصولها إلى أطراف حضرموت فحسب - الأوروبيين بمعلومات جديدة لم تسبق لهم معرفتها، لكن في القرن التاسع عشر الميلادي الذي شهد نشاطاً مكثفاً لقوى الاستعمار الأوروبي أصبح بالإمكان دراسة حضرموت بأفضل مما سبق، فقد تمكن المستكشفون الأوروبيون في نهاية ذلك القرن من الوصول إلى وادي حضرموت بحرّية لم تنهياً للسابقين منهم، وكان من ضمن المناطق التي وصل إليها هؤلاء المستكشفون في ساحل حضرموت: منطقة المشقاص، وهي جزءه الشرقي، فكتبوا عن هذه المنطقة في تقاريرهم ورحلاتهم، وقد وقف الباحث على أربع كتابات لستة من المستكشفين الأوروبيين لحضرموت، عرضوا فيها انطباعاتهم ومشاهداتهم عن المشقاص أرضاً وإنساناً، وسجّلوا بعض الكتابات القديمة التي عثروا عليها هناك، ولأن هذه الدراسات لم تكن

تاريخية محضة ولا إثنوغرافية محضة، بل غلب عليها أسلوب أدب الرحلات، الذي يضمّن منتهجه معلومات شتى لكن بصورة غير منظمة، ولأنني وجدت فيها ما قد يعزز معرفتنا التاريخية عن المشقاّص في القرن التاسع عشر الميلادي؛ فقد ارتأيت تصنيف هذا البحث، وسلكت فيه اتجاهين: الأول استخلاص المادة التاريخية المنشورة في هذه الدراسات الأربع عن المشقاّص؛ رغبةً في سد الفجوات والثغرات في تاريخ المشقاّص الحديث، أما الاتجاه الثاني فهو رصد أهم الملاحظات الإثنوغرافية التي جاءت في أثناء وصف هؤلاء المستكشفين لرحلاتهم واختلاطهم بسكان المشقاّص، وكذلك محاولة الربط بين بعض ما أورده هؤلاء الرّحالة عن مشقاّص القرن التاسع عشر وبين مشقاّص القرن الواحد والعشرين. وهؤلاء المستكشفون الذين سيأتي التعريف بكتاباتهم لاحقاً هم:

- البريطاني ستافورد بتسورث هينز (Stafford Bettesworth Haines).
- البريطانيّان ج. جي هولتون وج. سميث (J. G. Hulton and J. Smith).
- الألمانيّ ليو هيرش (Leo Hirsch).
- البريطانيّان جيمس ثيودور بنت وزوجته مايبل (James Theodore Bent and Mabel).

وتكشف لنا المادة المستخلصة معلومات قد تكون مجهولة اليوم، كوصف مدينة قصير، والريدة، والديس، وشرمة، ورأس باغشوة، والمصينة، وتكويناتها المدنية والمعمارية، ووصف حكام المنطقة، وكذلك العادات والتقاليد الأصيلة، بالإضافة إلى إيلائهم الاهتمام لآثار المشقاّص التي وقفوا عليها، والتي يأتي في طليعتها حصن (شروان) بمعبر المبنى منذ زمن غابر، والذي أشار إليه جُلّ هؤلاء المستكشفين، وكذلك قدّموا معلومات عن أماكن بعض النقوش القديمة التي قد يؤدي إعادة البحث عنها اليوم في أعماق المشقاّص إلى رفد الدراسات التاريخية عن تاريخ المشقاّص وحضرموت عموماً وإثرائها بمعلومات جديدة.

وتتجلى أهمية هذا البحث في تسليطه الضوء على منطقة المشقاص التي لم يُكتب عنها دراسات مخصصة، وخاصةً في القرن التاسع عشر الميلادي الذي شهد زيارة هؤلاء المستكشفين، ويرى الباحث أن الوقوف على المادة التاريخية في كتابات هؤلاء المستكشفين عن المشقاص سيُسهم في سد بعض الثغرات والفجوات في تاريخ المشقاص، لا سيما أن جُل ما استخلصناه هنا لم تأتِ على ذكره المصادر الحضرمية التي وقفنا عليها.

كما أن من الأهمية بمكان أن يسهم جمع المادة الإثنوغرافية المنشورة في هذه الدراسات في تمكين القراء والباحثين من التعرف إلى المعطيات الإثنوغرافية في المشقاص قبل أكثر من قرن من الزمان، وكذلك ستساعد في إجراء عملية الموازنة مع الثقافة المعاصرة، ورصد المتغيرات الثقافية ومدى تغيرها أو ثباتها على مدار قرنين من الزمان.

وبعد؛ فأخص بالشكر كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث، وهم أشقائي الذين قرَّبوا لي مصادر الدراسة في الوقت الذي أنا بعيد فيه عن مكتبي، وأشكر كذلك الأخ محمد سالم بن حيدر الذي اطلَّعت عبره على كتاب ليو هيرش، وكذا الباحثين خالد سالم الغتيني وعوض سالم بن حمدين اللذين اطلعت عبرهما على كتاب ثيودور بنت، كما أشكر الباحث سالم أحمد الكثيري الذي تفضَّل بإرسال النسخة الإنجليزية من تقرير الكابتن هينز إلبي، بعد أن أوشكت أن أفقد الأمل في الوقوف عليها، كما أشكر الدكتور حسن صالح الغلام العمودي الذي ساندني وساعدني في اختيار العنوان، وسهَّل لي المشاركة بهذا البحث.

وفي الختام لا يفوتني أن أعترف بأن عملي هذا أوَّلِيّ، لا أدعي اكتمال معلوماته ولا دقَّة منهجيته، لكن يكفي أنني ألَفْتُ النظر إلى هذه الكتابات التي يجب أن تضاف إلى مصادر تاريخنا المشقاصي والحضرمي الحديث، وأمهد الطريق للدراسات

الاختصاصية والمتعمقة في تاريخ هذه الحقبة التاريخية، لتوسيع الرؤية نحو التاريخ الحديث، وعدم الاقتصار على ما تقدمه مصادر التاريخ الحضرمي والوثائق والرواة المعاصرون، هكذا أرى، فإن أصبتُ فمن الله، وإن أخطأتُ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله من جميع ذلك، هو حسبي ونعم الوكيل.

تمهيد: الكتابات الأوروبية عن المشقااص في القرن التاسع عشر الميلادي

١. الموقع الجغرافي للمشقااص:

يهمنا قبل الشروع في البحث تناول المفهوم الجغرافي لمنطقة المشقااص؛ من أجل تعيين حدود الدراسة، والاطلاع على التعريفات التي تم تداولها عن مفهوم (المشقااص) من قِبَل الباحثين.

لا تزال لفظة (المشقااص) تتداول في المعجم اليومي الدارج في مناطق شتى من حضرموت، آخذةً منْحَى دلاليًّا جهويًّا يعني (الشرق)، وتقابلها (المغرب) التي تعني (الغرب)، وهي من الألفاظ التي كانت تستخدم في اللغات العربية الجنوبية القديمة، وقد وردت في بعض من نقوشها^(١).

(١) بيستون وآخرون: المعجم السبئي (بالإنجليزية والفرنسية والعربية)، منشورات جامعة صنعاء (ج.ع.ي)، دار منشورات بيترز لوفان الجديدة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م، مادة (cRB1)، ص ١٨. وذكرت لفظة (مغرب) و (معرّبي) بمعنى جهة الغرب أو المغرب في بعض النقوش السبئية. ويذكر الأستاذ عبدالرحمن الملاحي عن عالم النقوش محمد عبدالقادر بافقيه أن لفظة (المشقااص) قليلة الاستعمال في النقوش، وترد فيها بمعنى جهة المشرق، وتقابلها لفظة (المغرب) وتعني جهة المغرب. ينظر: القائم عبدالله عوض مخارّش وأضواء على وثائق من الأرشيف الإداري للسلطنة القيعية، تأليف: عبدالله سعيد الجعدي، وعبدالله أحمد باصميدي، ط ١، ٢٠١١م، ص ٧ - ٨، مقدمة الملاحي، وينظر: الملاحي، الدلالات الاجتماعية واللغوية والثقافية لمهرجانات ختان صبيان قبائل المشقااص ثعين والحموم، (طبعة حجرية)، ص ٩.

واستعملتها بكثرة مدونات تاريخ حضرموت الوسيط والحديث للدلالة على جغرافية محددة في حضرموت، إذ كثيراً ما نجدهم يذكرون اسم المشقاص^(١)، وريدة المشقاص^(٢)، وجهة المشقاص^(٣).

ويقول علوي بن طاهر الحداد (ت ١٣٨٢هـ) عن تحديد المشقاص إنه يُطلق على ما كان شرقي الشحر، وإنه ينتهي حيث تضيق أطرافه الشرقية بين البحر ومجرى وادي المسيلة^(٤).

ويذكر محمد عبدالقادر بامطرف (ت ١٩٨٨م) أن المشقاص تعني عند أهل الشحر المنطقة الساحلية الواقعة إلى الشرق منهم، كالحامي والديس الشرقية وقصيعر والريدة إلى مكان اسمه دُمُخ حساي، كما يشير إلى أن كلمة (المشقاص) تستعملها قبائل أخرى خارج حضرموت، فمثلاً عندما تغزو قبائل الجوف كدهم وعبيدة القبائل الحضرمية الواقعة إلى الشرق من مواطنهم كالصيعر والعوامر والمهرة؛ يقولون إنهم يغزون (المشقاص)^(٥).

ويحصر المؤرخ الدكتور محمد عبدالقادر بافقيه المشقاص في ما بين المنطقة الواقعة بين العيص شرقي الشحر، وبين سيحوت أو حيريج عند مخرج وادي المسيلة^(٦).

(١) شنبل: تاريخ حضرموت المسمى تاريخ شنبل، تحقيق: عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط ٣، ٢٠٠٧م، ص ٩٤، والطيب بافقيه، محمد بن عمر: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق: عبدالله الحبشي، مكتبة الارشاد صنعاء، ط ١، ١٩٩٩م، ص ١٥٨.

(٢) شنبل: المصدر السابق: ص ١٢٣، ١٩٣، والطيب بافقيه: مصدر سابق، ص ١٤، ٢٢٣، ٣٠٥.

(٣) شنبل: مصدر سابق: ص ١٩١.

(٤) الحداد، علوي بن طاهر: الشامل في تاريخ حضرموت ومخالفاتها، تريم للدراسات والنشر، مصوَّرة عن طبعة سنغفورة، ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م، ط ١، ص ١٠٧.

(٥) بامطرف، محمد عبدالقادر: ملاحظات على ما ذكره الهمداني عن جغرافية حضرموت، دار الهمداني للطباعة والنشر - عدن، الطبعة الأولى ١٩٨٤م، ص ٢٠.

(٦) بافقيه، محمد عبدالقادر: آثار المشقاص ومكانها من ساحل حضرموت، نشرة الساعية الصادرة عن لجنة إحياء التراث البحري والشعبي بالحامي، العدد (٤)، ١٩٩٤م، ص ٣.

تتفق كل التعريفات على أن المشقاص تمتد من شرق الشحر إلى وادي المسيلة شرقاً، وفي حَقَبٍ تاريخية غابرة اتسع التحديد حتى شمل قشن في المهرة^(١)، ووصفَ بامخرمة حيريج الواقعة شرق المسيلة بأنها أم المشقاص، وفيها بندرٌ يؤمُّه أهل الهند ومقدشوه وحضر موت^(٢). مما يدل على أهميتها الكبرى في المشقاص بأسره.

أما التعريف الحالي للمشقاص عند الحضارم فهو ما اشتملت عليه مساحة مديرية الريدة وقصيعر في التقسيم الإداري المعاصر. وبالرغم من أنه لا يتفق مع توصيفات المؤرخين السالفة آراؤهم فإنه صار معتمداً اليوم بين أهل المشقاص أنفسهم وأصحاب المناطق المجاورة، ونظراً لأن مديرية الدير الشرقية تضم في تقسيمها الإداري مناطق ذات ثقافة مشقاصية بحتة، وتسكنها القبائل نفسها الموجودة في المشقاص؛ فقد ارتأيت ضمها إلى حدود البحث، أولاً لأن ذلك لا يخالف أقوال الجغرافيين والمؤرخين السابقة، وثانياً لأن مناطق مديرية الدير ذات خصائص شبيهة بما في المشقاص، حتى مدينة الدير نفسها لا توجد بينها وبين مدن قصيعر والريدة فروق ذات بال، وما وجد من اختلافات لهجية ضئيلة أعتقد أنه لا ينفي (مشقاصتها) وارتباطها التاريخي والجغرافي بهذه المنطقة.

٢. المستكشفون الأوروبيون وكتاباتهم عن المشقاص:

يرتكز بحثنا على أربع كتابات لستة من المستكشفين الأوروبيين في القرن التاسع عشر الميلادي، وقد كانت كتاباتهم على النحو الآتي:

(١) شنبل: التاريخ ص ٢٦٥، وفيه: «اقتتلوا مهرة بقشن المشقاص»، والطيب بافقيه: مصدر سابق، ص ٣٢٠، ٣٢١ عن أحداث عام ٩٥٢هـ، وتحدث عن تجهيز السلطان بدر أبي طويرق الكثيري لحرب المشقاص، وتقدمه إلى الريدة، مختتماً بالقول: «وكان دخول بدر بالعسكر قشن يوم الأحد وثمان في شوال». ومنه يفهم أن المؤرخ بافقيه يقصد بالمشقاص منطقة تشمل الريدة حتى قشن.

(٢) بامخرمة، الطيب بن عبدالله: النسبة إلى المواضع والبلدان، مركز الوثائق والبحوث - أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ص ٢٣٥.

Memoir, to Accompany a Chart of the South Coast of Arabia from the Entrance of the Red Sea to Misenát, in 50° 43' 25" E^(١)

مذكرات عن الساحل الجنوبي العربي من بوابة البحر الأحمر إلى المصينة. كتبها الكابتن والضابط والسياسي البريطاني ستافورد بتسورث هينز (Stafford Bettesworth Haines)، عقب دراسته للساحل الجنوبي العربي من باب المندب حتى المصينة، وقد شمل هذا التقرير معلومات مدققة عن جنوب الجزيرة العربية جمعت في الأعوام ١٨٣٤، ١٨٣٥، ١٨٣٦ م بوساطة هينز وضباط سفينة شركة الهند الشرقية بالينورس (Palinurus). ومعلومٌ تاريخياً أن قدومه كان تهيئةً لاحتلال الإنجليز لمدينة عدن ومينائها في السنوات اللاحقة، واتسمت معلوماته بالدقة والاختصار، فكتابه تقريرٌ، ولا يأخذ طابع أدب الرحلات كالخمسة الباقين، وقد أتى على وصف منطقة المشقاص من الديس حتى شخاوي وما صاقبها من أراضي المشقاص، ووصف حكام تلك البلاد والموانئ الموجودة، ودون معلوماتٍ جغرافيةً واقتصاديةً مهمةً عن المشقاص في تلك الحقبة الزمنية.

ب - وصف لبعض النقوش التي تم العثور عليها في الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية^(٢)

للبريطانيين ج. جي هولتون و ج. سميث (J. G. Hulton and J. Smith)، وهما ضابطان في البحرية الملكية البريطانية، وكانا في ضمن بعثة هينز التي زارت المشقاص

(١) Haines, S. B. Memoir, to Accompany a Chart of the South Coast of Arabia from the Entrance of the Red Sea to Misenát, in 50° 43' 25" E. The Journal of the Royal Geographical Society of London, Vol. 9 (1839), pp. 125 - 156.

(٢) هولتون ج. جي، سميث، ج: وصف لبعض النقوش التي تم العثور عليها في الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية، تعريب: د. خالد عوض بن مخاشن، مجلة حضرموت الثقافية، السنة الثانية، العدد (٦)، ربيع الأول ١٤٣٩ هـ/ ديسمبر ٢٠١٧ م، (٣٢ - ٣٥).

وغيره من مناطق جنوب الجزيرة العربية، وقد سجلا مشاهدتهما عنه في بحث كتبه بتاريخ ١٨ فبراير ١٨٣٧م، وعنوانه بالعنوان المذكور، ونُشر في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية لبريطانيا العظمى وإيرلندا، في مجلدتها الخامس، العدد الأول، عام ١٨٣٩م. ونقله الدكتور خالد عوض بن مخاشن إلى العربية في مجلة حضرموت الثقافية العدد السادس ٢٠١٧م.

ويعد بحثهما من الكتابات المبكرة عن المشقااص في أوروبا، إذ نُشر عام ١٨٣٩م، وقد صيغ مقالهما بصيغة سردية، فقد كانا يصفان المناطق التي ينتقلان إليها خلال بحثهما عن بعض النقوش والكتابات القديمة التي سمعا عنها، وأرفقا بالبحث صوراً للكتابات التي عثرا عليها هناك.

ج - رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ومهرة وحضرموت^(١).

للألماني ليو هيرش (Leo Hirsch)، وجاء الكتاب في أعقاب رحلته من برلين إلى عدن في ديسمبر عام ١٨٩٢م، وفي زمنٍ لاحقٍ قام برحلات إلى المكلا والشحر والمشقااص وقشن، وإلى مدن وادي حضرموت: شبام وسيئون وتريم. ويعد هيرش الأوروبي الأول الذي يجتاز وادي حضرموت في أجواء العام ١٨٩٣م، ونشر كتابه في ما بعد في العام ١٨٩٧م، وضم كتابه تفاصيل دقيقة، وخاصةً عن منطقة قصير التي زارها ووصف حصونها وسدتها وبعض ضواحيها بدقة متناهية.

د - جنوبي جزيرة العرب رحلات في البحرين وجنوبي اليمن وعمان وشرقي السودان وسقطرى^(٢).

(١) هيرش، ليو: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ومهرة وحضرموت، ترجمة: عبد الكريم الجلاصي، منشورات القاسمي، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.
(٢) بنت: ثيودور ومايبل: جنوبي جزيرة العرب رحلات في البحرين وجنوبي اليمن وعمان وشرقي السودان وسقطرى، ترجمة: هناء خليفة، تحرير وتعليق: د. أحمد إيش، مراجعة: د. أحمد عبدالرحمن السقاف، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية، الطبعة الأولى: ١٤٣٤هـ / ٢٠١٢م، الإمارات العربية المتحدة.

للبريطانيين جيمس ثيودور بنت وزوجته ماييل (James Theodore Bent and Mabel) اللذين زارا حضرموت عامي ١٨٩٣ - ١٨٩٤ م، بعد أشهر من زيارة الألماني ليو هيرش لها عام ١٨٩٣ م؛ لمسح حضرموت بصورة مستقلة، وكانت ماييل بنت هي المرأة الأوروبية الأولى التي تسجل انطباعاتها عن حضرموت، وهي التي سجّلت المشاهدات الإثنوغرافية والملاحظات المعاصرة عن منطقة المشقاص وحياة البدو وأزيائهم وطباعهم وعاداتهم ومعيشتهم في هذا الكتاب.

٣. موجّهات المستكشفين الأوروبيين لزيارة المشقاص والكتابة عنه : يظهر للباحث أنها تتلخّص في الآتي:

١ - البحث عن النقوش القديمة التي كانت تمثّل هاجساً لدى الأوروبيين يلهثون خلفها محاولةً لكشف النقاب عن التاريخ القديم المجهول في معظمه، ولإدراكهم أن النقوش تعطي فهماً أفضل للتاريخ القديم كونها معاصرةً له، بخلاف المصادر التاريخية والإخباريات التي كُتبت في تواريخ لاحقة وشابها ما شابها من زوائد وإضافات. وقد بذلوا جهداً مكثفاً للسعي وراء هذه النقوش، وهذا ما نلمسه في جهود الدكتور ج. هولتون والسيد ج. سميث في مقالهما^(١)، وعند ثيودور وماييل بنت^(٢).

٢ - معرفة المواقع الدقيقة وتعيين الأنشطة التجارية لهذه المنطقة في إطار استكشاف موارد ونشاطات ساحل الجزيرة العربية كما هو هدف بعثة الكابتن هينز، تمهيداً للمد الاستعماري الذي اجتاحت البلاد في ما بعد، ومعلوم أن هينز كان هو قائد عملية إسقاط عدن في ١٨٣٩ م، بل حكمها لمدة من الزمن.

أولاً: المادة التاريخية في كتابات المستكشفين الأوروبيين عن المشقاص في القرن التاسع عشر الميلادي:

تورد المصادر التاريخية والوثائق والمدونات الحضرمية في القرن التاسع عشر مادةً

(١) هولتون ج. جي، سميث، ج: وصف لبعض النقوش ص ٣٢، ٣٤، ٣٥.

(٢) بنت، ثيودور وماييل: جنوبي جزيرة العرب ص ٢٥٩.

لا بأس بها عن الحياة السياسية في المشقاص، وبالرغم من ذلك ما تزال ثمة فجوات تعترض الباحث فيها، وخصوصاً في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية التي لا تلقي لها المصادر بالاً إلا ما ذُكرَ عرضاً، فهاجس الاهتمام بالحدث السياسي عند مؤرخينا كان يطغى على اهتمامهم بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية، لذلك يضطر الباحث إلى البحث عن مصادر بديلة يجد فيها بعض بغيته كالشعر والأدب والمصادر الشفهية، أمّا المدونات الأوربية عن المشقاص في القرن التاسع عشر فإننا نعتقد أنها تشكل مصدرًا رديفًا لتكميل بعض ما اعتور المعلومات الحضرمية من نقص وقصور في تلك الحقبة الزمنية، وهذه المدونات التي يختلف طابعها بين تقاريرٍ سياسيةٍ واقتصاديةٍ واجتماعيةٍ كما نجد عند هينز، وتوثيقٍ للنقوش كما عند هولتون وسميث، وأدبٍ رحلاتٍ كما نجد عند ليو هيرش والزوجين بنت.

هذه الكتابات الأربع حاولنا جاهدين استخلاص ما فيها من معلومات متعلقة بالمادة التاريخية في المشقاص آنذاك، رغم أن كتبها لم يسموها بالبحوث التاريخية، بل كانت تقارير عما يروونه أمامهم، فهي تكتسب الآن أهميتها البالغة؛ لحديثها عن المشقاص وذكرها لتفاصيل وشخصيات أغفلتها المصادر الحضرمية.

وينصب عملي في هذا البحث على استخلاص كل ما له علاقة بالتاريخ المشقاصي في القرن التاسع عشر الميلادي، وترتيبه في سياق تاريخي متسق، وقد عمدت إلى إفراذ مادة هؤلاء المستكشفين، وعدم شوبها بمادة مستخلصة من المصادر الحضرمية، فعملي هنا هو استخلاص المادة التاريخية، وليس كتابة بحث تاريخي عن المشقاص في تلك المدة.

وكما هو واضح من عنوان الدراسة؛ استخلصت كل ما أمكن من مادة تاريخية عن المشقاص، فالبحث ليس خاصاً بتاريخ القرن التاسع عشر، بل جعلته معنياً بكل ما أوردته هذه الكتابات التي كُتبت في القرن التاسع عشر عن تاريخ المشقاص، وتناولت ذكر المعالم الجغرافية التي ذكرت هناك، والمعلومات التي تناولت المعالم الأثرية في

المشقاص والتي يعود بعضها إلى ما قبل ألف عام، وهذه المعلومات لا شك ستفيد الدارسين الأثريين لآثار المشقاص في المستقبل.

١. المعالم الجغرافية والأثرية في المشقاص في القرن التاسع عشر الميلادي؛ أ - المعالم الجغرافية:

سنتعرض هنا لجانب الوصف الجغرافي لمناطق المشقاص المذكورة في الكتابات الأوروبية في القرن التاسع عشر، أما المعلومات عن أوضاعها السياسية فستأتي لاحقاً. **الديس:** يسجل تقرير هينز أن في ثلاثينيات القرن التاسع عشر كان يسكن الديس ١٠٠٠ شخص تقريباً، وتوجد بها بعض الينابيع الحارة، وعلى بُعد ٤ أميال تقع (ضبطه) التي تحيط بها مزارع النخيل، وتقع إلى الشرق منه قرية ورأس شرمة، وكذلك خلفه والقرن، ووصف هينز أنها كانت مدينة مسورة حينئذ (Walled town) (١).

وورد في وصف مرافقي هينز ج. جي هولتون وج. سميث أن الديس بلدة بدوية تقع على مسافة ساعات من رأس شرمة، وحين نزولهم في شرمة سمعوا من السكان المحليين الذين صادفهم هناك أنها منطقة كثيرة السكان، وذات أرض خصبة تنتج مختلف أنواع الخضار والفواكه، ووصفوا لهم مباني قديمة على كتابات لا يعرفون قراءتها، وهو الأمر الذي شجعهم للوقوف على تلك المباني بأنفسهم (٢).

أما الرحالة الألماني ليو هيرش فيبدو من خلال سياق قصة رحلته أنه لم يزر الديس لكنه عند مروره بالسفينة لمح ميناءها القرن ورست سفينتهم في شرمة (٣).

وأما الرحالة جيمس ثيودور بنت وزوجته مايبل فقد سلكا ورفاقهما في ١١ مارس من عام ١٨٩٤ م البر من الحامي إلى الديس، التي وصفت أنها تبعد عن الحامي ١٥ ميلاً (٤)،

(١) Haines, S. B. Memoir: p 153.

(٢) هولتون وسميث: وصف لبعض النقوش: ص ٣٢.

(٣) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص ٥٦.

(٤) بنت: جنوبي جزيرة العرب ص ٢٥٨.

ولم يلفتهم في الديس الكثير خلاف واحة نضرة يغذيها بالماء غيل، وتصف ماييل بنت هذه الرحلة بأنها «محاولة عقيمة طويلة» لم يشجع عليها سوى إصرار بعلمها جيمس ثيودور على قراءة نقش في أحد التقارير، والمنطقة مأهولة بالسكان، وهي مزدهرة جداً، وتوجد حولها مجموعة من الحصون القديمة، لعلها وفرت في رأي ماييل حماية للسكان^(١).

وساروا إلى صخرة يخرج منها (القار) أو الإسفلت^(٢) بعد قرية تسمى (الغيضة) وهي قرية من يضغط التي يقطنها بيت نمور، وهذا الغار يعرف باسم (غار الكيل) أي الإسفلت، لكنه منذ عقود كما سمعت لم يعد يخرج الكيل من باطنه.

القرن: ذكرها هينز باسم (El Gharm)، والصحيح القرن، وأشار إلى أنها قرية صيد صغيرة، وعلى بعد ميلين تقع الديس^(٣)، ويذكر هيرش أنهم حين مروا بحذاء منطقة القرن رأوا من البحر حصناً كبيراً تحيط به بعض المنازل^(٤).

شرمة: يصف هينز شرمة بالقرية الصغيرة^(٥)، ويذكر هولتون وسميث أن في شرمة بقايا قلعة وبلدة صغيرة قرب الرأس لكنها منهارة، ويوجد هناك بقايا صهريجين لخزن المياه، شبيهة بالصهاريج الموجودة في حصن الغراب^(٦).

ويصف ليو هيرش رأس شرمة بالرأس الجبلي المتوغل في البحر^(٧)، ورسا الصنبوق الذي يركبه هيرش في شرمة التي ذكر له أنها تسمى: (بندر شرما)، وأدرك هيرش أن صفة البندر لا تعطي دلالة حقيقية لهذا الموقع الذي نزلوا فيه، إذ لا وجود لمدينة

(١) المصدر نفسه ص ٢٥٩.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٦٠.

(٣) Haines: Memoir: p 153.

(٤) هيرش: مصدر سابق ص ٥٦.

(٥) Haines: Memoir: p 153.

(٦) هولتون وسميث: وصف لبعض النقوش ص ٣٢.

(٧) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص ٥٦.

هناك، ما عدا مسجدًا صغيرًا يقع على مرتفع هناك هو مسجد المحضار^(١)، وفي شربة تقع كهوف صغيرة تتخذ لاحتواء الأغنام والماعز عند سوء حال الطقس، وثمة صخور تتخللها طبقات سميكة من الطين الأبيض المشوي، قيل لهيرش إنه يتم تصديره إلى الهند، وعلى الساحل يتم تجفيف أسماك كبيرة تنبعث منها رائحة كريهة جدًا^(٢). وهذا ما يطلق عليه اللحم، وسيأتي تناوله في موضعه لاحقًا.

المعيلة وحمم والعليدة: ذكر هولتون وسميث أن في المعيلة قلعة تسمى حصن المعيلة، لكنها منهاره، وارتحلوا من المعيلة إلى منطقة تسمى (حمم)، ثم إلى جبل العليدة، إذ أُخبروا بوجود نقوش هناك، وعلى ارتفاع حوالي ٢٠٠ قدم وجدوا كهفًا فسيحًا تنتشر على جدرانه كتابات كتب أغلبها باللون الأحمر وبعضها باللون الأسود، ورغم أن بعضها تأثر بعوامل الزمن، لكن بعضها لا يزال صامدًا^(٣).

ووصف هولتون وسميث الأرض المحيطة بمنطقة حمم بالقاحلة ذات الجبال الجرداء، ولكن عند دخول هذه الأودية تظهر المناظر الخلابة الخضراء، حيث تنتشر مزارع النخيل، وتوجد أراضي مزروعة بالبصل والثوم والبطاطا الحلوة، وأنواع مختلفة من فواكه البطيخ والتوت، بالإضافة إلى النبق (المسمى محليًا العلب) وأشجار النارجيل الموجودة بكثرة هناك^(٤).

وذكر هينز أن جبل حمم (Jebel Hamum) هو تل عُثر بالقرب منه على بعض النقوش القديمة وُصِفَتْ بأنها تحمل الطابع نفسه الخاص بنقوش منطقة حصن الغراب، وتوجد عدة من ينابيع الماء وزراعة كبيرة، وإلى الشرق على مسافة بعيدة يقع جبل عسد ((Jebel Asad) كتبها هينز كذلك Mount Lion) الذي يمتد إلى الشمال

(١) ورد في الكتاب: (مَحْظَر)، انظر: ص ٥٧.

(٢) هيرش: مصدر سابق ص ٥٧.

(٣) هولتون وسميث: مصدر سابق ص ٣٣.

(٤) هولتون وسميث: وصف لبعض النقوش ص ٣٣ - ٣٤.

الشرقي تجاه رأس فرتك^(١).

رأس باغشوة: يذكر هينز رأس باغشوة وهي صخرة ارتفاعها ٣٠٠ قدم، وتوجد قرية تحمل الاسم نفسه، وعلى بعد حوالي ٤ أميال غربًا يقع موضع أسماء هينز (ضفغن Dhafghan)^(٢)، والأرجح أنه يقصد (ضرغم) الواقع بين منطقتي يثمون ورأس باغشوة، أما هيرش فقد أشار إلى أن رأس باغشوة مصطبة صخرية ذات ارتفاع متوسط تكاد تكون ممزقة بأخاديد عميقة عمودية^(٣).

قصيعر: يصف هينز قصيعر بأنها منطقة تلي الرمال المنتشرة على الساحل التي تقود إلى رأس قصيعر، وباتجاه ميل واحد إلى الشمال تأتي مدينة صغيرة أو قرية^(٤)، وهي تضم عدة من مبانٍ صخرية معظمها أكواخ، ويقارب عدد سكانها ٣٠٠ نسمة من الحموم بيت علي وبيت غراب^(٥)، وهذا خلا من يسكنها من سكان من قبائل ومشايخ وفئات اجتماعية أخرى يبدو أن هينز كان يعني بعضهم أو كلهم بوصف السكان الأصليين: "ويمتلك السكان الأصليون عددًا من القوارب، ومع وفرة أسماك القرش التي يصطادونها تصدّر ذيول القرش وزعانفه إلى السوق الصينية عبر مسقط وبومباي، وتجلب أسعارًا جيدة"^(٦). وذكر هينز أنه على نحو ميل في جهة الشمال

(١) Haines: Memoir: p 153.

(٢) نفسه.

(٣) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص ٥٨.

(٤) لم يجزم هينز بتصنيفها مدينة صغيرة أو قرية.

(٥) لم يتحدث هينز عن مخبريه بهذه المعلومات، وربما قام بهذه الإحصائية بنفسه، وهل كان هذا العدد خاصًا بسكان قصيعر وحدهم أو كان يشمل معهم سكان الضواحي الأخرى كعسد الفاية ومعبر ومهينم التي لم يأت هينز على ذكرها في تقريره؟ وإن كان يمكن ملاحظة أن هذا التعداد قد لا يكون دقيقًا تمامًا؛ لأنّ هناك قبائل وعوائل أخرى تسكن قصيعر في تلك المدة الزمنية، ولعل هينز اهتم بالقبائل المقاتلة أكثر من اهتمامه بالتوزيع الديمغرافي الدقيق حينها، وقد يشي ذلك بتفكيره السياسي والاستعماري الطاغى على تقريره.

(٦) إن تجارة ذيول اللحم وزعانفه ما تزال رائجة في قصيعر حتى اليوم، وسنعود إليها في قسم المادة الإثنوغرافية من هذا البحث.

الغربي لقصيعر يوجد حصن ومزارع نخيل، وعلى بعد ميلين ونصف من الاتجاه نفسه توجد قرية القرين^(١). والملاحظ وصفه للقرين بالقرية، ولعله يقصد القرية التي سميت (المخرج) نسبة إلى مخرج السيول هناك، والتي هُجرت منذ عشرات السنين، وما تزال بيوتها قائمة حتى الآن، أما القرين فهو قشار (صخور بحرية) شبيه بالقرن، وتوجد أكثر من قرية في حضرموت تسمى القرين.

وعندما زارها ليو هيرش في ١٨٩٣م وصف أنها تتبع القعيطي وحاكمها الشاب ناصر بن عمر بن عوض القعيطي^(٢)، وقد وصف هيرش أن سفيتهم رست على الجانب الأيسر لما أسماه هيرش (شبه جزيرة صغيرة)، يقصد قشار الحيق، وعلى الجانب الأيمن خليج لا يبعد عنه حصن الحاكم سوى مسافة قصيرة، وإلى هذا الخليج انتقل السنبوق لاحقاً^(٣). والخليج المذكور هو ما يُعرف باسم (خيصة المسجد).

أمّا ثيودور بنت وزوجته مايبل فقد قدما إلى قصيعر عام ١٨٩٤م تحت حماية المقدم ابن حبريش الموصوف في الكتاب بلقب (سلطان الحموم)، وكان حاكم قصيعر آنذاك رجلاً مسناً ونحياً ملتجياً، شَبَّهته مايبل بالدون كيخوته. وقد حَظِي بنت ورفاقه بحفاوة عالية، بُرهنَ عليها بإطلاق أعيرة النار، واستقبالهم في أعلى قلعة الحاكم، وهي المسماة في قصيعر بحصن القائم نسبةً للقائم أي الحاكم، ونصبوا لهم خيمة على السطح. وعند حلول المساء ذهبوا إلى الشاطئ، وطافوا بالمدينة، وقد لاحظوا أن المدينة تتموضع على نقطة صغيرة، وتبدو للناظر من الغرب أنها ذات أربع زوايا ومحاطة تماماً بسور يوحى مظهره مع الأبراج والقلاع بالهيبة، لكن الحقيقة التي أدهشت المستكشفين أن الجانب البحري مكشوف ولا يوجد به سور، ما عدا أربعة أبراج متباعدة عن بعضها^(٤)، وهذه الأبراج تسمى في قصيعر (النوب)، ومفردها (نوبة)

(١) Haines: Memoir: p 154.

(٢) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص ٦٠.

(٣) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص ٥٩.

(٤) بنت: جنوبي جزيرة العرب ص ٢٦١ - ٢٦٢.

بفتح النون، وتعني مدة الحراسة، وينبغي ملاحظة أن هذا الاسم لم يُذكر في الكتاب. وقد ورد عند مايبل بنت كذلك وصف ميناء قصيعر بأنه "زاوية منعزلة حيث تأوي القوارب خلف حاجز للأمواج صغير ومنخفض وطبيعي من البازلت"^(١).

المنازح: يصف هينز المنازح بأنها في الشمال الغربي لقصيعر، ويوجد بها حصن ومزارع نخيل^(٢). ويذكر هيرش أنها من الأراضي المزروعة، ويحمي زرعها (كوت)^(٣). ويبدو أن الحصن المذكور عند هيرش هو نفسه الذي أشار إليه هينز من قبل سيطرة القعيطي، وكان الحصن قائماً حتى وقت قريب، وهناك ما يمكن ملاحظته وهو أن هيرش أشار إلى أن مزارع المنازح فيها نباتات متعددة، ولم يصفها فقط بمزارع النخيل كما قال هينز.

وتنتج مزارع المنازح أنواعاً مهمة من الخضار كالدجّر والباذنجان المسمى محلياً كما كتب هيرش: ينذال (تُنطق في قصيعر: ينظال، ولعله كتب الظاء ذالاً)، والباشيا والحلبة والغلق والقرع والبطاطا الحلوة وغيرها، ووصف القطع المملوكة من أراضي المنازح بأنها صغيرة المساحة لكنها كثيفة الزرع؛ بسبب توافر الماء بكميات كبيرة تستخرج من الآبار بوساطة الثيران، وتسكب الدلاء الممتلئة بالماء في أحواض، ويجري الماء عبر قنوات ليتجمع في بركة تمثل مركز مزارع كل الملاك^(٤).

مهينم: ذكر هيرش أنها من الأراضي المزروعة حول قصيعر، وتقوم عندها أشجار النخيل^(٥).

(١) نفسه ص ٢٦٣.

(٢) Haines: Memoir: p 154.

(٣) هيرش: مصدر سابق ص ٦٠.

(٤) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص ٦١ - ٦٢.

(٥) المصدر نفسه ص ٦٠. وننبه على خطأ في النسخة المترجمة إذ ورد الاسم: مَهْنِيم، والصحيح (مهينم).

معبر: ذكر هيرش أنها على بُعد بضع ساعات شمال قصيعر، وبها مزارع غنية بالنخيل وحصن وآبار مشيدة من عهد (الكفار)^(١).

الرحبة: ذكر هيرش أنه على بعد ساعات من قصيعر توجد (أرض رحبة)، وبها موضع يسمى (فويشلة)، رُوي له أن هذا الموضع حجراً كبيراً عليه كتابات مسيحية^(٢). سرار: أشار هيرش إلى أنه اطلع في الخريطة على منطقة سرار^(٣)، وتصف مايل بنت أنهم مروا في طريقهم على قرية سرار، ووصفت أن منازلها حينذاك لا تتعدى ثلاثة بيوت كبيرة من الطين، وعدد لا بأس به من أكواخ البامبو^(٤).

الريدة: يصف هينز الريدة بأنها مدينة صغيرة يقطنها حوالي ٧٠٠ من السكان على الساحل البحري، وهي محل إقامة السلطان علي بن عبدالله المنحدر من إحدى العوائل الحاكمة في جنوب الجزيرة العربية، والشيخ الحالي هو رجل يبلغ حوالي الخمسين من العمر، يتمتع باحترام كبير، ويرأس الأرض الممتدة من رأس باغشوة إلى المصينة، على امتداد يقارب ٣٥ ميلاً على شاطئ البحر^(٥).

أما ثيودور ومايل بنت فقد توجَّهوا بعد قصيعر صوب الريدة صحبة (سلطان الحموم) ابن حبريش، الذي كان يحميهم، وبدونه - كما تقول مايل بنت - "لن نكون في مأمن في ما وراء قصيعر". ووصفوا الريدة بأنها "قرية صيد كبيرة"^(٦).

وفي سبيل بحثهم عن النقوش شدوا الرحال نحو الشرق حيث توقفوا في قرية رخमित، وكانوا يأملون العثور على نقوش جديدة تم وصفها لهم، وأحدها كان على

(١) المصدر نفسه ص ٦٠.

(٢) المصدر نفسه ص ٦٠ - ٦١.

(٣) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص ٦٢.

(٤) بنت: جنوبي جزيرة العرب ص ٢٦٣.

(٥) Haines: Memoir: p 154.

(٦) بنت: مصدر سابق ص ٢٦٣.

الطريق إلى (المصينة)، والنقش الآخر كان في كهف قريب من المصينة، وخيموا هناك، بعد مشاورات مع زعيم الحموم المسن، وبعد المبيت سيتجهون صباح الغد إلى المصينة، ولكن عدلوا عن فكرة زيارة الكهف حينما علموا أنه يبعد عشرين ميلاً عن المصينة، ولا توجد مياه هناك، فقرروا العودة في اليوم التالي إلى قصيعر في حال تمكنهم من العثور على قارب يأخذهم من الريدة إلى قصيعر، ثم آبوا إلى الريدة، واستضافهم سيدٌ مسنٌ لم يذكروا اسمه، يبدو أنه كان من أعيان الريدة حينذاك^(١).

وعند العودة من الريدة إلى قصيعر برًّا بطبيعة الحال، وعندما اجتازوا برًّا في الطريق إلى سرار؛ طلب من ماييل أن تنفصل عن فريقها لتفسح فرصة لنساء تلك القرية لمشاهدتها، وعندما كان حصان ماييل يتبخر بين النساء، صرخن النساء بقولهن (شلّوه) [بالإنجليزي shilloh] مما أجفل الحصان وجعله يركض بقوة، وهذه الكلمة قيلت في هذا السياق بمعنى: خذوه وأبعدوه، ربما لأن النساء تخوفن من هذا الحيوان العظيم والغريب، رغم أن صرخات الابتهاج توالى لاحقاً، الأمر الذي جعل ماييل تقول: "أتجراً على القول بأن هؤلاء النساء لم يرين حصاناً أبداً"^(٢). وقد كانت الأحصنة قليلة في ذلك الوقت، وعُدِمَت في مناطق المشقاص حالياً.

المصينة: يتحدث هينز عن وجود مبانٍ قديمة متهدمة على ساحل المصينة، ونبع من المياه العذبة، وانتشار للمستنقعات وأشجار المنغروف، ووقف هينز على بقايا بلدة أثرية هناك، قيل إنه عُثِرَ فيها على بعض العملات المعدنية القديمة ولقى أثرية من بينها زوج من المقاييس (ميزان)^(٣).

ويذكر هولتون وسميث قدومهما إلى المصينة، ودراستهما آثار حصنها الواقع على رابية صغيرة بالقرب من ساحلها، وعثورهما هناك على بقايا زجاجية ونحاسية

(١) المصدر نفسه ص ٢٦٤.

(٢) بنت، ثيودور وماييل: جنوبي جزيرة العرب ص ٢٦٥.

(٣) Haines: Memoir: p 154.

دلت على قدم المنطقة^(١). ويذكر هيرش أنهم رسوا في البحر على مقربة من موضع (مسينات) أي المصينة، وهي قرية ساحلية غير ذات بال، بحسب وصفه^(٢).

شخاوي ومعوك: يقول هينز إن مجموعة من الضباط تتكون من الملازم ساندرز والدكتور هولتون والسيد سميث غادروا السفينة بالينوروس وتوجهوا ١٠ أميال نحو وادي شخاوي على بُعد ٣ أميال من قرية مايوكي، حيث اكتشفوا بعض النقوش الموجودة في حصن غراب، ويقال إن الوادي خصب ويحتوي على قرى عديدة، ويمكن تمييز وادي شخاوي بسهولة بوجود فجوة ملحوظة في الجبال التي تشملها^(٣).

ذكر هولتون وسميث في تقريرهما ذلك أنهما تحركا مع الضابط سانديرز (Lieutenant Sanders) تحت حماية عدد قليل من البدو المنتمين لقبيلة (المناهيل) بعد موافقة الكابتن هينز لنسخ بعض النقوش، ووصلوا إلى نخل (معوك) - وردت بحسب النطق الأوروبي (ميوك)، وأثبتها المترجم كذلك، والصحيح معوك - وهي بستان صغير من النخيل يقع في سفح سلسلة من الجبال الشاهقة إلى الشرق من وادي شخاوي، وعند صعودهم إلى ارتفاع ١٥٠٠ قدم وصلوا إلى كهف واسع رُسمت على بعض جدرانه نقوش باللون الأحمر شبيهة بتلك التي عثروا عليها في وادي حمم، ووجدوا هناك صهريجًا لحفظ الماء كان يظن مخبروهم أنه بئر^(٤).

ووردت إشارة في كتاب ثيودور ومايل بنت أنهم سمعوا بأن وادي شخاوي (Shekhavi) يمثل نهاية وادي (مسيلة)^(٥).

(١) هولتون وسميث: وصف لبعض النقوش ص ٣٥.

(٢) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص ٦٣.

(٣) Haines: Memoir: pp 154 - 155.

(٤) هولتون وسميث: وصف لبعض النقوش ص ٣٥.

(٥) بنت: جنوبي جزيرة العرب ص ٢٦٧.

ب - الآثار والحصون التي وقف عليها المستكشفون الأوروبيون:

سنعرض هنا لذكر ووصف أهم الآثار المشقاصية التي وقف عليها الأوروبيون في القرن التاسع عشر الميلادي، وليلاحظ القارئ أن ثمة آثارًا أخرى سواء في الساحل المشقاصي أم الوديان الداخلية لم يكتب عنها هؤلاء؛ لعدم وصولهم إليها أو لعدم سماعهم بها.

١ - حصن شروان (الكافر) في معبر:

قام البريطانيون - بحسب مقال هولتون وسميث - بزيارة القلعة الموجودة في معبر، ولم يطلقوا عليها اسم حصن شروان أو حصن الكافر، بل سموها بـ (حصن معبر)، ووصفوه بالقوي، وأنه مبني من الحجارة والطين، ولا توجد به فتحات للمدافع وإنما فتحات لبنادق البوفيتلة بحسب ما نقله هولتون وسميث، وتصميم الحصن دفاعي، وتم بناؤه على موقع مثير جدًا، إذ ينتصب على ربوة عند التقاء ثلاثة أودية، ويقال إن الحصن بني لحماية طريق التجارة إلى حضر موت^(١).

وذكر هيرش أن في معبر حصنًا شيدته (الكفار)^(٢)، أما الزوجان بنت ومرافقيهم فقد ساروا نحو وادٍ يبعد عن مكان انطلاقهم في قصير ستة أميال، أسمته ماييل اسم: (وادي شروان)؛ رغبةً في رؤية آثار عند قرية معبر، حيث يجري جدول من الماء، وتقع الآثار عند مدخل وادي شروان، "وتتألف من حصن كبير مستدير عند أحد الأطراف بقطر أربعين قدمًا مبني على أحجار مستديرة وبالية بسبب الماء محددة ضمن ملاط قوي جدًا"^(٣). وليلاحظ أننا لا نعرف (وادي شروان) في يومنا هذا بهذا الاسم، بل نسميه وادي معبر، أما شروان فنطلقه على الحصن. وجاءت في حديث بنت عن معبر

(١) هولتون وسميث: وصف لبعض النقوش ص ٣٤.

(٢) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص ٦٠.

(٣) بنت: جنوبي جزيرة العرب ص ٢٦٦. والملاط مادة ربط الطوب ببعضها.

إشارة إلى الكفار الذين حكموا معبر في وقت سحيق، وكانوا يربطون جيادهم في أسفل صخرة كبيرة تقع تحتها قرية معبر^(١).

٢ - آثار متفرقة:

في (مقرة) الواقعة بين الحامي والديس الشرقية، كان يوجد حصن مدمر، وفي خلفه توجد بيوت مدمرة، وفي منطقة حمم يوجد جبل فيه نقوش تم نقلها ونشرها من قبل بعثة هينز، ولاحظ أنها تحمل طابع النقوش الموجودة في منطقة حصن الغراب نفسه، ويوجد حصن لحسين الكثيري بين الريدة وقصيعر في ١٨٣٦ م، وفي المصينة حطام حصن قديم، وقيل إنه تم جمع عملات معدنية وغيرها من الأشياء بالمكان نفسه، ومن بينها زوج من المقاييس (ميزان)^(٢).

واكتشف الضابط ساندروز والدكتور هولتون والسيد سميث نحو وادي معوك الواقع إلى الشرق من وادي شخاوي بعض النقوش المخطوطة باللون الأحمر كتلك الموجودة في حمم، وبدت لهم شبيهة بتلك التي سبق أن لاحظوها في حصن غراب، كما وقفوا على صهريج لحفظ الماء أسفل الكهف^(٣)، وتأكد لنا أن بعض الكتابات من الثمودية وبعضها من المسند.

وتم في أثناء الرحلة الاستكشافية التي قام بها هولتون وسميث في ضمن بعثة هينز العثور على بقايا صهريجين لخزن المياه في شربة، وبقايا قلعة قديمة، كما تم الوقوف على حصن في منطقة (المعيملة)، ورجح هولتون وسميث أنه لم يكن منيعاً قادراً تماماً على الصمود، وهو منهار تماماً حين زيارته، وفي (العليدمة) جوار وادي (حمم) وجدا في أحد الكهوف كتابات بعضها باللون الأحمر وبعضها باللون الأسود، أغلبها تشابه حروفها مع النقوش المألوفة لديهما في حصن الغراب، ولكن بعض تلك الأحرف كانت غريبة، ولأنهما لمحا أن هذه النقوش متشابهة مع النقوش الحبشية؛ دفعهما

(١) المصدر نفسه ص ٢٦٧.

(٢) Haines: Memoir: pp 153 - 154.

(٣) المصدر نفسه ص ١٥٥.

هذا لوضع احتمال أن تكون هذه الكتابات والقلاع مثل حصن الغراب ربما وضعها الأحباش عند احتلال اليمن، ولكنهما تركا ذلك للمتخصصين، وقد دفعهما الشابه بين قبيلة بيت غراب في هذه المناطق وحصن الغراب لسؤال أحد بيت غراب الذي أفادهم أن قبيلته قدمت من حصن غراب^(١).

وقاما بالوقوف على آثار المصينة كذلك، فقد وقفا على حصن المصينة الواقع قرب الساحل على رابية صغيرة، غير أنه لم يبقَ من آثاره غير الأساس الذي شيد من أحجار منحوتة ألصقت بالطين، ويبدو أن الحصن بُني للدفاع عن قرية كانت قائمة هنا، تبنى بوجودها التربة اللينة السوداء وقطع الزجاج والنحاس المتناثرة هناك، وفي وادي (معوك)^(٢) في سفح جبال سخاوي، وجدنا نقوشاً باللون الأحمر وصهريجاً لخزن المياه^(٣). ورؤي لهيرش أن هناك نقشاً في موقع (الفوشلة) في الرحبة، على حجر يبلغ طوله قرابة ثمانية أقدام، عليه كتابات بحروف أوروبية، ولم يستطع هيرش التأكد من حقيقة وجوده، وهل كان كاتبه أوروبي أم حميري^(٤)؟

٢ - ملامح الأوضاع الاجتماعية والسياسية في القرن التاسع عشر الميلادي:

أ - القبائل المشقاصية الواردة في كتابات الأوربيين:

لم تذكر الكتابات كل قبائل المشقاص، ولكننا نجدنا جميعها أشارت إلى الحموم، وذلك لبروزهم قوةً قويةً ذات وجود فاعل على أرض الواقع، وذات تاريخ عريق من الصراع مع الدول القائمة، ومع القعيطيين الذين كانت أغلب هذه الزيارات الاستكشافية في عهدهم. ويجري في أغلب الدراسات وصف مقدّم الحموم بالسلطان

(١) هولتون وسميث: وصف لبعض النقوش ص ٣٢ - ٣٣.

(٢) المذكور في ترجمة بن مخاشن: (ميوك). هولتون وسميث: وصف لبعض النقوش ص ٣٥، وكما نجده مرسومًا بالإنجليزية عند هينز Mayoki ص ١٥٥ وفقاً للنطق الإنجليزي، والاسم الصحيح هو معوك.

(٣) هولتون وسميث: مصدر سابق ص ٣٥.

(٤) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص ٦١.

كما عند هينز ومايل بنت، وفي عهد زيارة هينز عام ١٨٣٧م كان سلطان قبيلة الحموم الشيخ علي بن ناصر، وهو شاب يافع تحت سن ٣٠ سنة، ومتميز ومتفوق على أغلب القادة العرب، بوسعه قيادة ٧٠٠٠ من المشاة في حالة حدوث حرب، وتنقسم قبيلة الحموم على بيت علي، وبيت غراب، وبيت شنين، وبيت القرزات، وقبائل أخرى، وتم تدوين أسمائها التي هي بحاجة إلى التصحيح كما يبدو^(١).

وتقطن قبيلة الحموم والتابعين لها على طول الساحل المشقاصي، وبيت علي جزء من الحموم، ومقدمهم حينذاك حسن بن علي، وهو رجل قوي وشجاع ويقود ألفاً من المشاة، وهي قوة كافية لجعل خصومه والمناطق الضعيفة المجاورة له في حالة رعب وتخوف دائم منهم، ويوجد من بيت علي وبيت غراب ٣٠٠ في منطقة قصير^(٢). وعلى الأرجح أن هينز كان يشمل بهذا العدد سكان قصير مع عسد الفاية والمخرج من بيت علي وبيت غراب، وكما نرى أن هينز شملها بقصير نظراً لمحورية قصير وأهميتها المركزية بالنسبة لهذه القرى.

ويرد وصف بيت غراب عند هولتون وسميث أنهم إحدى أقوى قبائل الحموم ومن أكثرها عدداً، وعند سؤال أحد أفراد هذه القبيلة عن أصل اسمهم أفاد أن أجدادهم قدموا من منطقة حصن غراب، ويفترض هولتون وسميث أنه إذا صحت هذه الروايات فيمكن أن نستنتج أن بيت غراب هنا هم فرع من قبيلة أخرى هناك، ولعل خصوبة هذه الأرض هي ما جذبهم للعيش فيها^(٣).

كما كان لأحد مقادمة الحموم المتأخرين دور تأمين رحلة ثيودور بنت وزوجته ورفاقهم، وكان يلقب بـ (سلطان الحموم)^(٤) أو (زعيم الحموم)^(٥).

(١) Haines: Memoir: p 152.

(٢) Haines: Memoir: p 154.

(٣) هولتون وسميث: وصف لبعض النقوش ص ٣٣.

(٤) بنت: جنوبي جزيرة العرب ص ٢٦١، ٢٦٣.

(٥) المصدر نفسه ص ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦.

وتوجد إشارات إلى قبائل أخرى لم يتم التصريح بأسمائها، فمثلاً عند مرور الزوجين بنت والمقدم ابن حبريش ورفقتهم على سرار صادفهم رجل ارتعب من رؤيتهم، وعلى الفور شرع يشعل ناره ويستعد ببندقته وترك الممر باحثاً عن مخبأ، ولكن المرافقين صرخوا: "مالذي ينفعلك عمله؟ أنت واحد ونحن كثرة، وفوق ذلك نحن لا نقصد إيذاءك". لذا تقدم الرجل "وكان هناك ضحك كبير على الرجل ومعه"^(١). ولم توضّح الكاتبة هل الرجل من سرار أو كان عابر سبيل، وعلى الأرجح أنه من سكان منطقة سرار ومن قبيلة الغتيني المتمركزة فيها.

كما أشار هولتون وسميث إلى أن رحلتهم نحو وادي معوك وشخاوي قام بتأمينها بدو من قبيلة المناهيل^(٢)، ولعلهم كانوا من سكان المصينة أو أحد القرى القريبة منها، تم الاستعانة بهم بعد دراسة آثار المصينة.

ب - الكيانات الحاكمة في المشقاص خلال القرن التاسع عشر الميلادي:

١ - الكسادي في الدير ١٨٣٦م:

في حديثه عن الدير سجّل هينز في تقريره أنه في عام ١٨٣٦م كان الدولة أو الحاكم اسمه (Aiwas ibn Ahmed)^(٣)، ولعل الاسم محرّف من (عوض)، لكن الحاكم الشرعي للمدينة يومها كان هو محمد بن عمر بن عمر الذي كان مالك وكابتن سفينة، وهو الأمر الذي يفضل على حكومة غير مستقرة^(٤).

ومعلوم تاريخياً أن أسرة حسن بن صلاح الكسادي كانت تحكم الدير في ضمن نطاق الحكم الكسادي لمنطقتي الحامي والدير^(٥)، وارتبط أفراد هذه الأسرة بالبحر،

(١) المصدر نفسه ص ٢٦٣.

(٢) هولتون وسميث: وصف لبعض النقوش ص ٣٥.

(٣) كتب حرف i في النسخة الأصلية بنقطتين، ولعله رمز صوتي ما، لكنني لم أهتم لمقصد هينز منه.

(٤) Haines: Memoir: p 153.

(٥) بامطرف، محمد عبد القادر: المختصر في تاريخ حضرموت العام، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، الجمهورية اليمنية، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، ص ٩٠.

وبرز منهم ربانة بحريون مثل سالم بن صلاح الكسادي الذي كان يتردد بسفينته الشراعية على ميناء المكلا واستقر فيها، ثم أنشأ ابنه أحمد فيها الإمارة الكسادية عام ١١١٥هـ/ ١٧٠٢م^(١)، مثلما رأينا عند هينز أن محمد بن عمر بن عمر حاكم المدينة ومالك وقائد سفينة كذلك.

٢ - الكثيري في الريدة وقصير ١٨٣٦م:

يصف هينز الريدة بأنها مدينة صغيرة يقطنها حوالي سبعمائة من السكان على الساحل البحري، وهي محل إقامة السلطان علي بن عبدالله المنحدر من إحدى العوائل الحاكمة في جنوب الجزيرة العربية، والشيخ الحالي هو رجل يبلغ نحو الخمسين من العمر، يحظى باحترام واسع، ويرأس الأرض الممتدة من رأس باغشوة إلى المصينة، على امتداد يقارب ٣٥ ميلاً على ساحل البحر^(٢)، ولكن الكابتن هينز بالرغم من توقفه في قصير ودراسته لها لم يشر إلى أي وجود سياسي للكثيري فيها، ولم يصف حصناً فيها، بقدر ما كان مركزاً بقوة على الوجود الحمومي فيها، ولكن هذا لا يمنع من ذلك، فهو ربما اكتفى بالإشارة إلى وجود حاكم واحد مقره الريدة يؤول إليه حكم المنطقة التي حددها هينز بين رأس باغشوة والمصينة.

٣ - القعيطي في قصير ١٨٩٣ - ١٨٩٤م:

اختلف الوضع عما هو عليه في قصير بين عهد زيارة هينز ١٨٣٦م وزيارتي هيرش وبنيت ١٨٩٣ - ١٨٩٤م، فقد أضحت قصير تحت حكم القعيطي^(٣)، وشهدت

(١) المرجع نفسه ص ٩٠ - ٩١.

(٢) Haines: Memoir: p 154.

(٣) يذكر صلاح البكري في تاريخ حضرموت السياسي أنه في أواخر ١٢٨٨هـ أرسل السلطان عوض بن عمر القعيطي إلى قصير ٥٠٠ رجل من يافع، وكان فيها جماعة من الحموم، فنشب القتال بينهم، وقُتل من الحموم سبعة ومن يافع ثلاثة، واحتلوها. اليافعي، صلاح البكري: تاريخ حضرموت السياسي، المطبعة السلفية، الطبعة الأولى ١٣٥٤هـ، ١/ ١٨٩.

تغييرات في الجانب العمراني العسكري، وصارت محطة بارزة ومنطلقاً لهؤلاء المستكشفين الأوروبيين في رحلاتهم.

عندما زار ليو هيرش قصير عام ١٨٩٣ م كان الحاكم في قصير آنذاك هو الشاب ناصر بن عمر بن عوض القعيطي^(١). وعند زيارة الزوجين ثودور ومايل بنت إلى قصير في ظل حماية مقدم الحموم ابن حبريش الذي وصفاه في الكتاب بلقب (سلطان الحموم) وهو من ألقاب مقدم الحموم المنحدرين من قبيلة بيت علي بيت السيادة في الحموم، وهذا يدل على أنه في ذلك العام كان بين الحموم والقعيطي صلح ومسالمة وليس عداً وحرباً كما كانت علاقتهم مدة من الزمن - كان حاكم قصير رجلاً مسناً لم تذكر بنت اسمه، ولكنها ذكرت أنه كان مسناً نحيلاً ملتحيّاً شبيهاً بالدون كيخوته، ويصبغ شعره الخفيف ولحيته بالحناء الأحمر، وهو يشغل منصب الحاكم منذ خمس سنوات، وأعيد تعيينه الآن بناءً على طلب المدينة^(٢). وهذا يدل على أنه كان متولياً قصير ثم عُزل، ثم أُعيد تعيينه في المنصب بناءً على طلب أهل المدينة ثانية، وهذا يفسر كيف أنه في السنة السابقة عندما وفد ليو هيرش إلى قصير كان حاكمها هو الشاب ناصر القعيطي، الذي قد يكون ولي قصير بدلاً من الحاكم المسنّ الشبيه بدون كيخوته بتعبير بنت، ويبدو أن الحاكم قدم قصير في وقت زيارة بنت ورفاقه، ويتضح ذلك من سياق حديث بنت عن الحاكم في العبارات الآتية: "وأعيد تعيينه الآن"، و"أتى بعض الأشخاص للقاءه عند الصخرة [على مشارف قصير]، وبعضهم بقي في المدينة، وبعضهم ظهر على قمم الأبراج" وقوله: "انشغال الحاكم اللطيف المسن بسبب استقباله من قبل أصدقائه الفرحين القدامى"^(٣)، وكل هذه العبارة تدل على أن الحاكم وفد إلى قصير بعد إعادته للمنصب في زمن زيارة بنت.

(١) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص ٦٠.

(٢) بنت: جنوبي جزيرة العرب ص ٢٦١ - ٢٦٢.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٦٢.

ج - العمارة المدنية والعسكرية في مدن المشقاص بالقرن التاسع عشر:

لم ترد كثير من المعلومات في جانب التكوين والعمارة المدنية والعسكرية لمدن المشقاص في القرن التاسع عشر الميلادي، لكن وردت إشارة في تقرير هينز عام ١٨٣٦ م أن الديس كانت حينذاك مدينة مسورة (Walled town)^(١)، ولم تأت تفاصيل عن هذا السور والحصون التي تتصل به، والحاجة ملحة للتأكد من هذه المعلومات ودراسة بقايا آثار هذا السور إن كانت معلومة هينز صحيحة بالفعل.

أما قصير في زمن زيارة هينز فلم تكن سوى مجموعة قليلة من البيوت^(٢)، بيد أنها شهدت تطوراً ملحوظاً في الجانب العسكري خلال ستة عقود من تاريخ زيارة هينز، وأعني بالذات العمارة العسكرية التي طرأت عقب سيطرة القعيطي عليها في أواخر ١٢٨٨ هـ^(٣) أو ١٢٩٤ هـ^(٤)، وقبل نزول هيرش إلى قصير عندما كان على ظهر السفينة كان يرمق منازل قصير البيضاء، ويذكر أنه بالقرب من ساحل البحر حصن ذو شكل مربع، وعلى مسافة أبعد توجد مبانٍ بيضاء مشابهة، وعندما قدم هيرش تلبية لدعوة الحاكم ناصر بن عمر بن عوض القعيطي مرَّ بحصن كبير ووصل عبر بوابة في سور المدينة، واطلع من غلب الحصن على المدينة التي تحاط أفنية منازلها الطينية بسعف النخيل^(٥).

والمدينة محاطة بسور من الطين تتخلله بعض الحصون، وأبراج طينية مستديرة لحراسة زوايا المدينة وُصفت بأنها غير متقنة الصنع، وتسمى هذه الأبراج في قصير

(١) Haines: Memoir: p 153.

(٢) Haines: Memoir: p 154.

(٣) اليافعي: تاريخ حضرموت السياسي ١/ ١٨٩.

(٤) السقاف، عبدالرحمن بن عبيدالله: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، اعتنى به: محمد أبوبكر باذيب ومحمد مصطفى الخطيب، دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٢٢٧.

(٥) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص ٦٠.

(النُوب) نسبةً إلى نوبة الحراسة، وهي المدة التي يقضيها الحارس في عمله^(١)، ويتم المرور عبر (السدة) المبنية على هيئة قلعة^(٢).

وجاء في وصف الزوجين بنت لقصير حين زيارتها عام ١٨٩٤م أنها تتموضع على نقطة صغيرة، وتبدو للناظر من الغرب أنها ذات أربع زوايا ومحاطة تمامًا بسور يوحى مظهره مع الأبراج والقلاع بالهيبة، لكن الحقيقة التي أدهشت المستكشفين أن الجانب البحري مكشوف ولا يوجد به سور، ما عدا أربعة أبراج متباعدة عن بعضها^(٣)، وهذه الأبراج تسمى في قصير (النُوب).

يلاحظ أن هينز لم يشر إلى وجود سور حول قصير كما أشار إليه الزائرون اللاحقون كما سنرى، وهذا ربما يعطي احتمالاً أن السور شيده الحكام القعطيون لاحقاً، بمعنى لم يشيده الكثيرون أو غيرهم.

ثانيًا: المادة الإثنوغرافية في كتابات المستكشفين الأوروبيين عن المشقاص

يُعرف علم الإثنوغرافيا (Ethnography) بأنه "الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة أو مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة"^(٤)، وتهتم بمظاهر السلوك من عادات وتقاليد، وتصف ثقافة الشعوب وأنماط معيشتهم، ومنذ القدم تزخر كتب الرحالة بالمعلومات الإثنوغرافية^(٥)، لكن كتب الرحالة يغلب عليها طابع أدب

(١) المصدر نفسه ص ٦٠.

(٢) المصدر نفسه ص ٦١.

(٣) بنت: جنوبي جزيرة العرب ص ٢٦٢.

(٤) حسين فهميم: قصة الإثنوبولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان، سلسلة عالم المعرفة ٩٨، فبراير ١٩٨٦م، ص ١٤ - ١٥.

(٥) شائف، عبدالحكيم: مشاهدات إثنوغرافية عند الهمداني (صفة جزيرة العرب نموذجًا)، منشور في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية الهمداني: قراءات معاصرة، عدد خاص بمناسبة

الرحلات ومذكرات السفر اليومية، وعلى سبيل المثال كتاب البريطانيين ثيودور ومايل بنت، نجد أنه تم التركيز فيه على رصد مذكرات السفر واليوميات، ولم يتم إيلاء الجانب الإثنوغرافي اهتماماً خاصاً^(١). والأديب الرحالة إثنوغرافي في ظاهره، يتفقد البلدان والمواضع، ويصف ما يتأثر به من مشاهد، وما تلاحظ عينه من عادات البلدان التي يزورها، بأسلوب تعبيرى فني في نقل المحسوس والموجود، لكنه مفتقر إلى العلمية والصرامة في الملاحظة، على خلاف الإثنوغرافي المتخصص الذي يتسلح بالأساليب العلمية ويسخر العلوم المختلفة في دراسته الموضوعية، ولكنه لا يتقن التعابير والأساليب الإبداعية كما يفعل الرحالة^(٢).

لذلك تأتي محاولتنا في استخلاص المادة الإثنوغرافية الموثقة في صفحات هؤلاء الرحالة، وترتيبها وتصنيفها، وهذه المادة المستخلصة تعرض لنا النتائج الأساسية لدراسة إثنوغرافيا المشقاص في القرن التاسع عشر الميلادي، والتي تشكل في رأينا منطلقاً رئيساً لدراسة إثنوغرافيا المشقاص المعاصر.

١ - المجتمع المشقاصي والثقافة :

أ - المأثورات الشعبية عن التاريخ:

لم تخلُ كتابات هؤلاء المستكشفين من ذكر بعض المأثورات الشعبية، والتي اتخذ بعضها الطابع الميثولوجي، وبعضها أقرب إلى الواقع وما يزال يتوارث حتى الآن.

الذكرى الأربعين لتأسيس جامعة صنعاء المجلد ٣٣ العدد (خاص) ٢٠١٠م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة صنعاء (١١٩ - ١٤٩)، ص ١٢٤.
(١) روديونوف، ميخائيل: البحث الإثنوغرافي في حضرموت: نتائجه وآفاقه، ترجمة ومراجعة: سرجيس فرانتسوزوف وعبدالعزیز بن عقيل، مجلة آفاق، المكللا، العدد ٨، يونيو ١٩٨٥م، ٣١ - ٤٣، ص ٣٣.

(٢) بن خروف، سماح: الإثنوغرافيا والخطاب الرحلي: أوجه التمايز وأبعاد الحضور، موقع أرنتروبولس، تاريخ الزيارة ١٠/١٢/٢٠١٩م.

الإثنوغرافيا - والخطاب - الرحلي - أوجه - ال // http://www.aranthropos.com

نقل ليو هيرش عام ١٨٩٣م أن في معبر حصناً شيدّه (الكفار)، وبعض الآبار من عهدهم^(١). وفي السنة اللاحقة ١٨٩٤م نقلت ماييل بنت إخبارية أخرى، تقول إن الحصن أسهمت (الجن) في تشييده، ويوجد حجر مرمرى على الطريق، ويروى أن جنياً أحضره من الخارج، فاستوقفه جنّي آخر، وقال: "لماذا تجلب الحجارة بينما تم الانتهاء من بناء الحصن؟"، فغضب وأوقع الحجر على الطريق، ويبدو أن الحكاية قد أفزعت ماييل بنت التي أكدت أن دخولهم للحصن كان تهوؤراً: "تصرفنا بتهور على نحو كبير بدخول هذه الآثار، حيث لم يدخل إليها أحد على قيد الحياة الآن قبلنا، إن المبنى مسكون من قبل الجنى، وإذا قام أحد بالدخول فإنه لا يستطيع الخروج من الباب نفسه"^(٢).

لعل الناس في ذلك الحين كانوا يمتنعون عن دخول هذا الحصن الخرب، وأن الزوجين بنت قد كسرا هذا الحظر، وأخافهم هذا لدرجة أن ماييل وصفت نفسها بالمتهورة إثر إقدامها على دخول الحصن.

ولا يستبعد أن هذه المروية الأسطورية نشأت تأثراً بقصص القرآن الكريم التي تتحدث عن تسخير الله الجن لنبيه سليمان، وتذليلهم له ليعخدموه ويشيدوا القصور والصورح الممردة من القوارير، أو قد تكون متأثرة بقصص تشييد الجن لقصر شداد بن عاد، أو مقتبسة من إحدى مدونات القصص العربي التي تعج بحكايات الجان والسحر الخيالية^(٣)، فاستعار القدماء من هذا الفضاء السردي الجن أبطالاً لقصة تشييد هذا الأثر العظيم.

ولنلاحظ اليوم أن لا أحد يذكر أن الجن شيّدوا الحصن، بل كل الروايات تقول إن الفرس أو الكفار هم من بنوه، وهو الكلام نفسه الذي سجله ليو هيرش كما أسلفنا، ولم تفصح ماييل عن مصدر هذه المعلومة، وهل هو شخصية من داخل البلاد أم من خارجها.

(١) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص ٦٠.

(٢) بنت، ثيودور وماييل: جنوبي جزيرة العرب ص ٢٦٦.

(٣) على أن سكن الجن للخرائب واقع بدليل بعض الآثار النبوية التي تحدثت عن ذلك، أو التي لمسها المجتمع قبل مُدَد من الزمن.

وروى ربان السفينة التي كان ليو هيرش على متنها أنه توجد في شرمة صهاريج لخزن مياه المطر ترجع إلى عهد بائد، ولم يخبره من شيد هذه الخزانات، لكن في رحلة إيايه أخبره ربان مهري أن هناك حصناً يسمى (حصن الإفرنجي)^(١)، فهذه من الإخباريات التي تشير إلى وجود آثار للفرنجة في مناطق حضرموت، لهذا علّق ليو هيرش: "ولا ريب في أنه يمكن تماماً التصديق أن المستعمرين البرتغاليين لم يفرطوا في مرفاً آمن بهذا القدر"^(٢). على أنه لم يؤكد من مصادره أن البرتغال كانوا فعلاً قد شيدوا حصناً في شرمة، بالرغم من أن التاريخ الحضرمي يسجل هجماتهم على السواحل الجنوبية العربية.

وذكر هولتون وسميث أن بيت غراب يتحدثون عن قدوم أجدادهم من منطقة حصن غراب، واستقرارهم في هذه المنطقة^(٣).

ب - العادات والتقاليد:

١ - القهوة:

عندما استقبل ثيودور وماييل بنت ورفاقهم في الحامي قُدِّمَتْ لهم القهوة^(٤)، وفي عموم المشقاص تعد القهوة ثيمةً للكرم ورمزاً للإكرام الضيف يُبادر به قبل تقديم الطعام له، ولما كان بنت ورفاقه في قصير قُدِّمَ لهم (الحالي)^(٥) الذي ستحدث عنه بعد قليل.

٢ - إكرام الضيف:

ويمكن أن نلتمس كرم المشقاصيين وجودهم من خلال بعض الحوادث، مثل الاحتفاء بالرحالة وإكرامهم وتقديم أحسن الضيافة لهم، كما نلاحظ عندما استقبل قائم

(١) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص ٥٧ - ٥٨.

(٢) المصدر نفسه ص ٥٨.

(٣) هولتون وسميث: وصف لبعض النقوش ص ٣٤.

(٤) بنت، ثيودور وماييل: جنوبي جزيرة العرب ص ٢٥٨.

(٥) المصدر نفسه ص ٢٦٢.

قصير الزوجين بنت^(١)، أو عندما استضافهم رجل مسن عند عودتهم إلى الريدة^(٢)، أو كما نجد عند هيرش الذي أرسل خادمه لكسب الصيد فأتاه بحوت كبير لم يدفع مقابله أي شيء^(٣). ونجد هذه العادة موجودة حتى اليوم، إذ يعطي الصياد مستقبله صيداً، ويسمي ذلك (حق السلامة)؛ شكرًا لله على نعمة السلامة.

٣ - التعشير: الاستقبال بالبنادق:

عند وصول الزوجين بنت ورفاقهما إلى قصير تعالت صرخات البنادق احتفاءً بقدمهم، هذه الطريقة لفتت نظر الكاتبة بنت فسجلتها، وكانت صرخات البنادق تجلجل في السماء كلما مروا بمدينة، أو على قمم الأبراج وافرة العدد في قصير؛ برهاناً على الابتهاج والاحترام للزوجين بنت ورفاقهم رفيعي المقام كسلطان الحمووم ابن حبريش الذي يركب مطيته حارساً مرافقاً للوفد^(٤). وما يزال التعشير مستمرًا حتى اليوم، ويستخدم في استقبال الضيف، أو الابتهاج بقدم المسافر، أو لإعلان ولادة مولود، أو للإعلام بقدم سيل في الوادي. على أن اللافت في حديث بنت قولها: "ولم تكثر حيواناتنا ألبتة"^(٥). فهذه الحيوانات معتادة على سماع أصوات البنادق؛ لوجودها في محيط يعد الرصاص أحد لغاته الدائمة، وربما شاركت بعضها في المعارك، لذا لا تكثر لسماع صرخات البنادق.

ج - الطب الشعبي:

وردت ملاحظة وحيدة عن الطب الشعبي أوردها ليو هيرش، بالرغم من أنه صنفها بأنها عادة تجميلية، فقال: "سكان قصير لديهم عادة تجميل وجوههم عن طريق الحز،

(١) بنت: جنوبي جزيرة العرب ص ٢٦٢.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٦٤.

(٣) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص ٦١.

(٤) بنت: مصدر سابق ص ٢٦٢.

(٥) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

تشكل ثلاث ندوب عمودية طولها ثلاث بوصات على كل خد علامة الموطن، ولكن المرء يُزَيِّن الذقن والأنف والجبين على غرار ذلك أيضًا^(١). وهذه الأخاديد العمودية الثلاثة في كل خد تسمى الفشاط، جمع فشط، وتستعمل قديمًا للوقاية من بعض الأمراض، ويفشطون منذ هم أطفال، وما يزال كثير ممن تم فشطهم على قيد الحياة، ويؤكدون أن الفشط كان نوعًا من الطب الشعبي وليس تجميلًا كما ظن هيرش.

٢ - مكونات النظام المعيشي:

أ - المساكن:

وصف هينز عام ١٨٣٦م قصير بأنها قليلة المنازل وأغلب البيوت من الأكواخ^(٢)، أما ليو هيرش عام ١٨٩٣م فقد وصف منازل قصير بأنها بيضاء تلوح له من البحر، ويبدو أن اللون الأبيض كان هو ما يميز الحصون عن البيوت الطينية الأخرى^(٣)، وكانت البيوت الطينية تحاط أفنيئها بسعف النخيل^(٤)، أما البدو فقد وردت الإشارة إلى منازلهم عند بنت ١٨٩٤م، أنهم كانوا يستخدمون الخيام، وذكرت بنت أن بيوتهم كانت من أبسط ما رأت في حياتها: "أربع بقع فقط ملتصقة في الأرض مع سطح من الحصر لمنح مأوى من الشمس، وعلى هذا السطح يقومون بتعليق أدوات المطبخ"^(٥).

ب - الأزياء والزينة:

وفي الديس سجلت ماييل بنت أنها لاحظت من كانوا يضعون حول أعناقهم جوزة هند، وذلك بقولها من ضروريات التزين^(٦). ولا ندري لعل ذلك كان نوعًا من الموضة في ذلك العصر. كما سجّلت أنّ معظم السكان في الديس يفضلون العمامات القطنية

(١) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص ٦٢.

(٢) Haines: Memoir: p 154.

(٣) هيرش: مصدر سابق ص ٥٩.

(٤) المصدر نفسه ص ٦٠.

(٥) بنت، ثيودور وماييل: جنوبي جزيرة العرب ص ٢٦٠.

(٦) بنت، ثيودور وماييل: جنوبي جزيرة العرب ص ٢٦٠.

ذات النقوش المربعة وأقمشة خضراء، وهذا ما أراح بصرها أكثر من اللون النيلي الذي كان أغلب السكان يلبسونه حينذاك^(١).

وكان حاكم قصير المسن وقت زيارة بنت يصبغ شعره ولحيته البيضاء بالحناء، لتأخذ اللون الأحمر^(٢).

ج - الطعام:

عندما استُضيفَ ليو هيرش في الحامي قُدِّمت لهم وجبة أرز ولحم^(٣)، وهي وجبة مشهورة اليوم على نطاق حضرموت والجزيرة العربية عمومًا.

وذكر هيرش من مأكولات أهل القرى الساحلية (العَيْد) و(اليُدب)^(٤)، وهي أسماك صغيرة ولذيذة، وأنه عندما كان في ضيافة الحاكم ناصر القعيطي في قصير، ذبح لهم معزة، وأعطى خادم هيرش لحمًا وخضروات ليعد وجبةً لهيرش يتناولها منفردًا^(٥)، وتوجد في ذلك الوقت مزارع في المنازح فيها أصناف الخضراوات كما سنتناول لاحقًا.

وذكرت ماييل بنت أن من مأكولات البدو العصيدة، وشاهدت امرأة بدوية تغلي قدرًا من العصيدة، وأخرى كانت تقلي سمكةً على عصا، وأخرى تطحن الحبوب على الحجر^(٦). وهذا الحجر يسمى في المشقاص (المرهاة)، وهي لفظة قريبة من لفظة (الرحى) الفصيحة.

وذكرت ماييل بنت أنه عندما تم استقبالهم في حصن الحاكم بقصير قُدِّم لهم نوع قوي من (الشاي)، تم تحضيره من السكر والزنجبيل والقرفة^(٧). وهذا الذي

(١) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٦١ - ٢٦٢.

(٣) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص ٥٥.

(٤) المصدر نفسه ص ٥٧.

(٥) المصدر نفسه ص ٦١.

(٦) بنت، ثيودور وماييل: جنوبي جزيرة العرب ص ٢٦٠.

(٧) المصدر السابق ص ٢٦٢.

أسمته شايًا، هو في الحقيقة ما يُطلق عليه في قصير (الحالي)، وهو مشروب يتكون من الزنجبيل والقرفة والسكر (الأحمر) غالبًا، كما ذكرت هي، ولا يعد من الشاي عند أهل قصير، ويسميه بعض المشقاويين (تنقويز)، ويشرب إلى اليوم ويحضّر بالتركيبة المذكورة نفسها.

واستغربت بنت من التهام الأسماك في حالة متعفنة كما لاحظت في الريدة^(١)، ولعلها تقصد اللخم أو المالح أو البغيز، أو تقصد أنهم يفضلون أكل السمك بعد أن يصبح كما يسمى عاميًا (دائق أو حسوس)، ولا يتسمم المتعودون على أكله.

وسجلت ملاحظتها لأحد جنود الحموم وهو يتناول وليمة من السحالي دفعة واحدة بعد أن قام بشيها في النار^(٢). ولا نجزم بنوعية السحالي التي التهمها الجندي، ولكن معروف عند البدو أكل (الضب)، ويذكر هيرش أنه امتنع عن أكل وليمة الجنادب (شبيهة بالجراد) التي قدّمت له في قصير^(٣).

د - تربية الحيوانات:

أشارت ماييل بنت إلى تربية الإبل في مكان بالقرب من رأس باغشوة، وكان بعض الرجال يحضرون كعكات الزيت لجمالهم^(٤). وكعكات الزيت المذكورة هنا الأرجح أن المقصود بها (التخ) الذي يُطعم للجمال، ويحضّر من المعاصر، وهو ما يفضل من السمسم بعد عصره. واشترى هيرش مجموعة من الدجاج من قصير وأخذها معه^(٥).

٣ - أشكال الاقتصاد:

أ - صيد البحر:

الصيد: يعمل سكان المشقا بالصيد، وهو مصدر الدخل الرئيس في المناطق

(١) المصدر نفسه ص ٢٦٤.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص ٦١.

(٤) بنت، ثيودور وماييل: جنوبي جزيرة العرب ص ٢٦١.

(٥) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص ٦٢.

الساحلية^(١)، وتعد مناطق ساحل المشقااص من أوفر المناطق على البحر بالصيد، وتوجد في أعماق بحارها مراعي جيدة للأسماك ذات المذاق الفريد، وعندما نزل هيرش في شرمة أرسل خادمه لشراء سمكاً ليأكلونه^(٢)، فجاءه بسمكة كبيرة، ولكن لم يأخذ الصيادون منه نقوداً مقابلها، وتحدث بنت أن في جهة قصير البحرية كانت توجد قوارب صيد السمك^(٣)، ووصفت الريدة بأنها قرية صيد كبيرة^(٤).

وقد لاحظ هيرش أن من أساليب الصيد في ١٨٩٣م إلقاء الشباك في البحر، وتثبيتها بالقرع المجوف - تسمى في المشقااص القوبة -، أو القرب المنفوخة التي تطفو على سطح الماء^(٥). وتستخدم هذه الطريقة لاصطياد القرش الذي يكتر حول رأس باغشوة، وهو الذي لم يفث الربان الشاعر سعيد سالم باطايع التنبيه عليه بقوله:

باغشوه الشيخ هب للديامين تربيخ
وان كان شي ليخ قبلك رفع في الصرّيه

في المقطع توصية للربان بأن يقوم بإرخاء حبل شراع الديمان؛ لتفادي ارتطام السفينة بالشباك، وواحداه (ليخ) بلغة الشاعر، وذلك لدفعها صوب البحر، حتى لا تفسد على الصيادين شباكهم، وهذا من أدبيات الملاحة البحرية وأخلاقيها^(٦).

ب - الملاحة:

يعمل أهل المناطق المشقااصية في الملاحة، إذ كانوا ينقلون الأسماك والبضائع بين المشقااص والعالم، وتطرق سفنهم بوابات موانئ اليمن وعمان والخليج العربي

(١) Haines: Memoir: p 152.

(٢) هيرش: مصدر سابق ص ٥٧.

(٣) بنت: مصدر سابق ص ٢٦٢.

(٤) المصدر نفسه ص ٢٦٣.

(٥) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص ٥٧.

(٦) بامطرف، محمد عبدالقادر: الرفيق النافع على دروب منظومتي الربان باطايع، مطبعة السلام -

عدن، ١٩٧٢م ص ٦٧ - ٦٨.

والهند وشرق إفريقيا، ونجد تلك الإشارات عن الملاحة في كتابات هينز^(١) وبن^(٢)، وإشارة عند هيرش إلى عضوين من طاقم السفينة الشراعية القديمة، وهما الربان والسَرْنَج (قابض الدفة)^(٣).

وقد سجّل ليو هيرش ملاحظة عن طرق الإبحار ومقاومة تيارات البحر، عندما كانوا أمام رأس باغشوة^(٤)، الذي كان كالمصطبة الممتدة أفقيًا بارتفاع متوسط، وبسبب تيارات البحر ظلوا يجوبون بسفيتهم الشراعية أمام هذا الرأس، وحل الليل ولم تستطيع السفينة الالتفاف الذي يتطلب جهدًا، وتحدث جلبة قبل أن يلتف الشراع نتيجة مقاومة التيارات البحرية، ولم يستطيعوا التحرك حتى صباح اليوم التالي، وقد أصبحوا في واجهة ذلك الرأس الشامخ، والرياح ضعيفة وحركة البحر غير قوية، وقد علل ربان تلك السفينة هذه المسألة بقوله: "هناك تيار بحري عنيف يجعل التغلب على هذا الموضع مهمة مضيئة طويلة الأمد في بعض الأحيان"، وفي النهار قاموا بمحاولة نصب شراعٍ ثانٍ على عمود صغير، ليساعد في تحريك السفينة بعد جهد جهيد مع مقاومة التيار الصعب، وعندما هبت الرياح الجنوبية الأريب، تمكنت السفينة من مخر عباب البحر بسرعة^(٥)، وهذه الطرق معروفة عند الملاحين ومنسوبة إلى أسماء الأشرعة، فيقال: الجوش والديمان، يستخدمها الملاح تبعًا لتيارات البحر واتجاه هبوب الرياح.

ج - تخفيف السمك:

مع وفرة أسماك القرش التي يصطادها أهل قصير يتم فصل ذيول القرش وزعانفه، وتصديرها إلى السوق الصينية عبر مسقط العمانية وبومباي الهندية، وتجلب أرباحًا جيدة^(٦). وهذه الصناعة ما تزال حتى اليوم على الساحل الحضرمي والمهري، وتشكل

(١) Haines: Memoir: p 154

(٢) بنت، ثيودور وماييل: جنوبي جزيرة العرب ص ٢٦٩.

(٣) هيرش: مصدر سابق ص ٥٩.

(٤) ورد الاسم خطأ: برغشوة.

(٥) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص ٥٨ - ٥٩.

(٦) Haines: Memoir: p 154

منطقة قصير المذكورة عند هينز، أكبر سوق في حضرموت والجمهورية اليمنية لأسماء القرش، إذ يتم تنزيل أسماك القرش التي يجلبها الصيادون إلى ميناء القرين، ويتم شق حيتان القرش المسماة باللحم، وفصل زعانفها وذيلها وتجفيفها، ويباع باقي اللحم على حدة، والذبول والزعانف على حدة.

وجاء عند ليو هيرش الذي زار المنطقة عام ١٨٩٣ م أن في القرن - في مديرية الديس الشرقية حالياً - يتم تجفيف أسماك كبيرة، وصفها "بالكرية جداً"^(١). ولعله يقصد اللحم الذي يأتي بالمواصفات التي ذكرها، ويُسْقَى وَيُجَفَّف وَيُصَدَّر ويؤكل فيما بعد.

د - الزراعة:

ذكر هيرش بعض المناطق الزراعية إحداها غير بعيدة عن بوابة قصير (السدة) وهي (المنازح)، ويحمي زرعها (كوت)، أما الأخرى البعيدة نسبياً فهي (مهيمن) التي تقوم عندها بعض أشجار النخيل^(٢)، وتوجد كذلك مزارع نخيل غنية في (معبر)^(٣)، ومن البحر شاهد هيرش بعض النخيل^(٤)، وذكر هولتون وسميث أن في معبر بساتين كثيرة للنخيل^(٥)، وكذلك يوجد بستان صغير من النخيل في السلسلة الجبلية الواقعة شرق وادي شخاوي^(٦).

وعندما احتاج لبعض المؤن اتجه هيرش إلى المنطقة الزراعية الأقرب، وهي المنازح الواقعة شمال غرب قصير، وتضم مزارع كثيرة، وتوجد زراعات كثيرة من الخضراوات والحبوب والنخيل، ومن تلك المحاصيل الزراعية حينذاك: (الدير/ الدجر)، والباذنجان الذي كانوا يسمونه بحسب هيرش: (يندال)، والباميا والغلق،

(١) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص ٥٧.

(٢) المصدر نفسه ص ٦٠.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٤) المصدر نفسه ص ٦٢.

(٥) هولتون وسميث: وصف لبعض النقوش ص ٣٤.

(٦) المصدر نفسه ص ٣٥.

وكذلك الحلبة والثوم والقرع والبطاطا الحلوة. وفي وقت زيارة هيرش لم يكن هناك كثير من الخضراوات، فقد استغرق جمع بعض المئونة له وقتاً^(١)، ويصف هيرش الأراضي المزروعة في قصير بأنها صغيرة المساحة^(٢)، ولكن كل شيء هنا ينبت بكثافة؛ لوجود كميات كبيرة من الماء^(٣).

وكان من الممكن في ذلك العهد في قصير العثور على الماء بيسر، عبر حفر الآبار، ونزح الماء بالثيران التي تسحب الدلاء، ثم يُفرغ الدلو في حوض يتوزع عبر السواقي إلى بركة صغيرة، تمثل مركز مزارع كل الملاك^(٤). ولا يزال نظام الري هذا معروفاً إلى اليوم، مع اختلاف في التكنولوجيا، إذ استعاض عن الحيوانات بمكيئة الشفط، ويتم سحب الماء إلى حوض، وبعد تجميعه في الحوض ينساب عبر جدول إلى الجابية، ثم يتفرع عنها عثم يتوزع إلى عتوم فرعية تروي كل الأرض المزروعة.

وفي ١٨٩٤م ذكرت بنت أن بالدیس واحدة نضرة تسبب في وجودها غيل^(٥)، ووصف ج. هولتون وج. سميث أن بالدیس أراضي خصبة تكثر فيها شتى أنواع الخضراوات والفواكه^(٦)، وتحديثاً كذلك عن مزارع غنية في ناحية حمم من حلفون حيث يقطن بيت غراب، وبساتين نخيل مثمرة، وفي أماكن أخرى مساحات واسعة مزروع فيها البصل والثوم والبطاطا الحلوة، وأنواع مختلفة من البطيخ والتوت، وتوجد أشجار النبق (تسمى محلياً العلب)، والنارجيل (تسمى محلياً الميّدع) بثمار وفيرة جداً^(٧).

(١) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص ٦١.

(٢) المصدر نفسه ص ٦١.

(٣) المصدر نفسه ص ٦٢.

(٤) المصدر نفسه ص ٦٢.

(٥) بنت، ثيودور ومايبل: جنوبي جزيرة العرب ص ٢٥٩.

(٦) هولتون وسميث: وصف لبعض النقوش ص ٣٢.

(٧) هولتون وسميث: وصف لبعض النقوش ص ٣٤.

هـ- الجمالة: النقل على ظهور الجمال:

بالرغم من أن ماييل بنت ركبت حصاناً في تنقلاتها؛ فقد استأجروا قافلة، وكان سلطان الحموم ابن حبريش يمتطي ظهر جمل، وكانت الجمال المستأجرة تحمل أمتعتهم^(١). وقد كانت الكثير من القبائل المشقاصية تمتهن مهنة الجمالة، المشتق اسمها من الجمل، والحموم إحدى القبائل التي تعد النقل بالجمال رافداً اقتصادياً لأفرادها، إذ تملك هذه القبيلة الكثير من الجمال، لكن كسدت سوق مهنة النقل على الجمال بعد شق طريق السيارات الرابط بين الساحل ووادي حضرموت بتسهيل من السلطنة القيعيطية، ممّا ولّد لدى الحموم ردود فعل عنيفة تجاه السلطنة القيعيطية^(٢).

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، خلاصتها على النحو الآتي:

- المادة التاريخية التي سجلها الرحالة والسياسيون الأوروبيون عن المشقاص في القرن التاسع عشر بإمكانها سد الثغرات التاريخية التي خلّفتها المدونات الحضرمية المحلية.

- تحدثت الكتابات الأوروبية عن مجموعة من الآثار التي ما زال بعض منها قائماً، وبعض مما كان قائماً منها في القرن التاسع عشر أصبح بعد قرابة مائتي عام مدمراً، لذلك فإن ما تبقى منها بحاجة إلى تدخل عاجل من هيئة الآثار لإنقاذها قبل الدمار.

(١) بنت، ثيودور وماييل: جنوبي جزيرة العرب ص ٢٦٤.

(٢) الملاحي، عبدالرحمن، ومعيلى، علي حسن: تاريخ الصراع الحمومي القيعيطي ودوافعه ١٨٦٧ - ١٩٦٧ م، منشور ضمن: وثائق الندوة العلمية التاريخية حول المقاومة الشعبية في حضرموت ١٩٠٠ - ١٩٦٣ م، المنعقدة في كلية التربية المكلا ٢٥ - ٢٦ فبراير ١٩٨٩ م، جامعة عدن، كلية التربية المكلا، هيئة التحرير: د. صالح علي باصرة، د. محمد سعيد داود. (٢٠٧ - ٢٧٠)، ص ٢٥٦.

- تم تسجيل مجموعة من النقوش ونشرها في المجلات الأوروبية، ولعل إعادة دراستها تشكل إضافات جديدة في التاريخ المشقاصي والحضرمي عمومًا.
- عرف المشقاص في القرن التاسع عشر ثلاثة كيانات هي الكسادي في الديس، والكثيري في الريدة وقصيعر، والقعيطي في قصيعر، كما ورد في الكتابات الأوروبية.
- وجدت في المشقاص في القرن التاسع عشر عادات وتقاليد راقية ما تزال هي نفسها اليوم، لتدل على الاستمرارية الحضارية في هذه المنطقة، وحفاظها على ثقافتها رغم المتغيرات.
- نظم الحياة المعيشية شهدت بعض التغيرات بفعل مواكبة موجات التطور المتوالية.
- الأشكال الاقتصادية التي كتب عنها الأوروبيون كالصيد والملاحة والزراعة ما تزال مستمرة، وإن تغيرت بعض أساليبها.

المصادر والمراجع:

١. بافقيه، محمد بن عمر الطيب: تاريخ الشجر وأخبار القرن العاشر، تحقيق: عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٩٩٩م.
٢. بافقيه، محمد عبدالقادر: آثار المشقااص ومكانها من ساحل حضرموت، نشرة الساعية الصادرة عن لجنة إحياء التراث البحري والشعبي بالحامي، العدد (٤)، ١٩٩٤م.
٣. بامخرمة، الطيب بن عبدالله: النسبة إلى المواضع والبلدان، مركز الوثائق والبحوث - أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٤. بامطرف، محمد عبدالقادر: الرفيق النافع على دروب منظومتي الريان باطايح، مطبعة السلام - عدن، ١٩٧٢م.
٥. بامطرف، محمد عبدالقادر: المختصر في تاريخ حضرموت العام، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، الجمهورية اليمنية، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
٦. بامطرف، محمد عبدالقادر: ملاحظات على ما ذكره الهمداني عن جغرافية حضرموت، دار الهمداني للطباعة والنشر - عدن، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.
٧. بنت، ثي وردور ومايبل: جنوبي جزيرة العرب، ترجمة: هناء خليفة، تحرير وتعليق: د. أحمد إيش، مراجعة: د. أحمد عبدالرحمن السقاف، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، الإمارات، ط١، ٢٠١٢.
٨. بن خروف، سماح: الإثنوغرافيا والخطاب الرحلي: أوجه التمايز وأبعاد الحضور، موقع أنترنوبوس، تاريخ الزيارة ١٠/١٢/٢٠١٩م.
٩. بيستون وآخرون: المعجم السبئي (بالإنجليزية والفرنسية والعربية)، منشورات جامعة صنعاء (ج.ع.ي)، دار منشورات بيزرز لوفان الجديدة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م.
١٠. الجعدي، عبدالله سعيد، والعبثاني، عبدالله باصميدي: القائم عبدالله عوض مخارش وأضواء على وثائق من الأرشيف الإداري للسلطنة القيعية، ط١، ٢٠١١م.
١١. الحداد، علوي بن طاهر: الشامل في تاريخ حضرموت ومخالفاتها، تريم للدراسات والنشر، مصورة عن طبعة سنغفورة، ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م، ط١.
١٢. روديونوف، ميخائيل: البحث الإثنوغرافي في حضرموت: نتائج وآفاقه، ترجمة ومراجعة: سرجيس فرانتسوزوف وعبدالعزيز بن عقيل، مجلة آفاق، المكلا، العدد ٨ يونيو ١٩٨٥م، (٣١ - ٤٣).

١٣. السقاف، عبدالرحمن بن عبيدالله: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، اعتنى به: محمد أبوبكر باذيب ومحمد مصطفى الخطيب، دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

١٤. شائف، عبدالحكيم: مشاهدات إثنوغرافية عند الهمداني (صفة جزيرة العرب نموذجاً)، منشور في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية الهمداني: قراءات معاصرة، عدد خاص بمناسبة الذكرى الأربعين لتأسيس جامعة صنعاء المجلد ٣٣ العدد (خاص) ٢٠١٠م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة صنعاء (١١٩ - ١٤٩).

١٥. شنبل، أحمد عبدالله: تاريخ حضرموت المسمى تاريخ شنبل، تحقيق: عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط٣، ٢٠٠٧م.

١٦. فهم، حسين: قصة الإنثروبولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان، سلسلة عالم المعرفة ٩٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، فبراير ١٩٨٦م.

١٧. الملاحي، عبدالرحمن عبدالكريم: الدلالات الاجتماعية واللغوية والثقافية لمهرجانات ختان صبيان قبائل المشقاص ثعين والحموم، (طبعة حجرية).

١٨. الملاحي، عبدالرحمن، ومعيلى، علي حسن: تاريخ الصراع الحمومي القعيطي ودوافعه ١٨٦٧ - ١٩٦٧م، منشور في ضمن: وثائق الندوة العلمية التاريخية حول المقاومة الشعبية في حضرموت ١٩٠٠ - ١٩٦٣م، المنعقدة في كلية التربية المكلا ٢٥ - ٢٦ فبراير ١٩٨٩م، جامعة عدن، كلية التربية المكلا، هيئة التحرير: د. صالح علي باصرة، د. محمد سعيد داود. (٢٠٧ - ٢٧٠).

١٩. هولتون، ج. جي، وسميث، ج: وصف لبعض النقوش التي تم العثور عليها في الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية، ترجمة: د. خالد عوض بن مخاشن، مجلة حضرموت الثقافية، السنة الثانية، العدد السادس ٢٠١٧م، ص ٣٢ - ٣٥.

٢٠. هيرش، ليو: رحلات إلى جنوب البلاد العربية وبلاد المهرة وحضرموت، ترجمة: عبدالكريم الجلاصي، منشورات القاسمي - الشارقة، الإمارات، ط١، ٢٠١٨م.

٢١. اليافعي، صلاح البكري: تاريخ حضرموت السياسي، ج١، المطبعة السلفية، الطبعة الأولى ١٣٥٤هـ.

22. Haines, S. B, Memoir, to Accompany a Chart of the South Coast of Arabia from the Entrance of the Red Sea to Misenát, in 50° 43' 25" E, The Journal of the Royal Geographical Society of London, Vol. 9 (1839), pp. 125 - 156.



الاضطرابات السياسية في حضرموت وأثرها في الأوضاع العلمية خلال القرن الثالث عشر الهجري

علي سالم علي باهادي

نائب مدير مركز الرناد للتراث والآثار والعمارة/ تريم

المقدمة:

اتجهت الكثير من الدراسات التاريخية الحديثة في حضرموت لدراسة الأوضاع السياسية في الحقب الزمنية المختلفة، وظلت الأوضاع العلمية والاقتصادية غائبة عن البحث، أو تدرس على هامش دراسات التاريخ السياسي، فأتت هذه الدراسة المتواضعة جزءاً من الواجب البحثي، لتسد بعض الفجوات في المكتبة الحضرمية في مثل هذه المجالات التاريخية.

تتناول هذه الورقة البحثية الاضطرابات السياسية التي برزت خلال القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي، وأثرها في الأوضاع العلمية، وتحاول الدراسة تتبع أوضاع العلماء وطلاب العلم خلال ذلك القرن بحضرموت، ومدى تأثيرهم بالاضطرابات السياسية والاقتتال القبلي الذي عمَّ معظم أرجاء حضرموت، وتسعى الدراسة للإجابة عن التساؤلات التاريخية الآتية: ما أبرز الصعوبات التي واجهت حَمَلَة العلم خلال ذلك القرن؟ وما مدى محاولتهم إصلاح المجتمع الذي أنهكه الاقتتال وتفشى فيه الجهل؟ وهل كان العلماء طرفاً في تلك الصراعات السياسية؟

وكان غياب الدراسات السابقة في هذا المجال من أكبر المصاعب التي واجهت الباحث، فاعتمد في دراسته على كتب التاريخ الحضرمي، كتاريخ حضرموت لابن حميد، وإدام القوت لابن عبيدالله السقاف، ومؤلفات بامطرف التاريخية، وشكَّلت

كتب التراجم والسير الحضرمية العمود الفقري للدراسة، كما استقى الباحث مادةً تاريخيةً جيدةً من كتب التصوف الحضرمي، ومراسلات العلماء، وفتاويهم، وأمالهم.

المبحث الأول: ملامح الوضع السياسي في حضرموت خلال القرن الثالث عشر الهجري:

أطل القرن الثالث عشر الهجري على حضرموت والاضطرابات السياسية والاقتتال القبلي يكاد يعصف بجميع مناطقها، الأمر الذي أغرى عدداً من القوى المحلية والخارجية ذات الأيديولوجيات المختلفة بمحاولة التدخل وبسط نفوذها في تلك المنطقة التي تفتقد الكيان الموحد لها.

وقد ورث القرن الثالث عشر الهجري كمّاً من تلك الاضطرابات من سابقيه (القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين) اللذين شهدا بداية انفرط عقد الدولة المركزية في حضرموت وبداية نشوء الإمارات الصغيرة (دويلات المدن) الهشة والمتصارعة، وذلك بعد أن شهد القرن العاشر الهجري استقراراً نسبياً بعد اعتلاء السلطان أبي طويرق عرش الدولة الكثيرة وجهوده المضنية الرامية إلى توحيد الجغرافيا الحضرمية في كيان سياسي واحد.

وكانت دويلات المدن الحضرمية في الغالب منحصرة في المكلا والشحر وتريم وسيئون وشبام، وكان كل واحد من المغامرين الطامحين إلى السلطة الذين ظهروا على المسرح التاريخي يستولي على واحدة أو أكثر من هذه المدن، فيقيم بها إمارةً بتأييد من عشيرته وأشياعه الحضرم، ثم يصلح العشائر البدوية المجاورة على التأييد له وعلى السمع والطاعة الاسمين، وكانت العشائر تؤيد الأمير طالما كان قادراً على تفادي التناقض بين مصالحه ومصالحها، وطالما كان مستطيعاً لإشباع حاجتها المعيشية واحترام تقاليدها^(١).

(١) بامطرف محمد عبدالقادر، في سبيل الحكم. ص ١١، ط ١، دار حضرموت، ٢٠٠٨م.

عند النظر إلى مسرح الأحداث السياسية في حضرموت خلال القرن الثالث عشر يلاحظ الباحث أن هناك قوى هي الأكثر بروزاً في أحداث ذلك القرن، وهي بيوت آل كثير والفخاخذ اليافعية. ونجد أيضاً أن تلك القوى تستمد قوتها من العائدات المالية القادمة إليها من المهجر الهندي، فبينما تحاول الطوائف اليافعية البحث عن موطئ قدم لها في هذه الأرض، وتأسيس كيان قوي يلم شعنها ويقوّي شوكتها التي أضعفتها النزاعات الداخلية فضلاً عن صراعاتهم مع القوى القبلية الأخرى؛ نجد أيضاً أن آل كثير يحاولون لمّ شمل البيت الكثيري واستعادة أمجاد أجدادهم السلاطين عبر بث الروح في جسد دولتهم الكثيرية التي انهارت قواها بعد أن دب فيها الصراع الداخلي وتكالت عليها القوى المعادية أو المنافسة.

والى جانب القوتين الكثيرية واليافعية نجد بعض القوى التي حاولت البروز على مسرح الأحداث، لكنها لم تستطع الثبات كالقوتين السابقتين، فقد اشترى عبدالله بن علي العولقي قرية الصداق من ضواحي غيل باوزير عام ١٢٨٠هـ / ١٨٤٥م، وأقام بها حصناً متيناً البناء عالي الأركان توطئةً منه للاستيلاء على الغيل وإقامة دولته العولقية بها، ولم يكن العولقي مستتراً في عدائه للقعيطيين، بل كان يجاهر به ويتوعد بأنّه سيعمل لإجلاء يافع من حضرموت ساحلها وداخلها، وكان القعيطي يتوعد العولقي بأنه سوف يحطم آماله في الحكم، وسوف يحطم حصنه في الصداق، وحاول العولقي التحالف مع الكثيريين والكسادين لمواجهة المد القعيطي، لكنه لم يستطع، وحقق القعيطي وعده بالقضاء على مشروع العولقي، ودمّر حصنه المنيع وذلك في عام ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م^(١).

ومن بين القوى التي كان لها حضور في المشهد السياسي خلال ذلك القرن آل العمودي في وادي دوعن، لكنهم خلال ذلك القرن اشتدّ بينهم النزاع الداخلي، فحاول

(١) بامطرف، محمد عبدالقادر، المختصر في تاريخ حضرموت العام. ص ١٣٠.

الكسادي استمالتهم حيناً، وتحالفوا مع آل كثير في أحيان أخرى، ثم استولى القعيطيون على معظم دوعن بعد أن أخدموا الغارات التي يشنها بعض الأمراء العموديين سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م^(١).

آل كثير واستنهاض دولتهم:

خلال القرن الثاني عشر الهجري استقدم آل كثير آلاف المقاتلين من جبال يافع، وذلك لتعزيز مواقفهم وقدراتهم العسكرية، وكان لضعف الدولة المركزية والفراغ السياسي الذي شهدته حضرموت بعد سقوط الدولة الكثيرية الأولى (انتهت في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري) أثرٌ في أن تقوم تلك المجاميع المسلّحة بإثارة القلاقل والفوضى حيناً، ومحاولة تأسيس دولة على أنقاض الدولة الكثيرية حيناً آخر. وفي سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م حاول جعفر بن علي الكثيري إحياء الدولة الكثيرية، ولقي معونةً لا بأس بها من العلويين الحضارمة، فاستولى على شبام، ولكنه لم يفلح في الاستيلاء على سيئون أو تريم، وكانتا تحت حكم الطوائف اليافعية، وفي سنة ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م مات السلطان جعفر، ولم تكن قد تحققت له طموحاته.

وعلى أنقاض حكم أسرة آل جعفر بن علي الكثيري في شبام قام حكم أسرة آل عيسى بن بدر الكثيري سنة ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م، وكان آخر حاكم في هذه الأسرة الأمير منصور بن عمر الكثيري، الذي كانت تصرفاته الهوجاء سبباً في دفع يافع إلى تكوين نواة الدولة القعيطية في حضرموت الداخل سنة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م.

وخلال هذه المدة العصيبة التي مر بها الحكم الكثيري حاول السلطان غالب بن محسن الكثيري إقامة ما سُمّي بالدولة الثالثة، فكان التوفيق حليفه؛ بسبب المعونة المادية والأدبية التي قدمها له العلويون وحضارمة آخرون، وكان قد باشر

(١) بامطرف محمد عبدالقادر، المختصر في تاريخ حضرموت العام. ص ١٢٠.

إنجازاته بشرائه قرية الغر^(١) سنة ١٢٦٠هـ/١٨٤٦م^(٢)، وفي التاريخ نفسه اشترى عبر الأمير عبود بن سالم الكثيري حصن مطهر الواقع على جبل كحلان ذا التحصين الممتاز على طريق الداخل إلى تريم من الجنوب^(٣)، ثم استطاع سنة ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م من القضاء على السلطة الطائفية اليافعية القائمة حينئذ في تريم، وفي سني ١٢٦٤هـ - ١٢٦٥هـ استولى على سيئون ثم على تريس بعد أن طرد منهما حكامهما اليافعيين.

وبهذه الانتصارات المتلاحقة طمع السلطان غالب بن محسن الكثيري في إبادة الحكم اليافعي في شبام وساحل حضرموت، وشجَّعه في ذلك التناحر بين الإمارات اليافعيتين الكسادية والبريكية، وكان مخطط السلطان الكثيري يقضي بالحصول على ثغر في الساحل الحضرمي تمر من خلاله المؤن والذخائر التي يحتاجها دون أن يتدخل أعداؤه في ذلك، لكن ذلك لم يتحقق له، وانحصرت دولته في المنطقة الداخلية الواقعة في أواسط وادي حضرموت.

القوى اليافعية :

بعد أن تضعضع حال الدولة الكثيرية الأولى استولت كل حامية كثيرية (وكانت الحامية مؤلفة بصورة رئيسة من الجند اليافعيين) على السلطة في المكان الذي كانت متمركزة فيه، وانفردت بالحكم فيه، وكانت تلك الحاميات تُعرف بـ (المكاتب السبعة)، ويقصد بالمكتب الحامية.

وقد استطاعت بعض تلك المكاتب أو الحاميات من تأسيس إمارات تعاقب عليها السلاطين في ساحل حضرموت مثل الكساديين في المكلا عام ١١١٥هـ/١٧٠٢م، وهي أول إمارة يافعية تُقام في حضرموت، بالإضافة إلى آل بريك في الشحر سنة

(١) قرية تقع إلى الجنوب من مدينة تريم، وعُثِرَ فيها على بقايا مستوطنة قديمة.

(٢) ابن حميد، سالم بن محمد، العدة المفيدة، ص ٣٣٤. يذكر بامطرف في كتابيه (في سبيل الحكم) و (المختصر في تاريخ حضرموت) أن شراء غالب لقرية الغر كان سنة ١٢٦١هـ.

(٣) السقاف، عبدالرحمن بن عبيدالله، إدام القوت، ص ٨٤٧.

١١٦٥هـ/ ١٧٥١م، والتي انتهت بعد أن وصل آل كثير إلى الشحر، وطردها منها الأمير علي بن ناجي الثاني من المدينة سنة ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م^(١).

وفي السنة نفسها حاول آل كثير الاستيلاء على المكلا وإنهاء دولة الكسادي بها وتحطيم الوجود اليافعي في الساحل الحضرمي، ولكنهم فشلوا، بعد أن شعر الكسادي والقعيطي بذلك الخطر، فتناسيا خلافتهما إلى حين، وشكلاً تحالفاً استطاع ذلك التحالف أن ينتزع الشحر من آل كثير في السنة نفسها التي سيطروا عليها فيها، ثم زادت أطماع ذلك التحالف، فحاول الكسادي والقعيطي القضاء على دولة آل عبدالله في تريم وسيئون ونواحيها، لكنهم فشلوا، وكان ذلك سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م^(٢).

أمّا في وادي حضرموت فقد تقاسمت العشائر اليافعية حكم المدن والقرى، واستولوا على أملاك الدولة الكثيرة بعد انهيارها، فصارت سيئون لآل الضبي، وتريم لآل اللبعوس، وتريس لآل النقيب، وشبام للموسطة، وانفردت قبائل آل تميم بالسلطة في قراهم، ووضعوا أيديهم في أيدي يافع ضد البقية الباقية من الأمراء الكثيرين الذين أنهبوا دولتهم دولة آل يمان. وقد استطاع آل كثير انتزاع مدن تريم وسيئون والقرى المحيطة بهما من العشائر اليافعية، وظلت شبام تتجاذبها الأطراف إلى أن استقرت في حكم القعيطيين.

وكانت شوكة القعيطيون قد قويت عام ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م، فاشترى الأمير عمر بن عوض القعيطي قرية الروضة بالقطن، ومنها امتد نفوذهم، وفي سنة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م اشترى القعيطي نصف مدينة شبام من حاكمها الكثيري منصور بن عمر، وفي السنة نفسها قتل القعيطيون السلطان منصوراً في شبام، وأصبحت المدينة خالصةً لآل القعيطي بالإضافة إلى الشحر والمكلا التي انتزعها من حليفه بالأمس النقيب الكسادي.

(١) بامطرف، في سبيل الحكم، ص ٢٨.

(٢) بامطرف، المختصر في تاريخ حضرموت، ص ١١٣.

المبحث الثاني: أثر الاضطراب السياسي بحضرموت في الأوضاع العلمية:

٢/١ ملامح الأوضاع العلمية خلال القرن الثالث عشر الهجري بحضرموت:

احتلت حضرموت مكانة علمية مرموقة في جنوب الجزيرة العربية عبر عدد من مراكز الإشعاع العلمي مثل: تريم، وشبام، والشحر، والغيل، وسيئون، وعينات، وقسم، والحوطة، وحريضة، وبلدان وادي دوعن، وبرز خلال مدة الدراسة (القرن الثالث عشر الهجري) عدد من المراكز العلمية المستحدثة، التي كان للصراعات السياسية والاقتتال القبلي أثر في بروزها بعد هجرة العلماء إليها، لقد كان ذلك العصر في حضرموت عصر العبادلة السبعة، وهم علماء ذاع صيتهم عبر الدعوة والإصلاح الاجتماعي والتعليم والتأليف، توافقت أسماؤهم في (عبدالله)، وهاهم مرتين حسب سنوات وفياتهم:

الرقم	الاسم	الموطن	الوفاة
١	عبدالله بن أبي بكر عديد	تريم	١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م
٢	عبدالله بن سعد بن سمير	خلع راشد	١٢٦٢هـ / ١٨٤٦م
٣	عبدالله بن علي بن شهاب	تريم	١٢٦٤هـ / ١٨٤٨م
٤	عبدالله بن عمر بن يحيى	مسيلة آل شيخ	١٢٦٥هـ / ١٨٤٩م
٥	عبدالله بن حسين بلفقيه	تريم	١٢٦٦هـ / ١٨٥٠م
٦	عبدالله بن أحمد باسودان	الخريبة دوعن	١٢٦٦هـ / ١٨٥٠م
٧	عبدالله بن حسين بن طاهر	مسيلة آل شيخ	١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م

يستعرض هذا المبحث بقدر ما أتاحتها لنا المصادر التاريخية أبرز تلك المراكز العلمية في حضرموت والعلماء الذين عاشوا فيها:

١ - تريم: تعد من كبريات المدن العلمية في حضرموت، وهي مدينة قديمة تقع وسط وادي حضرموت في الشمال الشرقي من مدينة شبام، وتبعد عنها بحوالي ٤٢ كم، وهي من أنشط مدن حضرموت في الناحية العلمية والدينية خلال تاريخها الإسلامي، وقد اشتهرت بكثرة علمائها ومساجدها ومدارسها ومكتباتها.

ومن أشهر علماء تريم خلال القرن الثالث عشر الهجري: علوي بن أحمد ابن الحسن بن عبدالله الحدادات ١٢٣٢هـ، وأبوبكر بن عبدالله بن أحمد الهندوان ١٢٤٨هـ، وأحمد بن علي الجنيد ١٢٧٥هـ.

٢ - شبام: وهي إحدى مدينتي حضرموت إلى جانب تريم، وتوجد بها العديد من الأسر العلمية مثل: آل باشر اصيل، وآل باعباد، وآل بن سميطة، وآل باذيب. ومن أشهر من برز بها خلال ذلك القرن: أحمد بن عمر بن سميطة ١٢٥٧هـ، وعبدالرحمن ابن محمد بن زين بن سميطة ١٢٢٣هـ، وعمر بن محمد بن عمر بن سميطة ١٢٨٥هـ، وأحمد بن عمر باذيب ١٢٨٦هـ، ودحمان بن عبدالله بن لعجم باذيب.

٣ - سيئون: وهي العاصمة الكثيرة، وتقع في قلب الوادي، ومن أشهر علمائها خلال ذلك القرن: محسن بن علوي السقاف ١٢٩٢هـ، وعلوي بن سقاف السقاف ١٢٣٥هـ، وعبدالقادر بن محمد بن حسين الحبشي ١٢٥٠هـ.

٤ - تريس: وهي من أقدم البلدان بوادي حضرموت، وتقع إلى الغرب من سيئون، ومن أشهر علمائها: المؤلف علي بن عمر بن قاضي باكثير ١٢١٠هـ، والخطاط أحمد بن عمر بن محمد بن عبدالرحيم ١٢٤٧هـ، والمؤرخ سالم بن محمد بن سالم بن حميد ١٣١٤هـ، وعلوي بن سقاف الجفري ١٢٧٢هـ.

٥ - الغرفة: وتقع بين سيئون وشبام، وأبرز من ظهر فيها خلال ذلك القرن الإمام عيدروس بن عمر الحبشي ت ١٣١٤هـ.

٦ - المسيلة (مسيلة آل شيخ): تقع إلى الجنوب من مدينة تريم، وسميت بذلك الاسم لوقوعها على مجاري السيول بحضرموت، ومن أشهر علمائها خلال القرن الثالث عشر الهجري الإمام طاهر بن عبدالله بن طاهر ١٢٤١هـ، وعبدالله بن عمر بن يحيى ١٢٦٥م، وعبدالله بن حسين بن طاهر ١٢٧٢هـ.

٧ - حريضة: وتقع عند مدخل وادي عمد، ومن أشهر علمائها: أبوبكر بن عبدالله العطاس ١٢٨٢هـ.

٢/٢ مظاهر التأثير في الأوضاع العلمية:

أوضاع العلماء وطلاب العلم:

يعد الاستقرار الأمني مطلباً مهماً للنهوض العلمي في المجتمعات، فغياب الأمن تتردى عدة من الجوانب يأتي التعليم في مقدمتها، فيصبح هم السكان الأول هو البحث عن النجاة بأرواحهم من هول الاضطرابات. وخلال القرن الثالث عشر الهجري شهدت حضرموت اضطراباً أمنياً وسياسياً أثقل كاهل حملة العلم (العلماء وطلاب العلم)، ونستعرض في هذا المبحث مظاهر ذلك التأثير السلبي في الوضع العلمي والنشاط التعليمي.

أ - ترويع العلماء ومجالس العلم: لم تسلم حلقات التعليم ومجالس الدرس من عنجهية القادة العسكريين وبلطجتهم، ومن مظاهر ذلك:

- محاولة الضغط على العلماء وإرهابهم: ففي فاتحة سنة ١٢٢٩هـ أرسل الأمير عبدالله بن عوض غرامة ثلثة من جنده للتحرش بأهل المسيلة^(١)، وكانت المسيلة موطن السادة آل بن يحيى، ومن مشاهيرهم الإمام عبدالله بن عمر بن يحيى، واستقر

(١) السقاف، عبدالرحمن بن عبيدالله، إدام القوت، ص ٩٥١ .

بها كذلك آل بن طاهر العلويون، ومن مشاهيرهم الإمامان طاهر وعبدالله ابنا حسين بن طاهر. ويتضح من المصادر التاريخية أن تلك الثلة قد عادت الى تريم دون أن تحقق غرضها من نزولها إلى منطقة المسيلة^(١). وأشار الشاطري في الأدوار إلى أن العلامة عبدالله بن عمر بن يحيى قد هُددَ بالقتل ليفتي بغير الحق، ولكن أمه أمرته بالثبات والرفض، في حين كان السفاحون من مماليك غرامة واقفين يهددونه، فلم يبال بهم حتى انصرفوا^(٢).

ويبدو أن تلك الحملة التي أشار لها ابن عبدالله عند حديثه عن المسيلة هي هذه التي أتت لغرض طلب الإفتاء في مسألة تخالف الشرع من الإمام عبدالله بن يحيى.

- محاولة فرض الوصاية السياسية والمعتقدات والآراء على العلماء: بعد أن اعتنق الأمير عبدالله بن عوض غرامة أفكار دعوة محمد بن عبد الوهاب النجدي؛ صار من دعايتها في حضرموت، بل ساند حملة ابن قملا الوهابي عند دخوله وادي حضرموت، وتعهدهم بالدعوة إلى مذهبهم، ويتضح ذلك من خلال الحكايات الآتية التي سنرويها عنه، فمن جملة ما فعله تجاه العلماء أنه كان يذهب إلى حلقة العلامة عبدالله بن علي بن شهاب (ت ١٢٦٥هـ)، ويأخذ معه بعض كتب الوهابية، ويعطيها ابن شهاب وهو في مدرسه، ويقول له: اقرأ لنا في هذا الكتاب. فيضعه ابن شهاب على فخذه ويسكت حتى يضجر غرامة ويأخذ كتابه وينصرف مغتاظاً.

ويتضح أن غرامة كان متحمساً في سبيل نشر دعوة النجديين بحضرموت، فبعد فشله في استمالة عبدالله بن علي بن شهاب إلى القراءة في كتبه ذات الأفكار الوهابية؛ نصحه بعض أصحابه بالذهاب إلى الإمام عبدالله بن حسين بلفقيه (ت ١٢٦٦هـ) وهو في مدرسه بمسجد السقاف، وأخبروه أنه لو وافق بلفقيه فذلك يعني موافقة حضرموت كلها، فانطلق غرامة إلى مسجد السقاف حيث يدرس العلامة بلفقيه،

(١) وفي طريق عودة تلك الحملة وقع مقتل الإمام سالم بن عبيد الذي سنتناوله لاحقاً.

(٢) الشاطري، محمد بن أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، ص ٣٩٦.

وأعطاه الكتاب، وقال له: اقرأ لنا فيه. فقال له: أي كتاب هذا؟ قال غرامة: كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب. فرماه بقوة وقال: نحن وهابية من جدنا محمد بن عبد الله، لا نرى فاعلاً ولا رازقاً ولا ضاراً ولا نافعاً ولا خالقاً إلا الله سبحانه تعالى. فنهض غرامة منكسر الخاطر يلتقط الكتاب ومضى، ولمّا خرج وجد أولئك نفر يضحكون، فزجرهم، وندم على فعله، وعرف أنه من كيدهم له، وتوقف بعد ذلك من الدوران في المدارس بذلك الكتاب^(١).

وقد رتب العلامة أحمد بن محمد بن عبد الله الحبشي (ت ١٢٣٨ هـ) قراءة في صحيح البخاري في مسجد الشيخ حسين بتريم، وسار على جميع السادة ليحضرُوا، فحضرُوا، وقال: وددت لو كانت القراءة في مسجد باعلوي، لكن أخشى أن يشوش علينا عبد الله غرامة بما يورده عليهم من الأسئلة، أو بتلك الكتب التي يحملها معه ذات الأفكار الوهابية. ويتضح أن مسجد الشيخ حسين الذي تم ترتيب الدرس به يقع خارج نطاق حكم غرامة الذي كان يحكم أجزاءً من تريم.

- تهديد العلامة أبي بكر بن عبد الله الهندوان (ت ١٢٤٨ هـ) بالقتل: فقد غادر تريم إلى منطقة بيت جبير^(٢)، بعدما هدده بالقتل بعض يافع الذين اعتقدوا أنه هو الذي يعلم عبد الله غرامة (ت ١٢٥٥ هـ) آراء الوهابية، ولم يستطع حاكم البلد غرامة حمايته رغم مكانته العلمية، وقد وصفه العلماء بأنه كان أعلم أهل عصره، فغادر إلى بيت جبر لأن غرامة لم يقدر على حمايته؛ لأنه لا يملك حكم تريم كلها^(٣)، وكان غرامة عندما يلتقيه يؤنبه على ذلك^(٤).

(١) ابن عبيد الله السقاف، بضائع التابوت مخطوط ج ٢، ص ١١٢.

(٢) بيت جبير: تقع إلى الجنوب من تريم، وهي بلدة كانت عامرة سكنها العلويون قبل دخولهم إلى تريم.

(٣) ابن عبيد الله السقاف، إدام القوت، ص ٩٥٠.

(٤) باذيب، محمد أبوبكر، تعقيب على مقال: المدارس السلفية اليافاعية بحضرموت، مدونته الإلكترونية، نقلاً عن الجنيد في شرح قصيدة مدهر وابن عبيد الله في البضائع.

ب - القبض على العلماء واحتجازهم: لمكانة العلماء في المجتمع وتأثيرهم في الناس؛ لجأت بعض القوى السياسية خلال ذلك القرن إلى إلقاء القبض على بعض العلماء واحتجازهم لأسباب مختلفة، كان أبرزها خوف أو شك تلك القوى من اتصال العلماء بمعارضيتهم والتحريض عليهم عند العامة، وقام بعض الأمراء بذلك للحصول على الأموال كون عدد من أولئك العلماء ينتمون إلى الأسرة الثرية بحضرموت.

- القبض على أعيان وعلماء سيئون: ففي فاتحة شهر صفر من سنة ١٢٦٤ هـ قام آل الضبي حكام سيئون بالقبض على علماء المدينة وأعيانها واحتجازهم في أحد البيوت، وكان القبض عليهم حيلة، إذ قام الجنود اليافيون بإخبار العلماء والأعيان بضرورة اجتماعهم في بيت خطيب الجامع الشيخ محمد بن عبدالله بارجاء، وذلك لمناقشة أحد المواضيع، وربما كان اختيارهم لبيت خطيب جامع سيئون لطمأنة المستهدفين، وكان حصيلة اللقاء أن تم القبض على جماعة من الأعيان والعلماء، ومن أبرزهم الإمام محسن بن علوي السقاف، وجعفر بن شيخ الحبشي، وعبدون بن صالح سبايا، وعبدالله بن سالم باناعمة، ومحمد بن عمر فضل، وأحمد حسن باهير، وآخرون يفوق عددهم العشرين، وبعد ما شعر صاحب البيت بمكرهم طلب منهم مغادرة بيته، وبعد ذلك تم نقلهم إلى بيت آخر، واستمر احتجازهم لسته أيام، وصادف أن أتى يوم الجمعة والأعيان محتجزون، واشترط عليهم الجنود مرافقتهم إلى الجمعة، فشق ذلك على بعضهم، وامتنعوا عن الخروج إلى الجمعة.

وقد أشار المؤرخ بن حميد إلى سبب القبض على أولئك الأعيان والعلماء، وهو أن آل الضبي اتهموا أهل البلد بمكاتبة الدولة (رجال الدولة الكثيرة) خفيةً فرحاً بظهورهم. بعد ذلك تدخل الإمام علوي بن سقاف الجفري لدى آل الضبي، وبعد طول نقاش تم إطلاق سراح المحتجزين بشروط مكتوبة^(١).

(١) ابن حميد، سالم بن محمد، العدة المفيدة، المجلد الأول، ص ٣٦٤.

- القبض على العلامة أحمد بن علي الجنيد وأسرته ونهب أمواله (ت ٥٧٢١هـ):
 وكان الجنيد من مشاهير العلماء بتريم، ومن دعاة الإصلاح، وكثيراً ما كانت تحركاته تثير الأمير عبدالله غرامة حاكم تريم، فقد تعرض للسجن مرتين في عهد الأمير عبدالله وابنه عبدالقوي غرامة^(١). وقد زج غرامة بالعلامة أحمد بن علي الجنيد وأخيه عمر وابن عمه علي بن محمد في السجن، ولبثوا فيه مدة غير قصيرة، ولم يطلق سراحهم إلا بعد أن دفعوا له مبلغاً كبيراً من المال نقداً^(٢). ولخوفه المستمر من تعدي رجال غرامة كان الإمام أحمد بن علي الجنيد لا يخزن كل إنتاجه الزراعي ولا أمواله في بيته، بل يترك بعض منه موزعاً في بيوت العاملين في مزارعه أو لدى من يثق بهم، وكان السلاطين كثيراً ما ينهبون بيته ظلماً وعدواناً، فينفعه حينئذ ما يدخره عند مزارعيه، لا سيما النقود^(٣).
 وقد تكرر حبس العلامة أحمد بن علي الجنيد من قبل عبدالقوي بن عبدالله غرامة بعد خروجه من صلاة الجمعة في جامع تريم في العام ١٢٥٧هـ، فقد كان ثم صراع بين القوى الثلاث التي تحكم تريم، وخاصة بين غرامة حاكم تريم الوسطى، وابن عبدالقادر حاكم المنطقة الشمالية لتريم، حتى تمزقت الوحدة الاجتماعية، وصار كل أهل ناحية يصلون الجمعة في ناحيتهم، فتعددت الجمعة في المدينة، ومنع بعض العلماء ذلك التعدد، ورأوا أنه لا مبرر له من الشرع، ولم يُجَوِّزوا إلا جمعة واحدة في الجامع المعتاد. وكان الجامع يقع وسط البلاد تحت سلطة غرامة، والجنيد يسكن في نويدة تريم التي هي تحت سلطة حكم آل عبدالقادر، ورغم تحذير البعض له من الذهاب إلى الجامع للصلاة إلا أنه قال: لا أترك الجمعة أبداً. وذهب في رفقة خفراء، ولم يفد أولئك الخفراء بشيء أمام تسلط ابن غرامة الذي زجَّ بالجنيد مرة أخرى في السجن، ولمدة أطول وأشق. وقد لبث في السجن مدة أربعة عشر شهراً صابراً محتسباً لم يترك

(١) الشاطري، الأدوار، ص ٣٩٦.

(٢) الجنيد، عبدالقادر بن عبدالرحمن، العقود العسجدية، ص ١٤١.

(٣) الجنيد، عبدالقادر بن عبدالرحمن، العقود العسجدية، ص ١٢١.

شيئاً من أذكاره ومطالعتة للكتب، ويقال إنه طالع إحياء علوم الدين للغزالي خلال مدة حبسه أربع مرات، ومارس النشاط العلمي والدعوي مع من حوله في الحبس^(١).

ولم يكن مصير العلامة الجنيد الحبس فقط، ففور سماع ابن عبدالقادر حاكم الأطراف الشمالية لتريم باعتقال غرامة للجنيد، وبدلاً من الوقوف إلى جانب الجنيد ومطالبة غرامة بسرعة إطلاق سراحه باعتباره أحد رعاياه؛ أمر جنوده باقتحام بيت الجنيد ونهب محتوياته واحتجاز أطفاله ونسائه في حصنه، بل وعزم على تزويج أحد أولاده ببنت الجنيد المعتقل لدى خصمه غرامة! وتدخل بعد ذلك عدد من وجهاء العلويين كالعلامة الحسن بن صالح البحر الذي قدم من بلده ذي أصبح، والسيد المنصب سالم بن علوي العيدروس منصب بلد صليبة، وبعد المفاوضات رفض ابن عبدالقادر إطلاق سراح المعتقلين لديه من النساء والأطفال إلا بمبلغ ثلاثة آلاف ريال فرانصة، وأصر ولم يقتنع بطلبات العدول عن قراره إلا بأخذ ذلك المبلغ الكبير، وبعدها تم دفع المبلغ، وساعد في ذلك ما يخبئه السيد أحمد الجنيد من أموال خارج منزله في إطلاق سراح أسرته^(٢).

وتكرر حبس العلامة أحمد الجنيد من قبل رجال آل كثير بعد امتناعه عن دفع ضرائب فرضوها وأثقلت كاهل أهل البلد، وكان احتجازه من قبل نائب السلطان غالب على تريم، وهو أخوه السلطان عبدالله بن محسن، وكان السلطان غالب الذي تربطه علاقة جيدة بالعلامة الجنيد غائباً عن البلاد مدة احتجاز المذكور، وذلك في العام ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م^(٣).

ج - قتل العلماء وسفك دمائهم: خلال ذلك القرن الذي كانت الفتن والفوضى القبلية تعصف بمجتمع حضر موت؛ سُفِكَ الكثير من دماء الأبرياء الذين لم يكونوا

(١) الجنيد، عبدالقادر بن عبدالرحمن، العقود العسجدية، ص ١٤٣.

(٢) الجنيد، عبدالقادر بن عبدالرحمن، العقود العسجدية، ص ١٥٢.

(٣) الجنيد، عبدالقادر بن عبدالرحمن، العقود العسجدية، ص ١٥٣.

جزءاً في أي طرف من الصراع، وإنما وصلت إلى مواطنهم نيران الاقتتال، ولم يسلم رجال العلم والصلاح من ذلك، فكان من بين أولئك الذين سُفِكَت دماؤهم الإمام سالم بن أبي بكر عديد.

وتشير المصادر التاريخية إلى أن أسرة آل عديد التريمية قد برز من رجالهم خلال ذلك القرن إمامان فقيهان هما الأخوان سالم وعبدالله ابنا أبي بكر عديد، وتشير إلى أنهما كانا من دعاة الصلاح، ولهما نشاط علمي ودعوي بارز.

ويحدثنا ابن عبيدالله عن وقائع مقتل الإمام سالم بن أبي بكر في كتابه إدام القوت عند الحديث عن حوادث العام ١٢٢٩ هـ، بقوله: «إن الأمير عبدالله عوض غرامة قد أرسل ثلة من جنوده للتحرش بأهل المسيلة، وعند انصرافهم التقوا بجماعة من عسكر الحبيب طاهر إما مصادفة وإما طمعاً فيهم، وبعدها جرى إطلاق نار، وكان العلامة سالم عديد موجوداً لحظة الحادثة فأصابته رصاصة وسقط ميتاً»^(١). غير أن الشاطري في الأدوار، والجنيد في العقود العسجدية، ذكرا أنه قُتِلَ طعنًا من قِبَل رجال غرامة، وأشار الشاطري إلى أن مقتله كان على مصطبة مسجد قرية الريضة^(٢)، وبقي يذكر الله بعد أن طُعِنَ، وقال للحاضرين: إني سامحتُ القتلة. ثم فاضت روحه^(٣).

ويبدو أن غرامة لم يكن مدبراً لتلك الحادثة، وإنما أتت على غفلة من مسلحيه المرتزقة، يتضح ذلك من خلال رسالته التي بعث بها إلى السادة يُعزِيهِم فيها، ولم يسلموا حتى في تلك الحادثة من التشفي من قِبَل الأمير غرامة الذي حملهم مسؤولية قتل العلامة عديد نتيجة شؤم أعمالهم والتفاتهم إلى غير الله، بل وذهب غرامة إلى أبعد من ذلك، إذ صرَّح بتهديدهم بقوله إن تلك الأعمال ستجر عليكم المصائب وما هو أعظم^(٤).

(١) ابن عبيدالله، عبدالرحمن السقاف، إدام القوت، ص ٩٥٢.

(٢) قرية تقع إلى جوار بلدة السويري.

(٣) الشاطري، الأدوار، ص ٣٦٩.

(٤) ابن عبيدالله، إدام القوت، ص ٩٥٢.

حصار المدن العلمية:

كانت معظم المراكز العلمية الحضرية مراكز سياسية للدويلات الحضرية، ونتيجة لذلك تعرضت للحصار والهجوم من حين لآخر في إطار محاولات تلك الدويلات توسيع نطاقها الجغرافي على حساب جاراتها من الدويلات الأخرى، بالإضافة إلى الأضرار الاقتصادية التي أحدثها حصار المدن الحضرية، وقد سرى الضرر إلى الوضع العلمي، فازدادت الصعوبات على طلبة العلم والعلماء، وقيدت حركتهم، وأزمتهم الاكتفاء بمن في بلدتهم من العلماء، وعرقلت الرحلة العلمية الداخلية التي كانت تُقام بين البلدات الحضرية. وعندما حاول السلطان جعفر بن علي الكثيري إسقاط الحكم اليافعي في مدينة سيئون؛ ألزمه ذلك محاصرة المدينة مدة تزيد عن العام، ثم ارتحل عنها دون أن يحقق مبتغاه، واتجه نحو تريم محاصرًا ومحاربًا للأمير ابن غرامة بعد أن عقد الصلح مع ابن همام وابن عبدالقادر، واتجه إلى عينات، واشتبك مع منصب عينات السيد أحمد بن سالم بن الشيخ أبي بكر بن سالم، ولكن ذلك السلطان لم يفلح في شيء من مخططاته، ولم يستطع مد نفوذه إلى مناطق شرق الوادي، ومات في المحيضة إحدى ضواحي تريم سنة ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م^(١).

وفي إطار الصراع الكثيري مع القوى اليافعية المتحالفة معها جماعات من آل تميم والمناهيل؛ استولت تلك القوى المتحالفة على أجزاء من مدينة تريم بعد مناوشات عسكرية دامت سبع سنين. كما قامت القوة الكثيرية بعدد من الهجمات العسكرية خلال ذلك القرن على الموانئ الساحلية الواقعة تحت السيطرة اليافعية، حتى تفك عن نفسها الحصار، ولا تبقى تحت رحمة يافع المسيطرة على الموانئ الحضرية^(٢).

(١) ابن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، ص ١٥١. بامطرف، في سبيل الحكم، ص ١٥.

(٢) بامطرف، في سبيل الحكم، ص ١٩.

الانشغال بالعمل السياسي:

اتجه عدد من العلماء في محاولة منهم لإيقاف انتشار الفوضى للمشاركة في العمل السياسي بل والعسكري، فقد عمل عبدالله بن أبي بكر عديد وزيراً ومشيراً للأمير ابن مقيص، وكان طاهر بن حسين بن طاهر قد تمت مبايعته لإقامة الحق، ودعا للوقوف في وجه الطغاة، وله الكثير من المراسلات مع رجال السلطة والقبائل، وكان يتم تدريب طلابه على حمل السلاح وإطلاق النار والتصويب على الأهداف، وقام بحمل السلاح عندما حاصر الوهابيون منطقته المسيلة مع سكانها، وكان بيت عبدالله بن عمر بن يحيى مقصداً لعدد من رجال السياسة، وفيه تم عقد شراء آل كثير لترميم.

الهجرة إلى الضواحي:

برزت ظاهرة خلال القرن الثالث عشر الهجري إبّان الاضطرابات والقلق الأمنية، وهي هجرة العلماء عن المدن العلمية والانتقال إلى الضواحي والقرى المحيطة بها التي تقع خارج نطاق حكم أمراء ودويلات المدن، واختار المهاجرون الانتقال إلى الضواحي؛ لسهولة التواصل والمشاركة في المحافل، وشهود صلاة الجمعة في المدينة، وتخضع تلك الضواحي في الغالب لحكم عشائر قبيلة تدوير وضعها بنفسها، وتحتمي بها عدد من الأسر الحرفية، واقتضت المصلحة المشتركة بين الطرفين المحافظة على تلك الروابط الاجتماعية.

وفي تريم، كان لاشتداد موجة الفتن، وخشية الناس على سلوكيات أولادهم، ومقتل أحد العلماء ظلماً في تريم؛ أثر سيئ في السكان، فقد غادر المدينة عدد من الأسر العلمية المرموقة، مثل آل خرد، وآل شهاب الدين، وآل المشهور، وآل الكاف، وآل بلفقيه، بالإضافة إلى هجرة عدد من الأعيان بعائلاتهم إلى الضواحي.

وبرزت عدّة من السلبات عن تلك الهجرة، إذ انقطع عدد من المجالس العلمية، وتحتم على طلبة العلم الذهاب إلى حيث يقيم شيخهم، والمتصور لحالة الاحتقان العسكري في ذلك الزمان سيُشعر بصعوبة انتقال الناس خاصة طلاب العلم العزل من

منطقة إلى أخرى، فمثلاً الطالب الذي يسكن بحارة الخليف بتريم التي تخضع لحكم آل همام، وشيخه انتقل إلى دمون، عليه أن يمر في حدود إمارة غرامة حاكم السوق، ثم إلى أرض إمارة آل عبدالقادر حكام النويدرة، ثم إلى دمون حيث مجلس شيخه، وعليه أن يقطع تلك الفواصل السياسية المزعومة وعساكر كل إمارة في ذهابه وفي طريق عودته كذلك. وقد يمتنع بعضهم من الدخول إلى الأراضي المجاورة له بحجة أنها خارج ممتلكات حاكمه؛ خشية أن يتعرض للابتزاز والسخرية حتى من العوام فضلاً عن العسكر! وقد غدت تلك الدويلات تلك النزعة المنطقية؛ للاستفادة منها في بسط نفوذها في ذلك المجتمع المنهك. وقد برزت من تلك الضواحي في تريم: دُمُون، والقوز، وثبي، والسويري، والغُرف، والمسيلة، وفي سيئون: تريس، وذي صبح، وفي شبام الحوطة.

ورغم سلبات تلك الظاهرة أحدثت نشاطاً علمياً في القرى، فُبني عدد من المساجد وأماكن للتعليم، ووجد العلماء متنفساً لنشر العلم والدعوة بين سكانها، وأصبحت مقصداً لطلاب العلم. ومن أبرز الضواحي والقرى التي احتضنت العلماء الفارّين من جبروت القوى المسلحة بلدة اللسك (القرية)^(١)، فقد هاجر إليها من تريم الإمام علوي بن محمد المشهور، واستقر بأحد المساجد القديمة حتى انكشفت الفتنة التي خرج بسببها، فعاد إلى تريم، وتوفي بها سنة ١٢٠٨هـ^(٢).

ومن أوائل مَنْ هاجر عن تريم الإمام حسين بن طاهر بن هاشم (ت ١٢٢٠هـ)، وقد كان لوقع خبر الهجرة على أسرة ذلك الإمام سيئاً، وعظم عليهم الهجرة إلى الضواحي وترك تريم، لكن لصرامة الأب وهيبته لم يستطع أحد أن يراجعه، فهاجر بأسرته وولديه طاهر وعبدالله إلى قرية المسيلة، بعد أن صرف نظره عن منطقة بيت

(١) قرية تقع إلى الشرق من تريم، بها ضريح شهير تواتر عن بعض الأسر أنه لجدهم الصحابي عبّاد بن بشر رضي الله عنه.

(٢) بن هاشم، محمد، تاريخ الدولة الكثيرة، ص ١٤٦.

جبير التي كان يعتزم المسير إليها، وتركها بعد أن وجد فيها آثار عمران، فانصرف عنها تورّعاً إلى المسيلة مجاوراً لآل الهيج التميميين الذين ابتهجوا بالقادمين، ورأوا أن قدومهم مصداق للرؤيا التي رآها أحدهم في المنام^(١).

إتلاف المكتبات وإحراق الكتب:

لم تسلم المكتبات من نيران الصراعات، فعندما غزا أتباع محمد بن عبدالوهاب النجدي حضرموت سنة ١٢٢٤هـ / ١٨٠٩م أتلّفوا عدداً من الكتب في تريم، اختلف المؤرخون بين مقلل أو مكثّر لها.

حركة التأليف والنتاج العلمي:

رغم حجم المصاعب التي واجهها العلماء خلال ذلك القرن؛ لم تنقطع حركة التأليف، بل شهدت توسعاً في بعض العلوم خاصة الشرعية منها كالفقه، وغلب على بعض العلماء التأثير بطابع الوعظ والنصح والإرشاد في نتاجهم، وإبراز الشكوى من جور الحكام وانتشار الجهل، ولو حظ قلة التدوين التاريخي خلال ذلك القرن، وربما كان للاضطرابات والخوف من بطش الحكام أثر في ذلك.

نماذج من النتاج العلمي:

يقول في خطبة له: «أما بعد؛ فأشكو إلى الله ما أعانيه من الهم والكبد، وإقامتي بهذه البلد، التي ليس بها - في الظاهر - من يُستحيا منه وعليه يُعتمد، ممّن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويعين على الخير والرشد ... ولما كان زماننا هو دهليز الساعة، الذي أخبر به صاحب الشفاعة، وكان من سيما أهله عدم الوفاء ... أدهشني فعلهم، وساءني أمرهم، وخانني من يدّعي أنّه صديق قريب».

ومن شكوى له منظومة:

أفيضت على قلبي شجون ممضة وأحقرها لو نال رضوى لصدّعا

(١) بن هاشم، محمد، تاريخ الدولة الكثيرة، ص ١٤٨.

وقلبي مسقوم وجسمي مؤلم
ولا أشتكي إلا إلى الله ربنا
ولو سمع الشكوى لبب لما وعى
عليم حكيم مستجيب لمن دعا^(١)

ومن رسائل الامام عبدالله بن حسين بن طاهر ت ١٢٧٢ هـ رسالة بعنوان (تذكرة العاقل من القبائل)، بين فيها أن آلات الحرب لا تستخدم بين المسلمين، وإنما وضعت لجهاد الكفار، كما وضع في رسالته تلك بعض المخارج من بلاء حمل السلاح بين الأفراد، لعل أبرزها الاجتماع على رأي أهل الخير والصالح. وهناك خطبة للإمام طاهر بن حسين بن طاهر بعنوان (من الجرائم العظيمة والفواحش الوخيمة التقاتل بين القبائل)^(٢). ومن شعر الإمام عبدالله بن حسين بن طاهر الدعائي:

ومالنا ربنا * سواك يا حسبنا * يا ذا العلا و الغنى * ويا قوي يا متين
نسألك والي يقيم * العدل كي نستقيم * على هداك القويم * ولا نطيع اللعين
سالك بجاه الجدود * والي يقيم الحدود * فينا ويكفي الحسود * ويدفع الظالمين
يزيل للمنكرات * يقيم للصلوات * يأمر بالصالحات * محب للصالحين
يزيح كل الحرام * يقهر كل الطغام * يعدل بين الأنام * يؤمن الخائفين
يارب ضاق الخناق * من فعل ما لا يُطاق * فامنن بفك الغلاق * لمن بذنبه رهين.

واستنكر العلامة عبدالرحمن بن عبدالله بلفقيه في أبيات له غياب أحكام الشريعة وانصراف الكثير من الناس إلى العادات القبلية والاجتماعية دون تحكيم الشرع، يقول:

فيا عجباً من كون كل قبيلة
وشدد حكم الجاهلية والكفر
ومن كون أرباب القنيص وزمرة الـ
عبيد لهم حكم يمشى بلا عذر
وأحكام شرع الله مطروحة بلا
ملام على من زاغ عنها ولا نكر^(٣)

(١) الحبشي، عيروس بن عمر، عقد اليواقيت، ج ١، ص ١٨ - ١٩.

(٢) بن طاهر، عبدالله بن حسين، المجموع، ص ٣٨٥.

(٣) بن طاهر، عبدالله بن حسين، المجموع ص ٣٩٠.

كما أُلّف أحد علماء ذلك القرن، وهو العالم الجليل الحسين بن محمد الإبريقي الحبّاني، كتابًا لطيفًا يبدو أن الوضع الدموي والاقتتال القبلي وانتشار حمل السلاح خلال ذلك القرن قد دفعه إلى تأليفه، وقد حمل عنوان (الآداب المحققة في معتبرات البندقة).

الخاتمة:

رغم حجم الاضطرابات التي شهدتها القرن الثالث عشر الهجري في حضرموت؛ فالعلماء هم بحقّ رجال ذلك القرن، خاصة في النصف الأول منه، إذ صمدوا في أخرج الأوقات رغم تعرضهم للتهديد والحبس والقتل والتهجير.

أحدثت الاضطرابات حراكًا علميًا في ضواحي المدن الرئيسة بحضرموت، بعد أن هاجر إليها العلماء، وأسهمت في نشر العلم بين سكان تلك القرى والأرياف.

تعدُّ هذه الدراسة بحثًا أوليًا يسعى الباحث لإكماله في قادم الأيام، سائلًا الله العليّ القدير السداد والتوفيق.

وختامًا يبعث الباحث شكره وتقديره لإدارة مركز حضرموت للدراسات التاريخية والنشر، ولجانته العلمية، لما يبذلونه في سبيل النهوض بالعمل التاريخي في حضرموت، وإتاحة الفرصة للباحثين ليسهموا في المؤتمرات والندوات التي يقيمها المركز.



قائمة المصادر والمراجع:

- بامطرف، محمد عبدالقادر
- أ - في سبيل الحكم، دار حضرموت، المكلا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
- ب - المختصر في تاريخ حضرموت العام، دار حضرموت، المكلا، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.
- الشاطري، محمد بن أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، عالم المعرفة، جدة، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.
- بن طاهر، عبدالله بن حسين، مجموع الرسائل والوصايا والديوان، دار الحاوي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- الكندي، سالم بن محمد بن سالم بن حميد، تاريخ حضرموت المسمى العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
- ابن عبيدالله، عبدالرحمن السقاف، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، تحقيق: محمد أبوبكر باذيب، دار المنهاج، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- ابن هاشم، محمد، تاريخ الدولة الكثيرة، تريم للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.



المتغيرات السياسية في حضرموت في القرن ١٣هـ / ١٩م وأثرها في غيل باوزير

أ.د. محمد بن هاوي باوزير(*)

الملخص:

قبل قيام الدولتين الكثيرة والقعيطية وسيطرتها على التراب الحضرمي؛ كانت حضرموت في حالة اضطراب دائم، ولم تعرف في تاريخها الطويل أي سلطة مركزية شملت كلها ساحلاً ووادياً، بل كانت مجزأة تحت سلطة كيانات سياسية صغيرة إمارات ودويلات متعددة تتنازع على السلطة والهيمنة، وقد كان حكم تلك الكيانات أشبه ما يكون بحكم دويلات المدن، ونفوذها لا يتعدى خارج المدينة، إذ كانت السلطة خارج المدن بيد رؤساء القبائل المتصارعة.

وهكذا شهدت الساحة السياسية الحضرمية في تاريخها الحديث - وعلى وجه الخصوص القرن ١٣هـ / ١٩م وما بعده - عدة من الكيانات (دويلات وإمارات)، وبحكم تقارب مناطق نفوذها وتداخلها أحياناً، كانت تتحالف تارة، وتتنازع تارة أخرى، وكل إمارة أو دويلة تنفرد باستقلالها أحياناً، وتنضوي تحت لواء بعض جاراتها أحياناً أخرى، حتى خضعت كلها (كل التراب الحضرمي) تحت لواء دولتين حضرميتين هما الدولة القعيطية والدولة الكثيرة.

كل ما تقدم من صراعات وحروب دويلات المدن، وكذا الصراعات القبلية والافتتال العشائري على السلطة والهيمنة؛ أدى لعدم استقرار الأوضاع السياسية في حضرموت وتجزئتها وتمزيقها، حتى أصبحت حضرموت كالإرث الموزع بين تلك الكيانات، بل أسهم ذلك في تردي مجمل الأوضاع في حضرموت، وخاصة الاقتصادية،

(*) أستاذ تاريخ اليمن والجزيرة العربية القديم - كلية الآداب - جامعة عدن.

ولا شك أن ذلك كان له أثره البالغ في وضع مدينة غيل باوزير وضواحيها، وهو الأمر الذي سنتناوله في بحثنا هذا.

ولا شك أن غيل باوزير كغيرها من المدن الحضرية قد تأثرت بذلك الوضع، وقد كانت الغيل آنذاك تتقلب في تبعيتها للسلطات الموجودة في ساحل حضرموت (الشحر)؛ لأن غيل باوزير في كل تاريخها السياسي دائماً تتبع السلطة السياسية التي تحكم الشحر، وتخضع لها لأسباب اقتصادية في الغالب؛ كون الشحر هي الميناء الوحيد الذي كان سكان الغيل يعتمدون عليه في الاستيراد والتصدير وشراء كل احتياجاتهم من أقوات وبضائع، لذا كان لزاماً على غيل باوزير أن تتبع الشحر، وألاً تعادي السلطة القائمة فيها. وعلى هذا الأساس خضعت غيل باوزير للسلطة الكثيرة، ثم لآل بن بريك عندما احتلوا الشحر، ثم لسلطنة آل كثير بعد استيلائهم على الشحر في عهد غالب بن محسن الكثيري، وأخيراً خضعت للدولة القعيطية. وفي ضوء ما تقدم سيكون البحث في ثلاثة محاور، وهي:

المحور الأول: غيل باوزير.. محل أطماع القوى السياسية المتنافسة في حضرموت.

أولاً - لمحة موجزة عن الصراع السياسي في حضرموت في تاريخها الحديث.

ثانياً - أطماع القوى السياسية المتنافسة في غيل باوزير.

المحور الثاني: غيل باوزير بين سلطتي آل كثير وآل بن بريك.

المحور الثالث: الصراع القعيطي العولقي في غيل باوزير.

غيل باوزير محل أطماع القوى السياسية الحضرية قبيل وأثناء

القرن 13هـ / 19م:

أولاً - لمحة موجزة عن الصراع السياسي في حضرموت في تاريخها الحديث:

إن حضرموت التي شهدت قيام الدولتين الكثيرة والقعيطية لم تعرف في تاريخها الطويل أي سلطة مركزية في كل التراب الحضرمي، فقد كانت حضرموت بساحلها وداخلها، في حقب متعاقبة من التاريخ مجزأة بين سلطات إمارات ودويلات متعددة

تنازع كل منها الأخرى السلطة والهيمنة، أي كانت حضرموت أشبه ما تكون بدويلات المدن، أما خارج أسوار تلك المدن فقد كان الحكم الفعلي بيد رؤساء العشائر الحضرمية، يصرفونه وفق تقاليدهم وأعرافهم^(١)، وقامت بين أولئك الرؤساء وحكام المدن علاقات الجوار وتبادل المنافع، وكانت تقوى حيناً وتضعف ثم تتدهور حيناً آخر، وكانوا يتحالفون تارة، ويتحاربون تارة أخرى. ويزول حكام المدن الواحد تلو الآخر ويأتي بعدهم حكام آخرون، في حين يبقى رؤساء العشائر ثابتين في أماكن نفوذهم (خارج أسوار المدن)، يتوارثون السيطرة عليها أباً عن جد، حسب نظامهم العشائري العتيق^(٢).

كانت دويلات المدن في الغالب منحصرة في المكلا والشحر وتريم وسيئون وشبام، وقد عاشت حالة من الخصام والنزاع الطويل، وقد أدى ذلك إلى زوالها الواحدة تلو الأخرى حتى خضعت كلها تحت لواء السلطنتين، الكثيرة والقعيطية، وهكذا ظلت حضرموت لمدة طويلة من تاريخها الحديث مسرحاً للصراع الأسري والعشائري والقبلي والتناحر على السلطة، وهو الأمر الذي أدى لعدم استقرار الأوضاع السياسية، والذي انعكس على التقدم الاقتصادي في حضرموت^(٣).

ومنذ بداية القرن ٨هـ / ١٤م بدأت تظهر سلطة شبه مركزية في حضرموت، وذلك بسيطرة آل باكثير على معظم المدن والقرى الحضرمية، بل يقال إن حضرموت كانت موحدة سياسياً وإدارياً تحت حكم آل باكثير المركزية على عهد السلطان بدر بن عبدالله الكثيري (بوطويرق)، ولكن هناك من يرى عكس ذلك، فيقول الأستاذ بامطرف^(٤): «إن ما يُقال بهذه المثابة لم يكن إلا من قبيل التجوز والإفراط في التقريظ. وعلى

(١) محمد عبدالقادر بامطرف: في سبيل الحكم، ص ١١. محمد عبدالكريم عكاشة: قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت، ص ٥٦.

(٢) بامطرف: المرجع السابق، ص ١١ - ١٢. عكاشة: المرجع السابق، ص ٣٤. محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ص ١٦٥. ومحمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص ١٧٠.

(٣) عكاشة: المرجع السابق، ص ٣٤.

(٤) بامطرف: المرجع السابق، ص ١٢. صلاح البكري: في شرق اليمن (يافع)، ص ١٠٠.

الأخص يستطيب للبعض الزعم بأن حضرموت كانت موحدة سياسياً وإدارياً تحت حكم السلطان بدر بو طويرق، ولكن الواقع كان غير ذلك؛ لأنَّ الخصومة والتنازع على الحكم في أرجاء متعددة من حضرموت ظلَّاً سائدين حتى داخل أسرة أبي طويرق، وبينه وبين أخيه محمد على وجه الخصوص... وفوق ذلك كان آل العمودي يحكمون وادي دوعن خارج نطاق سلطة أبي طويرق، وكذا قبيلة نهد التي استقلت بالسيطرة على منطقة الكسر^(١)، بل إن هذه القبيلة كانت مسيطرة على مدينة هينن التي كانت العاصمة الثانية لسلطنة «أبي طويرق». واستمر هذا التفكك في طبيعة الحكم الكثيري، بل بعد وفاة أبي طويرق ازداد الصراع الأسري على عرش الدولة الكثيرية، واستمر ذلك حتى النصف الأول من القرن (١٢هـ)، الأمر الذي أدى إلى ضعف الدولة، بل ازداد تدهوراً بعد أن دخل على طبيعة الحكم الكثيري عنصر وافد متمثل في يافع التلد^(٢) القادمين من جبل يافع^(٣).

وفي ظل هذه الأحوال المضطربة شهدت حضرموت في خمسينيات القرن ١٧هـ تدخل الجيوش الإمامية الزيدية لدعم السلطان بدر بن عمر الكثيري^(٤)، وإعادته للحكم بعد أن كان قد خلعه ابن أخيه بدر بن عبدالله بن عمر الكثيري، وفي (١٠٧٣هـ/ ١٦٦٢م) توفي السلطان بدر بن عمر، وخلفه ابنه محمد المردوف الكثيري بتأييد من

(١) الكسر: وردت لفظة الكسر في نقوش المسند الجنوبية (ك س ر ن)، وقد ورد ذكرها عند الهمداني بأنها قرى وأودية كثيرة في حضرموت. الهمداني: صفة بلاد العرب، ص ١٧١ - ١٧٢. ولمعرفة المزيد انظر كتاب مرعي بارباع: منطقة الكسر في وادي حضرموت، ط ١، دار جامعة عدن، ٢٠١٤م.

(٢) التلد: المولودون في حضرموت وعن أب وأم مولودون أيضاً في حضرموت، ويبدو أن قدومهم لحضرموت كان قديماً منذ أواخر عهد الدولة الحميرية، ويعدون في نظر الحضارم قبيلة حضرمية لها ما لهم وعليها ما عليهم. بامطرف: في سبيل الحكم، ص ١٢. وعبدالله الجعدي: الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت (١٩١٨ - ١٩٤٥م)، ص ٢٠.

(٣) بامطرف: في سبيل الحكم، ص ١٢.

(٤) أشيع في حضرموت أن بدر بن عمر قد اعتنق المذهب الزيدي.

الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم، ولكن لا يعني ذلك خضوع حضرموت للسلطة الإمامية الزيدية، بل كان النفوذ الإمامي في حضرموت نفوذاً اسمياً، وظلت الأمور هكذا في حضرموت، سلطة آل كثير ونفوذ اسمي للإمامة الزيدية^(١)، ولما كان الكثير من أبناء حضرموت معارضين للوجود الإمامي الزيدي في بلادهم خوفاً من انتشار المذهب الزيدي، فما إن حل العام (١١١٣هـ / ١٧٠١م) حتى انقسم آل كثير على معسكرين أحدهما يؤيد الزيدية، وهم آل علي بن عبد الله بن عمر الكثيري، والآخر يؤيد الشافعية وهم معسكر بدر بن محمد المردوف الكثيري، وقد ساندتهم يافع التلد وانضمت إلى جانبهم، بل استقدم المردوف ستة آلاف مقاتل من جبل يافع (١١١٧هـ / ١٧٠٥م)؛ لمواجهة القلاقل السياسية والمذهبية المتفاقمة في حضرموت، وقد شكّل هذا الاستقدام اليافعي الكبير إحدى نقاط التحول في التاريخ الحضرمي الحديث^(٢). بل يبدو أن هذا الاندفاع اليافعي في عهد السلاطين آل كثير للعمل العسكري في حضرموت يُعد من أكبر الهجرات الداخلية في جنوب اليمن في العصر الحديث.

ويمكننا أن نخلص مما تقدم من أحوال مضطربة في حضرموت إلى أنها أدت إلى بدء قيام دويلات المدن اليافعية على حساب الدولة الكثيرية التي أخذت في الاضمحلال في وقت بدأ فيه نجم تلك الدويلات في الصعود، منذ مطلع القرن ١٨م، وفيه تمكن اليوافع الموجودون في حضرموت (يافع الغربية)^(٣) من السيطرة على أهم المدن الحضرمية في الساحل كالشحر والمكلا، وفي الداخل كتريم وسيئون وشبام والقطن، فزادوا بذلك في تجزئة حضرموت وتمزيقها، حتى أصبحت حضرموت في السنوات الأخيرة من القرن (١٢هـ) كالإرث موزعة بين آل كثير واليوافع وغيرهما من

(١) عكاشة: مرجع سابق، ص ٣٥ - ٣٦.

(٢) بامطرف: مرجع سابق، ص ١٢ - ١٣. وعكاشة: مرجع سابق، ص ٣٤ - ٣٥. وصلاح البكري: في شرق اليمن (يافع)، ص ١٠٣.

(٣) الغربية: تحريف حضرمي لكلمة الغرباء ويقصد بهم اليوافع الجدد القادمون من جبل يافع، وهم الذين جلبهم بدر بن محمد المردوف الكثيري في أوائل القرن ١٨م جنداً في جيشه. بامطرف: في سبيل الحكم، ص ١٣. والجعيدي: المرجع السابق، ص ٢٠.

القبائل، بل بانتهاء هذا القرن انتهت الدولة الكثيرة الثانية، ليقوم على أنقاضها حكم الدويلات والإمارات اليفاعية في نواح شتى من مدن وقرى ساحل وداخل حضرموت، ومن أبرزها الإمارة الكسادية في المكلا (نشأت عام ١١١٥هـ / ١٧٠٣م)، والإمارة البريكية (نشأت عام ١١٦٥هـ / ١٧٥١م)^(١).

وكل ما تقدم أسهم في تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية، وإعاقة تطور المجتمع الحضرمي، وقد تأثرت غيل باوزير بتلك الأوضاع المتردية التي سادت حضرموت، بل تأثرت أيضًا بموقعها الإستراتيجي بين الساحل والداخل، وكذا لأهميتها الاقتصادية بصفتها منطقة زراعية، الأمر الذي جعلها محل أطماع القوى السياسية المتنافسة في الساحة الحضرمية من إمارات وسلطنات، ولا سيما تلك التي حكمت الشحر والمكلا (انظر الخريطة في الملاحق).

ثانيًا: ما تعاقب على غيل باوزير من حكام وحوادث قبيل وأثناء القرن ١٣هـ / ١٩م:

إنَّ عددًا من مدن وقرى حضرموت كانت لا تعرف نظام الحكومات المركزية، بل كانت تخضع للأنظمة العشائرية القبلية وفق التقاليد والأعراف المتوارثة عن الآباء والأجداد، ومنها غيل باوزير، فمنذ تأسيسها كان أمرها يعود إلى أوائل ساكنيها من مشايخ آل باوزير والعوابة^(٢) (القاطنين في القارة) وغيرهم، وإذا أردنا أن نعطي نظرة عمًا تعاقب عليها من حكام وحكومات منذ تأسيسها إلى يومنا هذا؛ فإن البداية ستكون على النحو الآتي:

(١) عكاشة: مرجع سابق، ص ٣٦. وغالب بن عوض القعيطي: تأملات عن تاريخ حضرموت، ص ٦١ - ٦٤.

(٢) العوابة: ومنهم آل عمر باعمر، قدموا من وادي العين. والعوابة من القبائل الحضرمية القديمة المنتشرة في مناطق متعددة من حضرموت. انظر محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ص ٣٧١. ومحمد سالم الجوهي: مدينة غيل باوزير، مجلة الفكر، ص ٣.

- في القرن الثامن الهجري حوالي عام ٧٠٦هـ وما تلاه من أعوام:

وهي المدة التي تبدأ بقدوم الشيخ عبدالرحيم بن عمر باوزير إلى البقعة التي اقترنت باسمه (غيل باوزير) وبأبنائه وأحفاده، وبالكثير من القادمين عائلاتٍ وأفراداً من حضرموت الداخل إلى الغيل، فهي الحقبة الأولى التي واكبت ميلاد المدينة وتأسيسها، وكان الحكم فيها بيد المؤسسين المشايخ آل باوزير، ويساعدهم فيه العوابة آل عمر باعمر^(١)، فقد كان الدور الرئيس لإدارة حكم البلاد للمشايخ آل باوزير، لا سيما أنهم يقومون بالدور الاجتماعي والروحي والديني والعلمي، وهو الأمر الذي أعطاهم مكانة مهمة لدى سكان المدينة وضواحيها وباديتها في حل الكثير من مشاكلهم وقضاياهم الاجتماعية، وقيل إنهم خصصوا لهذا الغرض مجلساً (يسمى الحضرة)، يتكون من بعض وجهاء آل باوزير، ويرأسهم شخص يُدعى (المنصب)؛ للنظر في قضايا ومشاكل المدينة وضواحيها وباديتها^(٢). ولكن يبدو أن إنشاء هذا المجلس قد تم لاحقاً، وأن إدارة شئون البلدة وحل قضاياها ومشاكلها عند تأسيسها ولمدة من الزمن كانت تُدار من قِبَل المؤسس الشيخ عبدالرحيم بن عمر وأبنائه ومساعدتهم من المسجد، «وهو مكان متعارف عليه في العهود الإسلامية»^(٣)، وربما تُدار شئون البلدة من ديار المشايخ أعيان البلدة (دار المنصب)، أما دار الحضرة التي شارك الأهالي من المشايخ وغيرهم في بناؤها فيبدو لي أن الهدف الرئيس من إنشائها كان روحياً دينياً أكثر منه سياسياً، مع حدوث بعض الاستثناءات، كحلّ بعض قضايا ومشاكل سكان المدينة وباديتها فيها،

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف: إدام القوت، ص ١٤١. سامي بن شيخان: نفحات وعبير، ص ١٢. ومحمد أحمد بن هاوي: من مذكورة عن حياتي ونبذة عن تاريخ الغيل (مخطوط)، عن مجلة الفكر الصادرة في غيل باوزير، العدد ٨، أكتوبر - ديسمبر، ١٩٩٧م، ص ٧.

(٢) سامي بن شيخان: نفحات وعبير، ص ٤٢ - ٤٣.

(٣) المعروف أن المساجد كانت تقوم بدورها العلمي منذ القرن الأول الهجري، إلى جانب كونها أماكن للعبادة ومراكز تدار منها شئون الدولة. انظر عبدالرحمن حسن جار الله: المسجد والمدرسة الإسلامية، مجلة الإكليل، العدد ٢٨، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ربيع ٢٠٠١م، ص ٧٢ - ٧٣.

بالإضافة إلى ذلك فإن دار الحضرة ظهرت بعد مدة طويلة من تأسيس المدينة ووفاء مؤسسها الشيخ عبدالرحيم بن عمر وأبنائه وربما أحفاده^(١). فالأرجح أن المسجد كان المكان الأول الذي تدار منه شئون البلدة.

أما آل عمر باعمر فقد عقد معهم آل باوزير حلفاً ليقوموا بتوفير الحماية للمدينة والحراسة للوجاهات من المشايخ آل باوزير، ولا شك أن آل عمر باعمر من القبائل المسلحة، بل أقدمها في الغيل، وهكذا كانت السلطة الدينية الروحية بيد آل باوزير والسلطة العسكرية بيد آل عمر باعمر، بل كَوَّنوا لهم دويلة أو شبهها ظلت باقية حتى قضى عليها السلطان عوض بن عمر القعيطي في مطلع القرن العشرين^(٢).

غيل باوزير بين سلطات الكثيري والبريكي والكسادي:

منذ كانت بدايات ظهور الدويلات في الثلث الأول من القرن ١٠هـ عندما كانت حضرموت أشبه بدويلات المدن، أو (سلطات الطوائف) كما يسميها البعض؛ لأنها سلطات صغيرة طائفية يافعية وغير يافعية، كل منها لا يستوجب اسم (دولة)؛ لضيق نطاق سلطته، وعلى سبيل المثال مدينة تريم وحدها فيها ثلاث سلطات! وهكذا في عددٍ من المدن والمناطق الحضرمية^(٣)، منذ ذلك الحين كانت غيل باوزير محل صراع بين سلطات متعددة في الساحة الحضرمية.

(١) مقابلة شخصية مع المعمّر محمد عبدالله بن هاوي الملقب (هاوي)، مقيم في عدن، وتوفي بها في شهر يوليو ٢٠٠٨م. أما بالنسبة لتعريف الحضرة فهي اجتماع الناس لمدة لذكر الله والصلاة وقراءة مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ابتغاء حصول البركة من ذلك الاجتماع. والحضرة في بعض المساجد أو أماكن الأضرحة (القباب) عبارة عن إنشاد ديني يصاحبه الطار (الطلل). انظر روبرت سارجنت: نثر وشعر من حضرموت، المركز اليمني فرع حضرموت، ١٩٨٠م، ص ٧٣.

(٢) ابن عبدالله السقاف: مرجع سابق، ص ١٤١ - ١٤٢. والجوهي: مدينة غيل باوزير موضعها وموقعها، ص ٣.

(٣) محمد بن هاشم: حضرموت - تاريخ الدولة الكثيرية، ص ١٤١.

وخلال هذه المدة كانت غيل باوزير تتقلب في تبعيتها للشحر، وكانت الشحر قبل بدايات القرن ١٠هـ خاضعة للدولة الكثيرية الأولى (٨٠٠ - ١١٣٠هـ) للسلطان عبدالله بن جعفر الكثيري^(١) الذي حضرته الوفاة بالشحر عام ٩١٠هـ، فتولى حكم الشحر من بعده ابنه محمد، وأنداك كانت غيل باوزير تابعة له، وينوبه فيها القائم مقام النقيب (أحمد بن النقيب)، ويبدو أن هناك خلافاً كان بين الأخوين السلطان محمد وأخيه بدر على شئون الحكم، وقد انتهى هذا الخلاف بإبعاد الأول عن حكم حضرموت بما فيها الشحر لمصلحة السلطان بدر حاكماً لحضرموت الداخل والساحل، وكان من بين إجراءاته السياسية قيامه بإلقاء القبض على قائم مقام غيل باوزير أحمد بن النقيب متهمًا إيَّاه بالتواطؤ مع أخيه محمد، ولم يكتفِ بعزله من الخدمة بل زجَّ به في السجن وذلك في عام ٩٢٧هـ^(٢).

محاولات الإمارة البريكية إخضاع الغيل لسلطتها:

في ظل ذلك الصراع بين الدويلات خضعت الشحر لآل بريك، ومن ثم آلت تبعية غيل باوزير لهم (١١٦٥ - ١٢٨٣هـ)، إلا أن هناك مَنْ ظلَّ ينازع آل بريك في السيطرة على غيل باوزير، كمعارضة آل بن همام^(٣) بزعامة النقيب محسن بن همام وتحالف آل عمر باعمر معه في مقاومة الأمير علي بن ناجي بن بريك (الأول)، ومحاولاتهم طرده من غيل باوزير، إلا أن الأمير علي بن ناجي كان لهم بالمرصاد، وتمكَّن من إسكات مقاومتهم، وبذلك ثبت احتلاله لغيل باوزير، ولكن النقيب محسن بن همام التجأ إلى

(١) عبدالله بن جعفر هو والد السلطانين محمد وبدر أبو طويرق.

(٢) محمد عبدالقادر بامطرف: الشهداء السبعة، ط ٢، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٣م، ص ٧٧ - ٧٩.

(٣) آل همام: قبيلة من أصول يافعية من يافع التلد القادمين لحضرموت منذ القدم، استوطنوا تريم والشحر وأخيراً غيل باوزير، بنوا حصونهم في الجهة الشمالية من الغيل وما زالت قائمة، وبعضها أطلال (انظر اللوحة في الملاحق). ولمعرفة المزيد انظر: محمد بن هاوي باوزير: كراسات في تاريخ حضرموت، ص ١٦٩ - ١٧٠. وخالد بن همام: ملخص عن تاريخ يافع حضرموت، ص ٦٣ - ٦٤.

أمير المكلا النقيب عبد الرب الكسادي^(١) وأقنعه بمساعدته لاستعادة غيل باوزير من آل بريك، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل بعد معركة عنيفة انتهت بهزيمة الكسادي ومقتل محسن بن همام^(٢).

تكررت محاولات الكسادي الهجومية ضد آل بريك من أجل السيطرة على الشحر ثم غيل باوزير في السنوات ١٢٢٧ - ١٢٣١هـ، إلا أن كل هذه المناوشات لم تؤد إلى نتيجة، وعاد الكسادي دون أن يظفر بطائل.

اتفاقية غيل باوزير بين البريكي والكسادي (١٨٥٠م):

وفي الستينيات من القرن ١٣هـ تعرضت الشحر لمحاولات الغزو من آل كثير مستعينين بقوات تركية قدمت من الحجاز، ويبدو أن ذلك قد أثار حفيظة آل بريك والكسادي؛ لأن قدوم الأتراك سيشكل خطراً عليهما في ساحل حضرموت، وهو الأمر الذي أدى إلى التقارب البريكي الكسادي وإيقاف الحرب بينهما حفاظاً على مصالحهما والتصدي للغزو الكثيري التركي على الشحر، فاتفقا على عقد اتفاقية صلح وتعاون بينهما عُرفت باتفاقية الغيل عام ١٢٦٧ - ١٨٥٠م، نصّت على وضع حد للصراع بينهما، وعقد تحالف عسكري يدعم كل منهما الآخر إذا ما تعرضت أراضيها لأي هجمات عسكرية، وخاصة في ظل رغبة الكثيرين والأتراك في السيطرة على الشحر والغيل وكل ساحل حضرموت^(٣).

غيل باوزير خلال مدة حكم آل بريك:

شهدت غيل باوزير وضواحيها حالة من الاستقرار والهدوء في مدة حكم آل بريك في الأعوام (١١٦٥ - ١٢٨٣هـ) (١٧٥١ - ١٨٦٦م)، ورغم ذلك كانت تشهد

(١) آل الكسادي: أصولهم من يافع، أقاموا إمارة في المكلا، وكان النقيب صلاح بن سالم أول من تولى الحكم من آل الكسادي، وانتهى أمرهم على يد القعيطي. أحمد جبريل: مدينة المهاجرين، ص ١٩ - ٢١. وللمزيد انظر: باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص ٢٢٣ - ٢٣١.

(٢) باوزير: صفحات، ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٣) باوزير: صفحات، ص ٢٤١ - ٢٤٢. وعدنان جروان: مدينة غيل باوزير، ص ٧١ - ٧٢.

المدينة ومحيطها من القرى نزاعات أهلية وقبلية بين الحين والآخر، وقد تمكن الأمير علي بن ناجي من حسمها والقضاء عليها، وعلى سبيل المثال النزاع بين أهل الغيل وأهل النقعة على سواقي ومعايين المياه. (انظر نص التحكيم في الملاحق). كذلك تدخل الأمير علي بن ناجي في حل النزاع بين قبائل شحير على ركوب البحر، وغيرها من الخلافات والنزاعات بين الأهالي والقبائل ليحقق الاستقرار لبقاء نفوذه^(١).

الشحر وغيل باوزير بين البريكي والكثيري (١٢٨٣هـ - ١٨٦٦م) :

في ظل استمرار الصراع في الساحة الحضرمية حاول آل كثير (الدولة الكثيرية الثانية - الغالبية) استعادة الشحر والسيطرة عليها، وكان ذلك في عهد السلطان غالب بن محسن الكثيري، وذلك رغبة منه في استعادة ذلك المنفذ البحري والميناء المهم (أي الشحر)، وبالفعل تمكن آل كثير من إعادة سيطرتهم على الشحر، وفرّ آل بريك منها^(٢). وكما سبقت الإشارة فإن غيل باوزير تتبع الشحر تبعيةً سياسيةً واقتصاديةً، وبذلك عادت تبعيتها لآل كثير (١٢٨٣هـ - ١٨٦٦م) بعد سيطرتهم على الشحر، لا سيما أن الغيل تُعد في نظر آل كثير منطقةً مهمةً؛ نظرًا لموقعها وقربها من الشحر، وكذا لأهميتها بصفقتها منطقةً زراعيةً^(٣)، ومن حينها ظلت غيل باوزير جزءًا من الدولة الكثيرية الثانية، حتى انتزعت منهم وآلت للنفوذ القعيطي كما سنراه لاحقًا.

أمّا مصير الأسرة البريكية وأميرها علي بن ناجي الثاني^(٤) فهو الفرار من الشحر إلى المكلا وأحور، ومنهم من واصل سفره لعدن ومنها لشرقي إفريقيا، وانتهى

(١) جروان: المرجع السابق، ص ٧٠ - ٧١.

(٢) باوزير: صفحات، ص ٢٢٨. وخميس حمدان: الشحر عبر التاريخ، ص ٦٢ - ٦٣.

(٣) غيل باوزير وصفها الرحالة الهولندي فان در ميولين بالواحة الخصبة، والشهيرة بزراعة التبنك، في كتابه: رحلة في جنوب شبه الجزيرة العربية، ترجمه محمد سعيد القدال، ص ٢٧٩.

(٤) توفي علي بن ناجي الأول في عام ١٢٢٠هـ في الشحر، ودفن في قبة السيد سالم بن عمر العطاس، وقام بالأمر بعده أخوه حسين بن ناجي، ثم ناجي بن علي المتوفى في بداية عام ١٢٤٣هـ، وبعد ذلك أسندت شئون الإمارة لابنه علي بن ناجي الثاني. ولمعرفة المزيد عن ذلك

المطاف بالأمر علي بن ناجي الثاني في لحج، حيث مرض بها وتوفي عام ١٢٩٣هـ في ٢١ ربيع الأول^(١).

الدولة القعيطية تسيطر على غيل باوزير:

منذ العام ١٢٨٣هـ - ١٨٦٧م شهدت المنطقة (ساحل حضرموت) أحداثاً كثيرة تأثرت ببعض منها مدينة الغيل وضواحيها، ومنها خضوع أصحاب السلطة العسكرية آل عمر باعمر للقعيطي عام ١٢٨٤هـ، كما شهدت البلدة خلال تلك الأعوام أحداثاً كالنزاع الذي حدث بين شخصين أحدهم من آل عمر باعمر والآخر من آل بن محرقة في زيارة الشيخ (عمر الحقاص)^(٢)، وتطور هذا النزاع إلى اشتباك بين القبيلتين، ورغم تدخل آل باوزير لفض النزاع إلا أن النفوس لم تهدأ، إذ كان كل منهم يكمن للآخر، وسقط قتلى من الطرفين، وراح كل من الطرفين يعد العدة للثأر، ويبحث عن حليف له، فكان تحالف آل عمر باعمر والعولقي الذي نتج عنه احتلال منطقة (طالب الرزق)^(٣) التابعة لابن محرقة، وهذا بدوره لجأ إلى حاكم الشحر آنذاك السلطان عوض بن عمر القعيطي، فأبدى السلطان موافقته على مساعدتهم ضد آل عمر باعمر وحليفهم العولقي، وبذلك لاحت للقعيطي الفرصة التي كان ينتظرها لضرب خصمه العولقي، وبالفعل أمد ابن محرقة بفرقة من الجيش، وقاموا بالهجوم على منطقة طالب الرزق، وإخراج آل عمر باعمر والعولقي منها، بل مهدت تلك الأحداث للقعيطي لكسب صداقة وتحالف العوابة وأتباعهم في المنطقة، ومهدت له السيطرة على الغيل^(٤).

انظر: باوزير صفحات من التاريخ الحضرمي، ص ٢٣٥ - ٢٣٩. وخميس حمدون: الشحر عبر التاريخ، ص ٥٥ - ٥٩.

(١) باوزير: صفحات، ص ٢٤٣.

(٢) له قبة تقع شمال المدينة القديمة، بجانب أحد مخارج سور الغيل إلى معيان الشيخ، ويُعرف المخرج بـ(مسلف الحقاص)، وإلى وقت قريب كانت آثاره باقية.

(٣) طالب الرزق: مكان يقع بالقرب من شحير، ولعله من ضواحيها.

(٤) سامي شيخان: نفحات وعبير، ص ٤٤ - ٤٥.

أما آل عمر باعمر فقد وجدوا أنفسهم مضطرين للتخلي عن تحالفهم مع العولقي، وإبرام اتفاق مع القعيطي عام ١٢٨٣هـ، بموجبه أعلنوا الخضوع لسلطاته المتمثلة في ممثل السلطان القعيطي في الغيل (عنبر عبيد)، إلا أن آل عمر باعمر سرعان ما تخلوا عن ذلك الاتفاق، وانضموا إلى التحالف الثلاثي المكوّن من (آل الكسادي والكثيري والعولقي) ضد القعيطي، وأنذروا ممثله (عنبر عبيد) أن يغادر الغيل، بل أخرجوه عنوة، وذهبوا به إلى الشحر^(١). ولكن السلطان القعيطي كان لهم بالمرصاد، وقد خاض الكثير من المعارك ضد ذلك التحالف، وكانت معركته الفاصلة تلك التي عُرفت في التاريخ بموقعة (المشرف)^(٢) في سنة ١٢٩١هـ - ١٨٧٣م، وهي التي وجهت ضربة قاضية حطمت آمال هذا التحالف ومن معه^(٣).

وبعد ذلك الانتصار الذي حققه القعيطي قرّر احتلال الغيل، وخاصة أنه لم ينس تلك الصدمة التي تلقاها من آل عمر باعمر بطردهم عامله (عنبر عبيد) من الغيل، بل كانت الغيل آنذاك مركزاً لتجمع خصوم القعيطي، كالعوالق وآل كثير وأتباعهم من القبائل، وتهدد سلامة الشحر، فتقدمت قواته إلى الشحر واحتلتها، ثم اتجهت إلى الغيل، وبعد قتال لم يدم طويلاً دخلوا البلدة، وفرّ منها آل كثير وحلفاؤهم، وذلك في أواخر رجب ١٢٩٢هـ^(٤).

وكان آل عمر باعمر قد رحّلوا عائلاتهم من الغيل، وغادر كثير منهم إلى صهوت على بعد أميال غربي الغيل، مبتعدين عن الصدام بقوات القعيطي، وقد قُتل عدد من

(١) سامي شيخان: نفحات وعبير، ص ٤٦. محمد عكاشة: قيام السلطنة القعيطية، ط ١، دار بن رشد، عمّان، ١٩٨٥م، ص ١٣٩ - ١٤٠.

(٢) المشرف: منطقة خارج مدينة الشحر دارت فيها معركة تاريخية عام ١٨٧٣م انتهت بانتصار القعيطي.

(٣) بامطرف: المعلم عبدالحق، ص ٣٢. وعكاشة: المرجع السابق، ص ١٤٠.

(٤) باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص ٣٠١ - ٣٠٢. وصلاح البكري: تاريخ حضرموت السياسي، ج ١، ص ١٣٧.

هؤلاء، وفرّ بقيتهم إلى حصن العولقي وأماكن أخرى، وحوصر منهم عمر بن سعيد البعوض بن عمر باعمر في بيته مع بعض من عشيرته وثلاثة من مواليتهم، وبانتهاء المعركة نُودِيَ بالأمان، وُسِّمَحَ لآل عمر باعمر بالعودة إلى منازلهم، ولكن سرعان ما رفضوا دفع الضريبة التي فرضها القعيطي على حاصلات الغيل^(١).

وأدرك القعيطي أنه لا يمكن الاطمئنان إلى وجود آل عمر باعمر في الغيل قوّة مسلّحة غير مستعدة للتفاهم معه والرضوخ لأوامره، فقرر التخلص منهم، وقيل إنّه استدعاهم إلى الشحر وهناك أمر بسجنهم، ثم أطلق بعضاً منهم بشروط، وعادوا إلى الغيل، وفرّ الكثير منهم إلى الصومال الإيطالي، وبذلك تنتهي مرحلة من الدراما السياسية لآل عمر باعمر في غيل باوزير، ولم يعد لهم أي نفوذ يُذكر، بل لم يبقَ منهم في الغيل سوى ثلاث عائلات هي: آل البعوض، ودار بن علي يسر من آل مساعد، ودار وحيدة في القارة من آل شداد^(٢).

وهكذا كللت جهود القعيطي بالنجاح بالسيطرة على الغيل التي كانت ميداناً لتجمعات جنود العولقي وآل كثير وأتباعهم من القبائل الذين يشكلون خطراً على نفوذ القعيطي في الشحر ويهددون سلامتها، بل يشكلون خطراً على نفوذه في كل ساحل حضرموت.

أما آل باوزير أصحاب النفوذ الروحي بالغيل فقد حافظوا على حيادهم تجاه الأطراف المتحاربة، ولم ينحازوا إلى أي منها، فكانوا موضع احترام الجميع وتقديرهم، بل تتنافس الأطراف المتحاربة على كسب ودهم وولائهم، لذلك لم يتعرض أحد منهم لسوء عند هجوم القعيطي على الغيل، ولم تُفتش منازلهم ومنازل أتباعهم^(٣).

(١) باوزير: صفحات، ص ٣٠٢. والبكري: المرجع السابق، ج ١، ص ١٣٧.

(٢) باوزير: صفحات، ص ٣٠٢. وسامي بن شيخان: نفحات وعبير، ص ٥٠. أما عن آل عمر باعمر المهاجرين إلى الصومال فقد عادوا من الصومال بسبب أحداث يناير ١٩٩٠م إلى عدن وحضرموت وخاصة غيل باوزير.

(٣) باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص ٣٠١ - ٣٠٢.

العولقي خصماً قوياً لسلطة القعيطي في ساحل حضرموت:

من العولقي؟ هو الجمعدار^(١) الثري عبدالله بن علي العولقي، وقد حصل على لقب (جمعدار) هو والأميران الثريان عمر بن عوض القعيطي وغالب بن محسن الكثيري، وكلهم كانوا في خدمة الجيش الآصفي بحيدر آباد الدكن، ومنذ حوالي سنة (١٢٦٠هـ) كانت المنافسات قائمة بحيدر آباد الدكن بين الأمراء الثلاثة، وكانوا في سباق على تأسيس دولة لهم في حضرموت^(٢). ولما بدأ غالب بن محسن بشراء منطقة الغُرف من أسافل حضرموت؛ بدأ العولقي بشراء الحزم (وهي أرض واسعة من أعمال غيل باوزير)، واختار الموقع المناسب لبناء حصنه الحصين، وهو المعروف بحصن الصداق^(٣).

حصن العولقي:

يقع حصن العولقي على تلة جبل بقرية الحزم الواقعة بين قريتي الصداق وحبابر شرق غيل باوزير، ويرجع بناؤه إلى العام ١٨٦٣م بعد ما حصل الجمعدار الثري عبدالله بن علي العولقي (القادم من حيدر آباد) على الإذن من آل بريك حكام الشحر والغيل آنذاك في بناء حصنه هناك، وتشير بعض المصادر الشفهية والمخطوطة^(٤) إلى أن العولقي قد بني حصنه من خمسة طوابق؛ ليكون مقرّاً عسكرياً ونواةً لإمارة قادمة على أمل أن تتوسع مستقبلاً. يقول الشاعر الشعبي في ذلك:

محلاك يا حصن فوق قارة براك العولقي لي ما يعول بالخسارة

(١) الجمعدار (Jamaadar): كلمة أوردية تتألف من مقطعين (جمع) العربية و(دار) الفارسية، بمعنى قائد أو رئيس جماعة. وتطلق على صاحب رتبة عسكرية ياتمر بأمره عدد من الجنود. انظر، بامطرف: في سبيل الحكم، ص ١٥. وعمر الخالدي: عرب حضرموت في حيدر آباد، ص ١٦٢.

(٢) السقا: إدام القوت، ص ١٥٥. وسالم الجرو: بلاد الأحقاف، ص ٣١.

(٣) السقا: إدام القوت، ص ١٥٥.

(٤) العطيشي، سالم عبدالله: إعلام ومعالم (حصن العولقي)، مجلة الفكر، العدد (٢٩)، جمعية المؤرخ سعيد عوض باوزير، غيل باوزير، يوليو - سبتمبر، ٢٠٠٦م، ص ٢.

ويقول آخر^(١):

سلام ألفين يا حصن مبني فوق قارة بناك العولقي ما يعول بالخسارة

وقد استخدم في بناء هذا الحصن مواد الطين والجص والحجارة والمدر والأخشاب، وكان الحصن بهيئة قلعة ضخمة بها سوران أحدهما داخل الآخر، الأول يضم في أركانه (معاصر) أبراج دفاعية دائرية كبيرة مشيدة بالأحجار، ويحتوي الثاني على أبراج دفاعية قائمة على قواعد دائرية مشيدة بالأحجار ومطلية بالجص. وكان أبرز ما يميز الحصن تلك (المعاصر) الأبراج الدائرية، وفيها قال الشاعر بعد ضربها من قبل السلطات القيعطية:

يا حصن خلّوا معاصيرك رماد أسود وبتفوا منك النورة عيال إبليس

وإلى جانب مميزات الحصن الدفاعية أيضًا شكلت عمارة هذا الحصن فنًا معماريًا رائعًا، خاصة أنها من نمط العمارة الهجينية، أي خليط بين النمط المحلي التقليدي والنمط الهندي (انظر اللوحة في الملاحق)، وإلى الغرب والجنوب من هذا الحصن تمتد أطلال مستوطنة شيدت مبانيها باللبن، تنتشر عليها شقافات فخارية مختلفة الأنواع، وكسر من خزف البورسلين يعود تاريخها إلى المدة بين القرنين السادس عشر والثامن عشر للميلاد^(٢).

وأخيرًا ماذا عن العولقي الخصم الأخير للسلطان عوض بن عمر القيعطي ونفوذه في ساحل حضرموت؟ فهو الذي تحالف مع جبهة آل كثير وآل عمر باعمر ضد القيعطي. يظل العولقي العدو الأخير والأخطر للقيعطي، ويعد القضاء عليه أمرًا ضروريًا لتأمين نفوذ القيعطي في ساحل حضرموت، وها هي الفرصة تسنح ليقضي القيعطي على خصمه الأخير وحلفائه، وخاصة بعد احتلاله للغيل وهروب جماعة كبيرة منهم (من العوالق وآل عمر باعمر وحلفائهم من البادية) إلى حصن العوالق شرقي الغيل

(١) باوزير: مدينة العرفان، ص ٣٥.

(٢) باوزير: كراسات، ص ١٦٨ - ١٦٩.

بالقرب من قرية الصداع وتحصنهم فيه، فأمر السلطان عوض بتجهيز فرقة من جيشه لملاحقة هؤلاء الفارين، وحاصر الحصن وضربه بالمدافع، وعندما وجد صعوبة في اقتحامه؛ نظرًا لمناعته وقوة بنائه؛ اكتفى بضرب الحصار عليه لأشهر، نفذت خلالها مؤن المحاصرين، بالإضافة إلى قيام جنود القعيطي بحفر ممر تحت الأرض باتجاه الحصن بغرض إحراقه بالبارود، ولكن استسلم أهل الحصن قبل أن تتم العملية، وبذلك تمكن القعيطي من القضاء على أهم مركز في ساحل حضرموت كان يُستخدم ضده في عام ١٨٧٦م^(١).

ويقول شاعر مجهول في ذلك (بعد استسلام قائد الحصن)^(٢):

يا حصن خلو معاصيرك رماد أسود وتنفوا منك النوره عيال إبليس
قولوا لعنبر طرح رطلين في المزود لي باتوصله للحامي وأرض الديس

وبعد استسلام مَنْ في الحصن تم أخذ الأسرى من العوالق وآل عمر باعمر إلى مدينة الشحر، وإدخالهم بزامل يافعي وهم مكبلون بالقيود، وفي ذلك يقول الشاعر اليافعي صالح عبدالله الشعموطي متهمًا^(٣):

يا سما صُبِّي ويا قاع ابليعي من يومنا لما يمدون الصراط المستقيم
يا كافر أسلم جاك سيدنا علي هذاك اللي أرخ لكم قصة تميم

وبرغم ذلك رد عليه متحديًا بابكر بن عمر باعمر بقوله:

مسلم وفي الإسلام نا قِدنا بطي بوشترا^(٤) إلا انتة ومثواك الجحيم

(١) بامطرف: الجامع، ط ٢، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٤م، ص ٣٤٥ - ٣٤٦. وصلاح البكري: المرجع السابق، ج ١، ص ١٣٧ - ١٣٨. وبن هاوي: نبذة عن تاريخ الغيل، مجلة الفكر، عدد (٨)، ديسمبر ١٩٩٧م، ص ٧. وعكاشة: المرجع السابق، ص ١٤٢.

(٢) بن هاوي: نبذة عن الغيل، ص ٧.

(٣) سامي بن شيخان: نفحات وعبير، ص ٤٨ - ٤٩.

(٤) بوشترا: يقصد بهم الإنجليز.

كسروه سيفك والعرب كلين^(١) دري كسروه سيفك بين زمزم والحطيم

وفي زيارة الشيخ العطيبي في الصداق كان عمر بن عوض القعيطي راكبًا حصانه متقدمًا العدة (عدة أهل الغيل) لمرافقتهم في الزيارة، فتوقفت العدة وأنشد شاعر الغيل سعيد ناصر بن حيمد هذه الأبيات:

يا عوض يا بن عمر ما تشوف شي خَلْنَا دَلِيكَ هَذَا شَغْلُ بَوَكْ

والمحطة تحت حصن العولقي قد خدت شهرين والهياك يهوك

تلك هي بعض من ملامح الواقع السياسي الذي عاشته غيل باوزير، ومنذ تأسيسها (٧٠٦هـ - ١٣٠٦م)، وعلى وجه الخصوص (القرن ١٣هـ / ١٩م)، وإدارة شئونها من قبل مشايخ آل باوزير ومعاونيهم من آل عمر باعمر، مرورًا بمحاولات آل كثير وآل بريك والكسادي للسيطرة على الغيل، وصولًا إلى القعيطي الذي قوّض دعائم هؤلاء الطامعين ليس في الغيل فحسب بل في ساحل حضرموت، كما نجح في القضاء على مشروع الدولة العولقية في حضرموت، منهياً بذلك الوجود العولقي بحضرموت.

حكام السلطنة القعيطية في الغيل (القوام):

مدة حكم القعيطي ١٢٩٢هـ / ١٣٨٨هـ - ١٨٧٤ - ١٩٦٧م؛

دخلت الغيل وضواحيها تحت سيطرة السلطنة القعيطية ونفوذها، وزارها السلطان عوض للاطمئنان على الوضع فيها، وعيّن عليها صالح بن علي الحضرمي حاكمًا عسكريًا (قائمًا)، ومن بعده أخاه سعيدًا، وتلاههما ابن أخيه منصر بن عبدالله القعيطي^(٢) حاكمًا على الغيل^(٣)، وفي ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٨٨م - ١٣٠٦هـ، توفي الجمعدار عبدالله بن عمر القعيطي حاكم الشحر، فطالب ولده حسين ومنصر عمّهما

(١) كلين: كل واحد.

(٢) منصر بن عبدالله: هو الذي قام ببناء حصن الأزهر في الغيل (المدرسة الوسطى) مقرًا لحكمه ومسكنه في سنة ١٣١٣هـ، وإليه يعود أيضًا بناء سور محكم حول مدينة الغيل، وكذا الشارع الرئيس للمدينة (الصرك).

(٣) سامي بن شيخان: نفحات وعبير، ص ٥٠.

السلطان عوض بن عمر في الحال بنصيبهما في حكم البلاد، أي لم يكتفيا بأن يكون منصر حاكمًا للغيل وأخوه حسين حاكمًا على الشحر، بل رغباً أن يكون مناصفة مع غالب بن عوض بن عمر القعيطي الذي عينه والده^(١) إلى جانب حسين؛ خوفاً من تفرده بحكم الشحر، وهكذا بدأ الصراع والنزاع داخل الأسرة بين أبناء عبدالله بن عمر وعمهم، وكاد يؤدي إلى فتنة، وفشلت كل التدخلات والوساطات، وخاف السلطان عوض من اتساع رقعة الخلاف قبل أن يفلت الزمام من يده ويتهدم بنيان السلطنة التي بذل الجهود الواسعة لتشييدها، فلجأ إلى حلفائه الإنجليز لحل هذه المشكلة، ومن الطبيعي أن يقف الإنجليز إلى جانبه، ولعدم توصلهم إلى تسوية اتفقت السلطات البريطانية مع السلطان عوض على نفيهما إلى الهند، وبالفعل حدث ذلك في شهر يوليو ١٩٠٤م، وبذلك أصبحت السلطة محصورة في عقب السلطان عوض فقط^(٢).

حكام الغيل (القوَّام)^(٣) :

أمَّا القوَّام الذين تعاقبوا على إدارة الغيل بعد صالح علي الحضرمي وأخيه سعيد وبعد خروج منصر بن عبدالله القعيطي نيابة عن السلطان فهم (حسب الترتيب): عمر مخارش، حامد الماس، عبد الخالق الماس، عمر بن سالم القعيطي، عمر مخارش (مرة أخرى)، علي بازيدي العكبري، سلامة بلعلا، عبد الخالق البطاطي، عمر بن محمد العطاس البطاطي (مرة أخرى)، علي محمد العماري، علي باعشن، علي محفوظ بن بريك، محفوظ صالح لرضي، أحمد ناصر المرفدي، عمر محمد باصالح، وآخرهم سعيد سالم حبيشان إلى عام ١٩٦٧م^(٤). وأحياناً يُعيِّن السلطان واحداً من عبيد السلطنة قائم مقام عنه، فمثلاً كان من قوَّام غيل باوزير أحد موالي

(١) لأن والده السلطان عوض بن عمر يقضي معظم وقته في الهند.

(٢) عكاشة: المرجع السابق، ص ٢٢٠ - ٢٢٣. ومحمد عبدالقادر بافقيه: المستشرقون وآثار اليمن، صنعاء، ١٩٨٨م، مج ٢، ص ١٢٠.

(٣) القوَّام مفرداً قائم، ويقصد بها القائم مقام بإدارة شؤون المدينة نيابة عن السلطان.

(٤) سامي بن شيخان: نفحات وعبير، ص ٥٣.

السلطان (سلامة بلعلا) الذي سَمَّى نفسه (مسلم)، وقد ورد ذكره في إحدى المداعبات الشعرية للعلامة السيد محسن بونمي في هذين البيتين من الشعر^(١):

سلام ألفين من عندي مصدر على الموضوع في نفس القضية
سلامة بلعلا في الحصن لَزهر وحُكمه من هنيئة لا هنيئة

(١) يقال إن هذه الأبيات ليست للعلامة محسن بونمي، وإنما للشاعر سعيد قشمر مهاجماً القائم مسلم بلعلا؛ بسبب عدم رضاه عن تصرفاته.

مراجع البحث:

١. بافقيه، محمد عبدالقادر
♦ المستشرقون وآثار اليمن، صنعاء، ١٩٨٨م.
٢. بامطرف، محمد عبدالقادر
♦ في سبيل الحكم، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٤م.
♦ الشهداء السبعة، ط٢، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٣م.
♦ المعلم عبدالحق، ط٢، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٣م.
♦ الجامع لأعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن وقبائلها، ط٢، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٤م.
٣. باوزير، سعيد عوض
♦ صفحات من التاريخ الحضرمي، ط٣، دار الوفاق، عدن، ٢٠١٢م.
٤. باوزير، محمد بن هاوي
♦ مدينة العرفان غيل باوزير، ط١، دار جامعة عدن، ٢٠١٠م.
♦ كراسات في تاريخ حضرموت وتراثها، ط٢، دار الوفاق، عدن، ٢٠١٤م.
٥. البكري، صلاح عبدالقادر
♦ تاريخ حضرموت السياسي، ج١، ط٢، القاهرة، ١٩٥٦م.
♦ في شرق اليمن (يافع)، تقديم علي صالح الخلاقي، نسخة طبق الأصل عن طبعة ١٩٥٥م، مطبعة وحدين، المكلا، ٢٠١٩م.
٦. التميمي، أحمد سعد
♦ حضرموت .. مدن وقصور وحصون، ط١، مطابع وحدين، المكلا، ٢٠٠٨م.
٧. جار الله، عبدالرحمن حسن
♦ المسجد والمدرسة الإسلامية، مجلة الإكليل، العدد (٢٨)، وزارة الثقافة، صنعاء، ربيع ٢٠٠٤م.
٨. جبريل، أحمد
♦ مدينة المهاجرين، المؤسسة العامة للأنباء والنشر، القاهرة، ١٩٦١م.
٩. جروان، عدنان أحمد
♦ مدينة غيل باوزير، دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، ط١، دار الفالحين، الرياض، ٢٠١٢م.

١٠. الجرو، سالم علي
♦ بلاد الأحقاف - رموز وكنوز، ط١، مكتبة التراث الإسلامي، الرياض، ٢٠٠١م.
١١. الجعدي، عبدالله سعيد
♦ الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت (١٩١٨ - ١٩٤٥م)، ط١، دار الوفاق، عدن، ٢٠١٠م.
١٢. حمدان، خميس
♦ الشجر عبر التاريخ، ط١، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ٢٠٠٤م.
١٣. الخالدي، عمر
♦ عرب حضرموت في حيدر أباد، ترجمة جمال محمود حامد، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد (٤٥) .
١٤. السقاف، عبدالرحمن بن عبيدالله
♦ إدام القوات في ذكر بلدان حضرموت، عُني به تاريخياً وأديباً محمد أبوبكر باذيب ومحمد الخطيب، ط١، دار المنهاج، جدة، ٢٠٠٥م.
١٥. سارجنت، روبرت
♦ نشر وشعر من حضرموت، ترجمة: سعيد محمد دحي، فرع المركز اليمني للأبحاث، حضرموت، أبريل ١٩٨٠م.
١٦. الشاطري، محمد بن أحمد
♦ أدوار التاريخ الحضرمي، ط٢، عالم المعرفة، جدة، ١٩٨٣م.
١٧. بن شيخان، سامي محمد
♦ نفحات وعبير من تاريخ غيل باوزير، مكتبة الثقافة، عدن.
١٨. العطيشي، سالم عبدالله
♦ أعلام ومعالم (حصن العولقي)، مجلة الفكر، العدد (٢٩)، جمعية المؤرخ سعيد عوض باوزير، غيل باوزير، سبتمبر ٢٠٠٦م.
١٩. عكاشة، محمد عبدالكريم
♦ قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت (١٨٣٩ - ١٩١٨م)، ط١، دار ابن رشد، عمان - الأردن، ١٩٨٥م.

٢٠. القعيطي، غالب بن عوض
♦ تأملات عن تاريخ حضرموت قبل الإسلام وفي فجره، مكتبة كنوز المعرفة، جدة، ط ١، ١٩٩٦م.
٢١. مرعي مبارك بارباع
♦ منطقة الكسر في وادي حضرموت، ط ١، دار جامعة عدن، ٢٠١٤م.
٢٢. الموسوعة اليافعية - طارق بن سالم الموسطي وآخرون
♦ يافع في حضرموت، المجلد الثامن، الجزء (١٢)، ط ١، دار الوفاق، عدن، ٢٠١٥م.
٢٣. ميولين، فان در
♦ في جنوب شبه الجزيرة العربية، ترجمة وتقديم د. محمد سعيد القدال، دار جامعة عدن، ط ١، ١٩٩٩م.
٢٤. ابن هاشم، محمد
♦ حضرموت - تاريخ الدولة الكثيرة، تريم للدراسات والنشر، حضرموت، ط ١، ٢٠٠٢م.
٢٥. بن هاوي، محمد بن أحمد (بو سراجين)
♦ مذكرة عن حياتي ونبذة عن تاريخ الغيل (مخطوط)، عن مجلة الفكر، العدد (٨)، غيل باوزير، أكتوبر - ديسمبر ١٩٩٦م.
٢٦. بن همام، خالد عبد الملك
♦ ملخص عن تاريخ يافع حضرموت، ط ١، مطابع وحدين، المكلا، ٢٠٠٨م.
٢٧. الهمداني، الحسن بن أحمد
♦ صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩٠م.



00201008170225 آگ کلمہ



362 |



حصون آل بن همام - غيل باوزير - حضرموت، أقدمها بُني قبل نحو قرنين ونصف

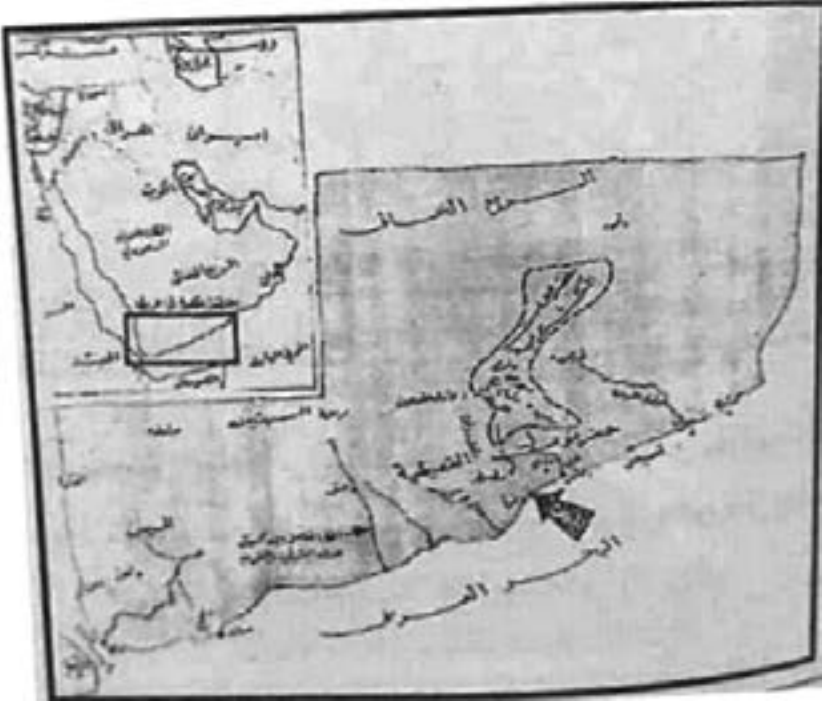


خريطة سياسية لبعض مدن حضرموت الساحل وتظهر فيها مدينة غيل باوزير وضواحيها

الحمد لله رب العالمين بتاريخ نصن بما دأفر ما ١٢٤٩ هـ
 حضور يندر الشير الثاني الشيخ محمد بن سعيد صاحب النقعة
 ومن معه من الثاني اهل النقعة وحضر وبعدهم الشيخ
 عبد الرحيم بن عمر النقعة وخطير الثاني اهل الفيل الشيخ
 بن عبد الرحيم بن عبد الله والشيخ ابن احمد بن محمد بن
 الخطير والشيخ عبد الصادق بن سالم والمدكور بن جميع الابر
 وزيد اهل النقعة واهل الفيل متنازعين في حدود ساق
 ميان الديوان التي التي الى يشكل يند الشيخ محمد بن
 ان الحدود وحدوده واهل الفيل يقولون الحدود وحدوده
 لا يقول الشيخ محمد بن سعيد ترجع الى النقعة وحكم علي بن نايج
 بن بريك بلبينها العادل على الشيخ محمد بن سعيد المدكور شاهدا
 ان الحدود والنكاه ترجع الى النقعة واحضر الشيخ الشهوداء
 المدرد والنكاه شيخ محمد بن سعيد ولا يقولون ان النكاه في حاحة
 ولدين شهود عنه نا سعيد بن عبد الرحيم قضي وسعيد بن عبد الله باعاب
 ومحمد بن عبد الله باعاب وصالح بن محمد بن زهران صحت النكاه ولم
 ورد المدكور شيخ محمد بن سعيد والله الحق وليهدى من شاء
 الى صراط مستقيم فالله وحده هو امين الشرح يندر الشير
 النفاي الى الله محبت بن زريق بن محسن بن علوي مدهر

شاهد له الك حسين بن احمد
 بالكثير والكتب باسمه
 شاهد له الك
 محمد بن عبد الله بن عبد
 بن هيار باوزير
 شاهد له الك
 محمد بن عبد الله بن عبد
 بن هيار باوزير
 شاهد له الك
 محمد بن عبد الله بن عبد
 بن هيار باوزير

نص التحكيم بين أهالي الغيل وأهالي النقعة في عام ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م



أول خريطة لحضرموت المقسمة على سلطنتين
عن مجلة العربي، العدد (٧٩) يونيو ١٩٦٥م، ص ٧١



ملاحم التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي بحضرموت في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)

د. أحمد صالح علي بافضل
رئيس مركز البحوث ودراسات التنمية
بجامعة القرآن والعلوم الإسلامية - اليمن



رغم شيوع أنّ حضرموت بها شعب متطلع الى العُلا؛ عاشت حضرموت حقبةً من المآسي والنكبات، وغياب الاستقرار والطمأنينة، وكثرة الدماء وقاتل الإخوة، وشظف العيش. فهل وُجدَ في القرن الثالث عشر الهجري الموافق للتاسع عشر الميلادي ما ينقل البلد الى وضع أفضل؟ وهل تم السعي للحصول على حالة أرقى؟ حريٌّ بنا أن نستطلع التطورات الحاصلة في هذه الحقبة من الزمن؛ لنقف على حقيقة التطلع والارتقاء، وذلك تحت عنوان «ملاحم التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في حضرموت بالقرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي».

موضوع البحث:

دراسة تحاول رصد التطورات التي حصلت بحضرموت في القرن الثالث عشر الهجري، ووصفها ثم تحليلها.

أهمية البحث:

تنبثق أهمية البحث من الآتي:

١. عدم الوضوح في وجود التطورات في حضرموت تاريخياً، فضلاً عن تتبع سيرها.
٢. الحاجة المستمرة لكشف تاريخ حضرموت المعقد والمتشعب.

٣. حاجة التنمية في حضرموت اليوم إلى التعرف إلى العمق التاريخي للبلد؛ لاستكشاف أدواء اليوم، وتعيين الدواء المناسب.

حدود البحث:

١. الحدود المكانية: حضرموت.
٢. الحدود الزمانية: القرن الثالث عشر الهجري الموافق للتاسع عشر الميلادي ١٧٨٢ - ١٨٨٦.
٣. الحدود الموضوعية: التطور والتحسين.

أهداف البحث:

١. كتابة بحث يضم بين دفتيه ملامح التطور في حضرموت في تلك الحقبة.
٢. إبراز منحنى سير تطور حضرموت في مجالات الحياة المختلفة.
٣. المشاركة في كشف وإيضاح تاريخ حضرموت.

الصعوبات:

١. عدم عثور الباحث على دراسة ترصد ذلك.
٢. شحة المعلومات عن الواقع الاقتصادي والاجتماعي.
٣. قلة المعلومات عن وقائع مهمة مثل مبايعة طاهر بن حسين بن طاهر على الحكم.

منهجية البحث:

الوصف التحليلي، إذ يتم وصف الواقعة التاريخية، ثم تحليلها من حيث دلالتها على تطور البلد.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

المقدمة:

التمهيد: عبر محورين:

- ◆ نبذة عن حالة التطور في العالم عامة في تلك المدة.
- ◆ واقع القرن الثاني عشر الهجري في حضرموت.

المبحث الأول: أسس التطور في حضرموت في القرن الثالث عشر:

- ◆ التطور العلمي.
- ◆ التطور الأدبي.

المبحث الثاني: أنواع التطورات الحياتية:

- ◆ التطور الاقتصادي.
- ◆ التطور الاجتماعي.
- ◆ التطور السياسي.

الخاتمة:

النتائج والتوصيات.

المبحث التمهيدي:

في هذه التوطئة نورد مطلبين: أولهما: التطورات في العالم في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، والثاني نبذة عن حضرموت في القرن الثاني عشر الهجري.

المطلب الأول: التطورات في العالم في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع

عشر الميلادي):

شهد العالم في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) تطورات مذهلة سهّلت سير الإنسان في الحياة، ووفرت له سبل عيش رغيد وأساليب حضارية ورقية، نورد بعضها لنرى كيف هي حضرموت في تلك الحقبة من الزمن، والله المستعان.

أولاً: التطورات الاقتصادية:

تمكنت البشرية من اختراعات واكتشافات مذهلة في القرن التاسع عشر الميلادي، منها: آلات البيع، واكتشف قوانين الكهرومغناطيسية، كما تم إنتاج الألمنيوم، «وخلال أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، حقق المهندسان الأسكتلنديان جون لودون مك آدم وتوماس تلفورد، نجاحاتٍ مهمةً في مجال إنشاء الطرق، فقد ابتدع مك آدم نوعاً من الإسفلت المعروف باسم (المكادم) للسكك الحديدية، بدأت تؤدي دوراً مهماً في نقل البضائع والركاب في أواخر الثلاثينيات من القرن التاسع عشر الميلادي»^(١). واكتشفت خلية لكلايشيه، وهي أساس البطارية الحديثة، واخترع حرير الرايون، ومخلب فتح العلب الصفيحية، وتخزين الطعام فيها لمدة طويلة^(٢).

ثانياً: إدارة الحكم والوزارات:

تقدمت الدول في نمطها الحديث في القرن التاسع عشر بحكامها وشعوبها، ووُجِدَت أبعادٌ للدولة كالانغلاق بالبلد كما في وضع هيجل الألماني لفكرة الدولة التجارية المنغلقة، والتي أثمرت تقدماً ذاتياً هائلاً في ألمانيا^(٣)، كما وُجد في فرنسا التلمس لدور الأمة في الحكم من أمثال دومبالي والفيلسوف ديدرو الذي صرخ في وجه الملك أنه لن يستمد سلطته إلا من رضا رعاياه^(٤).

-
- (١) الموسوعة العربية العالمية، ط ١، الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
 (٢) بيندر: لا يون، الاختراعات ص ٦ وص ٦٦، ترجمة شافعي سلامة، القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٧ م.
 (٣) شاتيليه: فرنسو ودوهميل أوليفيه، تاريخ الأفكار السياسية ص ١٥١ - ١٥١. عنهما: فروان: حسين أحمد، الدولة والتنمية السياسية في الفكر الاجتماعي - علاقة الدولة والتنمية بتحقيق القوة في العالم العربي، ص ٩٤، صنعاء، ٢٠١٠ م.
 (٤) شوفاليه: جان جاك، تاريخ الفكر السياسي من المدينة الدولة إلى الدولة القومية، ص ٥٢٥ - ٣٢٦. عنه: فروان: حسين أحمد، الدولة والتنمية السياسية في الفكر الاجتماعي - علاقة الدولة والتنمية بتحقيق القوة في العالم العربي، ص ٩٥.

المطلب الثاني: حضرموت في القرن الثاني عشر الهجري؛

عاشت حضرموت في القرن الثاني عشر الهجري فتناً وحروباً، وشهدت دولاً قبليةً، وغياباً للسلم المجتمعي، وفقراً وعوزاً وعجزاً عن تلبية احتياجات الإنسان، مع تخلف في الوسائل بل بدائية. ونورد هنا نتائج بحثنا عن التطور والتنمية في القرنين الثاني عشر والحادي عشر بحضرموت:

- ◆ المجتمع الحضرمي قابل للتطور والتطوير لو وُجدت الأسس السليمة وفُعّلت الآليات الناجعة.
- ◆ عاش المجتمع الحضرمي في هذه الحقبة بشكل عام في وضع سيء في كل مناحي الحياة، فقد عاش البلد حالة تخلف اقتصادي وسياسي واجتماعي وإنساني.
- ◆ لم تكن أسس التنمية في الوضع المهيأ لأن تحقق تنمية حقيقية للبلد على كل صعيد؛ لأن:
- ◆ الفقه غير مواكب للمطلوب العام.
- ◆ والإرشاد السلوكي محصور وجزئي.
- ◆ والعقيدة غير عملية وغير مثمرة الإثمار المُرتجى منها.
- ◆ الإنسان الحضرمي نشيط ولديه فاعلية وقدرة على الرفع التنموي، لكنه عاش أوضاعاً لم توفر له ما يمكنه من العطاء والتقدم.
- ◆ عدم توفر البيئة الملائمة لقيام تنمية حقيقية.
- ◆ وجود أعمال تنموية واعدة مثل صناعة السفن، وصناعة الملابس، لكنها كبقية النشاطات لم تجد بيئة ملائمة ولا دولة راشدة.
- ◆ ضعف جانب الحكم، وعدم قيامه بوظيفته في التنمية ومستلزماتها.
- ◆ لم تكن الأعمال المجتمعية كافية لتوفير متطلبات العيش الهنيء العادي للناس فضلاً عن تحقيقها لتنمية حقيقية^(١).

(١) بافضل: أحمد صالح علي، التنمية في حضرموت في القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجريين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين ص ٢٨، بحث يُعدُّ للنشر، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م.

المبحث الأول: أسس التطور في حضرموت في القرن الثالث عشر:

يتأسس التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي على مجموعة من المقدمات المجتمعية التي تمثل أرضية النهوض والتقدم في الحياة، فمن الطبيعي أن تطوّر البلد ينبنى على الوضع التعليمي، وتؤثر في التطور حالة الموجه والمخطط والمرشد لسير البشر والحكومات، وكذلك حال تأهيل الإنسان، وما يتطلب السير كله من مثل الثقافة والحالة الأدبية.

فلنستطلع حالة حضرموت في القرن الثالث عشر الهجري في أسس التطور هذه عبر مطالب أربعة.

المطلب الأول: الحالة العلمية:

العلم هو أس التقدم والتطور، وفي حضرموت في القرن الثالث عشر الهجري يمكننا إِبصار بعض المتعلقات العلمية والتعليمية، نوردّها في الملامح الآتية:

أولاً: كثرة العلماء النجباء المتعمقين:

منهم: العبادلة: عبدالله بن حسين بلفقيه (١١٩٨هـ - ١٢٩٦هـ)، وعبدالله ابن عمر بن يحيى (١٢٠٩هـ - ١٢٦٥هـ)^(١)، وعبدالله بن أحمد باسودان (١١٧٨هـ - ١٢٦٦هـ). وعلي أحمد باصبرين (١٢٢٨هـ - ١٣٤هـ)، وعلوي بن سقاف الجفري (ت ١٢٧٣هـ)، ومحسن بن علوي السقاف (١٢١١هـ - ١٢٩٠هـ)، وسعيد بن محمد باعشن الدّوعني (ت ١٢٧٠هـ).

وهذا العمق لا شك ينتج أرضية للإصلاح والتحسين، ولكن متى ما صاحبه وعي بالمتطلبات الواقعية، وأفق أوسع لفهم العلم نفسه وشموله ومقولاته في توجيه الحياة لحالة أفضل وأرقى، وبيئة متقبلة، وسلطان متفاعل.

(١) وصفه ابن عبيد اللاه السقاف بكونه بحرًا من بحور العلم. ينظر: إدام القوت في بلدان حضرموت، ص ٨٢٦، ط ١، بيروت: دار المنهاج، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

وقد صاحب ذلك ضعف المنشآت التعليمية، فعلى سبيل المثال «لم يكن في عهد الإمارة الكسادية معهد علمي يذكر سوى ما يُقال له عُلَمة»^(١).

ثانياً: الاعتناء بالنصوص:

برز في هذا القرن ورود مهيع راشد ومسلك نافع، وذلك بالاعتناء بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة، ونعني بذلك علوي بن سقاف الجفري، فالناظر في كتبه يجد اعتناؤه بالحديث الشريف، وذكره لأدلة الأحكام الشرعية. يقول الباحث الدكتور محمد باذيب عن هذا الاعتناء، وهو يستعرض نتائج علماء هذا القرن: «وهذه ميزة تفرّد بها عن بقية الفقهاء، حيث إن واقع مؤلفات فقهاء عصره ومصره هو إيراد النصوص الفقهية»^(٢).

وبالتأكيد يعطي أثر تناول النصوص الشرعية رؤيةً أوضحَ لمتطلبات الإصلاح والتغيير المنشود، في حين تقيّد النصوص الفقهية للعلماء الناظرَ فيها في حدود الوقائع دون أفقٍ أوسع لمطلوبات منظومة المجتمع وما تتطلبه من تغييرات، غير أن ذلك وللأسف كان محدوداً، كما ذكر الباحث الدكتور باذيب قبل أسطر.

ثالثاً: وجود تلاقح مع غير الحضارم:

ومن ذلك تتلمذ عبدالله بن حسين بلفقيه على الشوكاني، وأخذ أيضاً عن السيد يوسف بن محمد البطاح^(٣). وأخذ علوي بن سقاف الجفري عن القاضي محمد ابن يحيى العنسي بمدينة دمار، كما أخذ أيضاً عن القاضي عبدالرحمن بن حسن الريمي فيها^(٤)، وما نتج عنها من توسيع أفقه نحو النصوص الشرعية، يقول الجفري عن شيخه

(١) والعُلَمة (بضم العين): مكان يجلس فيه معلم ويأتي إليه الصبيان ليعلمهم، والغالب أن يكون داخل بيت المعلم.

(٢) باذيب: محمد بن أبي بكر، جهود فقهاء حضرموت في خدمة الفقه الشافعي، ص ٩١٢، ط ١، عمان: دار الفتح، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

(٣) زبارة: محمد بن محمد الحسني، نيل الوطر (٢/ ١٠٢)، ط ١، بيروت: المكتبة العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٤) زبارة: محمد بن محمد الحسني، نيل الوطر (٢/ ١٣٥).

الريمي رحمهم الله: «فوجدته ذا علوم كثيرة وفنون غزيرة، متضلعا من علوم الدين، لا سيما علم الحديث، فهو حامل رايته، وذو درايته، فسمعت منه كثيرا من مروياته، أخذ عن أئمة عصره منهم ... القاضي محمد بن علي الشوكاني»^(١).

ولا شك أن هذا التلاحق يثمر أبعادا أوسع تُخرج المرء من موقعته التي ألفها، فيتبج شمولاً لمجالات الحياة التي تتطلع أن يشملها نظر العالم والفقير.

رابعاً: الترتيب العلمي:

مما يعدُّ تطوراً حصول نوع من التنظيم العلمي والترتيب، ومما وقع أن العلامة عبد الله بن حسين بن طاهر ألزم العلامة محسن بن علوي بالخروج إلى قرية مدودة، وأن يرتب لأهلها مجالس لتعليم ما يجب عليهم ويعرفهم بالحلال والحرام^(٢).

المطلب الثاني: المجال التوجيهي لمجتمع حضر موت في القرن الثالث عشر:

التصوف هو موجه البلد، سواء من زعماء المجتمع أم حكامه أم علمائه، بمن فيهم الأجلاء الذين أبدوا بعض الأطروحات العلمية الجديدة، وبقوا في إطار التصوف مثل علوي بن سقاف الجفري وعلي بن أحمد باصبرين، إذ إن «روح التصوف هي التي طغت على المنطقة»^(٣).

ولا يخفى على الناظر في نصوص زهدية وجود التصوف وأثره مع النظرة الزهدية، وجولة عابرة في أي كتاب تاريخ للقرن الثالث عشر الهجري في حضر موت يجد ذلك

(١) من كلام الجفري رحمه الله الذي أثبتته تلميذه عيدروس بن عمر الحبشي في كتابه عقد اليواقيت الجوهريّة وسمط العين الذهبية (٢/ ٢٢ - ٢٣)، ط ٢، سنقافورة: مكتبة فستاك ناشونل، ١٤٠٢هـ.

(٢) تُنظر في: الكندي: سالم بن محمد، تاريخ حضرموت المسمى العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة (٢/ ٢٢)، تحقيق: عبد اللاه الحبشي، ط ١، صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٣) الصبان، الحركة الأدبية في حضرموت ص ٩٩، ط ١، المكلا: دار حضرموت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

بارزاً ظاهراً، فالنظرة إلى القرب من الحاكم والبُعد عنه بحجج الالتزام تتطلب توازناً، وقد حدا ذلك بالعلامة علوي بن سقاف ليقول: «وقد نرى أن قرب العلماء إلى هذا السلطان في هذا الوقت والحال والزمان قبل تمكنه، ومعرفته بتدبير أحواله وتفقدتهم له بالتعليم لما يجب عليه من أمور الدنيا والدين؛ أفضل لهم من العبادة، وإن هذا أولى مما هم فيه، والعلماء الآن يبعدون أنفسهم من هذا السلطان، ويتعللون بما لا حجة لهم في ذلك»^(١). والنظرة إلى الدنيا الفانية هي أس الصلاح الإنساني، لكنها تضر إن لم يواكبها عرض لواجبات المجتمع حكومةً وأفراداً نحو إصلاح الحياة البشرية، وبناء مرافقها، وتلبية حاجات البشر ومتطلباتهم الدينية والفسولوجية والمعنوية والترفيهية على العموم، وإن كان لكل فرد في خاصة نفسه أن يتخذ المسلك الذي يراه في تناول معطيات الحياة وتحضرها ورفاهيتها.

المطلب الثالث: عن تنمية الإنسان:

من الملاحم أن المرأة «ظلت ... في حضرموت أثناء هذا التاريخ الطويل - من ٦ إلى ١٤ هجري - ظلت بعيدة عن العلم والمعرفة في شتى صورها إلا فيما ندر، وفي حدود ضيقة لا تتعدى الواجبات الدينية في الصلاة والصوم وشؤون الحيض والنفاس والطهارة وما أشبهها»^(٢).

ولا يخفى حال الإنسان في ضوء هذه المعطيات غير المنتجة للإنسان الفاعل الإيجابي المواكب للمتطلبات الدينية والمجتمعية والفسولوجية.

المطلب الرابع: المجال الأدبي:

الأدب هو حادي السير ومرشده، ومتى ما وجّه أغراضه نحو نهضة البلد وإصلاحها، فيكون عاملاً فاعلاً في تقدم ذلك البلد، وفي حضرموت في القرن الثالث عشر كانت

(١) الكندي: سالم بن محمد، تاريخ حضرموت المسمى العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة (٢/ ٦٦ - ٦٧).

(٢) باوزير، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، ص ٩٩، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

الحركة الأدبية مُصَوِّبة جهودها نحو زاوية محددة من زوايا الحياة البشرية، وهي التي تعنى بالسلوك والتصفية القلبية، فقد وصف الأستاذ الصَّبَّان قافلة هذا القرن الأدبية بقوله: «تغلبت الروح الصوفية على هذه القافلة، فكانت الكتب والدواوين تطفح بالأدب الصوفي»^(١). ومع هذا فقد برز تطور ملحوظ، وقبس منير في قضايا الإصلاح العام، يمثله العلامة الأديب الشاعر محسن بن علوي السقاف، إذ أبرز جديداً، يقول الأستاذ الصَّبَّان عنه: «لقد اعتاد المجتمع في ذلك العصر من العلماء والأشياخ، فجاء عالم من طراز آخر، فلمس مشاكل المجتمع، وصوَّرها بشعره وانتقاداته، وأحس بالظلم، فقارعه مقارعة الأبطال»^(٢).

ومن شعره رحمه الله:

والهاشمي قال غارة يا سريع الدرك حزب الرد والظلامه للحريم انتهك
وأهل السبح والمصادر كلهم في المحك ذياب تحت الثياب من جاك بليوكلك^(٣)

كما أثر جهد الشاعر السقاف في نطاق المجتمع كله، فقد «أدخل شعره في كل بيت وكل مزرعة»^(٤).

المبحث الثاني: التطورات الحياتية بحضرموت في القرن الثالث عشر الهجري:

ترتكز حياة البشر على ثلاثة مجالات حيوية؛ الاقتصادية والاجتماعي والسياسي، وعلى حسب حالة هذه المجالات تقدماً وصلاًحاً ورشداً، أو عكس ذلك، يكون البلد والناس والمعيشة إيجاباً وسلباً. وهذه الثلاثة المحاور هي التي تكشف عن حالة تطور حضرموت في هذا القرن، فلنوردها في ثلاثة مطالب.

(١) الصبان: عبد القادر، محمد، الحركة الأدبية في حضرموت، ص ٩٥.

(٢) الصبان: عبد القادر، محمد، الحركة الأدبية في حضرموت، ص ١٣٣.

(٣) الصبان: عبد القادر، محمد، الحركة الأدبية في حضرموت، ص ١٣٢. وقوله: (بليوكلك) هكذا في الطبعة، ولعلها (بايوكلك) من الأكل.

(٤) الصبان: عبد القادر، محمد، الحركة الأدبية في حضرموت، ص ١٣٣.

المطلب الأول: التطور الاقتصادي في حضرموت بالقرن الثالث عشر الهجري:

من الطبيعي حصول تطور تلقائي، لكنه في الغالب يكون بطيئاً، بل قد يكون في الاتجاه غير المرغوب، والوضع الاقتصادي في حضرموت في هذا القرن شهد بعض التطورات، وإن كانت محدودة للأسف، إذ إن الحياة الاقتصادية بقيت بشكل عام على نمطها السابق نفسه^(١)، يقول الأستاذ الشاطري: «أمّا الصناعة والزراعة وكذلك العادات فهي لا تختلف اختلافاً كبيراً في أساليبها عمّا تكلمنا عنه بالدور السابق^(٢)»^(٣). وما أوردناه من عوامل النهضة وأرضياتها في المبحث الأول لا يمكن أن تحصل به النهضة المرجوة، ف«من الطبيعي أن لا يحدث تطور أو تقدم في الحياة العامة، بل سارت الأحوال فيه من سيء إلى أسوأ»^(٤). إلا أنه يمكن ملاحظة بعض الحالات والوقائع الإيجابية التي يمكن عدها من التطور، وإن كانت بالطبع محدودة مكاناً وزماناً وأثراً، وعلى سبيل المثال ف«في عهد الدولة الكسادية حصلت بعض التطورات النسبية في الإدارة والتجارة والعمران»^(٥)، وكذلك شهدت الشحر في مدة حكم النقيب ناجي بن علي آل بريك جملةً من التطورات السياسية والاقتصادية^(٦)، ومن تلك التطورات الاقتصادية في حضرموت نورد الآتي:

(١) وقد وصف الباحث أ. الجوهي حالة وسائل الزراعة بساحل حضرموت في تلك المدة بأنّها بدائية. ينظر: إمارة آل بريك ص ١٣١، ط ١، عدن: دار الوفاق، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. وما الداخل عنه بعبء.

(٢) والدور الأول عنده من سنة ٦٢٠ هـ إلى سنة ١١٣٠ هـ، والدور الحالي من سنة ١١٣٠ هـ إلى سنة ١٢٧٠ هـ، أي إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجري.

(٣) الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، ص ٣٩٩، ط ٢، جدة: دار المعرفة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

(٤) الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، ص ٣٩٣، ويقصد بالدور الدور الذي سمّاه القبلي من سنة ١١٣٠ إلى سنة ١٢٧٠ هـ.

(٥) مرجان: سامي ناصر، الإمارة الكسادية في حضرموت، ص ٤١١، ط ١، عدن: دار الوفاق، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

(٦) الخلاقي: علي صالح، من وثائق تاريخ إمارة آل بن بريك في الشحر، مقال بمجلة حضرموت الثقافية، العدد ٧، ص ١٣، يناير - مارس ٢٠١٣م، المكلا: مركز حضرموت للدراسات والتوثيق والنشر.

أولاً: شهدت الدولة الكسادية بعض التطورات المحدودة ومنها^(١):

١. الاهتمام بالبنى التحتية، فقد اهتموا بطرق التجارة البرية التي ترد إليها من المناطق المحيطة بها.

٢. قام آل كساد بتخفيض الضرائب؛ لجذب التجارة والتجار إلى دولتهم.

٣. اهتمامهم بالميناء، وإدخالهم بعض التحسينات والخدمات.

٤. توفير البيئة الأمنية، وإحساس التجار بالأمن والأمان والاطمئنان على حقوقهم وممتلكاتهم.

ثانياً: وجود بعض السياسات الاقتصادية والمالية الموفرة للتطور والتحسين: ومن ذلك^(٢):

١. ترغيب التجار والسكان بمنحهم مساحات من الأرض مجاناً لبناء المنازل.

٢. قيام أحد أمراء آل كساد بتشجيع الحرف والصناعات.

٣. السعي في خلق علاقات تجارية مع الجوار بما يؤدي إلى الإسهام في زيادة الموارد الاقتصادية للدولة، وكان ذلك من قبل آل كساد.

ثالثاً: وجود نوع من الاكتفاء الذاتي في بعض المناطق من الصناعات:

فمدينة الشحر «احتضنت العديد من الصناعات، حيث يصنع كل ما يحتاجه النجار، والحداد، والصيد، والفلاح، والملاح البحري، والجندي، والطبيب، والمدرس، والطالب، وصانع الحلي والأثاث المنزلي»^(٣).

رابعاً: التطور العمراني:

١. شهدت المكلا توسعاً عمرانياً أفقياً، كما شهدت تشييداً رأسياً ببناء البيوت

(١) تُنظر في: مرجان: سامي ناصر، الإمارة الكسادية في حضرموت، ص ٩٣، ٩٤، ٩٥.

(٢) تُنظر في: مرجان: سامي ناصر، الإمارة الكسادية في حضرموت، ص ٩٢+٩٦.

(٣) بامطرف، الشهداء السبعة ص ٤٢. عنه: الجوهي: خالد حسن، إمارة آل بريك في الشحر ١٤٤.

ذات الطوابق^(١).**المطلب الثاني: التطور الاجتماعي:**

شهدت حضرموت في القرون التي سبقت قرننا الثالث عشر اضطراباً في العلاقات المجتمعية، ومجانبةً للسلم الاجتماعي والمجتمعي، ولم يشهد هذا القرن للأسف أي تطور أو تحسن اجتماعي بين الفئات والقبائل والجماعات المجتمعية والطبقات السائدة، ولا يحتاج ذلك إلى شاهد أو استئناس بمصدر، فكتب التاريخ الحضرمي في هذه القرون طافحة بالدماء القانية، والمآسي الفظيعة، واشترك في هذا الاقتتال المجتمعي حتى بعض العلويين، فقد دارت الحرب بين أحمد بن سالم بن الشيخ أبي بكر بن سالم وبين المقدم عبدالله بن أحمد بن يمان^(٢).

ومما يذكر هنا التوقيع على اتفاقية تحريم المتاجرة بالعبيد واستيرادهم التي عقدت بين الأمير علي بن ناجي بن بريك والمقيم السياسي البريطاني لعدن وليام كوجلان في حوالي سنة ١٢٨٠هـ.

المطلب الثالث: التطور السياسي:

يمكن إيراد ملامح تبين حالة الوضع السياسي وتطوره في حضرموت في القرن الثالث عشر الهجري، وذلك عبر الملاح الآتية:

١. كان السائد في هذا القرن بقاء المظاهر السياسية على ما كانت عليه من قبل، فقد سادت القبلية، وسيطرت على المشهد؛ يقول الأستاذ الشاطري: «أعظم ظاهرة في هذا الدور الظاهرة القبلية الفوضوية، فلا دولة راسخة ولا سلطنة مستقرة فيه»^(٣).

(١) باوزير: سعيد، صفحات من التاريخ الحضرمي، ١٧٤، عنه: مرجان: سامي ناصر، الإمارة الكسادية في حضرموت، ص ٣٩٩.

(٢) تُنظر في: ابن عبيدالله: عبدالرحمن، بضائع التابوت في تنف من تاريخ حضرموت (١/ ٣٨٥)، صورة من مخطوط بمكتبة العلامة علي بن سالم بكير.

(٣) الشاطري: محمد بن أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، ص ٣٧٣.

ويُعبر عن ذلك الأستاذ ابن هاشم مفصلاً، فيقول: «وكان أديم القرنين الثاني عشر والثالث عشر كله مصبوغاً بالدم القاني من جراء الفتن الداخلية التي لم تزل تلهب بين القبائل المسلحة طوراً، وبينها وبين الدويلات طوراً آخر، وبين هذه مع بعضها أخرى»^(١). فالعامل الأسري القبلي ماثل، يقول الدكتور الجعيدي: «شهدت حضرموت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر - وهو الربع الأخير من الثالث عشر الهجري - صراعاً على السلطة بين القوى الأسرية فيها، وتم استخدام السلاح والاقتتال الداخلي»^(٢)، وخلاصة الحالة ويالأسف «فوضى قبلية عارمة»^(٣).

محاولة الخروج من الاضطراب إلى الاستقرار السياسي بالدولة:

جرت محاولات متعددة للسعي لإقامة سلطة عادلة، ومن ذلك:

♦ التواصل مع محمد علي باشا حاكم مصر؛ ليمدهم بجيش وقيم والياً عدلاً، فلم يستجب، وأصدر فرماناً بتولية عمر بن قرموص والياً مؤقتاً، ولم يتم من ذلك شيء، ففشلت الفكرة في مهدها^(٤).

♦ التواصل مع الإمام حاكم صنعاء؛ ليسعفهم ويعينهم، ولم يجدوا منه إعانة ولا قبولاً^(٥).

♦ مبايعة العلامة طاهر بن حسين بن طاهر على الحكم، وفي هذا نقطة تحول إذ أصبح الواعظ المرشد حاكماً، فلنقف عندها في العنوان الآتي.

(١) ابن هاشم: محمد، تاريخ الدولة الكثيرة، ص ١٤٢، ط ١، تريم: تريم للدراسات، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

(٢) الجعيدي: عبدالله سعيد، الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت (١٩١٨م - ١٩٤٥م) ص ٢٤ - ٢٥، ط ١، عدن: دار الوفاق، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

(٣) محروس: محمد عوض، حضرموت والجوار القبلي التحالف والمواجهة، ص ٣٣٠، ط ١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، وينظر: باحنان: محمد بن علي، جواهر تاريخ الأحقاف، ص ٥١٣ - ٥٢٢، ط ١، جدة: دار المنهاج، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.

(٤) باحنان: محمد بن علي، جواهر تاريخ الأحقاف، ص ٥١٨.

(٥) ابن هاشم: محمد، تاريخ الدولة الكثيرة، ص ١٨١.

دولة العلامة طاهر بن حسين بن طاهر:

نشأ العلامة طاهر بن حسين بن طاهر بقرية مسيلة آل شيخ قرب تريم، في بيت علم، ودرس العلم، وألّف الكتب، ونصح الولاة والرعية، غير أنّ سيره العلمي صاحبه همّ النظر إلى واقع البلد وما يحتاجه من سيف وقوة مع القلم والرأي، وممّا نُقِلَ عنه أنّه كان يدرب تلاميذه على الرماية، فيجعل حصّةً للرماية مع حصص العلم والقراءة، حتى أصبح تلاميذه ذوي مهارة فائقة في الرمي^(١).

وكان السيل قد بلغ الزبى، وكمل الضيم في الأجواء، وساد الظلم والحيث والقتل والسلب والنهب في كل الأرجاء، فكان هو المرشح لإقامة سلطة راشدة عادلة، فانتبه قومه إلى إمكانيته، وقَدّموه لإمامة المسلمين، فبايعه إماماً أعيان الشعب، وقَبِلَ البيعة، ولُقّبَ بناصر الدين، ودُعِيَ بأمر المؤمنين^(٢).

ولم تدم هذه الدولة أكثر من عقد من الزمان^(٣)، حاملة حلم دولة رشيدة عادلة، ومخلقة مبادئ بقيت في صدور الرجال لإعادة تأسيس دولة العدل والحق، وإن كان لها سلبات لتعثرها للأسف، فقد أوجدت نوعاً من التردد المستقبلي في تأسيس مثل هذه الأطر الحاكمة النافعة، فهذا العلامة الهمام محسن بن علوي السقاف يقول: «ولكننا خائفين مما سبق لسلفنا، لأنهم قد تعبوا ونصبوا ولم يظفروا بطائل، أول شيء ظهر السيد محمد بن عقيل السقاف، وإجماع السادة العلويين أيام الحبيب العلامة طاهر بن حسين...»^(٤).

ومهما يكن من رأي في أغراض تأسيس هذه الدولة وأعمال سيرها، وأسباب نهايتها؛ فإنها تطور بارز أيما تطور في عرف التنمية السياسية والتقدم السياسي، إذ إن الواعظ

(١) الشاطري: محمد بن أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، ص ٣٩٠ - ٣٩١.

(٢) الشاطري: محمد بن أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، ص ٣٨٨.

(٣) الشاطري: محمد بن أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، ص ٣٩٢.

(٤) الكندي: سالم بن محمد، تاريخ حضرموت المسمى العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة (١/ ٣٣٦).

العالم الموجه أصبح هو الحاكم الأمر الناهي، وأسندت أمور البلد إليه، وأضحت أدوات القوة في يديه، فقد خرج بتبوء هذا الإمام للحكم المساق الاعتيادي لحضرموت من أن نشوء الدول والسلطنات ما هو إلا مظهر للوضع القبلي السائد، يقول الباحث محروس: «وكان قيام السلطتين الكثيرة الثانية والقيعية... عبارة عن مرحلة جديدة من الصراع السياسي القبلي»^(١). وتقدم قبل قليل وصف الدكتور الجعيد الصراع بكونه أسرياً^(٢).

وكان نشوء هذه الدولة الفتية الجديدة غير مستند لوضع قبلي، وإنما كان الوصول إلى سدة الحكم من جهة علمية هي المصلحة بين الخصوم، والمرشدة إلى الطريق السواء^(٣)، ومن ثم وُصفت حركة العلامة طاهر بن حسين هذه بما يجعلها مسلكاً إيجابياً نافعاً، ووصفه ابن عبيد الله بأنه «صاحب النهضة المشهودة»^(٤)، ووصف الأستاذ عوض سليمان حركته بأنها «حركة مباركة»^(٥)، ووصفها بعض أساتذة التاريخ المعاصرين بأنها دولة مدنية^(٦).

ويقول ابن هاشم: «وما أخرج السادة العلويين من عزلتهم عن المعترك السياسي... وحملهم على نبذ تقاليدهم القائلة بوجوب ابتعادهم عن التدخل في شؤون السلطان هو ضجيج الوطن وعجيجه من عظم ما يقاسي من الاضطرابات والفتن»^(٧). والذي

(١) محروس: محمد عوض، حضرموت والجوار القبلي التحالف والمواجهة، ص ٧٢.

(٢) الجعيد: عبدالله سعيد، الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت (١٩١٨م - ١٩٤٥م) ص ٢٥.

(٣) في دور هؤلاء كطرف مصلح وجهة وجهة ينظر: ابن هاشم ص ١٤٢.

(٤) ابن عبيدالله: عبد الرحمن، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ٣٩٢.

(٥) بامؤن: عوض سليمان، الإيلاف في تاريخ بلاد الأحقاف حضرموت، ص ٨٧، ط ١، عدن: دار جامعة عدن، ٢٠١٠م.

(٦) هو الأستاذ الدكتور عبدالله سعيد الجعيد أستاذ التاريخ في جامعة حضرموت، كما وصفها شيخنا العلامة علي سالم بكير بأنها حركة ضد الظلم.

(٧) ابن هاشم: محمد، تاريخ الدولة الكثيرة، ص ١٤٣.

يطالع المكاتبات المتبادلة في تلك المدة - ومنها مكاتبات طاهر بن الحسين نفسه - يجد أن الواقع الأليم كان همًّا كبيرًا وحالًا مستمرًا^(١).

ثم نفى ابن هاشم رحمه الله أن يكون الهدف من الحركة تأسيس دولة علوية^(٢). وأيًا يكن كل هذا فما يهمنا هنا أن هذه الحركة هي نقلة طيبة في مجال التطور السياسي، إذ وُجد نمط جديد من الحكام وظيفتهم الأساسية هي الرشد والنصح والتوجيه، فخرجنا من دائرة رغبة الحكام في أغراض غير الرشد والاستفادة بل الحكم والتوريث، وبالطبع قد توجد النيات الحسنة والرغبات الصادقة عند غيرهم، لكننا نحكم على المقصد الأسمى والسير الأشمل والظاهر من حركة أولئك الحكام.

ويبدو أنها يتيمة الدهر وبيضة الديك التي لم يرد لها أن تتكرر، ويمكن أن سبب عدم تناقل أخبارها وشحة المصادر في معلوماتها^(٣)؛ لكونها حالة لا يُرغب في تكررها، وكأنها خطيئة تستلزم سترها، وما درى القوم المتسبيون في ذلك التناسي سواء بالفعل أم بالتجنب السلبي ما دروا أنها نعمة من رب العالمين، وتاج وقار على رؤوس القائمين بها، ورغد عيش للرعية، وفخر دائم لرجالها والمشاركين فيها. فالتنمية والنهضة والتطور كل ذلك لا يقوم على حقيقته وتمامه بغير سلطان، ولا يعطي نتائج بغير دولة راشدة وسلطة قوية عندها نية الإصلاح وهم الإعمار.

ومع حزننا الشديد على عدم استمرار مثل هذه الدولة والحركة؛ يتحتم علينا البحث في أسباب تدهورها وانتهائها؛ لما تمثله كدولة راشدة من الأسس الرئيس لتطور أي بلد وتقدمه.

(١) يُنظر على سبيل المثال بعض مكاتبات طاهر بن الحسين في: مكاتبات الحبيب طاهر بن حسين ابن طاهر والحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر، ص ٢٧ - ٣٠، ط ١، تريم: تريم للدراسات، ١٤٣٧هـ - ٢٠٠٦م.

(٢) وهو ما أكدته شيخنا العلامة علي سالم بكير أنها حركة ضد الظلم، وذلك في مقابلته مشافهة.

(٣) يقول الأستاذ ابن هاشم: «فلا يجد لكتاب ذلك العصر كثيرًا ولا قليلًا من تفاصيل تلك الحركة ووجودها وخمودها، غير هذه التفت التي لا تروي...». تاريخ الدولة الكثيرة، ص ١٧٨.

أسباب عدم استمرار حركة طاهر بن حسين:
ذكر الأستاذ الشاطري أسباباً، منها: تكاسل بعض الأفراد وتباطؤهم وتخاذلهم،
والخيانة، وأن أعمالها غير جارية على المجري الطبيعي الملازم لروح ذلك العصر
غير السوية والمنحرفة، وعدم اهتمامها بالمال^(١).

وفي رأيي المتواضع يمكن أن تُعدَّ هذه من الأسباب، غير أن هناك ما نحتاج أن
نضعه في أعلى قائمة الأسباب، ومن ذلك:

أ - الفهم غير المتوازن للمطلوبات الشرعية:

إذ إن مؤازرة الحاكم الصالح في تلك المدة من أولى الأولويات، ولا نفع تاماً على
الحقيقة من أي جهد دعوي أو علمي، ولا ثمرة ناجعة، بغير حكم راشد، وهو ما دعا
العلامة علوي بن سقاف إلى التذكير به في موقف مقارب. وهذا أثر في السبب الذي
أورده الأستاذ الشاطري «عدم التفرغ التام»^(٢)، وكأن هناك مهمات أخرى أهم رغم
دعوى أصحابها الصلاح والرشد.

ب - نقص الفهم في السياسة الشرعية:

وقد أورده الأستاذ الشاطري بقوله: «مثاليتهم» كإعذار لهم فيما يبدو والله أعلم
باعتبار ذلك طبيعة سليمة، لكن في رأي الباحث أن العكس صحيح، وأنها كانت مثلبة
في الأحكام، إذ إن الشريعة لا تجعل معالجة القضايا على نسق واحد، بل يتم معالجة
الأمر وسياستها بحسب المناسب بالموازنة بين المصالح والمفاسد، فقد يقدم فعل
مفسدة بغية درء مفسدة أشد، أو يُعمل بمفسدة لجلب مصلحة تكاد تكون ضرورية أو
ظاهرة الرجحان على فعل المفسدة، كما قرره العز بن عبد السلام^(٣).

(١) ابن هاشم: محمد، تاريخ الدولة الكثيرة، ص ١٧٦ - ١٧٧.

(٢) الشاطري: محمد بن أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، ص ٣٩٢.

(٣) قال رحمه الله: «وإن كانت المصلحة أعظم من المفسدة حصَّنا المصلحة مع التزام المفسدة».

قواعد الأحكام في مصالح الأنام: (١/ ٩٨)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م.

فمقولة «الغاية لا تبرر الوسيلة» هي في الأصل والضابط العام، وعند التطبيق في الواقع فإن الوسيلة والغاية تحددهما الفتوى من أهلها الذين يوازنون بين المفسد والمصالح في مكتنفات تلك الغايات، وما يؤدي إليها من وسائل.

ج - البيئة في تلك الحقبة لا تُعطي للعمل المجتمعي العام قيمته وما يحتاجه:

وهذا أثر من الفكر السائد والثقافة المنتشرة، وقد نتج عن ذلك نقص التمويل، وبالتأكيد ما أكثر الأموال التي أريد بها فعل الخير! غير أنها لم تسر في الطريق المؤدي الى أعمال الدولة العامة ومطلوباتها، رغم أنها قد تصل الى الوجوب كما هو معروف، وقد يعود ذلك الى ما سماه ابن خلدون العصيبة^(١)، فالمؤيدون لم يكن هناك ما يربطهم بالدولة الفتية سوى نصرة الحق، ومع الزمن ضعف هذا التعاطي بما هو موجود من مسالك أخرى في الواقع التوجيهي غير المسلك الخشن والتعاطي السلطاني، فخفت عندهم جذوة التبعية، وقد أشار إلى ذلك ابن هاشم عندما وسم الحالة بوجود خذلان^(٢).

الخاتمة

وصل البحث الى نتائج أهمها:

١. محدودية التطور والتقدم في حضرموت في القرن الثالث عشر الهجري في كل المجالات.
٢. ضعف التطور في المجال الاقتصادي.
٣. لا يكاد يوجد تطور في المجال الاجتماعي.
٤. محدودية التطور في المجال السياسي.
٥. إيجابية حركة طاهر بن حسين بن طاهر في كونها نقلة في مسار التطور السياسي.

(١) يُنظر: ابن خلدون: عبدالرحمن أبو زيد، المقدمة: (١/ ١٥٦)، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

(٢) تُنظر في: الكندي: سالم بن محمد، تاريخ حضرموت المسمى العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة (٢/ ٢٢).



أوصى الباحث بالآتي:

١. التصدي لموضوع التطورات الواقعة في حضرموت على مدى العصور في الأبحاث والدراسات والرسائل والأطروحات.
٢. إقامة المزيد من الملتقيات العلمية؛ لسبر غور الموضوعات ومدى تعقدها وشحة المصادر فيها.



مصادر الدراسة

١. باحنان: محمد بن علي، جواهر تاريخ الأحقاف، ط ١، جدة: دار المنهاج، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م.
٢. باذيب: محمد بن أبي بكر، جهود فقهاء حضرموت في خدمة الفقه الشافعي، ط ١، عمان: دار الفتاح، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
٣. بافضل: أحمد صالح علي، التنمية في حضرموت في القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجريين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، بحث يُعدُّ للنشر، ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م.
٤. بامؤمن: عوض سليمان، الإيلاف في تاريخ بلاد الأحقاف - حضرموت -، ط ١، عدن: دار جامعة عدن، ٢٠١٠م.
٥. باوزير: سعيد عوض، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م.
٦. ابن خلدون: عبد الرحمن أبو زيد، المقدمة، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.
٧. ابن طاهر: طاهر بن حسين، مكاتبات الحبيب طاهر بن حسين ابن طاهر والحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر، ط ١، تريم: تريم للدراسات، ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.
٨. ابن عبد السلام: العز، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ - ١٩٩١م.
٩. بن هاشم: محمد، تاريخ الدولة الكثيرة، ط ١، تريم: تريم للدراسات، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
١٠. بيندر: لا يون، الاختراعات، ترجمة: شافعي سلامة، القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٧م.
١١. الجعدي: عبدالله سعيد، الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت (١٩١٨م - ١٩٤٥م)، ط ١، عدن: دار الوفاق، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.
١٢. الجوهي: خالد حسن، إمارة آل بريك في الشحر، ط ١، عدن: دار الوفاق، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.
١٣. الحبشي: عيدروس بن عمر، عقد اليواقيت الجوهريّة وسمط العين الذهبية، ط ٢، سنقافورة: مكتبة فستاك ناشونل، ١٤٠٢هـ.
١٤. زبارة: محمد بن محمد الحسن، نيل الوطر، ط ١، بيروت: المكتبة العلمية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
١٥. السقاف: عبد الرحمن بن عبيد الله، إدام القوت، ط ١، بيروت: دار المنهاج، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م.



١٦. السقاف: عبدالرحمن بن عبيدالله، بضائع التابوت في تُتف من تاريخ حضرموت، صورة عن مخطوط بمكتبة العلامة علي بن سالم بكير.

١٧. شاتيليه: فرنسو ودوهميل أوليفيه، تاريخ الأفكار السياسية، عنهما: فروان: حسين أحمد، الدولة والتنمية السياسية في الفكر الاجتماعي - علاقة الدولة والتنمية بتحقيق القوة في العالم العربي -، صنعاء، ٢٠١٠م.

١٨. شوفاليه: جان جاك، تاريخ الفكر السياسي من المدينة الدولة إلى الدولة القومية. عنه: فروان: حسين أحمد، الدولة والتنمية السياسية في الفكر الاجتماعي - علاقة الدولة والتنمية بتحقيق القوة في العالم العربي -، صنعاء، ٢٠١٠م.

١٩. الشاطري: محمد بن أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، ط ٢، جدة: دار المعرفة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٢٠. الصبان: عبدالقادر، محمد، الحركة الأدبية في حضرموت، ط ١، المكلا: دار حضرموت، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

٢١. الكندي: سالم بن محمد، تاريخ حضرموت المسمى العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، تحقيق: عبداللاه الحبشي، ط ١، صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٢٢. محروس: محمد عوض، حضرموت والجوار القبلي التحالف والمواجهة، ط ١، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.

٢٣. مرجان: سامي ناصر، الإمارة الكسادية في حضرموت، ط ١، عدن: دار الوفاق، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.

٢٤. الموسوعة العربية العالمية، ط ١، الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

الدوريات:

٢٥. الخلاقي: علي صالح، من وثائق تاريخ إمارة آل بن بريك في الشحر، مقال بمجلة حضرموت الثقافية، العدد ٧، يناير - مارس ٢٠١٣م، المكلا: مركز حضرموت للدراسات والتوثيق والنشر.



فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
كلمة افتتاح المؤتمر.....	٧
أخبار حضرموت في وثائق المراسلات اليافعية في القرن الثالث عشر الهجري (١٧٨٦ - ١٨٨٣م).....	١١
التدخلات العثمانية في الشأن السياسي الحضرمي الصراع على الحكم والتسلط وأثره في الحياة العامة بحضرموت في القرن الثالث عشر الهجري.....	٦٣
محاولة لقراءة نقدية لكتاب النفحات المسكية.....	٧٩
فضل (باشا) بن علوي مولى الدولة حياته وإسهاماته وموقفه من الاستعمار الأوروبي (١٢٤٠ - ١٣١٨هـ / ١٨٢٤ - ١٩٠٠م).....	١٠٧
فن الرسائل في حضرموت في القرن الثالث عشر الهجري.....	١١٧
ربانة ونواخذة حضرموت وأثرهم في الملاحة والتجارة البحرية في القرن الثالث عشر الهجري.....	١٥٩
نظام الري بمعيان الصَّيْق بالديس الشرقية في عهد الإمارة الكسادية (القرن الثالث عشر الهجري).....	١٨٩
المادة التاريخية والإثنوغرافية عن المشقاص في كتابات المستكشفين الأوروبيين لحضرموت في القرن التاسع عشر الميلادي.....	٢٢٧
الاضطرابات السياسية في حضرموت وأثرها في الأوضاع العلمية خلال القرن الثالث عشر الهجري.....	٢٧٣
المتغيرات السياسية في حضرموت في القرن ١٣هـ / ١٩م وأثرها في غيل باوزير.....	٣١٧
ملامح التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي بحضرموت في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي).....	٣٣٩
	٣٦٧